



رَبِّهِمْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ سَنَةٍ
وَمَا يَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَرْزُقَهُمْ اللَّهُ
رِزْقًا غَيْرَ مَعْدُومٍ

مِثْلَ مَا كَانَ لِأَسْتَوَاتِنَا
وَمَا يَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَرْزُقَهُمْ اللَّهُ
رِزْقًا غَيْرَ مَعْدُومٍ

الْبَيْتُ الْاَلْفُ



البحوث المشاركة في ملتقى الطف الدولي الثامن والذي أقيم
بالتعاون بين ديوان الوقف الشيعي / دائرة العتبات المقدسة
والمزارات الشيعية الشريفة والجامعة المستنصرية / كلية الآداب

عام ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

اسم الكتاب: زيارة الأربعين مسيرة للتكامل الإنساني.
إعداد: شعبة الإعلام - دائرة العتبات المقدسة والمزارات الشيعية الشريفة.
الغلاف: م. نجاح الدجيلي.
الإخراج الفني: مصطفى الأطرش.
الطبعة: الأولى.
الكمية: ٢٥٠ نسخة.
الناشر: ديوان الوقف الشيعي - دائرة العتبات المقدسة والمزارات الشيعية الشريفة.
سنة الطبع: ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.



ديوان الوقف الشيعي

دائرة العتبات المقدسة والمزارات الشيعية الشريفة

www.alwaqfalsheai.gov.iq

جميع الحقوق محفوظة

تأريخ الإعراب
مُسَيِّدَةٌ لِلتَّكْمَلِ الْإِنْسَانِي

البحوث المشاركة في ملتقى أطفالي الدولي الثامن
الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





مقدمة ديوان الوقف الشيعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا زالت كربلاء تلهم الانسان الحر معاني الفضيلة والكمال وتوجه الأقلام الموهوبة الى الإبداع، في سرد قصص الانسانية وتألقها وصياغة روايات العزة والاباء، والتي تدور جميعا حول شخصية واحدة هي مصدر الإلهام ومنبع الإبداع هي شخصية الحسين بن علي سبط الرسول وابن علي والبتول صلوات الله عليهم اجمعين

إن ما تقدمه الأقلام على مدى السنين المتطولة حول مأساة الحسين وأهل بيته عليهم السلام مثله مثل النهر الجاري الذي تتجدد فيه الامواج هادئة مستمرة تستمد بقاءها من منبع لا ينضب ومعين لا يحف ان شخصية سيد شباب اهل الجنة بما انطوت عليه من إنسانية صافية من الشوائب وبطولة عارية من الوهن وكمال بريء من العيب وجمال لا يفوقه جمال في المظهر والاخلاق والسلوك لجديرة بان تكون منبعا لا ينضب للإلهام لجميع الأحرار وروحا تبث الحياة في الاقلام المتوثبة الى كل جديد وكل مشوق هذه مجموعة من تلك المقالات التي قدمت لمهرجان الطف السابع والذي يقيمه ديوان الوقف الشيعي بالتعاون مع الجامعة المستنصرية والتي تمثل موجة من امواج ذلك الدفق المعنوي الرائق المستمد من ذكرى أربعين سيد الشهداء وابي الأحرار الامام الشهيد ابي عبد الله الحسين صلوات الله عليه

قد تم جمعها وترتيبها وطبعها لتكون في متناول القراء الأعزاء ولتشكل علامة في تاريخ الكتابة الحسينية المستمرة على مدى الدهور وعلى يد الأجيال المتعاقبة من عشاق الحقيقة ورواد الفضيلة.

عبدالله الصبيح

رئيس الديوان



التفاعل الاجتماعي

بين زائري أربعينية الحسين (عليه السلام)

الأستاذ المساعد الدكتور ابتسام سعدون محمد النوري

الجامعة المستنصرية - كلية التربية



مشكلة البحث:

يعد التفاعل الاجتماعي من أهم مصادر الشعور بالطمأنينة الانفعالية والتي هي أحد مظاهر الصحة النفسية الإيجابية وأول مؤشرات الصحة النفسية الإيجابية، فلقد تحدث الكثير من العلماء والمفكرين عن أبرز المؤشرات الإيجابية للصحة النفسية والتي منها شعور الفرد بالأمن النفسي والنجاح في إقامة علاقات مع الآخرين وتحقيق التوافق النفسي والبعد عن التصلب والانفتاح على الآخرين^(١).

ولعل حاجة الفرد إلى الطمأنينة الانفعالية من أهم الحاجات في تكوين أساس الشخصية وتزويدها بأنماط من القيم والمعايير والسلوك والاتجاهات السليمة السوية، وهي من أهم شروط الصحة النفسية، وتعد الطمأنينة النفسية المصدر الأول لإحساس الطفل بالثقة في ذاته و فيمن حوله^(٢).

فالفرد حين يستجيب لموقف انساني انما يستجيب لمعنى معين يتضمنه هذا الموقف بعناصره المختلفة، كما ان التفاعل الاجتماعي يتضمن مجموعة توقعات من جانب كل من المشتركين فيه، وكذلك يتضمن التفاعل الاجتماعي ادراك الفرد الاجتماعي وسلوك الفرد في ضوء المعايير عن طريق اللغة والرموز والاشارات وتكون الثقافة للفرد والجماعة نمط التفاعل الاجتماعي. ولقد كانت قاعدة الإسلام التي يقوم عليها كل بنائه، هي حماية الإنسان من الخوف والفرع والاضطراب وكل ما يحد حريته وإنسانيته والحرص على حقوقه المشروعة في الأمن والسكينة والطمأنينة^(٣).

إذن فالإقبال على طريق الله هو زيارة المزارات الشريفة ومنها المزارات الموجودة في العتبة الكاظمية المقدسة وهي الطريق المؤدي إلى السكينة والطمأنينة والأمن، ولذلك فإن الإيمان الحق هو السير في طريق الله للوصول إلى رضا الله جل وعلا والفوز بالقرب منه تعالى^(٤).

(١) الوتاري، ١٩٩٤: ٣.

(٢) التل وابو بكر، ١٩٩٧: ٧٨.

(٣) الصنيع، ١٩٩٥: ٨.

(٤) <http://www.imamreza.net>

وقد عُني القرآن الكريم بالنفس الإنسانية عناية شاملة، عناية تمنح الإنسان معرفة صحيحة عن النفس وقاية وعلاجاً دون أن ينال ذلك من وحدة الكيان الإنساني، وهذا وجه الإعجاز والروعة في عناية القرآن الكريم بالنفس الإنسانية، وترجع هذه العناية إلى أن الإنسان هو المقصود بالهداية والإرشاد والتوجيه والإصلاح، فلقد أوضح القرآن الكريم في الكثير من آياته الكريمة أهمية الإيمان للإنسان وما يحدثه هذا الإيمان من بث الشعور بالأمن والطمأنينة في كيان الإنسان وثمرات هذا الإيمان هو تحقيق سكينته النفس وأمنها وطمأنيتها.

والإنسان المؤمن يسير في طريق الله آمناً مطمئناً، لأن إيمانه الصادق يمهده دائماً بالأمل والرجاء في عون الله ورعايته وحمايته، وهو يشعر على الدوام بأن الله عز وجل معه في كل لحظة، ونجد أن هذا الإنسان المؤمن يتمسك بكتاب الله لاجئاً إليه دائماً، فهو بالنسبة له خير مرشد يمدى أثر القرآن الكريم في تحقيق الاستقرار النفسي له^(١).

قال عز من قائل: ((الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ))^(٢)، كما قال عز وجل في موضع آخر: ((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ))^(٣)، أيضاً وفي الإشارة إلى أهمية الطمأنينة النفسية وربطها بالإيمان بقضاء الله وقدره.

ويعتقد (ابو بكره، ١٩٩٣) أن الإنسان يشعر بالأمل والطمأنينة النفسية إذا أمن الحصول على ما يشبع حاجاته الضرورية لتحقيق النمو النفسي السوي ومنها التفاعل والاتصال مع الآخر وبالتالي التمتع بالصحة النفسية الإيجابية في جميع مراحل حياته^(٤).

والكل يعلم ما للإسلام من أهمية راسخة لدى المسلمين ذاقهم كونه حمل في طياته الثقافات المتعددة الدينية والتربوية والاجتماعية والثقافية فضلا عما وفره الدين الحنيف للبشرية من ضمانات وحمايات من خلال القوانين الإلهية التي جاء بها القرآن الكريم،

(١) الخراشي، <http://bafree.net>.

(٢) الرعد، ٢٨.

(٣) الأنعام، ٢٨.

(٤) ابو بكره، ١٩٩٣: ٢٤٧.

لذلك تعد مسألة الحفاظ على المكتسبات الإسلامية والقوانين الإلهية كزيارة مزار الشهيد زيد بن علي (عليه السلام)، امرأ لا جدال به لما يشعر به الزائر من طمأنينة يشعر بها الزائر بعد الزيارة، كما ان من الحقائق الفلسفية هي أن حقيقة الوجود تعني الكمال، وإن حقيقة الكمال تتجسد في النفس الإنسانية، وإن أعلى درجات هذه النفس تتجسد في نفس المعصوم نبياً كان أو إماماً، ولأجل ذلك جعل الله (عز وجل) لهذه النفس سُلماً للتكامل تسعى له النفس الإنسانية، وهناك بعض الأجواء والحرارة الإيمانية التي يشعر بها الزائر، ومنها الطمأنينة الانفعالية^(١).

وبالاعتماد على ما سبق يمكننا أن نحدد مشكلة البحث بالسؤال الآتي: ما مستوى التفاعل الاجتماعي لدى زائري اربعينية الحسين(عليه السلام)؟

اهمية البحث: يُعد النمو الاجتماعي والانفعالي الجانب الرئيس الذي يُكوّن الجهاز النفسي للإنسان، فإذا نما نمواً سوياً نمت معه شخصية الفرد نمواً طبيعياً، أما إذا حدث فيه أي خلل فإن ذلك يمس الطبع والشخصية، وللعلم فكل اضطراب نفسي يُصاب به الإنسان إلا وجذوره ممتدة في الطفولة قبل ست سنوات، وهناك أمراض نفسية وعقلية يصاب بها الشخص في الشباب والكهولة لكن جذور المرض موجودة في الطفولة إذ إن الأمن النفسي من المفاهيم الأساسية في علم الصحة النفسية ويرتبط بالأمن الاجتماعي والصحة النفسية ارتباطاً موجباً، والأمن النفسي هو الطمأنينة النفسية والانفعالية، فالشعور به يعني انعدام الشعور بالألم من أي نوع أو الخوف أو الخطر، ويتكون الأمن النفسي من شقين:

الأول: داخلي يتمثل في عملية التوافق النفسي مع الذات أي قدرة المرء على حل الصراعات التي تواجهه وتحمل الأزمات والحرمان.

(١) الشيخو ونوفل، ١٩٩٩: ٣٣٤.

الثاني: خارجي ويتمثل في عملية التكيف الاجتماعي، بمعنى قدرة المرء على التلاؤم مع البيئة الخارجية والتوفيق بين المطالب الغريزية والعالم الخارجي والأنا الأعلى^(١).

وتؤكد معظم الدراسات والأبحاث ما للمزارات من الدور الفاعل في تنمية (التوافق الجماعي) داخل المجتمعات، والتعمق في دراسة هذه المسألة يدل على أن المدن والقرى التي تحتضن المزارات تتمتع بالتجمع السكاني فيها بالكثير من الاعتقادات والعادات والتقاليد المشتركة التي هي من عوامل القوة المؤثرة في إيجاد التوافق الجماعي، إن هذه البقاع توفر إحساساً مشتركاً بالحسّ الجماعي (نحن)، الذي يُعدّ - في رؤية علم الاجتماع - ركناً أساسياً من أركان تعريف الجماعة^(٢).

ولزيارة الأربعين دلالات ومعانٍ كثيرة إذ هي رسالة واضحة المعالم بان تواصلنا مع الحسين وهي قضية مبدأ وهي صرخة مدوية ضد الظلمين والطغاة وتحفز الزائرين على الحجى الى كربلاء من كل بقاع العالم من اجل تجديد البيعة للإمام الحسين، فضلاً عن انها نداء واضح لكل المشككين باننا لن نقطع درب الحسين الى ظهور الامام الحجة(عجل الله تعالى فرجه الشريف) وكل هؤلاء الزوار يقدمون الغالي والنفيس من الاموال الى الارواح من اجل نصره قضية الحسين.

ولها أثر عظيم في تحقيق الأمن النفسي، والطمأنينة القلبية والسكينة، هذه السكينة نافذة على الجنة يفتحها الله للمؤمنين من عباده^(٣).

ويعتقد (التل، ١٩٩٧) أن الإنسان يشعر بالأمل والطمأنينة النفسية إذا أمن الحصول على ما يشبع حاجاته الضرورية لتحقيق النمو النفسي السوي ومنها التفاعل والاتصال مع الآخر وبالتالي التمتع بالصحة النفسية الإيجابية في جميع مراحل حياته^(٤).

(١) عودة، ٢٠١١: ٨٧.

(٢) عودة، ٢٠١١: ٨٨.

(٣) <http://www.imamreza.net>

(٤) التل وابو بكر، ١٩٩٧: ٢٤٧.

وبالاعتماد على ما سبق يمكننا أن نحدد مشكلة البحث بالسؤال الآتي: ما مستوى التفاعل الاجتماعي لدى زائري اربعينية الامام الحسين(عليه السلام)؟

أهداف البحث:

يستهدف البحث الحالي التعرف على:

١. مستوى التفاعل الاجتماعي لدى زائري اربعينية الامام الحسين(عليه السلام).
 ٢. تعرف الفروق في التفاعل الاجتماعي تبعا لمتغير النوع (ذكور- إناث).
- حدود البحث: يتحدد البحث الحالي بزائري اربعينية الامام الحسين(عليه السلام) في الزيارة الاربعينية في الطريق الرابط بين النجف و كربلاء للعام ٢٠١٥ - ٢٠١٦.

تحديد المصطلحات:

أولا: التفاعل الاجتماعي

عرفها كل من:

(بني، ٢٠٠٤): هو سلوك ظاهر لأنه يحوي التعبير اللفظي والحركات والايماءات، وهو سلوك باطن إنه يتضمن العمليات العقلية الاساسية كالإدراك والتذكر والتفكير والتخيل وجميع العمليات النفسية الاخرى في^(١).

(عبد الله، ٢٠٠٣): هي عملية مشاركة الافراد من خلال مواقف الحياة اليومية، والتي تفيد في اقامة علاقات مع الاخرين في محيط المجال النفسي^(١).

(١) بني، ٢٠٠٤.

(٢) عبد الله، ٢٠٠٣.

ثانياً: الزيارة:

هي شكل خاص من الابتغال إلى الله تعالى يُتخذ فيه أحد الأنبياء أو الأئمّة أو الصالحين - أو أثر من الآثار المقدسة - وسيلة لطلب الحاجات من الله بوساطة صاحب الضريح.

الفصل الثاني

اطار نظري و دراسات سابقة

المحور الأول: اطار نظري

أولاً: التفاعل الاجتماعي

يرى أدلر (Adler, ١٩٢٩) أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه يسعى دوماً لإشباع حاجاته النفسية والاجتماعية من خلال تنمية اهتماماته الاجتماعية وتطوير أسلوب حياة خاص به يجعله قادراً على التفاعل مع الآخرين وبالتالي تحقيق الحاجة إلى الأمن النفسي والانتماء والحب والصحة وتجاوز مشاعر الوحدة والاعترا ب والوحشة^(١).

أما سوليفان فيؤكد على أن القلق ينشأ بسبب عدم توفر الأمن في العلاقات الشخصية التبادلية مع الآخرين والتي تشكل نمو الشخصية وتحديد مستوى الصحة النفسية خلال مراحل الرشد المبكر^(٢).

أما هورناي (Horney, ١٩٤٥) ترى أن هناك جملة من الظروف والأوضاع السلبية خاصة في المحيط الأسري كالإهمال والعزلة يمكن أن تؤدي إلى فقدان الطمأنينة والذي بدوره يؤدي إلى القلق، وتمضي هورناي لتؤكد أن عدم توفر الأمن والطمأنينة في العلاقات خاصة بين الطفل والأم يتسبب في نشأة مشاعر من الاضطراب تظهر في صورة اتجاهات عصابية تؤدي إلى سلوك الفر لواحد من ثلاثة اتجاهات، فأما التحرك نحو الآخرين (اتجاه إجباري) أو التحرك بعيداً عن الآخرين (اتجاه إنفصالي) أو التحرك ضد الآخرين (اتجاه عدواني)^(٣).

ويرى (جبر، ١٩٩٦) أن الإحساس بالأمن النفسي مرتبط بالحالة البدنية والعلاقات الاجتماعية للفرد، وكذلك مدى إشباع الدوافع الأولية والثانوية وقد صنف الأمن

(١) Adler, ١٩٢٩, ٦.

(٢) أنجلر، ١٩٩١: ١٣٨.

(٣) Horney, ١٩٤٥, ٤١.

النفسي في مكونين، أحدهما داخلي يتمثل في عملية التوافق النفسي مع الذات والآخر خارجي يظهر في عملية التكيف الاجتماعي مع الآخرين والتفاعل معهم بعيداً عن العزلة والوحدة، التي تخل بالتوازن النفسي للشباب والمراهقين وتؤثر على مستوى توافقهم الاجتماعي^(١).

أهداف التفاعل الاجتماعي

يعد التفاعل الاجتماعي وسيلة مهمة لتحقيق أهداف الجماعة ويحدد طرائق اشباع الحاجات وهذا ما نلاحظه عند زيارة ضريح الامام الحسين (عليه السلام) اذ يكون هدف الجماعة هو الدعاء التوسل.

يتعلم الفرد والجماعة من خلاله انماط السلوك المتنوعة والاتجاهات التي تنظم العلاقات بين افراد وجماعات المجتمع في اطار القيم السائدة والثقافة والتقاليد الاجتماعية المتعارف عليها، من خلال التعارف فيما بينهم وزيادة التفاعل الاجتماعي

يساعد على تقييم الذات والآخرين بصورة مستمرة، من خلال التواصل مع الآخر وتوزيع المأكولات فيما بينهم، تكون الثقة بالنفس عالية جدا لإحساس الفرد بانه مقبول من قبل الآخر وبالتالي تتعزز لديه فكرة انه قادر على اقامة علاقات مع آخرين في مختلف المناسبات.

ويساعد التفاعل بالزيارة الاربعية لضريح الإمام الحسين (عليه السلام) على تحقيق الذات ويخفف وطأة الشعور بالضيق، فكثيرا ما تؤدي العزلة إلى الاصابة بالأمراض النفسية.

يساعد التفاعل على التنشئة الاجتماعية للأفراد وغرس الخصائص المشتركة بينهم، فحينما يشاهد الطفل هذا التواصل وهذه العلاقات الاجتماعية المبنية على اساس الحب والتوافق يتعلم كيفية التواصل مع الاطفال الآخرين ويتعلم درسا بالتنشئة

(١) جبر، ١٩٩٦: ٨٠.

الاجتماعية وتقليد النموذج بصورة الاب او الاخ الكبير وبالتالي يتعزز لديه مفهوم حب الاخر بغض النظر عن جنسه وقوميته وطائفته.

يقوم التفاعل الاجتماعي على أربعة أسس أو محددات هي

الاتصال:

لا يمكن بطبيعة الحال ان يكون هنالك تفاعل بين فردين دون ان يتم اتصال بينهم، فالاتصال تعبير عن العلاقات بين الافراد، ويعني نقل فكرة معينة أو معنى محدد في ذهن شخص ما الى ذهن شخص آخر أو مجموعة من الاشخاص، وعن طريق عملية الاتصال يحدث التفاعل بين الافراد وهذه العملية لا يمكن ان تتحقق لذاتها، ولكنها تحدث من حيث هي اساس عملية التفاعل الاجتماعي إذ يستحيل فهم ودراسة عملية التفاعل في أية جماعة دون التعرف على عملية الاتصال بين افرادها.

ومن خلال اتصال الفرد بالآخرين في الزيارة الاربعية لضريح الامام الحسين (عليه السلام) اذ يحتك بالآخر ومن خلال ذلك يتعلم منه قيمه وافكاره وتقاليده لدى زوار ابي عبد الله ومن مختلف الجنسيات.

التوقع:

هو اتجاه عقلي واستعداد للاستجابة لمنبه معين، ويؤدي التوقع دوراً اساسياً في عملية التفاعل الاجتماعي إذ يصاغ سلوك الانسان وفق ما يتوقعه من رد فعل الاخرين، فهو عندما يقوم بأداء معين (مثلاً توزيع انواع الاطعمة) في الزيارة الاربعية من قبل اصحاب المواكب يضع في اعتباره عدة توقعات لاستجابات الآخرين كالرفض أو القبول والثواب أو العقاب ثم يقيم تصرفاته ويكيف سلوكه طبقاً لهذه التوقعات، واذا كان التوقع هو المحدد للسلوك، فهو ايضاً عامل هام في تقييمه، ذلك ان تقييم السلوك يتم على اساس التوقع، فسلوك الفرد في الجماعة يقيمه ذاتياً من خلال ما يتوقعه عن طريق استقبال الزملاء له، سواء أكان هذا السلوك حركياً أم اجتماعياً. ويبني التوقع على الخبرات السابقة أو على القياس بالنسبة الى احداث مشابهة. ويعد وضوح التوقعات أمراً لازماً وضرورياً لتنظيم السلوك الاجتماعي في أثناء عمليات التفاعل، كما يؤدي

غموضها الى جعل عملية التلاؤم مع سلوك الآخرين أمراً صعباً يؤدي الى الشعور بالعجز عن الاستمرار في انجاز السلوك المناسب^(١).

ادراك الدور وتمثيله:

لكل انسان دور يقوم به، وهذا الدور يفسر من خلال السلوك وقيامه بالدور، فسلوك الفرد يفسر من خلال قيامه بالأدوار الاجتماعية المختلفة في أثناء تفاعله مع غيره طبقاً لخبرته التي اكتسبها وعلاقته الاجتماعية فالتعامل بين الافراد يتحدد وفقاً للأدوار المختلفة التي يقومون بها ولما كانت مواقف التفاعل الاجتماعي التي يلعب الفرد فيها أدواراً تتضمن شخصية أو أكثر تستلزم اجادة الفرد لدوره والقدرة على تصور دور الآخرين، أو القدرة على القيام به في داخل نفسه بالنسبة لدوره مما قد نعبر عنه بالقول الدارج: محاولتنا وضع أنفسنا مكان الغير ويساعد انسجام الجماعة وتماسكها ان يكون لكل فرد في الجماعة دور يؤديه مع قدرته على تمثيل ادوار الآخرين داخلياً يساعد ذلك على ادراك عملية التوقع السابق ذكرها، إذ ان الشخص الذي يقوم بنشاط في الجماعة ويعجز عن توقع افعال الآخرين لعجزه عن ادراك ادوارهم وعلاقة دوره بدورهم لن يتمكن من تعديل سلوكه ليجعله متفقاً مع معايير الجماعة^(٢).

الرموز ذات الدلالة:

يتم الاتصال والتوقع ولعب الأدوار بفاعلية عن طريق الرموز ذات الدلالة المشتركة لدى افراد الجماعة كاللغة وتعبيرات الوجه واليد وما الى ذلك. وتؤدي كل هذه الاساليب الى ادراك مشترك بين افراد الجماعة ووحدة الفكر والاهداف فيسيرون في التفكير والتنفيذ في اتجاه واحد، كالصلاة والدعاء وقراءة الادعية والقرآن في ضريح الامام الحسين (عليه السلام).

(١) بني، ٢٠٠٤: ٦.

(٢) المصدر السابق.

ويشير (يونج) الى ان الانسان يعيش في عالم من الرموز، هي شكل من اشكال التعبير عن الافكار والمشاعر التي بداخلها ومن خلالها نستطيع ان نعبر عن خبراتنا.

خصائص التفاعل الاجتماعي:

يعد التفاعل الاجتماعي وسيلة اتصال وتفاهم بين افراد المجموعة فمن غير المعقول ان يتبادل افراد المجموعة الافكار من غير ما يحدث تفاعل اجتماعي بين افرادها.

ان لكل فعل رد فعل مما يؤدي الى حدوث التفاعل الاجتماعي بين الافراد، فعند الصلاة وتناول الطعام في مختلف المواكب وحتى في المساكن الموجودة على طريق يا حسين الطريق الرابط بين النجف و كربلاء ويشاهد الفرد بان الاخر قد تقبل ذلك، يودي الى الشعور بالرضا عن الذات وعن الاخرين وترتفع مستويات الانسجام والتواصل فيما بينهم وخاصة ان الزائرين من مختلف الجنسيات.

فعندما يقوم الفرد داخل المجموعة بسلوكيات واداء معين فانه يتوقع حدوث استجابة معينة من افراد الجماعة اما ايجابية أو سلبية، فضلا عن ان تفاعل الجماعة مع بعضها البعض يعطيها حجما اكبر من تفاعل الاعضاء وحدهم دون الجماعة، إذ ترتفع نسبة الاصدقاء بالتواصل والتفاعل مع الاخرين من خلال تبادل العنوانات بغية التواصل وتكرار الزيارات في الايام العادية بين الزوار، مما يؤدي الى زيادة التفاعل الاجتماعي وبالتالي ترتفع نسبة الاصدقاء لدى الافراد.

الى جانب ما تقدم فإن من خصائص التفاعل الاجتماعي هي ارتفاع نسبة العلاقات الاجتماعية بين الافراد المتفاعلين مما يؤدي الى تقارب القوى بين افراد الجماعة^(١).

(١) الأتروشي، ٢٠٠٤: ٤٣.

مستويات التفاعل الاجتماعي:

التفاعل بين الافراد:

إن نوع التفاعل القائم بين الافراد هو أكثر أنواع التفاعل الاجتماعي شيوعاً، فالتفاعل الاجتماعي القائم ما بين الاب والابن، والزوج والزوجة، الرئيس والمرؤوس... الخ، إذ نجد ان التفاعل الاجتماعي يأخذ هذا التسلسل الطفل - الأم - الطفل واخوته - الطفل واقرانه - الشباب والمدرسة - الشباب والعاملين معه - الشاب ورؤسائه... الخ. وفي كل تلك الصلات الاجتماعية نجد ان الشخص جزء من البيئة الاجتماعية للآخرين الذي يستجيب بنفس الطريقة كي يستجيبوا له ومن ثم يتفاعل معهم^(١).

التفاعل بين الجماعات:

إن التفاعل القائم بين القائد واتباعه أو المدرس وتلاميذه أو المدير ومجلس الادارة، فالمدرس في مثل هذه الحالة يؤثر في تلاميذه كمجموعة وفي نفس الوقت يتأثر بمدى اهتمامهم وروحهم المعنوية والثقة المتبادلة بينهم، ومن ناحية اخرى نجد ان الشخص المتفاعل مع مجموعة معينة من الاشخاص في مرات متكررة ينجم عنه وجود نوع من المتوقعة السلوكية من جانب الجماعة اي سلوك معين متعارف عليه^(٢)، فعندما يشفى الانسان من مرض ما او تتحقق له حاجة معينة بامر من الله وبركات الامام الحسين (عليه السلام) فان الشخص المعني سوف يوفي بنذره.

التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية:

العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي مصطلحان مرتبطان ببعضهما بحيث لا يحدث أحدهما دون الآخر، حتى انهما اصبحا كمرادفين، فالبعض يعتقد بان التفاعل الاجتماعي شكل من اشكال العلاقات الاجتماعية، في حين عد البعض الآخر

(١) بني، ٢٠٠٤: ٣١ .

(٢) الأثروشي، ٢٠٠٤: ٢١ .

العلاقات الاجتماعية مظاهر لعمليات التفاعل الاجتماعي^(١)، فعندما يلتقي شخصان في حرم الامام الحسين (عليه السلام) ويؤثر أحدهما بالآخر ويتأثر به يسمى التغيير الذي يحدث نتيجة لتبادل التأثير والتأثر (بالتفاعل)، وبعد انتهاء الزيارة وعودة الجميع لديارهم فعندما تتكرر عمليات التأثير والتأثر ويستقران ويتم التواصل فيما بينهم بالزيارات الشخصية او من خلال وسائل الاتصال الحديثة، يطلق على الصلة التي تجمع بين الفردين بـ(العلاقات المتبادلة)، وكلما ازدادت العلاقات الاجتماعية المنتشرة داخل الجماعة ازداد اتصال الافراد مع بعضهم البعض وزادت ديناميكية التفاعل الاجتماعي ولهذا يدل مجموع العلاقات على مدى التفاعل الاجتماعي ولدراسة التفاعل الاجتماعي كما يأخذ مجراه في الحياة اليومية للأفراد استخدم الباحثون تكتيكات مختلفة لجمع البيانات أبرزها التقارير الذاتية(والملاحظة السلوكية والتسجيل الذاتي للتفاعلات اليومية (حيث ان اسلوب التقارير الذاتية يعتمد على استبيانات تقيس تقديرات الافراد الذاتية وتقويمه لتفاعلاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية)^(٢)، واستخدمت الباحثة في دراستها اداة الاستبيان.

نظريات التفاعل الاجتماعي:

أولا: النظرية السلوكية

يعتقد السلوكيون بان عملية التفاعل الاجتماعي بين الافراد والجماعات ترجع إلى نظرية المؤثر والاستجابة والتعزيز التي يتزعمها العالم الامريكي (سكندر)، ويرى السلوكيون ان المخلوقات الاجتماعية ليست سلبية في تفاعلها بل ان لديهم المقدرة على الاستجابة للمؤثرات أو المنبهات التي يتلقونها خلال عملية التنشئة الاجتماعية القائمة على التفاعل والشخصية التي تتكون وتشكل الفرد أو الجماعة وهي نتيجة مباشرة لهذا التفاعل، فالتفاعل يتمثل في الاستجابات المتبادلة بين الافراد في وسط أو موقف

(١) الزويبي، ١٩٩٩: ٨.

(٢) زيدان واخرون، ٢٠٠٣: ٧.

اجتماعي بحيث يشكل سلوك الواحد مؤشراً أو منبهاً لسلوك الآخر وهكذا فكل فعل يؤدي استجابة أو استجابات في اطار تبادل المنبهات والاستجابات^(١).

وهم يؤكدون ان التفاعل الاجتماعي لا يبدأ ولا يستمر إلا اذا كان المشتركون فيه يتلقون شيئاً من التدعيم أو الاثابة التي تقوم على مبدأ اشباع الحاجة المتبادل، فالتفاعل هنا هو اشباع لحاجات الطرفين اللذين يقوم بينهما التفاعل، فالطفل يحصل على ما يريد من والديه، والوالدان يحصلان على ما يريدان من تعلم الطفل للكلام والتواصل اللغوي^(٢).

ثانياً: نظرية نيوكمب: ينظر (نيوكمب) إلى التفاعل الاجتماعي وكأنه نوع من الجهاز أو النظام الذي ترتبط أجزائه ببعضها، ويتوقف عمل جزء منه على اداء بقية الاجزاء لوظائفها. وعلى هذا الاساس يقوم الناس اللذين يحدث بينهم التفاعل بتغيير سلوكهم نتيجة لهذا التفاعل حيث يتعدل سلوك أحد الطرفين اذا حدث تغيير في سلوك الطرف الآخر، كما ان نمط من العلاقة المتوازنة تسود بين شخصين متفاعلين عند تشابه اتجاهاتهما وآرائهما بالنسبة لشيء أو شخص او موقف وان نمطاً من العلاقة المتوترة غير المتوازنة ينشأ بين الطرفين المتألفين إذا كان كل منهما يحمل افكاراً أو اتجاهات متبايناً نحو طرف ثالث مشترك. كما ينشأ نمط من العلاقة غير المتوازنة بين طرفين غير متآلفين حتى ولو كانا متشابهين في مواقفهما واتجاهاتهما بالنسبة للطرف الثالث، وخلاصة ذلك يمكن القول ان نمطاً من العلاقة المتوازنة تسود بين شخصين متفاعلين عندما تتشابه اتجاهاتهما وآرائهما بالنسبة لشيء أو شخص أو مواقف معين، وهكذا يستنتج (نيوكمب) ان مدى الصداقة والود والتجاذب تقوى بين الطرفين اللذين تربطهما موقف واتجاهات وافكار وآراء متشابهة نحو الاشخاص أو الاشياء أو الموقف والآراء ذات الاهتمام المشترك^(٣).

(١) ولي ومحمد، ٢٠٠٤.

(٢) نج، ١٩٧٧ : ٩١.

(٣) المصدر السابق.

ثالثاً: نظرية سابمسون: يتجه الفرد الى تغيير احكامه في المواقف غير المتوازنة التي يسودها التوتر أكثر منه في المواقف المتوازنة، ويميل الاشخاص بصورة عامة الى اصدار الاحكام المشابهة لأحكام من يجوبون أو يألفون والمخالفة لأحكام من لا يجوبون، ولقد أثبتت التجارب التي أجراها (سابمسون) ان العلاقات المتوازنة في نطاق التفاعل الاجتماعي تكون ناتجة عن اعتقاد أحد الطرفين أن الطرف الآخر الذي نحب يحمل نفس الآراء ويحمل نفس القيم والمعتقدات التي يحملها، أو يعتقد بأن الطرف الآخر الذي لا نحب لا يحمل آراء ومعتقدات أو قيماً شبيهة بأرائه واحكامه، أما العلاقات غير المتوازنة (التوتر) فتكون حسب نتائج التجارب التي أجراها (سابمسون) أيضاً، الاعتقاد بان الطرف الآخر الذي نحب يصدر احكاماً تخالف أحكامنا، أو الاعتقاد بأن الطرف الآخر الذي لا نحب يصدر احكاماً تشابه احكامنا^(١).

رابعاً- نظرية بيلز: حاول (بيلز) دراسة مراحل وأنماط التفاعل الاجتماعي، وحدد مراحل وأنماط عامة في مواقف اجتماعية تجريبية، وحدد (بيلز) عملية التفاعل الاجتماعي في عدة مراحل وأنماط، وتحدث عن التفاعل الاجتماعي على اساس من نتائج دراسته وملاحظاته^(٢).

ويرى (بيلز) ان التفاعل الاجتماعي هو السلوك الظاهر للافراد في موقف معين وفي اطار الجماعات الصغيرة، لذلك اقتصر في بحثه على ملاحظة السلوك الخارجي للمتفاعلين ونظر الى عملية التفاعل كما لو كانت مجرد اتصال من الافعال والكلمات والرموز والاشارات... الخ بين الاشخاص عبر الزمن^(٣).

خامساً: نظرية فلدمان: تستند نظرية التفاعل الاجتماعي عند (فلدمان) على خاصيتين رئيسيتين، هما: الاستمرار أو التآزر السلوكي بين اعضاء الجماعة والجماعات الاخرى، ومن خلال دراسة قام بها (فلدمان) على (٦) جماعات من الأطفال، وما توصل اليه هو ان التفاعل الاجتماعي مفهوم متعدد يتضمن ثلاثة أبعاد.

(١) ولي ومحمد، ٢٠٠٤: ٩.

(٢) نج، ١٩٧٧: ٦٥٤.

(٣) المصدر السابق.

- ١ . التكامل الوظيفي: ويقصد به النشاط المتخصص والمنظم الذي يحقق متطلبات الجماعة من حيث تحقيق اهدافها وتنظيم العلاقات الداخلية فيها والعلاقات الخارجية بينها وبين الجماعات الأخرى.
- ٢ . التكامل التفاعلي: ويعني به التكامل بين الاشخاص من حيث التأثير والتأثر وعلاقة الحب المتبادلة وكل ما يدل على تماسكهم.
- ٣ . التكامل المعياري: ويقصد به التكامل من حيث الاجتماعية او القواعد المتعارف عليها التي تضبط سلوك الافراد في الجماعة^(١).

سادسا- ويتفق إريكسون (Erikson, ١٩٦٣) مع ماسلو (Maslow) في أن الأمان النفسي والحب والثقة في الآخرين يقابلها حاجات أساسية يؤدي إشباعها خاصة في السنوات المبكرة من الطفولة إلى سيادة الإحساس بالطمأنينة النفسية في المراحل العمرية اللاحقة. إن المرحلة الأولى (الثقة مقابل عدم الثقة) والمرحلة السادسة (الود مقابل الانعزال) في تصنيف إريكسون للمراحل الثمان في النمو النفسي الاجتماعي تعكس هذه الرؤية فالطفل في السنتين الأوليين إن لم يتحقق له الحب ويشعر بالأمن لأنه فقد ثقته في العالم من حوله وطور مشاعر من عدم الثقة في الآخرين بالانعزال والابتعاد عنهم وكذلك الحال في بداية سن العشرينات، ففشل المراهق في تطوير علاقات حميمة مع الآخرين يجعله يميل إلى الوحدة والعزلة^(٢).

ويؤكد بولبي صاحب نظرية الإرتباط العاطفي على أن فقدان الأطفال للاهتمام والتعلق الوالدي يؤدي إلى تطوير مشاعر من عدم الإحساس بالأمن والطمأنينة النفسية مما يجعله يفشل لاحقاً في إقامة العلاقات والتفاعلات الاجتماعية وبالتالي الشعور بالسلبية والإنسحاب والوحدة النفسية^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) Erikson, ١٩٦٣.

(٣) الصنيع، ١٩٩٥: ٧٢.

المحور الثاني: دراسات سابقة.

أولاً: دراسات تناولت التفاعل الاجتماعي

١. دراسة (الأثروشي، ٢٠٠٤): الشخصية النرجسية وعلاقتها بالتفاعل الاجتماعي لدى طلبة جامعة بغداد

استهدفت الدراسة لتعرف على مستوى الشخصية النرجسية ومستوى التفاعل الاجتماعي لدى طلبة جامعة بغداد. العلاقة بين الشخصية النرجسية والتفاعل الاجتماعي. الفروق في العلاقة بين الشخصية النرجسية والتفاعل الاجتماعي على وفق المتغيرات التالي (الجنس / ذكور - اناث، الترتيب الولادي / الاول - الاخير، وقد قام الباحث باعتماد مقياسي الشخصية النرجسية والتفاعل الاجتماعي، تألف الاول الخاص بالشخصية النرجسية من (٣٠) فقرة، اما مقياس التفاعل الاجتماعي والذي تألف من (٥٦) فقرة، اعتمد الباحث مقياس التمييز للتفاعل الاجتماعي، وتألفت عينة البحث الاساسية من (٤٠٠) طالباً وطالبة اختيروا بالأسلوب المرحلي العشوائي، أظهرت النتائج، ان مستوى الشخصية النرجسية لدى طلبة الجامعة اعلى من متوسط المجتمع، اما مستوى التفاعل الاجتماعي فكان ايضاً اعلى من متوسط المجتمع، في حين كانت العلاقة بين الشخصية النرجسية والتفاعل الاجتماعي ايجابية وذات دلالة معنوية. اما الفرق في العلاقة الارتباطية بين الشخصية النرجسية والتفاعل الاجتماعي وفقاً للجنس فلم تكن هناك فروق ذات دلالة معنوية، في حين وفقاً للترتيب الولادي فكانت ذات دلالة معنوية^(١).

٢. دراسة (البركات وياسين، ٢٠١٠) العلاقة بين التفاعل الاجتماعي ومستوى الطموح لدى طلبة المرحلة الثانوية في محافظة اربد

استهدفت الدراسة تعرف العلاقة بين التفاعل الاجتماعي ومستوى الطموح لدى طلبة المرحلة الثانوية في محافظة اربد ولتحقيق هذا الغرض تم تطبيق مقياسين أحدهما

(١) الأثروشي، ٢٠٠٤: أ .

للتفاعل الاجتماعي والآخر لمستوى الطموح على عينة مكونة من (٤٨٣) في محافظة اربد في الأردن، وقد أظهرت الدراسة أن هناك طالباً وطالبة في المرحلة الثانوية على مستوى عالٍ من التفاعل الاجتماعي إلى ارتفاع مستوى الطموح الأكاديمي لدى أفراد العينة

وكذلك توصلت الدراسة ارتفاع في مستوى التفاعل الاجتماعي ومستوى الطموح لدى الطلبة^(١).

وعن أثر الإيمان في زيادة فرص الشفاء من الأمراض العضوية، مما ينعكس إيجاباً على الطمأنينة النفسية، فقد كشفت دراسة تجريبية في مراحلها الأولى أن مرضى القلب الذين يملكون إيماناً دينياً قوياً، لديهم قدرة أكبر على التماثل للشفاء، وإكمال الفترة التأهيلية التي تعقب الإصابة، ويحاول الباحثون في مركز غيرنغ الطبي وجامعة باكنيل توسيع الدراسة لتحديد علاقة الإيمان ومدى تأثيرها الإيجابي على المدى البعيد على صحة القلب والأوعية الدموية، ويأمل تيموتي ماكونيل رئيس وحدة إعادة تأهيل مرضى القلب في مركز غيرنغ، وهو مستشفى مركز ضخّم لأمراض القلب يضم ٤٣٧ مريضاً في تأمين موافقة مائة من مرضى القلب لإجراء دراسة موسعة في إطار زمني مدته خمسة أعوام، وفي الدراسة التجريبية استعان ماكونيل بـ ٢١ مريضاً بينهم من أصيب مؤخراً بأول نوبة قلبية أو أجريت لهم عملية لتوسيع الشرايين، وتم إجراء بحث لتحديد مدى إيمان ومعتقدات المشاركين، قبل البدء في البرنامج التأهيلي الذي استغرق ١٢ أسبوعاً.

ثانياً- الزيارة الاربعينية: الاربعون سر من اسرار الله تعالى لم يصل أحد من العلماء الى هذا السر الرباني، فقد ورد في كتاب الله العزيز فقال تعالى: (وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلَّ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ)^(١)، وقال بشأن قوم موسى (على نبينا وآله وعليه السلام): (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۖ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۖ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ

(١) البركات وياسين، ٢٠١٠: ب-ج.

(٢) البقرة: ٥١.

○ فَلَا تُأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ^(١)، وقال تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ)^(٢)

وفي الأحاديث الشريفة يتم ذكر عدد الأربعين حيث قال الإمام الصادق(عليه السلام): (من حفظ من شيعتنا ٤٠ حديثاً بعث الله يوم القيامة فقيهاً عالماً فلم يعذبه)^(٣).

وفي مورد اخر من حديث الامام الصادق (إذا مات المؤمن فحضر جنازته أربعون رجلاً من المؤمنين فقالوا اللهم إنا لا نعلم منه إلا خيراً وأنت أعلم به منا قال الله تبارك وتعالى قد أجزت شهادتكم وغفرت له ما علمت مما لا تعلمون)^(٤).

وكل هذا يؤيد ويؤكد هذه الطريقة المألوفة والعادة المستمرة بين الناس من الحداد على الميت أربعين يوماً فإذا كان يوم الأربعين أقيم على قبره الاحتفال بتأبينه يحضره أقاربه وخاصته وأصدقاؤه وهذه العادة لم يختص بها المسلمون فأنّ النصراري يقيمون حفلة تأبينية يوم الأربعين من وفاة فقيدهم يجتمعون في الكنيسة ويعيدون الصلاة عليه المسماة عندهم بصلاة الجنازة ويفعلون ذلك في نصف السنة وعند تمامها.

كما ورد عن الإمام جعفر الصادق قوله: إنّ السماء بكت على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً بالدم، وإنّ الأرض بكت عليه أربعين صباحاً بالسواد، وإنّ الشمس بكت عليه أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة... وإنّ الملائكة بكت عليه أربعين صباحاً^(٥).

فضلا عن تلك الفوائد من الزيارة في السير مشيا على الاقدام الى كربلاء المقدسة، فمن الناحية الصحية المشي يقلل الدهون في جسم الانسان ويسهم في خفض مستوى الكولسترول في الدم الذي يقلل من الإصابة بتصلّب أو انسداد الشرايين، وكلما حصل الإنسان على لياقة أثناء مزاوله المشي كلما تحسّن عمل القلب في دفع كمية أكبر من الدم بأقل عدد من ضربات القلب، والمشى يخفض ضغط الدم للمصابين بارتفاع ضغط الدم.

(١) المائدة، ٢٦.

(٢) الاحقاف، ١٥.

(٣) وسائل الشيعة / ج ٢٧ / ص ٢٩.

(٤) رواه الصدوق في الفقيه: ج ١، ص ١٦٥، باب ٢٦، ح ٤٧٢.

(٥) صاحب، ٢٠١٥، <https://forums.alkafeel.net>

والتمثيل الغذائي الذي يحرق السعرات الحرارية المخزونة في الجسم. والمشي يساعد على وقاية العظام والضعف عند الكبر. وزيادة القوة العضلية وزيادة المرونة وتحسين الجهاز الدوري والتنفسي، وناهيك عن فوائد تخفيف الضغط النفسي والابعاد الاجتماعية الايجابية.

ومحضي الموالمون لأهل البيت على تجديد العهد في يوم الأربعاء من كل سنة، يتذكرونه ويذكرون به، ويتثبتون على أصله في حديث الإمام الحسن العسكري: علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين (وهي الفرائض اليومية مع النوافل)، وزيارة الأربعين (وهي زيارة الحسين في أربعين شهاده، والألف واللام في كلمة الأربعين تُسمى للعهد، فهي زيارة معهودة مشهورة) والتختّم باليمين (التزاماً بسنة النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم)، (وتعفير الجبين) (بالسجود على الأرض؛ خضوعاً لله تعالى وتذلاً في محضره القدسي)، والجهر بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» (وذلك وجوباً في الصلاة الجهريّة).

من حفظ من شيعتنا ٤٠ حديثاً بعث الله يوم القيامة فقيهاً عالماً فلم يعذبه^(١).

(١) وسائل الشيعة / ج ٢٧، روى الصدوق في الفقيه: ج ١، ص ١٦٥، باب ٢٦، ح ٤٧٢.

الفصل الثالث

منهجية البحث وإجراءاته

يتضمن هذا الفصل عرض مجتمع البحث، ومنهجيته وبناء أداة البحث على وفق الخصائص السايكومترية لتحقيق أهداف البحث.

أولاً: منهجية البحث (Research Methodology).

استخدم في هذا البحث المنهج الوصفي القائم على رصد ما هو موجود، وتحليله، ويُعد هذا المنهج منهجاً ملائماً لطبيعة البحث وأهدافه، فهو يقوم على وصف العلاقات والمؤثرات التي توجد بين الظواهر، وتحليلها وتفسيرها كما يساعد على تقديم صورة مستقبلية في ضوء المؤشرات الحالية^(١).

مجتمع البحث وعينته: (Population Research).

يتألف مجتمع البحث الحالي من انساء زائرات في الزيارة الاربعينية بواقع (١٠٠) زائرا وزائرة بحدود (٥٠) زائرا و(٥٠) زائرة امراً من كل الدول والجدول (١) يبين مجتمع البحث.

(١) حنا، ١٥٩:١٩٩٠.

جدول (١)

مجتمع البحث وعينته

المجموع	الجنس		اسم الدولة	ت
	اناث	ذكور		
١٦	٤	١٢	العراق	.١
٩	٦	٣	لبنان	.٢
١٥	٩	٦	الكويت	.٣
١٧	٨	٩	البحرين	.٤
١١	٥	٦	قطر	.٥
٢٤	١٤	١٠	ايران	.٦
٤	٢	٢	السعودية	.٧
٤	٢	٢	الهند	.٨
١٠٠	٥٠	٥٠	المجموع	

رابعاً: أداة البحث:

بعد اطلاع الباحثة بالمقاييس التي تتعلق بالتفاعل الاجتماعي، منها دراسة الأتروشي (٢٠٠٤)، ودراسة البركات وياسين (٢٠١٠) وجدت الباحثة ان جميع هذه المقاييس قد أعدت لطلبة الجامعة وهذا ما لا ينسجم مع اهداف البحث الحالي وارتأت الباحثة بإعداد استبيان جديد للتفاعل الاجتماعي يتلاءم ومتغير البحث الا وهو التفاعل الاجتماعي بين زائري اربعينية الحسين (عليه السلام)، وذلك للأسباب الآتية:

- قلة المقاييس الحديثة للتفاعل الاجتماعي على حد علم الباحثة.
- قلة المقاييس المخصصة لمتغير البحث الحالي، وهي الزيارة الأربعينية.

وبعد ان تمت صياغة فقرات الاستبيان، والبالغ عدد فقراته (٢٠) فقرة عُرض المقياس على مجموعة من المحكمين المختصين في الإرشاد النفسي، وعلم النفس، والقياس والتقويم لأخذ آرائهم بشأن فقراته وتعليماته، وبدائله، ومدى ملائمته لعينة البحث، وفي ضوء ملاحظاتهم، وآرائهم تم تعديل بعض الفقرات، وقد تم استبقاء الفقرات التي كانت الفروق بين المؤيدين، والمعارضين ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بنسبة (٨٠%) فأكثر لصالح الذين أيدوا صلاحيتها، وفي ضوء ذلك تم قبول جميع الفقرات مع الأخذ بنظر الاعتبار الملاحظات الطفيفة في تعديل، واستبدال بعض الكلمات.

الفصل الرابع

عرض النتائج وتفسيرها

١. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تسعى للحصول على الراحة النفسية عند الزيارة الأربعينية) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٩٥%) وهي نسبة ممتازة، وقد فسرت الباحثة على ذلك بسبب التنشئة الاجتماعية التي تشجع على فحج منهج اهل البيت والتمثل بهم وزيارتهم.
٢. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تشجعك زيارتك على اقامة علاقات اجتماعية طيبة مع الآخرين) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٧٥%) وهي نسبة لا بأس بها، وقد فسرت الباحثة هذه النتيجة بسبب تغير النظرة للحياة وبشكل إيجابي بسبب الزيارة وتحقيق النجاح في الحياة.
٣. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تصطحب ابناءك عند تواصلك مع الآخرين في زيارتك) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٨١%) وهي نسبة جيدة جدا، وقد فسرت الباحثة هذه النتيجة بان هذا الاسلوب هو احد الاساليب الناجحة في تربية الابناء ن طريق تقليد الامموزج الا وهو الاب او الاخ الكبير.
٤. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تحب اصدقائك لحضور المناسبات الدينية التي تقام بالمزارات) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٨٥%) وهي نسبة جيدة جدا، وقد فسرت الباحثة هذه النتيجة بالإحساس بالتفاؤل والمستقبل المشرق الذي جاء نتيجة نجاح الزيارة.
٥. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تستطيع تنمية مهارات الاتصال بالآخرين من خلال زيارتك) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٩٨%) وهي نسبة عالية، وقد فسرت الباحثة هذه النتيجة كون الانسان كائناً اجتماعي يعيش ضمن دائرة من الضغوطات التي قد تؤثر عليه سلبا في كيفية تعامله معها.
٦. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تزداد محبتك للآخرين بعد زيارتك) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٨١,٩%) وهي نسبة جيدة جدا، وقد فسرت الباحثة هذه

- النتيجة بسبب الشعور الايجابي وحل المشاكل العالقة بع كل زيارة، وبالشعور الذي يشعر به الزائر بمحبته لذاته وللآخرين.
٧. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تشعر بالضيق عندما تتواجد لوحده) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٩٣,٤%) وهي نسبة ممتازة، وقد فسرت الباحثة هذه النتيجة بان الانسان العراقي انسان اجتماعي يتآلف مع الاخر بسرعة.
٨. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تتلاشى متاعبك امام قوة ايمانك بالزيارة الاربعينية)، ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٩٣,٤%) وهي نسبة ممتازة، وقد فسرت الباحثة هذه النتيجة بالقدرة على النجاح والايمان بتجاوز اي فشل.
٩. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تؤدي الزيارة الاربعينية الى تنمية الشعور بالوحدة الوطنية بين مختلف الطوائف والقوميات والجنسيات) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٧٠,٤%) وهي نسبة جيدة جدا، وقد فسرت الباحثة هذه النتيجة بالإيمان بالوحدة والتالف الوطني بين مكونات الشعب العراقي.
١٠. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تشعر بالراحة عندما تتواجد مع الزائرين) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٦٨,٦%)، وقد فسرت الباحثة هذه النتيجة بالراحة التي يشعر بها الزائر بعد كل زيارة فضلا عن اقامته علاقات متعددة عن طريقها مما يشعره بالرضا.
١١. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة هل تسهم الزيارة الاربعينية بإشاعة روح الالفه من خلال الزيارات المتبادلة مع الاخرين) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (١٣,١%) وهي نسبة ضعيفة جدا، وقد فسرت الباحثة هذه النتيجة لوجود الفروق الفردية بين الأفراد وذلك لان الشاب العراقي يمتلك مستوى من الطموح يفوق الامكانيات المتاحة لذا فهو يعيش جملة من الضغوطات والاحباطات وعدم اهتمام الدولة لهذه الشريحة المهمة مما يؤدي الى عدم تحقيق طموحاته بسبب هذه المعوقات
١٢. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تفضل الحوارات المستمرة مع الزوار الاخرين من مختلف الطوائف والجنسيات) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٩٠%) وهي نسبة عالية، وقد فسرت الباحثة هذه النتيجة كون الانسان العراقي اجتماعيا ومتفائلا وقد يأتي هذا التفاؤل بزيارة الاولياء الصالحين وتحقيق النجاح وتغير النظرة الايجابية للذات.

١٣. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تسهم الزيارة الاربعينية باكتساب العديد من الاصدقاء) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٩٠,١%) وهي نسبة جيدة، وقد فسرت الباحثة هذه النتيجة بكون الطالب انسان طموحاً يحقق النجاح وقدرته على تحقيق هذا النجاح بمستويات دراسية اعلى مستقبلاً بسبب زيارته.

١٤. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تسيطر فكرة الموت وتشل كل افعالك) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٩٣,٤%) وهي نسبة عالية بسبب الظروف القلقة وغير المستقرة التي تحيط بالطالب الجامعي فضلاً عن قلق الموت الذي يشعر به بسبب العمليات الارهابية المفاجئة.

١٥. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تتشائم من عدم زيارتك) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٧٠,٤%) وهي نسبة جيدة.

١٦. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل يحالفك الحظ بعد كل زيارة) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٧٨,٦%) وهي نسبة جيدة تتباين تبعاً للفروق الفردية بين الطلبة.

١٧. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تعتقد بان مساعدة الآخرين واجب ديني) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٨٦,٩%) وهي نسبة جيدة جداً.

١٨. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تزداد ثقتك بنفسك عندما تكون مع الزائرين في الزيارة الاربعينية) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٩٣,٤%) وهي نسبة ممتازة، وقد فسرت الباحثة هذه النتيجة ان الطالب الجامعي يطمح للأفضل رغم كل الظروف.

١٩. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تتواصل مع الآخرين بعد الزيارة) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٨٥%) وهي نسبة جيدة جداً، اذ ان هذه العلاقات سوف تتطور الى حد مسالة التصاهر بين الافراد

٢٠. أظهرت النتائج بالنسبة للفقرة (هل تعتقد بان من المفيد التواصل مع الآخرين) ان النسبة المئوية للإجابات بلغت (٩٥%) وهي نسبة ممتازة.

التوصيات:

- الاتفاق على أن الأسرة هي المعلم الأول للأطفال، وأن المنزل هو المصدر الأساس لتنمية قيم حب أهل البيت (عليهم السلام).
- الاعتراف بأن زيارة أهل البيت هي عملية ذات اتجاهين يتعلم من خلالها الكبار من الأطفال والشباب والأطفال من الكبار.
- استدخال فكر أهل البيت في المناهج الدراسية بدءاً من مرحلة رياض الأطفال وانتهاء بالمرحلة الجامعية.
- ضرورة تحصين المجتمعات الإسلامية لأهميتها في المحافظة على معالم الشخصية الإسلامية السوية.
- تعزيز التفاعل بين الطلبة عن طريق الرحلات والأنشطة الاجتماعية والحفلات الترفيهية، والزيارات العلمية الثقافية المتنوعة .
- التأكيد على الطلبة بتعزيز وتنمية التفاعل الاجتماعي بما يناسب المرحلة العمرية وقيم وثقافة المجتمع من خلال النشاطات العلمية المختلفة والأعمال المشتركة أو من خلال الإرشاد .

المقترحات:

- إجراء بحوث تتضمن فكر أهل البيت.
- إجراء دراسات حول علاقة التفاعل الاجتماعي بمتغيرات أخرى، مثل الصحة النفسية والالتزام الديني والتوافق، الضبط الداخلي والضبط الخارجي، أساليب المعاملة الوالدية.
- إجراء دراسات مماثلة على تلاميذ المرحلة الابتدائية وطلاب المرحلة الإعدادية.

المصادر

أولاً: المصادر العربية:

١. أبو بكر، عصام (١٩٩٣): العلاقة بين القيم الدينية والأمن النفسي لدى طلبة جامعة اليرموك، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن.
٢. الاتروشي، عماد ابراهيم حيدر (٢٠٠٤): الشخصية النرجسية وعلاقتها بالتفاعل الاجتماعي لدى طلبة جامعة بغداد، كلية التربية رسالة ماجستير غير منشورة .
٣. أنجلر، باربرا (١٩٩١): مدخل إلى نظريات الشخصية، ترجمة فهد عبدالله الدليم، الطائف، دار الحارثي
٤. البركات، صالح سلامه وياسين، عمر صالح (٢٠٠٤): العلاقة بين التفاعل الاجتماعي ومستوى الطموح لدى طلبة المرحلة الثانوية في محافظة اربد، كلية عجلون الجامعة التطبيقية -الأردن.
٥. بني جابر، جودت (٢٠٠٤): علم النفس الاجتماعي، ط١، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان
٦. تج، ارنوف (١٩٧٧): مقدمة في علم النفس، ترجمة، عادل عز الدين، دار ماكجر وهيل للنشر، القاهرة
٧. التل، شادية، وابو بكره عصام (١٩٩٧): تطوير قياس الأمن النفسي في إطار إسلامي .مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية مج(١٣) ع(٢ب)، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.
٨. جبر، محمد (١٩٩٦): بعض المتغيرات الديموغرافية المرتبطة بالأمن النفسي، مجلة علم النفس، س (١٠)
٩. الزوبعي، ناصر هراط فارس (١٩٩٩): الصحة النفسية وعلاقتها بالتفاعل الاجتماعي لدى طلبة جامعة بغداد، كلية الاداب، رسالة ماجستير غير منشورة.

١٠. زيدان، ندى فتاح واخرون(٢٠٠٣):علم النفس الاجتماعي، ط٢، دار وائل للنشر والطباعة، عمان، الاردن.
١١. الشيخو، خالد فيصل ونوفل، قصي جاسم(١٩٩٩): الأمن النفسي للاعب كرة اليد، مجلة التربية الرياضية، مج (٤)، ع (١) لكلية التربية الرياضية، جامعة بغداد.
١٢. الصنيع، صالح بن إبراهيم(١٩٩٥): دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض.
١٣. عبد الله محمد، عادل(٢٠٠٣): مقياس التفاعلات الاجتماعية للأطفال خارج المنزل، دار الرشاد.
١٤. عودة، فاطمة يوسف ابراهيم (٢٠١١): المناخ النفسي الاجتماعي وعلاقته بالطمأنينة الانفعالية وقوة الأنا لدى طالبات الجامعة الاسلامية بغزة، رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية غزة.
١٥. الوتاري، أيمن توفيق(١٩٩٤): الألفاظ النفسية في القرآن الكريم دراسة دلالية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل
١٦. ولي، باسم محمد ومحمد جاسم محمد (٢٠٠٤): المدخل الى علم النفس الاجتماعي (١)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان

ثانياً: مصادر أجنبية:

١٧. Adler, A.(١٩٢٩) Problems of Neurosis London. Kegan Paul.
١٨. Horney, K.(١٩٤٥) Our inner conflicts. New York. Norton.

مواقع الانترنت:

١٩. <http://bafree.net> الخراشي.
٢٠. المزار.. في رؤية علم الاجتماع <http://www.imamreza.net>.
٢١. <http://www.wikalah.net> زيارة الحسين (ع) في الأربعين من علامات المؤمن لثلاثاء ٢٦ فبراير ٢٠٠٨.

الزيارة الاربعية

منهج تطبيقي لفكر الإمام الحسين

أ.م. د. إسراء حسين جابر
الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

المقدمة:

إن من أعظم النعم التي انعمها الله سبحانه وتعالى هي بعث الانبياء والمرسلين والائمة الهادين إلى الخلاق اجمعين ليبينوا للعباد حقيقة العبودية والتوحيد والدعوة إلى عبادة الله تعالى دون غيره من الاهواء والباطيل.

ويعد الإمام الحسين عليه السلام واحداً من الائمة المعصومين الذين كان لهم دور رسالي من أجل تثبيت الموقف الواعي والحكم الشرعي تجاه ظاهرة الطغيان اليزيدي، الحاكم المستهتر بالقيم والشعائر الاسلامية، لذا فإن الهدف من ثورة الامام هو المحافظة على الوجود الاسلامي واستمراره من خلال تثبيت هذا الحدث، إلى جانب ذلك كان الهدف منها ايقاظ ضمير الامة وهزّ مشاعرهم وأحاسيسهم وتحريك وجدانها من أجل العمل على مواجهة هذه الظاهرة.

إذ إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام تعد من أبرز وأعظم مظاهر المواجهة والتحدي في سبيل المبدأ والصالح العام، فكان لهذه الثورة هدف انساني يتمثل في القضاء على الظلم وإحقاق الحق في العدل والمساواة وفقاً لتعاليم الدين الاسلامي، فضلاً عن أنها حق من حقوق البشرية جمعاء.

وما لاشك فيه أن ثورة الحسين(عليه السلام) تركت بصماتها في كل عصر وزمان لتضيء زوايا الظلام وتقتلع الظلم المغروس من قبل الطغاة، وبقي تأثيرها إلى يومنا هذا، حتى أصبح استشهاد الحسين(عليه السلام) بداية لانطلاق الثورات التي أخذت بثأره وطالبت بحقوق المستضعفين.

وتعد الزيارة الاربعينية للإمام الحسين هي الأخرى ثورة وفكر، استمدت منطلقها من فكر الامام الحسين، حتى عدّها الامام الحسن العسكري (عليه السلام) علامة من علامات المؤمن، وذلك في قوله: "علامات المؤمن خمسة: التختم باليمين، وتعفير الجبين، وصلوات إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم" وفي ذلك القول حث ودعوة واضحة على تأدية الزيارة الاربعينية للإمام الحسين(عليه السلام) وهي دعوة كانت تحمل ملامح فكرية وسياسية واضحة إضافة الى ما تحمله من بعد ديني، يتضمن الولاء لأهل البيت واحقيتهم، وتستبطن معارضة لمن سار على نهج الامويين ومن جاء بعدهم في استهدافهم لأهل البيت.

إلى جانب ذلك فإنها تجسد المحبة الالهية وتجديد عهد في التمسك بتعاليم الدين الاسلامي والتخلق بأخلاق الحسين والتمسك بمبادئه الاخلاقية والانسانية.

وقد أثارت الزيارة الاربعينية بكل طقوسها من تحدّ وصبر وكرم اهتمام العالم بأسره ولعل
الاعلام الواعي يشكل إحدى السبل المهمة في نقل هيبة وعظمة وهدف الزيارة للعالم بأسره
وهي محطة اشعاع للعالم وصورة مشرفة للمذهب الشيعي ومصدر من مصادر استقطاب
الاديان والطوائف والبلدان كافة.
وبناءً على ما سبق ارتأينا ان نقسم البحث على محورين احدهما يتضمن (ماهية الفكر
الحسيني) وثانيهما يدور حول (الزيارة الاربعينية ثورة وفكر).

المحور الاول ما هية الفكر الحسيني

١- من الثورة إلى الفكر

إن ثورة الحسين واحدة من أهم الثورات في العالم ككل لاسيما العالم الاسلامي بكل طوائفه، فكانت حركة ثورية غاضبة لمناهضة الامويين وما شهدته تاريخهم من انحرافات سياسية واقتصادية واجتماعية وعقائدية، فقد رفض الإمام البيعة ليزيد والاعتراف بسلطانه لما اتصفت به تلك الشخصية من صفات لا تؤهله للإمامة، فضلا عن انحراف السلطة عن نهج الاسلام وتفشي الفساد.

ولقناعته بأن الأوضاع القائمة كلها شاذة وأنها بحاجة إلى تغيير جذري في بنائها هي التي دفعته إلى الثورة.

ولعل أهداف الإمام الحسين(عليه السلام) تنطلق من أهداف الإسلام في كل زمان ومكان

وهي:

أولا : صنع (أمة رسالية) أي بناء قاعدة جماهيرية تتخذ حمل رسالة الإيمان بالله، والالتزام بقوانينه وشريعته منطلق عملها في الحياة.

ثانياً: بناء(مجتمع إسلامي) يتخذ الإسلام في علاقاته وأنظمتها ودساتيرها مصدراً وحيداً في التشريع ويبني كافة مواقفها وفق القواعد الإسلامية العامة

ثالثاً: تخليص (الحضارة الاسلامية) من التحريفية وانقاذها من السقوط^(١)

وبما أن كل هذه الأمور لم تعد ممكنة مع النظام القائم آنذاك فقد حمل الإمام السلاح وبدأ الثورة ضده وذلك من أجل إقامة الحكم العادل الذي يصلح الفاسد ويرد الظالم كما هو واضح من أقواله عليه السلام :

١- "من رأى منكم سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله (صل الله عليه وسلم) يعامل عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا

(١) الشهيد والثورة، هادي المدرسي، مؤسسة الاعلى للمطبوعات - بيروت، ط٢، ١٩٨٢.

على الله أن يدخله مدخله، إلا أن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعلطوا الحدود واستأثروا بالفيء واحلوا حرام الله وحرموا حلاله"^(١)

٢- "أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي(ص) أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي(عليه السلام)"

٣- وقوله: "فصحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرفي الكتاب، ومطفئي السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيدي عترة الأوصياء"^(٢)

وهي أقوال تعكس أهم دوافع ثورة الامام (عليه السلام) وقضاياها المتمثلة في الآتي:
 أولاً : إعلان الرفض للواقع الفاسد.
 ثانياً: السعي للإصلاح والتغيير.
 ثالثاً: تأكيد القيم الحققة في واقع الأمة^(٣).
 فالإمام لم يشن حرباً عدوانية وإنما شنّ حرباً لردّ عدوان قائم وهو عدوان الوضع الشاذ.

٢-منطلقات الثورة الحسينية

المنطلقات التي انطلق منها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في ثورتهم الرائدة، التي يجب أن ينطلق منها كل مؤمن في حياته وتحركه:

أولاً: الضمير والوجدان الإنساني:

وجدان الإنسان يغضب حين يشاهد مظاهر الظلم والحرمان، وضميره يثور حين يرى حياة الجور والاضطهاد. وكل إنسان يحس بوخز الضمير وغضب الوجدان، إذا ما رأى مظلوماً

(١) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف -مصر : ١٩٦١، ٤٠٣/٥. وينظر: الكامل في التاريخ، ابن الاثير تحقيق، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة - بيروت، ٢٠٠٠م، ٥٠٢/٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب الفتوح، ابن أعثم، تحقيق، علي شيري، دار الأضواء- بيروت، ١٩٩١م، ٢٣/٥، ابن شهر اشوب، مؤسسة انتشارات علامة - قم، د.ت، ٨٩/٤، ترجمة الإمام الحسين(ع)، ابن عساکر، تحقيق، محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، د.ت: ٣١٨.

(٣) www.saffar.org

أو مستضعفاً. وإذا لم تقف الأنايية والمصلحية حاجزاً بينه وبين ضميره، فإنه سيثور طبيعياً وسيجد نفسه مضطراً للوقوف إلى جانب المظلوم المضطهد ضد الظالم المعتدي.

ثانياً: المسؤولية الدينية:

فالدين يوجب رفض الظلم ومكافحة الجور وعدم الاستسلام للاضطهاد، وكلما كان الإنسان أكثر وعياً بالدين وفهماً لأهدافه، كان أكثر اندفاعاً وأشد ثورية من أجل الدين، وأقوى غيراً على قيمه ومبادئه. وهذا هو بالضبط ما جعل الحسين عليه السلام يتحرك ويفجر ثورته بكل عنف وإصرار، منطلقاً من وعيه للمسؤولية الدينية، ومن تفهمه لروح الإسلام وأهدافه.

ثالثاً: العزة والكرامة:

أتمن ما يملك الإنسان في هذه الحياة هي كرامته وحرية، فهي الفارق المميز بين الإنسان وبين الحيوان، فالإنسان خلقه الله حراً كما يقول الإمام علي كرم الله وجهه "ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً"^(١).

وما يعكسه التاريخ إن الحياة في وعي الإمام هي جهاد ومن لا يجاهد عليه أن يستعد للموت تحت سياط العبودية والذل والقهر، فالجهاد عنده قيمة خاصة، هو الثورة الدائمة في سبيل الله والحق والعدل والحرية.

فأصبح الحسين صلوات الله عليه مشروع حضارة، ومنهج انتصار، وخطة عمل، وراية رسالة، فمن أراد عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فليفعل ما فعله الحسين صلوات الله عليه، ليخرج من ذل طاعة الطاغوت، إلى عز طاعة الرحمن.

٣- المضامين الفكرية للإمام الحسين

وتعرف كتب اللغة الفكر على انه لفظ مأخوذ من "فكر يفكر تفكيراً - في الامر: اعمل العقل فيه ليعمل مستعيناً ببعض ما يعلم إلى مجهول أو إلى حل - وفكرت كثيراً في هذه المشكلة وقد توصلت إلى حل مرضي"^(١).

(١) الشهيد والثورة، هادي المدرسي: ١٣.

ويعرفه جبران مسعود على أنه "فكر يفكر في الشيء: عمل الفكر والعقل فيه ليتوصل الى حله او ادراكه"^(٢).

أما اصطلاحاً فإن الفكر ومن وجهة نظر فلسفية هو ما يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقول^(٣).

ويعرفه أحمد عطية الله بأنه عملية عقلية نزوعية تهدف إلى الوصول إلى الحقيقة المجهولة كحل مشكلة من المشاكل التي تعترض الانسان^(٤).

أما (روزنتال) فعرفه على أنه: النتاج الاعلى للدماغ بوصفه مادة ذات تنظيم عفوي خاص وهو العملية الايجابية التي بواسطتها ينعكس العالم الموضوعي في مفاهيم واحكام ونظريات ويظهر خلال أنشطة الانسان الاجتماعية والانتاجية وتضمن انعكاساً وسيطاً للواقع ويكشف الروابط الطبيعية داخله^(٥).

وعليه فإن من يقف عند سيرة الامام الحسين وثورته الجهادية الرسالية التي نستطيع أن نصفها بالحراك النهضوي لعب دوراً مهماً هزّ المشاعر الدينية والانسانية التي كانت غائبة أو مغيبة على حساب اللذات والشهوات والفساد وضياع حقوق المستضعف.

لعل أهم نتيجة أدقها الثورة الحسينية هي الإبقاء على القضية حيّة في شعور الإنسان المسلم على امتداد الزمن، بحيث تتحوّل إلى مسألة تتصل بالضمير الإنساني في علاقة الحاضر بالتاريخ.

والدين الاسلامي الذي بني بفضل الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) جاء معتمداً على أسس اخلاقية وانسانية وعقائدية وهذه هي ذاتها الأسس التي اعتمدها الإمام الحسين في مفاصل ثورته، وكأنه حاول من خلالها أن يعيد ذاكرة المسلم إلى إسلامه ويعيد العقل إلى التفكير بفكر الإسلام بكل ما فيه من عدالة ورأفة وسلام وصبر وعفة.

١) جماعة من الكبار اللغويين العرب: المعجم العربي الاساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ب. ت: ٩٤٧.

٢) الرائد/معجم لغوي عصري، جبران مسعود، دار العم للملايين، ١٩٩٢م: ١٢٩.

٣) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م: ١٥٦.

٤) القاموس السياسي، احمد عطية الله، دائرة المعارف الحديثة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م: ٤٧٣.

٥) الموسوعة الفلسفية، بودلين روزنتال، تر: يوسف كرم، ط٣، دار الطليعة- بيروت، ١٩٨٥: ٣٣٢.

ويقول مفكر غربي: "أدى مصرع الحسين إلى أن تكون سلالة آل محمد (ص) في ضمير المسلمين لأهم أنبل جنس عاش على أرض الدولة الإسلامية. وإذا أردنا أن نتقف أنفسنا على هذه المبادئ العظيمة فهمنا مبادئ الإسلام الحقيقي"^(١).

ولعل من أهم المضامين الفكرية التي تجسدت في سلوك وأقوال الإمام الحسين هي^(٢):

١- نبذ الظلم والتضحية من أجل الإصلاح

لا شك أن ما أعلنه الإمام الحسين بخصوص الإصلاح هو معروف للمسلمين جميعاً، لا يختلف عليه اثنان لاسيما من تتقف بثقافة الامام الحسين (عليه السلام) التي تعد ثقافة نهضوية انسانية رافضة لأي خطأ يتجه باتجاه الظلم.

ولعل البعد التطبيقي للفكر الحسيني مهم جدا لإثبات حقيقة موقف الإنسان من هذه الثورة العملاقة، فالهدف الأهم هو تطبيق الثقافة الحسينية في معناها وجوهرها العظيم على حيز الفعل الإنساني الملموس باليد والمرئي بالعين والمسموع بالأذن، فلا يكفي أبداً أن ادّعي الانتماء لجوهر الفكر الحسيني ولا تعمل به، ولا يجوز قط أن أتبيح بالثقافة الحسينية ولا ألتزم بضوابطها وأعمل في هديها، فمن هذا الذي يقول إنني لا أعرف ماذا تريد مني هذه الثقافة؟ إن الكل يعرف تمام المعرفة ما هي القيم التي خرج الحسين (عليه السلام) من اجل تثبيتها والعمل على تطبيقها في حياة المسلمين من اجل الحفاظ على كرامتهم ودينهم^(٣).

٢- الصبر على المكاره : لقد استمد الامام الحسين تلك الصفة الاخلاقية من القرآن الكريم ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) فكان مثالا للمسلم الصبور والامام القدوة يرفض بدء القوم بالقتال: فحينما يعرض عليه أحد أصحابه مجسم المعركة لصالحه قبل يوم العاشر باعتبار أن جيش العدو كان غير مستعد من ناحية العدة والعتاد، لكنه قال: (ما كنت لأبدأهم بالقتال) وحتى اللحظة الحاسمة أبت نفس الحسين عليه السلام أن ترميهم بسهم إلا بعد إسداء الحجة تلو الحجة والحذر تلو الحذر^(٤).

(١) الموسوعة الفلسفية: ٣٣٢.

(٢) قراءة في الخطاب الحسيني، محمد الهنداوي، المكتبة الحيدرية / ١٤٢٩ هـ : ١٤٦.

(٣) <http://almodarresi.com/notes/ar.٨:lbc.htm>

(٤) الحسين في الفكر المسيحي، الكاتب المسيحي أنطوان بارا، مكتبة فدك - قم المقدسة.

٣- العدالة والمساواة في التعامل : لا يميز بين الغريب والقريب من أتباعه: والموقف الجلي الذي رافق سيد الشهداء في هُضته هو مواساته لأنصاره واحترامه لهم بنفس القدر مع من يرتبط بهم بوشائج القربى من أخوته وأبنائه، ففي الوقت الذي جلس عند مصارع أخيه وولده والشهداء من بني هاشم تراه يراعي ويواسي أنصاره فتارة يضع خده على خد الغلام الحبشي، أو على خد الغلام التركي ليقول: من مثلي ويضع ابن بنت رسول الله خده على خدي، فهذه مواصفات القائد اللائق الذي لا يميز بين الغريب والقريب من أتباعه، ومن هنا تمكن الإمام من امتلاك مودتهم له واستجابتهم لدعوته^(١).

٤- الرأفة : الالتزام بالرفق والعطف واللطف حتى على الأعداء: ومن صورته الخلقية العطف على قاتليه، فالمشاعر الحارة والهيجان الثوري لم يمنعه من الالتزام بالرفق والعطف واللطف حتى على الأعداء، ففي طريقه نحو كربلاء واجه شريحة من عسكر ابن زياد وهم ما يقارب من (١٠٠٠) مقاتل وكانوا عطاشى مع خيولهم فأمر الإمام بإروائهم وسقى خيولهم، وقال: (أسقوا القوم وأرووهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفا) وإنه سقى بنفسه أحد جنود الأعداء من الماء الذي كان قد احتفظ به لوقت الشدة!^(٢)

قبول توبة من جاء لقتاله ومن فتك به أشد فتك والعفو عنهم: ومن السجايا الأخلاقية التي انفرد الإمام عليه السلام بها في هكذا مواقف عصيبة هي قبول توبة من جاء لقتاله ومن فتك به أشد فتك والعفو عنهم، فالحر بن يزيد الرياحي الذي كان من صفوف الجيش الأموي يعود لهدية ويندم على غيه ويعتذر للإمام فيرحب به عليه السلام بقلب رحب وعاطفة طيبة ويقبل توبته وقاتل الحر مع الحسين ضد جيش يزيد، إلى أن هوى صريعا فجاء عنده الإمام وقال: (ما أخطأت أمك إذ سمتك حرا، فأنت حر في الدنيا وسعيد في الآخرة) وما زال التاريخ يقدر هذا الموقف الفريد والصفة الطيبة^(٣).

٥- العفة : صيانة المرأة في حجابها وعفتها ويحافظ على دورها اللائق في المجتمع: وتجلت صورة أخرى من أخلاقيات الإمام الحسين على ثرى الطف وهي؛ حينما برز ولده علي الأكبر وقاتل حتى قتل، فبينما هوى صريعا خرجت أمه ليلى من الخيمة صارخة صائحة فنهاها الإمام من ذلك قائلا لها: "إرجعي إلى الخيمة أما تعلمين إن حجابك أعز عندي من ولدي علي الأكبر"

(١) قراءة في الخطاب الحسيني: ١٤٨.

(٢) الحسين في الفكر المسيحي: ٩٠.

(٣) الحسين في الفكر المسيحي: ٩٤.

فردها الحسين إلى الخيمة ليسجل بنفسه موقفا أخلاقيا يصون المرأة من كل إغراء ويحافظ على دورها اللائق في المجتمع^(١).

٦- تطبيق الواجبات والفروض الالتزام بأداء الشعائر الإسلامية كالصلاة في وقتها: ومن أجلى المظاهر الإنسانية التي جسدها الإمام الحسين قبل شهادته هي طلبه من الأعداء لأن يصلي ركعات، ليشير للأمة بأن الإسلام عبادة وسياسة فيطلب من أحد أتباعه ليطلب من الأعداء ليمهلوه حتى يصلي، فيصلي الإمام عليه السلام ولكن رمي السهام والنبال لم تترك له مجال أوسع للتفرغ للعبادة واستمرار الارتباط الروحي مع خالقه، ويكفيه فخرا أن استهدف بموقفه هذا من توجيه للأمة بأن لا تترك هذه الشعيرة الإسلامية ولا تمتتها^(٢).

(١) قراءة في الخطاب الحسيني: ١٥٠.

(٢) قراءة في الخطاب الحسيني: ١٤٦.

المحور الثاني

الزيارة الاربعينية ثورة وفكر

١- معنى الزيارة الاربعينية وتاريخها وشرعيتها

إن زيارة الأربعين معروفة عند الشيعة بزيارة (مردّ الرأس)، والمراد من التسمية أن أسارى أهل البيت، قد جاءوا برأس الحسين (عليه السلام) معهم عندما جاءوا إلى كربلاء في هذا اليوم. وهو اليوم العشرون من صفر الذي يوافق مرور ٤٠ يوماً على مقتل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب في معركة كربلاء على يد جيش عبيد الله بن زياد، وبحسب بعض الروايات فقد قامت زينب بنت علي وعلي بن الحسين (السجاد) وبرفقة الأيتام وأطفال الحسين إلى أرض كربلاء لزيارة قبر الحسين في الأربعين^(١).

ويعتبر من أهم المناسبات عند الشيعة حيث تخرج مواكب العزاء في مثل هذا اليوم ويتوافد مئات الآلاف من الشيعة من كافة أنحاء العالم إلى أرض كربلاء لزيارة قبر الحسين^٢ ويقوم الملايين من الزوار بالحضور إلى كربلاء مشياً على الأقدام بأطفالهم وشيوخهم من مدن العراق البعيدة حاملين الرايات تعبيراً عن النصرة^(٣) انظر الصور إذ يقطع بعضهم ما يزيد على ٥٠٠ كيلومتر مشياً ويقوم أهالي المدن والقرى المحاذية لطريق الزائرين بنصب سرادقات (خيام كبيرة) أو يفتحون بيوتهم لاستراحة الزوار وإطعامهم معتبرين ذلك تقرباً إلى الله وتبركاً حتى انها عدت علامة من علامات المؤمن كما ذكرنا في المقدمة.

وتذكر الروايات أن أول من زار الحسين في يوم الأربعين كان الصحابي جابر بن عبد الله الانصاري إذ صادف وصوله من المدينة المنورة إلى كربلاء في ذلك اليوم وهو يوم وصول ركب حرم الحسين (نسائه وأيتامه) برفقة الإمام علي بن الحسين زين العابدين (السجاد) وعمته زينب، فالتقوا هناك ونصبوا مناحة عظيمة أصبحت إحياء ذكراها من السنن المستحبة المؤكدة عند أتباع أهل البيت، وتسمى هذه الذكرى محلياً في العراق بزيارة مردّ الرؤوس (أي رجوع أو

(١) بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي، بيروت، د.ت: ٣٢٩/٩٨.

(٢) وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء، ايران، د.ت: ١٤ / ٤٨٧.

(٣) مصباح المتجهد للشيخ أبي جعفر بن الحسن الطوسي، صححه وأشرف عليه: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، ١٩٩٨ م: ٧٨٧.

عودة الرؤوس) لأن رأس الحسين ورؤوس بعض من قُتل معه من أصحابه وأهل بيته أُعيدت لدفنها مع الأجساد بعد أن أخذها جيش بني أمية إلى يزيد وطافوا بها تباهاً بالنصر^(١) فليس هناك ثمّة إشكال أو خلاف بين الفقهاء والعلماء في استحباب زيارة الامام الحسين (عليه السلام) في يوم الأربعاء، وقد وردت روايات تُؤكّد على استحباب زيارته في هذا اليوم، لاسيما عند ارتفاع النهار.

ومن الروايات التي وردت في التأكيد على استحباب زيارة سيد الشهداء (عليه السلام) في يوم الأربعاء، ما روي عن مولانا الإمام الحسن العسكري عليه أفضل الصلاة والسلام، إذ جعل زيارة الأربعاء واحدةً من علامات المؤمن^(٢)، إذًا، ليس من إشكالٍ في أن يوم الأربعاء هو يوم الزيارة، وهذا هو أوّل سمة وأهمّ شعار ينبغي أن يُمثّل في يوم الأربعاء.

مما لا ريب فيه أن يوم الأربعاء هو يوم يتأكد فيه استحباب الزيارة لسيد الشهداء (عليه السلام) وأن زيارته في هذا اليوم من علائم الإيمان وفي ذلك يقول الامام الصادق (عليه السلام): "من أراد الله به الخير قذف في قلبه حب الامام الحسين (عليه السلام) وحب زيارته"^(٣) وتعني الزيارة الوصلة وعرض الزائر نفسه على المزور والقيام بين يديه والانابة والرجوع إليه بقلب خالص وعزم صادق، ومن زار أخاه أي قصده ابتغاء وجه الله تعالى فهو زوره وحق على الله ان يكرم زواره او قاصديه^(٤)

٢- اهم التطبيقات الفكرية للزيارة الاربعينية

قال الإمام الحسين عليه السلام: "أوصيكم بتقوى الله، وإدامة التفكير، فإن التفكير أبو كل خيرٍ وأمه"^(٥) أي ان دوام التفكير ميزة الشعوب الحضارية، وهي سمة للراقي والنبوغ، فهي قرينة المتقي.

فالمداومة على الزيارة الاربعينية هي إحياء الاسلام واستعادة القرآن الى الحياة، والابقاء على القضية حيّة في شعور الإنسان المسلم على امتداد الزمن، لذا فهي تشكل علامة من علامات استعمال الفكر الحسيني المرتبط بالتقوى والخير.

(١) م. ن : ٧٨٧.

(٢) وسائل الشيعة ١/٤٥٨.

(٣) كامل الزيارات، للشيخ ابي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي، تحقيق نشر الفقاهة دت: ١٢٢.

(٤) الكافي، ابن اسحاق الكليني الزاوي، تحقيق قسم احياء التراث، مركز بحوث دار الحديث دت: ١٧٩/٢.

(٥) www.alshirazi.com

فما قام به الإمام الحسين هو تجسيد للدين الكامل والقانون الرصين الذي يهدف إلى إسعاد المجتمع البشري تحقيق التقدم والازدهار في ظل حكومات عادلة وادارات حكيمة ورعاية تنطلق من مبادئ الاسلام في كل زمان ومكان

فالزيارة الاربعينية هي احدى الشعائر المهمة التي تحمل دعوة متجددة في الإصلاح والانتصار، فالحب الذي يدفع الملايين على تحمل مشاق المسافات الطويلة مشياً على الاقدام لزيارة الامام (عليه السلام) ما هو الا اقتداءً بنهج الامام وفكره المتضمن بناء مجتمع ودولة عادلة إن زيارة الأربعين أضحت اليوم حدثاً عالمياً واستثنائياً، لم تعرف البشرية له نظير، لا على المستوى المادي ولا على والمعنوي.

فليس في الأرض ما يشبه مشهد ملايين السائرين، مشياً على الأقدام، مستصحبين معهم الأطفال والشيوخ والنساء والمرضى وذوي الاحتياجات الخاصة، مسافة تتجاوز ٦٠٠ كيلومتراً، لا يباليون بتقلبات الجو وقساوته ولا يأبهون للاعتداءات الارهابية، وهذا كله في سبيل تجديد الحب والولاء للإسلام والعقيدة، وليتجسد فكر الامام الحسين في القول الطيب والعمل الصالح والاخلاق السامية والدفاع عن المظلوم ونصرته على حساب الظالم واصلاح ما أفسده الحكّام، ومساعدة المحتاج ورعاية الايتام والأرامل والنظر الى الناس من منظور انساني وهذا ينبغي أن يكون حاضراً في قلب وعقل ووجدان الزائرين.

يقول المرجع الشيرازي (دام ظلّه) في توصية الى زوار الاربعينية : استفيدوا من هذه الزيارة الاستثنائية استفادة استثنائية، ليحاول كل واحد منكم، خلال الأيام التي يقضيها في هذه الزيارة، أن يهتم بحاسبة نفسه يومياً، ولو لدقائق معدودة، من أجل إصلاحها، كما أكد الأئمة (عليهم السلام) ذلك. وخلال زيارتكم للإمام الحسين (عليه السلام) ادعوا الله (عز وجل) أن يفرج عن إخوانكم الشيعة في كل مكان، فلعله بذكركم لإخوانكم يستجاب دعائكم وينظر الله (عز وجل) إليكم^(١).

ويضيف (دام ظلّه): على الزوار الحسينيين أن يعرفوا أن عليهم أن يتحلوا بالصفات الإيمانية الفاضلة التالية، لتحقيق أدب الزيارة ونتائجها المرجوة، وهي: الإخلاص لله (عز وجل)، والسعي والمشاركة في إنجاز الأعمال الصالحة، الالتزام بالأخلاق الحسنة^(٢).

(١) الحسين مصباح الهدى، الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة السيدة زينب (ع) د.ت: ١٩٠١.

(٢) ثقافة عاشوراء في فكر الإمام الشيرازي إعداد ونشر مركز الإمام الشيرازي للبحوث والدراسات بيروت -

لان السلوك سواء أكان دينياً أم غير ديني، إن لم يخضع للفكر سيكون عشوائياً ويذهب سدى بدون فائدة تذكر لذا قيل : أصل السلوك فكرة.

ومن اهم التطبيقات المنهجية المستمدة من فكر الامام الحسين هي:

١- البعد التنظيمي: إن زيارة عظيمة كالزيارة الاربعينية تخفي وراءها عقول تنظيمية اخذت على عاتقها ترتيب الافواج وتوفير مستلزمات المؤونة والرعاية الصحية والأمان، وهذا يؤكد أن القائمين على ذلك متسلحون بثقافة إسلامية حسينية، حتى أصبحت تلك الزيارة حدثاً أذهل العالم، ففي إحدى الزيارات الاربعينية سارت كاتبة المانية من النجف الأشرف إلى كربلاء الطاهرة مشياً على الأقدام مع مجموعة من الزائرين فقالت فيها "إنه طريق ممتع ومبهر وفريد، أمران في هذا الطريق لا أجدهما في أي مكان آخر من هذا العالم : الاول : لا احد يجوع، والثاني : لا تجد خصومة بين اثنين"^(١)

ولا ننسى انطون بارا وهو مفكر وروائي وإعلامي واكاديمي سوري، عُرف عنه اهتمامه بسيرة أهل البيت وقد نال كتابه (الحسين في الفكر المسيحي) شهرة واسعة حين صدوره وأثار جدلاً لطرحة المغاير حول واقعة كربلاء وتحليله لمواقف وأفكار الإمام الحسين (عليه السلام) من وجهة نظر مسيحية عربية.

فقد قال في حق الزيارة الاربعينية، أن "الناس متحابون فيما بينهم لا ترى سوى الإحسان والخدمة الجميلة التي تزداد سنة بعد أخرى"، معتبراً أن "زيارة الأربعين أمرٌ يعجز الإنسان عن وصفه"^(٢).

وهذا بالتأكيد ينبع من الدور الذي تلعبه الحوزات الدينية ومنظمات المجتمع المدني والاعلام الشيعي والشباب الثابت على العقيدة الملبى لنداء الامام الحسين (هل من ناصر ينصرني).

٢- البعد الديني او العقائدي

إن للإيمان أهمية خاصة في حياة المسلم عموماً، وذلك لأن كل القيم تفقد أهميتها إذا لم يرافقها إيمان صادق، وذلك لأن الإيمان الحق ينظم علاقة الإنسان بربه وعلاقة الإنسان بنفسه بالإضافة إلى علاقة الإنسان بأخيه الإنسان ومجتمعه، فهي قيمة ملازمة لكل القيم التي يحملها الإنسان المسلم، فمن خلال الإيمان يعطى التصور الرشيد عن الخالق والكون والإنسان وهو مصدر الحق والعدل والاستقامة والرشاد وغيرها من القيم الأخرى.

(١) .annabaa.org/arabic/ashuraa

(٢) المصدر السابق.

إن تنمية القيم التربوية في الشخصية المسلمة تعتمد على تكوين الوازع الذاتي في النفس البشرية، إذ يصبح الإنسان كائناً ذا ضمير حي واحساس مرهف، يراقب نفسه بنفسه، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه غيره. فالوازع الديني والباعث الأخلاقي اللذان يسهم الدين في تثبيتهما في أعماق النفس البشرية هما الضمان الأول والأكيد لسعادة المجتمع وهنائه، وتعد القيم صمام الأمان الكفيلة بضبط علاقات الفرد بربه ونفسه ومجتمعه^(١).

لذا فالإنسان مطالب بواجبات عدة تجاه الخالق يكفل أداءه لها بيث الطمأنينة في نفسه وضمنان استقراره في الحياة، ففائدتها عائدة أساساً على الفرد الذي يؤديها لأن الله غني عن عباده، لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم، وأهم تلك الواجبات تتلخص في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وما أنزل من حقائق والطاعة المطلقة له وتدبر آياته وشكره على نعمائه والرضا بقضائه والتوكل عليه وعدم اليأس من رحمته والموت في سبيله، وكذلك قيامه بالعبادات المنوطة به، والعبادة لا تعني مجرد أداء الفرائض والشعائر الدينية، إنما تشمل أيضاً ما يقوم به الإنسان من معاملات وقيم وسلوك، وطريقة عبادة الله بالعلم والعمل والخشية

٣- الأبعاد الاجتماعية في الزيارة الاربعينية

بما أن الزيارة الاربعينية صارت اليوم اكبر التجمعات الدينية في جميع أصقاع العالم وأكثرها تنوعاً من حيث الانتماءات والقوميات إذ يمكن تلخيص تلك الأبعاد بعدة نقاط أهمها: أولاً: التلاقح الفكري: تشكل الزيارة محفل مهم وحاضن لجميع الحضارات الشرقية والغربية التي تكفل لكل زائر او صاحب موكب الاطلاع على ثقافات اخرى سواء الدينية او الفكرية تتحقق بفعل التعايش السلمي بين الفئات.

ثانياً : اشاعة روح التعاون والعمل الطوعي : إن فكرة العمل التطوعي قد أسهمت في بناء الكثير من الدول الحديثة وتقدمها، والزيارة الاربعينية بما تملكه من شرعية مستمدة من خلفيتها الدينية والعاطفية والفكرية تعد محفزا للعمل الطوعي فقد بذل الشباب والشبية جهودا جبارة واموالا طائلة تطوعا وعن طيب خاطر كل ذلك من اجل خدمة الزائرين وخدمة المذهب.

(١) مستوى الاعتقاد لمنظومة القيم التربوية الإسلامية ودرجة ممارستها لدى طالبات الجامعات الحكومية في

الأردن، هاني الفريجات، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٨ م ٢:

ثالثاً: التكافل الاجتماعي: الى جانب العمل الطوعي نجد التكافل الاجتماعي المتمثل بالعطاء المادي والمعنوي وهي خصلة اخلاقية وانسانية تحتوي الكرم والايثار ونبذ روح الانانية والتعالي.

رابعاً: عدم التمييز بين الاديان والجنسيات والاشكال، فالحشود المليونية تضم العديد من الجنسيات والاديان والقوميات تسير كلها الى كربلاء المقدسة بكل ما فيهم من إيمان وحب من غير ان نجد أي تمييز عنصري وهذا ما جسده ثوره الامام الحسين من فكر انساني واخلاقي.

الخاتمة :

بعد الانتهاء من مضمون الدراسة التي تكفلت الحديث عن الزيارة الاربعينية واهم المضامين الفكرية التي تميزت بها الزيارة ومدى افادتها من فكر الامام الحسين (عليه السلام)، لا بد أن نوجز أهم النتائج التي تم التوصل إليها وهي:

١- إن المقصود بالزيارة الاربعينية هو اليوم الذي عاد فيه الرأس إلى الجسد وهو اليوم الذي شهد أول زيارة للإمام من قبل جابر الانصاري الذي التقى فيه الإمام السجاد وسبايا الإمام والذي يوافق العشرون من صفر.

٢- إن فكر الإمام الحسين (عليه السلام) يعد فكرا جهاديا وانسانيا ليس له وقت أو مكان محددين وهذا ما تجسد في سلوكيات محبي الامام وزواره.

٣- ن الفكر الحسيني ترك بصماته في العقيدة الإنسانية جمعاء ليس الشيعية فحسب ففكر الامام الحسين يعد مصدر من مصادر الثقافة للعالم بأسره.

٤- إن فكر الامام الحسين (عليه السلام) ترك آثارا واضحة في المنهج التطبيقي للزيارة الاربعينية سواء على مستوى التنظيم ام على مستوى الولاء للعقيدة ام على مستوى التسلح بالمبادئ الانسانية والاخلاقية حتى أصبح بالإمكان ان نعد الزيارة الاربعينية مشهدا ثقافيا يرتقي للعالمية.

٥- جسدت الزيارة الاربعينية أهم المضامين الفكرية للإمام الحسين والمتمثلة بالتضحية والصبر في سبيل الحق فضلا عن الاخلاق الاسلامية المتمثلة بالعفة والكرم والعدالة ومساعدة المحتاج ونبذ العنصرية الى جانب تأدية الفروض والواجبات الاساسية للمسلم.

أما أهم التوصيات فكانت كالآتي:

على الرغم مما تضمنه الزيارة الاربعينية من مضامين فكرية مهمة الا أنها تفتقد للكثير لاسيما إذا اعتبرناها مناسبة لها أهداف غير محدودة، تتعدى الأهداف الدينية والاجتماعية إلى الأهداف الثقافية التي تشمل فئات المجتمع لذا نوصي بالآتي :

١. انطلاقا من الاعداد الكبيرة التي تتوافد للزيارة الاربعينية نوصي بالتركيز على الفئات الشبابية وذلك باحتوائهم والشد عليهم وتعريفهم بمسؤولياتهم الدينية والاجتماعية وذلك من خلال تثقيفهم على المعنى الحقيقي للعقيدة الراسخة. فضلا عن تحفيزهم وتحريك

طاقاتهم الفكرية من اجل الارتقاء بمجتمعهم وذلك من خلال الابداع والانتاج وصولاً للإصلاح منطلقين من فكر سيد شهداء اهل الجنة.

٢. استغلال اجواء الزيارة الاربعية لتعريف الشباب بمساوئ الثقافات الوافدة

للعالم العربي المسلم، وتحفيزهم على نبذها ورفض كل ما هو سلبى ومنحرف.

٣. اعداد خطيبات وخطباء متسلحين بالثقافة الحسينية لتوجيه الشباب وتوعيتهم

لإسلامهم الحق

٤. تفعيل دور الورش والندوات والمؤتمرات والعروض الفنية في احياء وترسيخ

القيم والاهداف الحسينية واثبات ان الثورة الحسينية هي ثورة لإيقاظ الانسانية

من غفلتها.

الانتفاضة الأربعية عام ١٩٧٧
دراسة تاريخية
في الأسباب والنتائج

أ.م. د. بشرى ناصر هاشم الساعدي

الجامعة المستنصرية
كلية الآداب - قسم التاريخ

المقدمة

تنطلق في كل عام في العشرين من صفر، المسيرات الحسينية الكبرى من مدينة النجف الاشرف إلى كربلاء المقدسة، تخليداً لذكرى اربعينية سيد الشهداء وأبي الأحرار الامام الحسين (عليه السلام) وآله واصحابه الاطهار، وتأكيداً منها على مواصلة الدرب والثبات على نهجهم الثائر مهما تفرعن الطغاة.

في عام ١٩٧٧ فرضت السلطات البعثية احكاماً جائرة ضد الشعائر الحسينية، ومنعتهم من اداء مراسيم الزيارة الاربعينية إلى مدينة كربلاء، كما انها منعت جميع الشعائر المتعلقة بالإمام الحسين (عليه السلام)، غير ان الجماهير الشائرة المؤمنة بمبادئ الامام الحسين، أبت إلا أن تنتفض بوجه الحكم العفلقبي المستبد، متجاهلين ذواتهم ومصالحهم، هدفهم اعلاء كلمة الله.

ونظراً لأهمية هذه الانتفاضة جاء اختيارنا لهذا الموضوع الذي قسمناه إلى اربعة مباحث وخاتمة، ناقش المبحث الأول بدايات المواجهة ما بين المنتفضين وسلطات البعث الحاكم، ودرس المبحث الثاني احداث الانتفاضة الأربيعينية في حين سلط المبحث الثالث الضوء على دور المرأة النجفية في هذه الانتفاضة، وحلل المبحث الرابع موقف الجيش من هذه الانتفاضة.

وجاءت الخاتمة لتضع ابرز الاستنتاجات التي توصل اليها البحث.

اعتمد البحث على مجموعة كبيرة من المصادر والتي يمكن التعرف عليها في ثبت المصادر.

المبحث الأول

بدايات المواجهة

جاء نظام الحكم البعثي (حزب البعث العربي الاشتراكي) لحكم العراق في السابع عشر من تموز عام ١٩٦٨ أثر انقلاب قادة عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداود، والذي أطيح بهما في الثلاثين من تموز من العام نفسه^(١)، وصفا الحكم لـ (أحمد حسن البكر)^(٢) (و صدام حسين)، لتبدأ أسوء صفحة عرفها التاريخ لبداية حكم دكتاتوري دموي لايعرف الرحمة ولا الاخلاق، شعاره الغاية تبرر الوسيلة، ويسير أتباعه بشعار نفذ ثم ناقش^(٣).

تعرضت الحوزة العلمية ومرجعيتها الدينية التي عمرت في النجف الاشرف لأكثر من ١٠٠٠ عام وبعناية اهية لمضايقات حزب البعث العربي الاشتراكي، كمحاولة لإنهاء نشاطها "الرجعي" على حد تعبير التعميم الصادر من القيادة القومية للحزب في

(١) لمزيد من التفاصيل حول انقلاب ١٧/٧/١٩٦٨ ينظر: حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية (الشيوعيون والبعثيون، والضباط الاحرار)، ترجمة: عفيف الرزاز، ج٣، دار نشر روح الامين، (م.د)، (٣.د)، ص ص ٣٨٩-٣٩٣.

(٢) أحمد حسن البكر (١٩٦٨-١٩٧٩) رئيس وزراء اسبق ورئيس الجمهورية العراقية، وعضو القيادتين القطرية والقومية لحزب البعث العربي الاشتراكي، ولد في تكريت ١٩١٤، اكمل دراسته في دار المعلمين ببغداد عام ١٩٣٢، التحق بالكلية العسكرية عام ١٩٣٨، تدرج المناصب العسكرية حتى وصل إلى رتبة عقيد عام ١٩٥٨، أصبح رئيس للوزراء بعد انقلاب عام ١٩٦٣، تمكن البكر في ١٧ تموز ١٩٦٨ من ان يسترد سلطته بعد انقلاب دبره عبد الرزاق النايف، وإبراهيم الداود، فاصبح رئيس للوزراء ثم رئيس للجمهورية حتى عام ١٩٧٩، عندما اطاح به صدام حسين بانقلاب ابيض اجبره فيها على الاستقالة، توفي عام ١٩٨٣ ببغداد. ينظر: طالب الحسن، حكومة القرية، ج١، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٩٢؛ حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، ط٢، النجف، ٢٠١٣، ص ص ٥١-٥٢.

(٣) صلاح مهدي علي الفضلي، الدور الوطني للمرجعية الدينية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ١٩٠٠-٢٠٠٢، بغداد، ٢٠١٠، ص ص ٣١٠-٣١١.

١٩٦٩/٤/٤، الذي أكدت فيه على ضرورة القضاء على المرجعية الدينية باعتبارها العقبة الكبرى في مسيرة الحزب والثورة^(١).

وقد تمثلت هذه الإجراءات بالنقاط التي اعلنها وزير الداخلية آنذاك (صالح مهدي عماش)^(٢)، القاضية بإلغاء جامعة الكوفة^(٣) ومصادرة اموالها، والزام طلبة الحوزة العلمية بأداء الخدمة الالزامية بعدما كانوا معفيين منها، هذا فضلاً عن ممارسة الضغوط والحرب النفسية على أصحاب المواكب الحسينية والبدء بمنع اداء الشعائر الحسينية وبشكل تدريجي. والقيام بحملة اعتقالات واسعة طالبت مثقفي وحملة الشهادات الجامعية والعلما وعدد من الضباط وكانت التهم تتوزع بالرجعية والجانوسية ليسهل تصفيتهم امام

(١) علي المؤمن، سنوات الجمر، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٩١.

(٢) صالح مهدي عماش (١٩٢٥-١٩٧١) وزير سابق وعضو القيادتين القطرية والقومية لحزب البعث العربي الاشتراكي، ولد ببغداد ١٩٢٥، تخرج من الكلية العسكرية في الاربعينيات، انضم إلى حزب البعث في عام ١٩٥٢، وإلى حركة الضباط الأحرار عام ١٩٥٦، كان له دور في محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم عام ١٩٦٢، عين وزيراً للدفاع عقب انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، تميزت حياته السياسية بالاضطراب والتردد والانتهازية والدموية، نفذت بأمره مجزرة معسكر الرشيد ضد الضباط الشيوعيين عام ١٩٦٣، فضلاً عن المجازر الأخرى بحق السجناء الشيوعيين في قصر النهاية ومعتقلي ابي غريب، تم تعيينه وزيراً للداخلية عام ١٩٦٨، عين نائب لرئيس الجمهورية في أيلول ١٩٧١ أخرج من مجلس قيادة الثورة، ابعث كسفير للعراق في روسيا عام ١٩٧١، وفي ٢٨ أيلول ١٩٧١ اغتيل بطروف غامضة. حنا بطاطو، المصدر السابق، ص ٢٨٣؛ حسن لطيف الزبيدي، المصدر السابق، ص ٣٣٨-٣٣٩.

(٣) من المشاريع العلمية والحضارية التي تعاملت معها المرجعية السيد محسن الحكيم بإيجابية وبعد نظر عبر ولده مهدي الحكيم، واحبطها البعثيون بعد عودتهم الثانية عام ١٩٦٨، بدأ المشروع به عام ١٩٦٦، أيام عبد الرحمن عراف - طاهر يحيى، والبداية ان قدم جماعة من العلماء العراقيين طلب اجازة تأسيس جامعة اهلية، مستقلة عن المؤسسات الرسمية، فكرة المشروع ترجع إلى الدكتور محمد مكية، من اهداف الجامعة غير المنظورة تأهيل رجال الدين بمعارف حياتية متكاملة، ألغى المشروع من قبل البعثيين، بذريعة ان تكون الجامعة مكاناً للنشاط الشيوعي عام ١٩٦٩. للتفاصيل ينظر: رشيد الخيون، الاديان والمذاهب بالعراق، (م.د)، (د.ت)، ص ٣٠٩-٣١٢.

الرأي العام يضاف إلى ذلك النيل من الشخصيات الدينية الكبيرة وتسقيطها اجتماعياً، بإشاعة الاباطيل ضدها^(١).

بدأت هذه الضغوطات منذ ليلة التاسع من محرم عام ١٩٦٩ عندما ضيق النظام البعثي الخناق على الجماهير المعزية في ممارسة شعائرها الدينية ، وفرض رقابة مشددة على الهيئات والمواكب الحسينية ومنعتهم من اقامة شعائرتهم، بل انها عملت على اغلاق بابين من ابواب الصحن الحيدري الشريف (باب مسلم بن عقيل، وباب الشيخ الطوسي) تحسباً من وقوع ردة فعل، حتى تتمكن من السيطرة على الوضع، وقمع المتمردين عليه بسبب انتفاض الجماهير في النجف الاشرف مستنكرة اجراءات السلطة الرامية للقضاء على الشعائر الحسينية. وقد اثار الحدث مخاوف السلطة التي ارسلت في اليوم الثاني وزير داخليتها صالح مهدي عماش لتهدئة الوضع الذي بات يهدد بالانفجار، إذ اصرت الجماهير المنتفضة بتأدية شعائرها الدينية، هذا في الوقت الذي بدأت فيه السلطة الحاكمة تزج بأعداد كبيرة من رجال الامن والاستخبارات، فضلاً عن توزيع المنشورات التي تمنع فيها الناس من اقامة الشعائر الحسينية^(٢).

استمر النظام بمحاربته للشعائر الدينية ، بينما صعد الجماهير من المعارضة له، فأنفجر الموقف مرة أخرى عندما خرجت الجماهير في مدينة النجف الاشرف بموكب صاحب ليلة العاشر من محرم الحرام عام ١٩٧٥، حمل المشتركون فيه السلاح الأبيض، وطاف الموكب في أسواق وشوارع المدينة ودخل الصحن الحيدري الشريف، وبعد انتهاء الموكب بساعات قليلة خرج الناس بموكب اخر بعدما رقي المنبر في الصحن الحيدري

(١) صلاح الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية حقائق ووثائق فصول من تجربة الحركة الإسلامية في العراق خلال

٤٠ عاماً، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دمشق، ١٩٩٩، ص ١٥٦-١٥٨.

(٢) ناصر حسين الاسدي، شعبة العراق دولهم وثوراتهم، مكتبة ابن فهد الحلبي، بيروت، (د.ت)، ص ٢١٥-

٢١٧؛ رعد الموسوي، انتفاضة صفر الإسلامية في العراق ١٣٩٧هـ، ط٢، قم، ١٤٠٤ هـ، ص ٥٢.

الشريف الشهيد جاسم الايرواني، وخطب بالناس خطاباً حماسياً فضح فيه الاعمال المعادية التي تقوم بها السلطة البعثية بحق الإسلام والمسلمين^(١).

وتجدر الاشارة إلى ان خروج المواكب كان محضوراً من قبل السلطة فكانت الخطوة الأخرى التي انتهجها النظام الحاكم، هو محاولة جعل المواكب والمسيرات الحسينية في خدمة مصالحه فأمر بحمل صور (أحمد حسن البكر) و(صدام حسين) امام كل موكب ورفع لافتات تمدح النظام وتؤيده، إلا أن الجماهير الحسينية رفضت تلك اللعبة الجديدة، والذي حصل هو ان صور البكر و صدام تم تمزيقها، وانقلب موكب العزاء إلى مظاهرة تندد بالبعث والبكر و صدام وردد المتظاهرون شعارات مناوئة للنظام منها:

بيو فاضل كوم لينه	والصور صارت بدينه
بيو فاضل كوم لينه	عفلق اتسلط علينا
بيو فاضل كوم ليهم	جرد الصارم عليهم ^(٢)

كشرت السلطة البعثية عن أنيابها عندما اقدمت عام ١٩٧٦ على منع الناس من زيارة الامام الحسين (عليه السلام) مشياً على الأقدام عادتھا الجارية في كل عام بمناسبة أربعينية الامام الحسين (عليه السلام)، وكذلك منعت المواكب العزائية في كربلاء المقدسة، ولكن جماهير الحسين آلت على نفسها ان لا تخضع لأي ظلم، والذهاب لزيارة سيد الشهداء الامام الحسين (عليه السلام)، وتحركت منذ يوم الخامس عشر من صفر، في تمام الساعة الواحدة بعد الظهر متحدية السلطة، وانطلقت المسيرة من ساحة الامام علي (عليه السلام) في النجف الاشرف^(٣)، وسارع أصحاب المحلات إلى اعلان

(١) ناصر حسين الاسدي، المصدر نفسه، ص ٢١٧؛ رعد الموسوي، المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٢) ناصر حسين الاسدي، المصدر نفسه، ص ٢١٧-٢١٨.

(٣) كانت الخطة تقتضي بان يقود السيد محمد باقر الصدر وبقية العلماء الموالين مظاهرة جماهيرية من مرقد الامام علي (عليه السلام) بالنجف الاشرف، ويلقي خلالها خطاباً يهاجم بها سياسة الحكومة البعثية بخرقها

استنكارهم للسلطة وتأييدهم ومساندتهم للجماهير المنتفضة، فقاموا باغلاق محلاتهم، ثم
واصلت الجماهير مسيرها إلى كربلاء، رغم العدد الكبير من اعوان النظام الذين كانوا
منتشرين في المدينة وبين المتظاهرين بعدما حطت الجماهير رحالها في خان الربيع - تبعد
عشر كيلومترات عن النجف - وهم يرددون شعار:

هَلْه هَلْه حَسِين وَيْنَه مَنَعُوا الْعَادَةَ عَلَيْنَه

وفي اليوم التالي الموافق ١٦ صفر، أرسلت السلطة البعثية مجموعة من جلاوزتها
لضرب الحصار على مدينة النجف ومنع ما تبقى من الناس من الذهاب إلى زيارة
الحسين عليه السلام، مما أدى إلى قيام الناس بتظاهرة صاخبة طافت شوارع النجف
حاولوا تفريقها بواسطة استخدام خرطوم المياه، غير ان المتظاهرين تمكنوا من الوصول
إلى الصحن الحيدري الشريف وهم يهتفون:

كُوم لِينَه يَاوَلِينَه بِالسَّالِح مَطُوقِينَه

وكسر المتظاهرين صور البكر وصدام، اللتان كانا عند مدخل الصحن واشتبكوا
مع عناصر الامن والشرطة، واغلقت الاسواق والمحلات، وسادت حالة من التوتر والقلق
الشديد^(١).

وفي ليلة العاشر من محرم الحرام عام ١٩٧٧، خرجت مجموعة فدائية للامام الحسين
(عليه السلام) تتقدمها راية مدماة ترمز للتضحية والفداء وشهر افراد المجموعة السلاح

لحقوق المواطنين الدينية، ومن ثم تحريك الجماهير من الصحن الشريف. عادل رؤوف، العمل الإسلامي في
العراق بين المرجعية والحزبية دراسة نقدية لمسيرة نصف قرن ١٩٥٠-٢٠٠٠، ط٢، المركز العراقي للاعلام
والدراسات، دمشق، ١٩٦٧.

(١) رعد الموسوي، المصدر السابق، ص ٥٥-٥٦.

الأبيض متحدين السلطة التي زرعت بالنجف الاشرف رجالاً وسلاحاً وعيوناً، واصطدموا مع جلاوزة النظام، واصابوا عدد منهم. إلا أن جميع هذه المحاولات والاجراءات التي كان يقوم بها النظام كانت ترافقها حملات اعتقال واسعة وتعذيب وحشي، ومطاردات، وحجز وسجن بين صفوف الناس^(١).

(١) السيد محمد الطالقاني، دراسة حول انتفاضة صفر المجيدة عام ١٩٧٧، على الرابط الالكتروني
.www.burathanews.com



المبحث الثاني

أحداث الانتفاضة الأربعينية عام ١٩٧٧

كان السيد الشهيد محمد باقر الصدر^(١)، يتابع عن كثب عمل وتحرك فصائل الحركة الإسلامية ونشاطها مجذراً شديداً وبتقوية بالغة، كي لا يمنح السلطة البعثية أي ذريعة لاعتقاله أو المساس برجال الحوزة العلمية^(٢). وكان السيد الشهيد شديداً الاهتمام بالموكب الحسينية التي مهدت لقيام انتفاضة صفر يوم أربعينية الامام الحسين (عليه السلام) وهو جزء من التخطيط لانتفاضة العشرين من صفر فقد كان السيد الشهيد الأول قد اصدر اوامره بتقديم الاموال لكافة المواكب وان لا يرد طلب من أي موكب أو تكية صغيرة كانت أو كبيرة. لأنه كان يعد هذه المواكب شوكة في عيون حكام الجور، وان هذه المواكب، وهذه المظاهر هي التي زرعت في نفوس وقلوب الاجيال حب الحسين

(١) محمد باقر الصدر (١٩٣٥-١٩٨٠) ولد السيد في عام ١٩٣٥ في الكاظمية، ونشأ وترعرع فيها، توفي والده السيد حيدر بعد ثلاث سنوات من ولادته، فتولى رعاية كل من اخيه سيد إسماعيل، واخواله من آل ياسين وهم من المجتهدين والمراجع، بدأ دراسته في مدرسة منتدى النشر الابتدائية وكان من المتفوقين فيها وفي عام ١٩٤٥، ارتحلت عائلته إلى النجف الأشرف ليكمل دراسته الحوزوية على يد اكابر علمائها، ادى دوراً محورياً في نشاطات الحركة الإسلامية في العراق منذ خمسينات القرن العشرين، فساهم في تأسيس حزب الدعوة الإسلامية فقد كان وجوده في الحزب كحقيقة غطاءً شرعياً للتشكيل الحزبي، فضلاً عن دوره الفكري في تأصيل النظرية السياسية للحزب، انتقل لموقع قيادة المرجعية الدينية بعد وفاة السيد محسن الحكيم (١٩٤٦-١٩٧٠)، في ظل هذه الظروف الصعبة ظرف انكفاء المرجعية، وظرف اندفاع السلطة البعثية لضرب التيار الإسلامي، تصد محمد باقر الصدر للمرجعية ملء الفراغ الذي نشأ بين مرجعيتي الحكيم، وابو القاسم الخوئي (١٩٧٦-١٩٩٢)، اعتقل عام ١٩٧٤، ثم اعتقل وعذب بعد انتفاضة ١٩٧٧، ثم اعتقل عام ١٩٧٩ وافرج عنه، غير ان الصدر لم يذعن لتهديدات الحكومة البعثية، وفي ٥ نيسان ١٩٨٠ اعتقل واعدم ودفن بشكل سري في مقبرة وادي السلام بالنجف الأشرف. لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد الحسيني، الامام الشهيد محمد باقر الصدر، بيروت، ١٩٨٩؛ نخبة من الباحثين، محمد باقر الصدر السيرة الذاتية، بيروت، ١٩٩٦، ص ٤٨؛ محمد رضا النعماني، شهيد الأمة وشاهدها، ق، قم، ١٤٢٢هـ؛ رشيد الخيون، ١٠٠ عام من الإسلام السياسي بالعراق (الشيعية)، ج ١، ط ٢، مركز المسار للدراسات والبحوث، دبي، ٢٠١٢، ص ١٨٩-١٩٠.

(٢) أحمد عبد الله العاملي، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة، ج ٣، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٢٥٥.

(عليه السلام)، وحب الإسلام، وبالتالي يجب ان تبقى رغم حاجتها إلى تهذيب وتعديل يناسب العصر^(١).

لم تبرد عزيمة الشباب الحسيني، ولم تهدأ ، فقد قرروا الخروج في يوم الخامس والعشرين من محرم حيث ذكرى استشهاد الامام زين العابدين (عليه السلام) ، وبعد ان استشاروا الشهيد السيد محمد باقر الصدر بهذا الامر، كان الرأي ان تتأجل المسيرة إلى يوم اربعينية الامام الحسين (عليه السلام) وذلك لان التجمع البشري في هذا اليوم افضل من غيره، وفعلاً قام الشباب الحسيني بحملة اعلامية كبيرة على مستوى النجف الاشرف خصوصاً، وباقي المدن الأخرى عموماً، وذلك بالاعداد لتلك المسيرة الكبرى التي سوف تنطلق إلى مدينة كربلاء سيراً على الاقدام. واخذت المجاميع الحسينية تجتمع يوماً في مجلس عزاء حسيني سياسي اقيم في تلك الفترة الحساسة في بيت احد وجهاء مدينة النجف الاشرف وتم هئية اعلام صغيرة خضراء اللون. وتقرر ان تكون ساعة الصفر للمسيرة الكبرى في الساعة الحادية عشر من صباح الخامس عشر من صفر^(٢).

وبالفعل في الرابع من شباط عام ١٩٧٧ غصت شوارع المدينة الرئيسية بالجماهير المنتفضة ، وبالتحديد من محلة البراق، وما هي الا لحظات حتى انطلقت المجاميع المجاهدة من شارع الامام الصادق (عليه السلام) متجهة إلى الصحن الحيدري الشريف تعلوها هتافات حسينية ثورية، أنظمت اليها الجماهير المنتظرة، حتى تحولت إلى انتفاضة عارمة طافت شوارع واسواق المدينة واشتبكوا مع عناصر النظام في عدة اماكن من المدينة، ورفع المتظاهرون أعلام خضراء صغيرة كتب عليها (نصر من الله وفتح قريب)، تصدرتها راية خضراء كبيرة كتب عليها (يد الله فوق ايديهم) حملها الشباب الحسيني المبدأ، العلوي الارادة الشهيد (ناجح محمد كريم)، تقدم بها مع ثلة من الشباب الحسيني

(١) كلظم الحائري، مباحث الأصول، قم، ١٤٠٧ هـ، ص ١٠٧.

(٢) محمد الطالقاني، المصدر السابق.

المؤمن إلى الصحن العلوي الشريف ، متحدية النظام البعثي وأزلامه، معلنة حرباً لا هوادة فيها، طافت شوارع النجف الاشرف متجهة صوب كربلاء، وكانت قد استقرت في خان الربيع (خان المصلى) الذي يبعد عن مدينة النجف الاشرف حوالي عشرة كيلومترات، نزل الثوار في الخان واستقرت بالقرب منها سيارات الامن والشرطة والمخابرات، التي أرسلتها قوات النظام لعرقلة المسيرة الحسينية، ومراقبة الحركة والقيادة لها. ولحماية المتفضين شدد الثوار الحراسة على مداخل الخان، وقام الشهيد (رحيم أبو كلل) بتوزيع كلمة السر والتي كانت (حيدر) ، وكان يخبر المتظاهرين بانهم (أي جلاوزة النظام) لن يدخلوا الا على جثتي - وكان قادة الانتفاضة على اعلى درجات اليقظة والحذر والتأهب لمواجهة أي تحرك عدواني من جلاوزة النظام^(١).

قام الشهيد محمد سعيد البلاغي مع مجموعة من المجاهدين، بتبليغ كل من الخان بالنهوض فوراً والتهاتف بـ(يا حسين) عند سماع صوت البوق (البرزان)، وعند المساء حاولت القوة المحاصرة للثوار الدخول إلى الخان والقاء القبض عليهم إلا أن يقظة الثوار حالت دون ذلك. وما ان حل صباح اليوم الثاني ١٦ صفر الموافق الخامس من شباط، سمع صوت البرزان، انتفضت الجماهير وهي تردد شعارات حسينية ثورية. ومن هذه الشعارات:

بالتاريخ سجلها النجف ثورة حسينية

شرطة النجف شرطة جبانة

ماكوا مؤامرة أتصير على الحسين ابن علي

يجاسم كله للبكر تره حسين منعوفه

(١) رعد الموسوي، المصدر السابق، ص ٦٨-٧٧؛ ناصر حسين الاسدي، المصدر السابق، ص ٢٢١-٢٢٢؛ صلاح الخرسان، حزب الدعوة، ص ٢٢٢.

(والمعنى هنا : جاسم الركابي محافظ النجف)

يصدام شيل ايـدك جيش وشعب ميريدك
يبو فاضل كوم لينه عفلق اتأمر علينا^(١)

هجم المنتفضون على القوة البعثية التي باشرت بالهجوم على الخان، ففروا من امامها، والتحقت بالمسيرة جماهير غفيرة سيطر المتظاهرون بعدها على الطريق الرئيسي الذي يربط النجف بكربلاء. وكان للشهيد (صاحب رحيم أبو كلل) موقف مشهود وهو يخطب بالجماهير المنتفضة يحثهم على الاتحاد ونبذ التفرقة واخذ الحيطه والحذر من المدسوسين الذين يرسلهم النظام البعثي الحاكم، وكان لكلامه الأثر الكبير في زرع روح التضحية. وعندما اقتربت المسيرة من مشارف ناحية الحيدرية، هتف بالجماهير الشهيد المجاهد حامل لواء المسيرة (ناجح محمد كريم) هتافاً معادياً للحكومة وهو:

هله هله بالبعث يالحاقدين بالنجف ما ينمحي ذكر الحسين

ودخلت المسيرة الخان محبطة كل المحاولات الرامية إلى اجهاضها والقضاء عليها^(٢)،

وقد كان السيد الشهيد محمد باقر الصدر يتابع بدقة أخبار الانتفاضة واحداثها في داخل النجف وفي طريق حدوثها بين النجف وكربلاء وكان بغاية السرور حين تتوارد عليه الانباء بنجاحها وشجاعة الزوار في تحدي السلطة، هذا فضلاً عن وقوف بعض قطعات

(١) ناصر حسين الاسدي، المصدر نفسه، ص ٢٢١-٢٢٢؛ رعد الموسوي، المصدر نفسه، ص ٧٨-٨٠.

(٢) ناصر حسين الاسدي، المصدر نفسه، ص ٢٢٤.

الجيش إلى جانب الثوار، وكان يأمل ان يستفيد بالمستقبل من هذه العواطف والمواقف^(١).

اتخذت الجماهير المنتفضة عند وصولها (خان النص) الاحتياطات الامنية أكثر مما كانت عليه في (خان الربع) بسبب خطورة الموقع والموقف الجديد الذي بات يهدد بالانفجار، لذلك كثفت الحراسات والدوريات، تأهباً لاي اعتداء محتمل، لان المنطقة طوقت بالكامل من قبل أعوان النظام. وفعلاً تعرضت الجماهير في الخان لعدة هجمات شرسة من قبل جلاوزة النظام وتم اعتقال عدد من المشتركين بالمسيرة^(٢).

وفي صباح السابع عشر من صفر الموافق السادس من شباط من العام نفسه تحركت المسيرة من منطقة خان النص باتجاه كربلاء وهي تردد الهتافات الحسينية. وعند ابتعادها من منطقة خان النص، اقتحمت القوات البعثية مؤخرة المسيرة وقامت باطلاق النار على الجموع الغاضبة، مما اسفر ذلك الامر عن سقوط أول شهيد حسيني في هذه الانتفاضة وهو فتى في الرابعة عشر من عمره سقط قتيلاً برصاصة من قبل احد جلاوزة النظام، وكان الشهيد (محمد الميالي) ، والذي اوصى قبل استشهاده بحمل قميصه الملطخ بالدماء مع المسيرة إلى كربلاء على ان يوضع في قبر ابي الفضل العباس (عليه السلام) بعد ذلك رجعت المسيرة ثانية إلى منطقة الخان، واقتحم رجالها الغاضبون مركز الشرطة الموجود هناك واخرجوا المعتقلين منه وانزل علم الدولة من المركز، ووضع محله راية خضراء اللون، ثم رجعت المسيرة لمواصلة طريقها إلى كربلاء^(٣).

كانت مسيرة المتظاهرين المنتفضين سلمية عبادية متوجهة إلى حرم الامام الحسين (عليه السلام)، إلا أن نظام البعث البائد استخدم الوحشية ضدها، بأن اطلق الرصاص

(١) كلظم الحائري، المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٢) ناصر حسين الاسدي، المصدر السابق، ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٣) محمد الطالقاني، المصدر السابق.

الحي وقتل الأبرياء من بينهم امرأة وطفل، إلا أن تلك المجزرة الرهيبة لم تثن الحشود
الثائرة من مواصلة الزحف إلى كربلاء متحدية كل الارهاب البعثي مرددة شعارات
الفداء والثأر والانتقام منها:

قدم النجف اربع فدائية كلوا للبكر كل أصبع بمية^(١)

والتحق بالمسيرة الانتفاضية عدد كبير من الجماهير فور سماعهم بنبأ الاعتداء
الوحشي، وهكذا امتدت موجة الاستنكار والتمرد حتى شملت العشائر من المناطق
الريفية^(٢).

جاءت أحداث السابع عشر من صفر لتشكل منعطفاً حاسماً في حياة الشعب
العراقي الذي واجه النظام بسلاح الشهادة، فكانت هذه الانتفاضة أول مواجهة قد
جرت بين النظام ومرجعية الامام السيد محمد باقر الصدر الذي يعد واحداً من بين اثنين
من كبار مراجع النجف الاشراف^(٣).

(١) ناصر حسين الاسدي، المصدر السابق، ص ٢٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٥.

(٣) بعد وفاة المرجع الديني السيد محسن الحكيم في الأول من حزيران عام ١٩٧٠، كانت مدينة النجف، والمدن
المقدسة الأخرى تعج بالمتجهدين والمراجع، وكان السيد أبو القاسم الخوئي (١٨٩٩-١٩٩٢) الاوفر حظاً من
بين المراجع لخلافة السيد الحكيم لعلميته الواسعة، وأستاذيته لأغلب المجتهدين بما فيهم السيد محمد باقر
الصدر الذي كان يعيش بظل هذين المرجعين الكبيرين، الحكيم والخوئي. في البداية دعم السيد محمد باقر
الصدر مرجعية السيد الخوئي، إلا أن الفراغ الذي تركه السيد الحكيم، وعدم تصدي مرجعية الخوئي
للجوانب السياسية والاجتماعية، سبب بداية القمع والارهاب البعثي، دفع بالسيد محمد باقر الصدر
للتصدي للمرجعية وشهدت الفترة من نهاية عام ١٩٧٢-١٩٧٣ تبلور مرجعية السيد الصدر، وازدياد
مقلديه من المثقفين وطلبة الجامعات والاسلاميين النشطين، واعضاء حزب الدعوة. للتفاصيل ينظر: صلاح
مهدي علي الفضلي، المصدر السابق، ص ٣١٩-٣٢١.

ونظراً لانفجار الموقف وتأزمه أكثر من ذي قبل، بسبب عمليات القمع من قبل جلاوزة النظام للمنتفضين، ولحقن دماء الشباب المسلم الحسيني، التقى السيد مصطفى جمال الدين^(١)، بالشهيد محمد باقر الصدر عصر يوم السابع عشر من صفر أي بعد الاحداث الأليمة والدموية التي وقعت في (خان النص)، وطلب من السيد محمد باقر ان يتدخل لتهدئة الأوضاع قبل ان تنفجر في صراع دموي واسع يذهب ضحيته عدد كبير من الناس لا يعلمه الا الله^(٢).

استجاب محمد باقر الصدر لهذا الطلب ، واوكل السيد محمد باقر الحكيم^(٣) كي يقوم بدور الوسيط ما بين المنتفضين والحكومة. لاسيما وان النظام البعثي كان قد قرر قمع الانتفاضة بأسلوب آخر، فأعلن رفع الحظر عن المواكب، وزيارة الامام الحسين (عليه السلام)، حتى يتسنى لها تهدئة الموقف وامتصاص الغضب من الجماهير الثائرة.

(١) مصطفى جمال الدين، ولد في سوق الشيوخ عام ١٩٢٧ ، درس علوم الفقه في النجف الاشرف وهو في سن الحادية عشر، تخرج من كلية الفقه عام ١٩٦٢، عين عميداً فيها ، حصل على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية من جامعة بغداد عام ١٩٧٢، ونال الدكتوراه في اللغة العربية عام ١٩٧٩، وكان رئيس جمعية الرابطة الأدبية في النجف الاشرف عام ١٩٧٥، غادر العراق لظروف سياسية عام ١٩٨٠ إلى سوريا، توفي اثر اصابته بمرض السرطان عام ١٩٩٦. مير بصري، اعلام الأدب في العراق الحديث، ج٣، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٦، ص ٢٩٦-٢٩٧.

(٢) صلاح الخرسان، الامام السيد محمد باقر الصدر في ذاكرة العراق، اضواء على تحرك المرجعية الدينية والحوزة العلمية في النجف الاشرف ١٩٥٨-١٩٩٢، ط١، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٤٧٥.

(٣) محمد باقر الحكيم (١٩٣٩-٢٠٠٣) هو عضو مؤسس في حزب الدعوة الإسلامية وجماعة العلماء المجاهدين ومن ثم رئيس المجلس الاعلى للثورة الإسلامية في العراق ولد في النجف عام ١٩٣٩، وهو الابن الخامس للمرجع الديني السيد محسن محسن الحكيم، ابتدأ الدراسة الحوزوية في سن الثانية عشر، بعد وفاة والده ارتبط بالسيد محمد باقر الصدر، تعرض للاعتقال مرتين ١٩٧٢ و ١٩٧٦، وحكم عليه بالسجن المؤبد بسبب اشتراكه في انتفاضة صفر عام ١٩٧٧، اطلق سراحه بالعفو العام عام ١٩٧٨، سافر إلى إيران عبر تركيا، ترأس جماعة العلماء المجاهدين في العراق عام ١٩٨٠، أصبح الناطق الرسمي للمجلس الاعلى للثورة الإسلامية في العراق في ١٧ تشرين الثاني ١٩٨٢، ثم أصبح رئيساً لها منذ عام ١٩٨٦ وحتى اغتياله بسيارة مفخخة عند خروجه من صلاة الجمعة في الصحن الحيدري في مدينة النجف الاشرف في ١٩ آب ٢٠٠٣. حسن لطيف الزبيدي، المصدر السابق، ص ٥٣٨-٥٣٩.

وكان السيد محمد باقر الحكيم قد ذهب بنفسه ليلاً إلى (خان النخيلة) وتحدث مع قادة المنتفضين مبيناً لهم تأييده ووقوفه إلى جانبهم لضمان استمرار هذه الشعائر، فأخذوا يتظلمون من العدوان والاستفزاز والقتل، ورحبوا بأي حل لهذه المشكلة غير أنهم يتخوفون من الغدر. فاتفق الحكيم معهم على ان يلتزموا بالانضباط بالشعائر، عند مسيرها في يوم الثامن عشر من صفر إلى كربلاء المقدسة^(١).

تمكن المتظاهرون من القاء القبض على مرتزقة النظام البعثي فأودعوا في سجن أعد من الخان . وفي حوالي الساعة الحادية عشر من مساء اليوم نفسه ١٧ صفر ، حاول ازالة النظام إختراق الخان، الا أنهم فوجئوا بهجوم الجماهير المنتفضة والتي تصدت لهم^(٢).

وفي صباح يوم الثامن عشر من صفر، كانت الجماهير تتهيأ للمسير إلى كربلاء، وماهي الا لحظات أخذت سيارات النجدة تلاحق المنتفضين، بعدها حلقت طائرتان^(٣) خارقتان للصوت نوع ميك، حلقتا بمستوى منخفض جداً فوق رؤوس الجماهير العزل الا من سلاح الايمان محدثين دويماً أدى إلى تحطيم زجاج السيارات. بعد ذلك ارسلت السلطة الحاكمة رتلاً من الدبابات والمدرعات والاليات الأخرى مع عدد كبير من افراد القوات المسلحة بكامل تجهيزاتهم، والتي قامت بمحاصرة المتظاهرين لان حكام بغداد ابلغوا قائدها بان هنالك مجموعة من المشاغبين والمتمردين على النظام تدعمهم بعض الدول بالأسلحة يقومون بالاعتداء على الامنين ويهدف إلى قلب النظام^(٤)

(١) صلاح الخرسان، الامام السيد محمد باقر الصدر ، ص ٤٧٦ .

(٢) ناصر حسين الاسدي، المصدر السابق، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

(٣) مما يذكر ان كلا الطائرتان سقطتا ، الأولى في بحيرة الرزازة بالقرب من كربلاء، والثانية بالقرب من قضاء المسيب مع قتل طياريهما، احدهما برتبة نقيب ، وقد جيء بالخبراء الفنيين، لفحص اسباب الحطام، وقد ارجع السبب إلى خلل في، فرد عليهم احد الحاضرين فقال ان سبب السقوط ليس خللاً فنياً بل خلل حسيني. ناصر حسين الاسدي، المصدر نفسه، ص ٢٢٨ .

(٤) صلاح الخرسان، الامام السيد محمد باقر، ص ٤٧٧؛ صلاح مهدي علي الفضلي، المصدر السابق، ص ٣٤٤؛ رعد الموسوي، المصدر السابق، ص ١٠١ .

موقف الجيش من هذه الانتفاضة

رغم محاولات البعث الرامية إلى عزل الجيش عن الجماهير وجعله أداة طيعة بيدهم. وأرادوا توريطهم في قمع الجماهير الإسلامية المنتفضة. إلا أن الذي حصل هو ان عدد كبير من افراد الجيش رفض اوامر النظام، وتمرد عليها، حتى ان احد الضباط الكبار صعد على احدى الدبابات وقام بتعرية النظام وفضحه، واعلان تعاطفه ومساندته للجماهير، الامر الذي ادى بالنظام إلى ارسال مجموعة كبيرة من مخابراته واعوانه لمراقبة تحركات العسكريين، أو موافقهم من الاحداث ، فكانوا يرسلون خلف كل ناقلة عسكرية مملوءة بالمعتقلين سيارة تابعة لمرتزقته، بعد ان احس بقيام السواق العسكريين بانزال المعتقلين في مناطق متفرقة واطلاق سراحهم بدلاً من ايداعهم السجون ، فضلاً عن ان ابناء القوات المسلحة في معسكر الرشيد ببغداد، يقدمون المساعدات الكثيرة إلى الاف المعتقلين ، هذا التكاتف والتعاون بين الجيش أثار مخاوف النظام الذي سارع إلى اعلان حالة الطوارئ القصوى في صفوفه، وزج بإعداد كبيرة من العسكريين في سجونهم بسبب مشاركتهم بالانتفاضة، وحكم على بعضهم بالإعدام، ومنهم الشهيدان السعيدان (محمد كريم)، و(غازي حسن خوير)، وقد حكم على البعض الآخر بالسجن المؤبد^(١).

دور المرأة النجفية في الانتفاضة

وقفت المرأة النجفية موقفاً مشرفاً، فقد كانت تقوم بإخفاء السلاح، والحاجيات الضرورية ونقلها من مكان لآخر، وتسليمها للمجاهدين عند القيام بعمل ضد النظام،

(١) رعد الموسوي ، المصدر نفسه، ص ١١٣-١١٧؛ ناصر حسين الاسدي، المصدر السابق، ص ٢٢٩-٢٣٠؛

رشيد الخيون، ١٠٠ عام ، ص ٢١٣.

فضلاً عن قيامها بتشجيع الرجال، وتبعث فيهم المهمة والروح الثورية^(١). وقد التحقت الكثير من النساء في المسيرات الحسينية في خان النص، وقامت بالقاء الهتافات المعادية للسلطة امام مبنى المحافظة فقامت السلطات بتطويقهن، ولكن المرأة النجفية تصدت لهم بالحجارة وواصلن مسيرتهن حتى وصلن إلى (خان النخيلة) مع الجموع الشائرة للمسير نحو كربلاء^(٢). ومما تجدر الاشارة اليه هو ان النظام اودع عدداً من النساء في السجون، فضلاً عن استشهاد امرأة في احداث خان النص^(٣).

نهاية الانتفاضة

على الرغم من كل الإجراءات الإجرامية التي اتخذتها السلطات البعثية ازاء المتظاهرين، لكن الثوار، صمموا على الوصول إلى كربلاء مهما كلف الامر بذلك لذا تقدمت الجماهير في يوم التاسع عشر من صفر تتقدمهم الراية الخضراء وهم يهتفون:

لو قطعوا أرجلنا واليدين نأتيك زحفاً سيدي يا حسين

ولما وصلت المسيرة على مشارف مدينة كربلاء تقدمت الدبابات وعشرات المصفحات ومئات المسلحين، وعند اندفاع الثوار امام تلك الجيوش وهم يهتفون (يا حسين)، سلكت المسيرة طريقاً ترابياً وابتعدت عن الشارع العام إلى طريق فرعي يدعى (الرجيبية) بعد ان القت السلطات البعثية على بعض الثوار من النساء وكبار السن ، ونقلوهم إلى المعتقلات القريبة^(٤).

(١) ناصر حسين الاسدي، المصدر نفسه، ص ٢٣٠.

(٢) السيد محمد الطالقاني، المصدر السابق، رعد الموسوي، المصدر السابق، ص ٩٠.

(٣) رعد الموسوي، المصدر نفسه، ص ٩٠-٩١؛ ناصر حسين الاسدي، المصدر السابق، ص ٢٢٧.

(٤) سيد محمد الطالقاني، المصدر السابق.

واصل حملة الراية الخضراء ومن معهم طريقهم إلى كربلاء. فبعد ان سلكوا طريقاً ترابياً، وصلوا إلى ضريحي الامامين الحسين والعباس (عليهما السلام)^(١) وهنا لعب البعثيون لعبة قدرة حيث قاموا بإشاعة فتنة بين الناس بان هنالك قبلة موقوته وضعت داخل الصحن الحسيني، ويجب اغلاق الصحن، فعلاً اغلقت السلطات الامنية ابواب الصحن الشريف، وقاموا بضربهم وشتمهم والقي القبض عليهم. بعد ذلك اقتيد الشباب المؤمن إلى المعتقلات والسجون، وقامت بملاحقة الثوار الذين فروا. وقد لاقى الثوار المنتفضين في تلك السجون اشد انواع التعذيب، الغير انسانية^(٢).

وقد قامت الحكومة الجائرة بتشكيل محكمة خاصة اطلق عليها محكمة الثورة ترأسها ثلاثة من قادة الحزب البارزين وهم وزير الصحة (عزت مصطفى)، وحسن علي، ووزير الصناعة فليح جاسم، وكلهم اعضاء في القيادة القطرية للحزب الحاكم، وذلك لمحاكمة منظمي الموكب، وتم اصدار احكام جائرة بإعدام سبعة من منظمي الموكب^(٣)، والسجن المؤبد على خمسة عشر شخصاً من ضمنهم السيد محمد باقر الحكيم. وقد اثرت هذه الانتفاضة على هيكلية النظام وادت إلى تصدعه حيث انقسمت قيادة الحزب العليا إلى فريقين قد اهتم النظام بعض الاعضاء البارزين بالتهاون والتردد لانهم اقموا السلطة باستخدام وسائل غاية في العنف والقسوة ضد المشاركين في الموكب لم يكن داع لاستعمالها. وقد تغلب الفريق المتشدد الذي كان يقوده البكر وصادم على الفريق المعتدل وطردهم من الحزب ومن مناصب الدولة من ضمنهم اعضاء المحكمة الخاصة التي حاكمت منظمي الموكب، بحجة ان احكامهم كانت متهاونة وضعيفة^(٤).

(١) صلاح الخرسان، الامام السيد محمد باقر، ص ٤٧٧.

(٢) رعد الموسوي، المصدر السابق، ص ١١٩-١٢٠.

(٣) حنا بططاو، المصدر السابق، ص ٤٠٥؛ صلاح الخرسان، الامام السيد محمد باقر، ص ٤٧٧.

(٤) صلاح الخرسان، المصدر نفسه؛ صلاح الخرسان، حزب الدعوة، ص ٢٢٣.

وهذه صفحة مليئة بالبطولة والتضحية سجلها المنتفضون الحسينيون، دفاعاً عن معتقداته الدينية وشعائره الحسينية وكرامته ووطنه الذي استباحته النظام البعثي البغيض.

الخاتمة والاستنتاجات

توصل البحث إلى جملة من النتائج :

- ١- أن الانتفاضة هي أول تحد شعبي جماهيري عام للنظام البائد، فهي قد حولت المواجهة مع النظام من العمل الحزبي إلى العمل الجماهيري.
- ٢- أما أول دماء تراق على الأرض في مواجهة شعبية في وضح النهار، وبذلك تكون الانتفاضة قد نقلت إلى الشارع وامام مرأى ومسمع الرأي العام.
- ٣- أكتشف النظام البعثي مدى حجم الرفض الشعبي لسياسة تكميم الأفواه، ونبهت العراقيين إلى حجم الظلم الواقع عليهم ليستعدوا للمواجهة.
- ٤- كانت الانتفاضة سبباً لوقوع الخلاف والاختلاف في صفوف النظام البعثي البائد وقيادته وازلامه، فقد رفض البعض منهم التصديق على احكام الاعدام التي صدرتها المحكمة الصورية الخاصة التي شكلها صدام حسين، وقد دفع ثمنها هذه القيادات وتمت تصفيتهم من الحزب.
- ٥- كسرت هذه الانتفاضة حاجز الخوف للجماهير من خلال دخولهم في معركة مع فلول النظام البعثي على طريق النجف - كربلاء التي استمرت طيلة الايام ١٧-٢٠ صفر.
- ٦- بينت هذه الانتفاضة مدى تلاحم الأمة مع مرجعيتها في اتخاذ القرارات.

**زيارة الأربعين وأثرها في استلهام البعد الجهادي والاصلاحي
لثورة الامام الحسين (عليه السلام)**

أ.د. حسين لفته حافظ/ مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

الدكتور هاشم حمود اليوسفي / كلية الفقه / جامعة الكوفة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ السموات والأرضيين وبارئ الخلائق أجمعين وباعث الأنبياء والمرسلين دعاة وهداة مبشرين ومنذرين وأفضل الصلاة والسلام على اشرف الأنبياء وخير عباد الله أجمعين محمد الامين وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد...

فإنّ للنهضة الحسينية أثر واضح وكبير على سلوك وتصرف أغلب الشباب المسلم فهم نظروا إليها كمنهج فكري وعملي خطه سيد الشهداء (عليه السلام) واخيه الحسن (عليه السلام) وقد ورد عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة)، أي أنّهما القدوة الحسنة، ومن الجدير بالذكر إنّ ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) تعد صرخة قوية مدوية بوجه كل الطغاة وعلى مر الزمان تبقى هذه الثورة متجددة لا تبرد ابداً، ومنها أخذ الشباب الدروس والعبر وتعلموا عدم الخنوع لكل أشكال الظلم، فقد قطع الإمام الحسين (عليه السلام) الشك باليقين عندما حدد هدف ثورته بكلمة "الإصلاح"، فالإصلاح يعني أن تعيش الأمة معززة مكرمة، ينتشر بينها العدل، وتسودها روح المساواة، وتعلو فيها كلمة الحق، ضماناً للمحافظة على حرية الإنسان وصون حقوقه المشروعة.

اما عن أهداف البحث فلعل أبرزها:

١- يحاول البحث إن يؤكد على حقيقة ثابتة هي ان النهضة الحسينية اساس لكل الثورات نحو التغيير .

٢- إشاعة المنهج الحسيني بما فيه من السمات والخصائص التربوية بين افراد المجتمع الاسلامي .

٣- يشير البحث الى التلاحق الفكري بين المؤسسات الأكاديمية والمواقف التاريخية التي بقيت ولا تزال معلماً هادياً إلى الإستقامة والسداد .

٤- ردد الحركة العلمية في هذا العصر خصوصاً ونحن إذ نواجه تحديات كبيرة لعل أبرزها مصارعة قوى الضلال والكفر التي انتشرت في بعض ارجاء البلاد ولعل من اسبابها الإبتعاد عن الفكر الرسالي الأصيل وإظهار البدع والفتاوي المظلمة مكانه من هنا فان العودة الى المنهج الحسيني ليكون مؤسسة تربوية تقود هذا الجيل نحو الطريق الصحيح .

اما عن خطة البحث فهو يتكون من مباحث درس الاول أهمية النهضة الحسينية في الواقع الإجتماعي بشكل عام ، في حين درس الثاني معالم النهضة الحسينية في تربي الشباب وتغيرهم نحو الصواب ودرس المبحث الثالث البعد السياسي والجهادي للنهضة الحسينية .

اما عن منهج البحث فقد اعتمدت المنهج التحليلي بالاستفادة من المعطيات المتوفرة فضلا عن اقوال الامام التربوية ، وعن مصادر الدراسة فقد تنوعت تلك المصادر لتشمل كتب التاريخ والسيرة والكتب الاجتماعية فضلا عن دراسات حديثة استفاد منها البحث وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين .

المبحث الأول :

البعد الاخلاقي والإصلاحي في النهضة الحسينية

أولاً:

في هذا المحور يتبادر الى الذهن سؤال مفاده: لماذا خصصت أهمية التغير والبناء للشباب دون بقية الشرائح الأخرى علماً بأن النهضة الحسينية قد أثرت الساحة الاجتماعية على جميع المستويات.

وتأتي الاجابة إنما وقع الاختيار على شريحة الشباب دون غيرهم لأسباب موضوعية ينبغي الالتفات إليها، منها:

• ان السماء بكتابها العزيز أشارت وبشكل صريح ومحدد الى قابليتهم المضيئة في طريق الهدى والصلاح لقوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾^(١) وهذا يعني اهم قدرات متوهجة ونماذج مشعة في واحات الظلام، يحملون رسالتهم الدعوية في طيات قلوبهم وينشرون عقيدتهم السماوية بأفلامهم وأساليبهم المثبتة بالهداية والتقوى، اذا ما قدر لهم ان يجدوا محافل الوعي ومنابر التوحيد ومواطن التضحية، قد أولت لهم العناية الخاصة وظفروا بالأجواء التربوية الصالحة داخل محاريب الجماعات الملتزمة بدينها ورسالتها الهادفة واستقبلتهم الحواضن الأمينة فغذتهم الإيمان الصادق وثبت في نفوسهم الشعور بالمسؤولية وحفظتهم من الانزلاق والانحراف في دوائر الفساد والإفساد والظلال والإطلال في عالم البشرية الذي يخضع إلى التقدم والطور المدني والتكنولوجي بالحثيثة التي ظهرت إفرزاته مؤثرة تماماً على الواقع الاجتماعي والتربوي. وعندما تتوافر لديهم المناعة الكافية فأنهم ومن غير شك يتحولون الى

(١) الكهف : ١٣

مشاريع تربوية وتوعوية في الوسط الاجتماعي (فاذا كان التاريخ السني قد اشداد في يوم ما على فتية قد آمنت برها في خضم عالم الترف والزهو مقابل البطش والاستبداد، فهم وان كانوا مفخرة عصرهم وعالمهم آنذاك، إلا ان العصر الإسلامي قد فاق التصور بالطاقات الشبابية التي عبّدت دروب السائرين نحو الله بدمائهم واجسادهم وعنقواهم الإيماني والفكري والتوعوي رغم دعوات الانفتاح الاخلاقي والمادي التي يمارسها البعض بمساحات واسعة)^(١)

ومعلوم ان البطش والارهاب خصوصا في القرن العشرين أنه لمؤلم كونه موجه كمشروع غربي على الشعوب الإسلامية وفق تخطيط يهودي، إلا ان شبابنا أبوا الخضوع والخنوع وكانوا ولا زالوا يمثلون القدوة والاسوة الصالحة في اوساط الامة وشبابها اليافع وقادة كبار في واقع الحركة الإسلامية الهادفة الى تنشيط الوعي القرآني والفكر الإسلامي لتحريك حافلة الشباب والجيل الصاعد وتحويلها الى ساحة اللقاء بالله في اي موقع من مواقع الحياة واعتمادا منهم على الأسس العميقة التي بلورتها همة الإمام الحسين (عليه السلام) على جميع الصعد الحياتية لكونها ومن دون شك أجراس مدوية أيقظت المشاعر واثارت الافكار ودفعت التوجيهات الصحيحة نحو اهدافها المقدسة، ومنها:-

* سن الشباب هو الحلقة الوسطى في حياة الإنسان بين الطفولة والكهولة وفي هذه المرحلة تكمن خطورة الإنسان في حياته لأن الطاقة الشبابية في ماهيتها قابلة للتحويل سلباً او إيجاباً، بل هي مادة أولية يمكن ان نصنع منها قنبلة قاتلة للإنسانية اشبه *بقنبلة هيروشيما* عندما تقع بأيدي الأشرار، ويتحول فيها الإنسان الشاب الى إخطبوط في الجريمة بكل أبعادها وهذا نوع من قتل الإنسانية بلا إنسانية وخير شاهد على ذلك في عصرنا الحاضر وقائع

(١) فضل الله، الحركة الإسلامية، هموم وقضايا، ص ١٤.

الارهاب الاعمى الذي أخذ يغذي الشباب بالفكر المتطرف ويدفعهم إلى الموت الجهنمي حالما يفجر نفسه على أمة من الناس وهذا النوع من العمل هو الاخطر في حياة البشرية على فئة الشباب.

ومرة اخرى بالإمكان ان نصنع منها سراجاً منيراً تهتدي به البشرية عموماً نحو مسارها الصحيح فيما لو حظيت في الاحتضان بأيدي الصالحين، وهنا تكمن مسؤولية المؤسسات التربوية التي يجب ان يكون لها قصب السبق في ان تبادر مؤسساته بما تمتلك من المؤهلات واللياقات وتؤسس لهم خارطة الطريق من خلال برامجها التربوية والتوعوية، لغرض انتشالهم من الخطر الشيطاني وتحويلهم الى الخط الإسلامي تجسيداً بما أوصى نبينا (صلى الله عليه وآله) بذلك (ادركوا الشباب فانه شعبة من الجنون)^(١) وهذا لا يعني وجود خلل في عقولهم وانما لشدة مراهقتهم بهذا العمر وحدة إرهابهم قد تدفعهم الى الانحلال والابتعاد عن طريق الإسلام ومعنى إدراكهم يعني العمل الى هدايتهم للإيمان بالله وبالرسالة، لان إيمان الشباب يتحول الى قوة متينه ورسينة لصالح الأمة، ذلك اذا حققت اتصالها الوثيق مع الخط الحسيني الراسخ في عمق التاريخ على امتداد حركته المتنوعة مما يجعلها كقوة شبابية تصمد امام المغريات وتتحدى مؤسسات التدمير والتخريب العقلي والفكري في أي موطن كان.

ومن هنا نجد الاستعمار واليهود على وجه الخصوص، يشنوا حملة واسعة وبشتى الوسائل الإعلامية المتاحة ليحرفوا الشباب المسلم عن صوابه، وما إشاعة المواد ووسائل الإنحلال الأخرى كالمخمر والمخدرات والشعوذة إلا بسبب تخوفهم من دور الشباب المسلم وقوة مواجهته الإيمانية لأساليبهم الدنيئة وعقائدهم المنحرفة، لأنهم يعرفون جيداً ما للنهضة

(١) الكليني، مصدر سابق، فروع الكافي، ص ٦٨.

الحسينية من الاحتواء والجذب العاطفي والفكري لهؤلاء البراعم المتدفقة حتى يصل بهم الأمر إلى مراحل التضحية الراقية.

ومن السابق لأوانه نجد أن النبي (صلى الله عليه وآله) حرص على ما هو الأصلح والأكفأ في مرحلة التصدي لمواجهة أعداء الإسلام وإدارة البلاد وشؤون العباد دون النظر إلى أصغرهم وأكبرهم وقام بتسخير طاقات الشباب وتوظيفها في إقامة دعائم حكومته الإسلامية، فأستعمل عتاب ابن أسيد على أهل مكة بعد فتحها وكان عمره عشرين سنة، كما استعمل أسامة بن زيد على أخطر جيش جهزه نحو الروم وكان عمره لا يتجاوز الثماني عشرة سنة^(١).

وهذا إنما يدل بالاعتماد على الكادر الشبابي والاهتمام بليقاته الرسالية، مقررًا ذلك بحديثه الواضح (صلى الله عليه وآله) (فليس الأكبر هو الأفضل بل الأفضل هو الأكبر)^(٢).

ولقد أشار الإمام علي (عليه السلام) بقوله لإبنه الحسن (عليه السلام) مبيناً مدى إهتمامه بسن الشباب وأهمية تربيته قبل فوات الأوان: (فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته)^(٣).

نستنتج من ذلك أن الإمام (عليه السلام) يطرح منهجاً توعوياً في هذه المرحلة، وإن كان الحديث لابنه الحسن (عليه السلام) إلا أنه وثيقة عهديّة للأجيال الإسلامية الآتية،

(١) الحسيني، هاشم معروف، سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، ص ٢٥٠.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١٢٣/٢١.

(٣) نهج البلاغة، ج ٣ الخطبة رقم: ٣١.

نستصرخ منها مؤسسات التبليغ والإعلام لتأخذ دورها الحقيقي بتفعيل هذه الوظيفة، لأنها وظيفة الأنبياء والصالحين.

ثانياً:

اليوم ونحن نعيش حياة التطور والتكنولوجيا التي دخلت إلى أغلب بيوت المسلمين وحيث حملات الفساد الأخلاقي المنظم التي تقودها بعض الدوائر المعروفة ومن يدور بفلكها علينا أن ندرك هزيمة الحسين (عليه السلام) وثورته من أجل الإصلاح وهو القائل (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله))^١، وذلك لأن الإصلاح ومحاربة الفساد يأخذ العديد من الأوجه ولا يتعلق بزمان أو مكان معين إلا أننا نؤكد على هذه المرحلة العصبية التي يواجه فيها شبابنا اليوم جملة من الأحداث المتداخلة التي تسهم بطريقة أو أخرى بصنع حالة من الالتباس لديهم في تحديد رؤيتهم للحياة والتعامل مع وقائع العصر التي غالباً ما تنحو إلى الشكليات وتبتعد عن الجوهر الإنساني سواء في القول أو الفكر أو السلوك أيضاً، ولذلك غالباً ما يتشتت فكر الشباب وهم يتعاملون مع أحداث العصر المتسارعة التي تقوم على أساس الربح والمنفعة بغض النظر عن النتائج الأخرى في الجانبين التربوي والأخلاقي.

لهذا فإن هذه الشريحة في الغالب بحاجة إلى الرعاية التربوية والتقويم الفكري والسلوكي الدائمين، لا سيما إذا اتفقنا على أنها الشريحة الأوسع والأكثر نشاطاً وطاقمة من بين شرائح الأمة، ولذلك فإن الخطر الذي تتعرض له ستعود نتائجه الضارة على شرائح المجتمع كافة، لهذا نرى أنهم الأكثر عرضة إلى التخريب الفكري من غيرهم، وعليه أخطر الأفات هي تلك

(١) الملحمة الحسينية/الشهيد مطهري؛ ج٢/ص ٢٣.

التي تُهدّد حياتهم وهم يمثلون ربيع العمر وربعان الصبا، قابلية الاستعداد للبناء والبذل والتغيير والتجديد، فإذا ما داهمتها آفة في الجسد أو الأخلاق أحالتها إلى حطام وخراب، فلا يرتجى منهم خير ونحن في أمس الحاجة إليه، فهل انتشار الآفات بين الشباب بهذا الشكل الفظيع، مؤامرة؟ نعم إننا لا نستبعد ذلك إذا ما قدر لنا ألا نتعامل ولا نعمل النهضة الحسينية في أجوائنا الفكرية والعقائدية والأخلاقية وغيرها ويتعلم الجميع وكل ذي بصيرة كما يتضح، ان الذي عمل عليه تجار المخدرات والجنس على إحراق زهرة عمر الشباب وسحقها تحت الأقدام بغية الكسب المادي والربح الوفير، وخطط له تجار السياسة على إغراق الشباب بالملاهي والملذات كي يصرفوهم عن الانشغال بالشؤون السياسية، والمطالبة بحقوقهم المشروعة، ويتبرع تجار الإعلام على جعلهم هدفاً لأغراضهم الخبيثة في العنف والجنس والانجرار إلى المتع المحرّمة، والاهتمام بغير المهم من خلال دوائر الانترنت ومواقع الاعلام المتنوعة، كل ذلك من اجل ابعاد الشباب عن الخط الرسالي الذي يخيفهم على طول الخط، ولهذا بات من المهم أن يبحث المعنيون لا سيما المفكرون والمصلحون وقادة الامة عن السبل الناجعة التي تحصّن الشباب من الانزلاق في مهاوي الرذيلة والانشغال بالمصالح الفردية التي لا تصب في خدمة الامة بل قد لا تصب في خدمة الفرد نفسه، ولعل هذا لا يتحقق إلا من خلال خطط عملية قائمة على الدقة والاقناع في آن واحد، كون الشباب كما هو معروف ينطوون على قناعات ربما تحتاج الى جهد واضح لتغييرها. ومن هنا تبرز لنا أهمية التثقيف على القيم الانسانية الراقية، وسنجد في قيم النهضة الحسينية الخالدة هدفاً لتحقيق ما نصبو إليه في هذا المجال بما تتضمنه من ممارسات أخلاقية روعة ما فيها الصدق الموضوعية والصراحة والشجاعة والإباء وغيرها.

ثالثاً:

وما هو معلوم أن الحسين (عليه السلام) من خلال هُضته المقدسة إنما قدم للشباب معطيات أخلاقية متدفقة من طباعه السمحة، على الرغم من المأساة التي عاشها في حينها إلا أنه تعامل مع الجميع حتى مع أعدائه بقوة إيمانه الراسخ الذي لم يتضعع وعزة نفسه التي لم تهون وإبائه وكبريائه ومشاعره الإنسانية التي لا تتداني قط.

فكانت تلك الروح الكبيرة التي غذيت بالفضائل النبوية والمكارم العلوية قمة العطاء الإنساني، فلما رأى سيد الشهداء (عليه السلام) ما بالقوم من عطش أمر أصحابه أن يسقوهم ويرشفوا خيولهم فسقوهم وخيولهم إلى آخرهم الف فارس وألف فرس في تلك الفيافي والرمضاء يسقيهم الحسين (عليه السلام)، حتى يرتوا.

من ذلك نفهم جيداً أن هُضة الحسين (عليه السلام) اقترنت بالعطاء فكانت عظيمة بعطائه وشموخه وأخلاقه التي هي أخلاق محمد وعلي وأما أخلاق القرآن والتي هي أيضاً أخلاق الأئمة المعصومين (عليه السلام).

ولا غرو فإن الحوادث مهما عظمت لا تقعد النفوس الكبيرة عن أداء مهمتها الرسالية في تثبيت دعائم الحق، فنحن عندما نتمثل بالحسين (عليه السلام) في صرخته المؤدية للإصلاح والتغيير بعيداً عن الخضوع الخنوع رافضاً كل التحديات والمغريات نجد أنفسنا كشباب مرحلة في واقعنا المعاصر امام هكذا قائد ورائد قد نكون مقصرين في إنتمائنا إليه لأنه هانت عليه الحياة في عز الإنتماء لرسالته الربانية، ولكن متى هانت عليه الحياة وحياته أشرف حياة وأقدسها، هانت عليه الحياة حينما عزت في عينيه قيم السماء وصغرت في عينه الدنيا عندما كبرت في عين غيره لذلك أستبسل في مواطن البأس متماسك في مزالق المنحة فما وهن لما أصابه في

سبيل الله ولا ضعف ولا أستهان فهو ومن معه كانوا في أعلى درجات العزم والتضحية من أجل صناعة هذه النهضة المباركة لتكون معطيها حاضرة أمام الشباب المسلم ليتزود منها عنفوان وقدرة وإمكانية في السير قدما إلى نحو العزة والكرامة وقوة الإرادة التي من شأنها أن لا تكون حصنا منيعا وسدا عصبياً على من يحاولوا التوغل إلى جسم الأمة المحمدية.

المبحث الثاني

البعد العقائدي في النهضة الحسينية

أولاً:

الملاحظ بأن القدر المتقين من حصيلة تلك الصفوة المختارة التي صنعت المواقف العملاقة من خلال نهضتها الحسينية المباركة أنها رسمت لنا معالم الطريق ابتداءً وإطلاقاً من محطات التوحيد مروراً على متكأ العدالة ومنتدى الإمامة والنبوة خصوصاً بما جسده النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) لقوله: (حسين مني وأنا من حسين) حيث أصبحت هذه العبارة لافتة رسالية وعقائدية محضة حرياً بشبابنا المتطلع أن لا يجعلها وراء ظهره حالماً يواجه الدعوات المزيفة والخطوط المنحرفة للنيل من عقيدة التوحيد السامية.

فالنهضة الحسينية بلغت في عقائديتها الذروة العليا لدى قائدها وإتباعه وأنصاره فهي لم تختلف وعياً في جميع ادوارها، فالشيخ الكبير الذي هو عضو أساسي في واقع النهضة الحسينية يحمل نفس الوعي العقائدي الذي يحمله الكهل والفتى بل الذي لم يبلغ الحلم فلو تصفحنا الوثائق الأولى لقائد النهضة وحتى آخر حياته (عليه السلام) فهو لم يقصد الثورة على الحكم تغيير الحاكم كيزيد بالذات كونه ابن معاوية وهو أموي فيشار إلى ثورته بالقبليّة والعصبية كما صورها البعض المناوئ لثورة الحسين (عليه السلام) ذلك ما يفقدها عقائديتها تماماً إلا أن الحسين (عليه السلام) علل ثورته بقوله (أيها الناس إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد، مخالفاً لسنة رسوله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله)¹،

(١) الثورة الحسينية، محمد مهدي شمس الدين، ص ٤٥.

فكانت النهضة المباركة بثوبها العقائدي اللامع وليس عليه غبار لو ألقينا نظرة واحدة على شباهما كسعيد ابن مرة التميمي الذي ألتحق بالحسين آخر لحظة وعمره ثمانية عشر سنة فوصل إلى كربلاء وقرأ السلام على الحسين اخذ ينادي السلام عليك يا بن رسول الله السلام عليك يا خليفة الله بعد نبيه السلام عليك يا حامل لواء الحق^(١)، ذلك ما يجسد الوعي العقائدي في الصف الشبائي الذي تترقبه الأمة في كل مساراتها الحياتية.

ومن المؤكد أن الرافد العطائي لنهضة الحسين مستمرا ودائما على مختلف العصور والأجيال فهو بمثابة المشعل الذي ينير الدرب للثائرين في سبيل رسالة الحق الخالدة هذا من جهة ومن جهة ثانية يزيح الستار عن الهياكل الوهمية المزيفة التي بنت دعائمها على عروش ومواقع هي اشبه بأعواد الكبريت سرعان ما تلهبها حرارة الثورة المستعرة في عمق التاريخ.

ومن المؤكد أن هذا العطاء الثابت للثورة لطالما غذى الغصون الإسلامية حتى نمت وترعرت، فهي كانت ولا تزال وستكون نبراسا لكل انسان ينشد الحرية على وجه الأرض بل هي الأمل المنشود للذين يدافعون عن حقهم للعيش بسلام وأمان فيما إذا تفاعل معها الوافدون الشبائيون بوعي وإخلاص بما يحقق استقامتهم على الصراط السوي.

بيد أن هذه الملحمة الحسينية أكثر ما تداخلت وتفاعلت معها الاتجاهات العاطفية لما فيها من المواقف المروعة والأخلاقية من الطرف المعادي فكانت المأساة بحق أبكت العيون وهبت المشاعر حزنا وتألما مما دعى المؤرخ الانكليزي الشهير جيبونر يقول: (أن مأساة الحسين المروعة، بالرغم من تقادم عهدها، وتباين موطنها، لا بد أن تثير العطف والحنان في نفس أقل

(١) محاضرات في النهضة الحسينية.

القرءاء إحساساً وأقسامهم قلباً^١ ونحن أذ نعتقد بعاطفية الواقعة وهضتها الفاعلة إلا أننا لا ينبغي لنا أن نجردها من أهدافها ومبرراتها الأساسية التي من أجلها يصدق عليها عنوان النهضة.

فمن اللافت للنظر أن النهضة الحسينية أعطت جميع شرائح المجتمع رؤيتها للسير في طريق العقيدة الراسخة في عالم الوجود لغرض بناء الأمة والمجتمع الصالح والابتعاد عن طريق الانحراف والفساد لقد ضرب لنا الشباب المؤمن الذين كانوا في عسكر الإمام الحسين (عليه السلام) أروع الأمثلة في الصبر والعزيمة والتوكل على الله في تحمل المسؤولية مهما بلغ حجمها وعظمتها بدافع عقائدي لا يشوبه الشك قيد أمثلة فكانوا مصداقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّنَاهُمْ هُدًى﴾^٢ فعلي الأكبر لم يكن وقوفه إلى جانب النهضة الحسينية بسبب ارتباطه بأبيه (عليه السلام) فقط ولكن السبب الرئيسي هو اعتقاده الجازم بصدق القضية التي خرج من أجلها الإمام الحسين (عليه السلام) وشعوره بالمسؤولية الملقاة على عاتقه كشاب مسلم مؤمن وهو يرى الفساد والانحراف العقائدي والأخلاقي ينخر جسد الأمة ويمزق أوصالها، وهكذا كان القاسم ابن الحسن وبقية شباب بني هاشم وغيرهم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل، وصل إلى الشاب التركي والغلام الزنجي، كوفهم ينتمون إلى هذه الأمة ويؤدون واجبهم على أمم وجه فكانت صور من التفاني دفاعاً عن رسالة السماء المقدسة وهم بكامل الوعي بأن الذين اعتدوا على الإمام (عليه السلام) لم يستهدفوا قتل الامام بقدر ما كانوا يستهدفون قتل العقيدة التي تجسدت في قلب الامام (عليه السلام) ذلك ما يدعوننا إلى التعامل الجدي في هذا الموقف المثالي.

(١) راجع، تاريخ العرب، السيد مير علي، ترجمة رياض رأفت: ٧٤، طبع مصر، ١٩٣٨ م.

(٢) الكهف: ١٣.

ثانياً:

ومن الأهمية بمكان أن حركة النهضة قد أثبتت قدرتها في استيعاب الشباب العقائدي على مختلف الأصعدة فاستقبلتها الناشئة في البيوت والطرق وتدارستها الطلبة في الجامعات والمدارس وتذاكرها قطاعات علمية وثقافية في ندواتها ومنتدياتها وأحيتها جموع البشرية عامة في مساجدها وبيوتها ومؤسساتها كل ذلك وفاء للدين وحسن الأداء لحماية العقيدة المقدسة التي دافع عنها الحسين (عليه السلام) فهي تضحيات جسيمة تفوق التصور.

ومعلوم أن سيد النهضة وقائدها قد حقق سمو الغاية في فهمته في رفض البيعة للطاغية يزيد فأعلن قولته الخالدة عندما دعاه والي المدينة الوليد بن عتبة الى البيعة فقال (عليه السلام) (أنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يحتّم، ويزيد شارب الخمر وقاتل النفس المحرمة ملعن الفسق ومثلي لا يبايع مثله)^(١).

لقد بين الامام الحسين (عليه السلام) أنه الامتداد الطبيعي لمنهج الرسالة المحمدية وهو الامام الشرعي الذي اختاره الله بعد أبيه وأخيه فهم الثقل الاصغر وهم حماة الدين ورعاته وأهله أذن لا يمكن له بأي حال من الاحوال أن يبايع شخصاً مثل يزيد فلو انه بايع - وحاشاه من ذلك- لما كانت هناك شريعة وما كان هناك اسلام وهذا ما تجلّى في قوله (عليه السلام): (إذا ابتلى الناس براع مثل يزيد فعلى الإسلام السلام)^(٢).

ومن الأجدر علينا ان نرسخ الصورة العقائدية في اذهان الشباب والاجيال الآتية اكثر واكثر نستطيع الوقوف على بيانه الصريح في وصيته المعروفة: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي الى اخيه محمد بن الحنفية أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده

(١) مقتل الحسين (عليه السلام)، عبد الرزاق المرقم، ص ٤٦.

(٢) مقتل الحسين، عبد الرزاق المرقم، ص ٢٠١.

لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عنده وأن الجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (صلى الله عليه وآله) أريد ان أمر بالمعروف وأهمل عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب (عليه السلام) فمن قبلني بقبول الحق فالله اولى بالحق ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين^١، من هنا تقدر الضرورة القصوى بما يقتضيه واقع الأمر بأن الأمة ملزمة بمفردات ذلك البيان الصريح الذي جسد فيه الأمام (عليه السلام) حقيقة الاعتقاد ونقائه وصفائه ولكن بما نسمعه ونشاهده من علماء وامراء التطرف والغلو إنما هو مخالف للشريعة السمحاء ولجميع كتب السماء ذلك ما يدعوننا إلى مزيد من التوعية والارشاد لشبابنا اليافع خشية الوقوع في مصائد هذه الشرذمة كما هيب بفخر واعتزاز لشبابنا الذي يدافع عن عقيدته الحقّة في ميادين الجهاد وهم يلبون نداء قائد النهضة الحسينية (عليه السلام) يوم أطلقها في ساحة كربلاء إلا من ناصر ينصرني...

(١) السجستاني : أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود ج ١ ص ٣٥٨.



المبحث الثالث

البعد السياسي والجهادي في النهضة الحسينية

أولاً:

مما لا شكَّ فيه أنَّ الإسلام إنَّما جاء لبيبي أُمَّة، ويؤسِّس دولة ويوجد حاضرة، فهل من المنطق السليم ما يدَّعيه أعداؤه والخارجون عليه من أبنائه بقولهم: إنَّ الإسلام ليس فيه نظام سياسي، وإنَّه ما هو إلاَّ علاقةٌ روحيةٌ صرفة بين العبد وبين ربِّه، ولا علاقة له بشؤون الحكم وإدارة حياة الإنسان العامَّة؟

هذه الدعوى إنَّما أوجدها أعداء الإسلام، وصفَّق لها المتأثِّرون بالفكر المادِّي من أبناء الأُمَّة الإسلاميَّة؛ وذلك لإبعاد النظام الإسلامي عن الحياة؛ لكي لا يكون لوجوده أيُّ أثر أو قوَّة في حياة المسلمين، فيمنعهم عن تحقيق ما يصبون إليه من السيطرة على الأُمَّة.

وإلاَّ فكيف يكون الأمر كما يدَّعون، والإسلام هو الدين الكامل الذي لا يدع جانباً من جوانب حياة الإنسان - الخاصَّة والعامَّة - إلاَّ وضع لها الأحكام التي تُنظِّم شؤون الإنسان، بما في ذلك نظام الحرب والدفاع والعلاقات العامَّة في الداخل والخارج، ممَّا يدلُّ على طبيعة التصميم التشريعي للإسلام كدولة وهذا هو المنجز الآخر المكمل لما قبله والذي صنَّعته الملحمة الحسينية وأن كان على مستوى النظرية آنذاك إلاَّ أنه حظي بالمصادقية والموضوعية في مواقع متعددة ولم نجد هناك أيُّ فراغ تشريعيٍّ من البناء الكامل للدولة.

فالإسلام - إذاً - يمتلك النظام السياسي الذي هو الحلُّ الحاسم لكافة مشاكل الإنسان؛ لأنَّه تنظيم الخالق لشؤون وحياة المخلوق؛ لأنَّ الخالق تعالى هو الذي يعلم إيجابيات الإنسان وسلبياته ونقاط القوَّة والضعف في وجوده لذا من الطبيعي ان ينظر شبابنا إلى مسؤوليته من خلال انتمائه للنهضة الحسينية التي لم تغفل إلى جانب التكامل في النظام الإسلامي إنما

تعامل مع منظومة متماسكة في جميع معطياتها وسعة مفرداتها لغرض أنعاش الأمة في حريتها وسيادتها وثروتها وكرامتها وغيرها.

ومن الجدير ذكره ان أمر الحسين (عليه السلام) وهضته كان يشغل بال الخليفة الجديد ومستشاريه من بني أمية أكثر من أي شخص آخر ذلك ما دعى إليه معاوية قبل أن يموت بأخذ ولاية العهد لأبنة يزيد وكان جواب الإمام له (وهيهات هيهات يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجى، وهمرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى محلت، وجزت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حق من اسم حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل، وفهمت ما ذكرته عن يزيد، من اكتماله وسياسته لأمة محمد (صلى الله عليه وآله)، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ فيه، من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبق لأتراهنّ، والقيان ذوات المعازف، وضرب الملاهي، تجده باصراً. ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه.

فو الله ما برحت تقدح باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم، حتى ملأت الأسقية. ما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص^(١).

فلما مات معاوية وتولى يزيد الأمر، كان أول ما فكر فيه أن يأخذ البيعة من الحسين (عليه السلام)، فكتب في ذلك إلى عامله على المدينة الوليد بن عتبة، فامتنع الحسين (عليه السلام) امتناعاً شديداً في قصة طويلة حيث قال فيه الحسين (عليه السلام)، إنا أهل بيت

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري، ص ١٨٦، ط مصر - ١٩٦٩م.

النبوة، ومعدن الرسالة، ومُختلف الملائكة ومحلّ الرحمة، بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، مُعلن بالفسق، ومثلي لا يُباع مثله^(١).

فكان الحسين (عليه السلام) يعلم أن يزيد يريد القضاء عليه كونه العقبة الوحيدة أمام طموحه الجامح للسيطرة على الأمة بكل مؤسساتها ولهذا أخذ يعد العدة وينادي بالنصرة ليس لشخصه بل لرسالة السماء وفي سبيل ذلك في بعض بياناته بأن الاستشهاد في هذه النهضة إنما يكون فتحاً لأمة محمد (صلى الله عليه وآله) في مستقبلها.

فكان (عليه السلام) يريد الفتح الذي تدخل فيه الأمة بشبابها في ساحات الصراع من اجل الكرامة وحماية الرسالة المحمدية وذلك عندما خاطب إخوته بوصيته المعروفة (أما بعد فمن لحق بي فقد استشهد ومن لم يلحق فما بلغ مبلغ الفتح)^(٢). فكان قصده من الفتح بعد الشهادة هو التأمل والتدبر بوعي وإدراك في حركته ونهضته ذلك ما ينبغي لمواكب الشباب المتحركة على مدار الزمن أن تعلم بأن الفتح هو الإنتماء لهذا الخط الذي واجه الظالمين بفكره وعقله وجسده.

ومعلوم ان الفهم الشبابي للفتح الحسيني إنما أحدث تغيرات كبيرة على واقع الارض وعلى مدى الزمن بل واسقطت فيه انظمة وازيحت عروش وحكام التسلط والاستبداد فكانت البداية من ثورة التوابين بعد واقعة الثورة بعد أن أنبتهم ضمائرهم إلى الدخول بذلك الفتح ثم انطلقت ثورة المختار التي ما برح قائدها ومقاتلوها إلا ان ينتفضوا على قتلة الامام الحسين (عليه السلام) تحت شعار يا لثارات الحسين ومثلها ثورة زيد وانتفاضة ولده محمد وفي القرن العشرين اثبتت الامة الحسينية قدرتها واستعدادها أن تلي صوت الحسين بعد أن هب شبابها إلى

(١) الفتوح، لابن أعمش: ١٠ / ٥. وتاريخ الطبري: ٧ / ٣١٦.

(٢) روضة الكافي، محمد بن يعقوب الكليني.

مواجهه أكبر مؤسسة عسكرية غربية في الشرق الوسط تحت وصاية الغرب وبنفس الشعار يا لثارات الحسين حتى استبدلت ذلك النظام بنظام اسلامي كما هو الحال في ايران وكم ارادت قوى الغرب أن تغيره لكنها أضحت كناطح صخرة حتى عجزت إلى يومنا هذا بفضل الشباب الذين ربتهم النهضة الحسينية ولا ننسى الإنتفاضة الشعبانية عندما هب الحسينيون بتحطيم تلك المؤسسة الصنمية المعروفة في العراق حتى أرعبتها واسقطت مؤسساتها كما هو معلوم ثم لا يفوتنا مواجهة الحسينيون مع الأمريكان في مختلف المواقع وخير شاهد في واقعنا الحاضر حيث يستبسل شبابنا المجاهدون النصر تلو النصر على حثالة التاريخ وشذاذ الافاق ولتي جاءت بهم امريكا والصهيونية العالمية لرعب الشعوب التي جاهدت وحاربت من أجل حريتها وسيادتها.

ثانيا:

من المؤكد لدينا ان تلك الهمة والعزيمة التي بادر اليها شبابنا الولائي بفضل النهضة الحسينية إنما علموا ان عناصر تلك النهضة لم تضحي من أجل شخص أو مال أو منصب او موقع انما كانت التضحية والدفاع المقدس عن الدين القويم مثلما ترجمه الحسين (عليه السلام) كما قيل عنه (ان كان دين محمد لم يستقم فيا سيوف خذيني) فكان من مبادئ النهضة ليجاد حركة قوية وسط العالم الإسلامي، همّ ضمائر المسلمين همّة عنيقة، وتبعث في نفوسهم الحياة والإحساس بالمسؤولية، وتكسر عنهم طوق الخوف والرعب الذي كان يملأ نفوسهم آنذاك، وتُعيد إليهم ثقتهم بالله، ثم بأنفسهم.

لقد كان لأبد من تضحية عزيزة نادرة، تهزّ ضمائر المسلمين من الأعماق، وتُعيد إليهم شخصيتهم وإرادتهم التي انتزعها النظام الأموي منهم، وتُشعرهم بعمق المأساة وعمق المسؤولية.

وإنّ للدم والتضحية والفداء من الأثر في تحريك النفوس، وكسر حاجز الخوف، وإعادة الثقة إلى النفوس، والتحسس بالمسؤولية، ما ليس لغيره من عوامل التحريك.

فإقدام الإمام على الخروج والثورة على النظام الأموي، والمواجهة والمجاهمة، لم يكن فقط لغرض رفض البيعة، وإعلان هذا الرفض، وإنّما كان أيضاً لتحريك المسلمين، وتحسيسهم بالمسؤولية، وإعلان الموقف الشرعي، ودعوة المسلمين إلى المواجهة والمُجاهمة والمعارضة، والتمرد على النظام والسلطة الأموية. والإنكار بالعمل والتضحية والقوة، من أهمّ شعب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُنْكِرْهُ بِيَدِهِ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، فَحَسْبُهُ أَنْ يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَذَلِكَ كَارِهِ) (١)، وروى عن عليّ (عليه السلام) أنّه قال في صفين: بَها المؤمنون، إنّه مَنْ رَأَى عِدْوَانًا يُعْمَلُ بِهِ، وَمُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ، فَانْكِرْهُ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِيَ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ، فَقَدْ أُجِرَ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسِّيفِ، لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ السُّفْلَى، فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى) (٢).

وكان الإمام الحسين (عليه السلام) يعرف جيداً ولم يكن يأمل أن يجد في العراق جيشاً قوياً، يدعمه في موقفه ضدّ سلطان بني أمية، ويتبنّى دعوته لإسقاط النظام، ويقف إلى جانبه

(١) بحار الأنوار، ملا محمد باقر المجلسي، ج ٤٧/٨٩.

(٢) نفس المصدر.

ويثبت، وكان يعلم جيداً أنّ هؤلاء الناس الذين تجمّعوا لدعوته وبيعته وكتبوا إليه، سرعان ما ينقشعون أمام قوّة الشام والحكومة المركزيّة، ولا يبقى معه غير قلة قليلة من مناصريه.

بيد ان النهضة الحسينية لم تنقطع يوم عاشوراء وأن واعية الحسين (عليه السلام) حيث أنّها واعية رسالية وليست واعية شيخ عشيرة أو قبيلة؛ فواعيته الرسالية لا تنقطع مادامت الأخطار تكتنف هذه الرسالة وقد قال الإمام الحسين (عليه السلام): ((ما سمع واعيتنا شخص ولم ينصرنا إلا أكبه الله على وجهه يوم القيامة))^(١)، ذلك ما يدل على ان اي ظلامه أو تجاوز على قيم الرسالة أو رموزها الافذاذ أو الانحراف عن طريقها يعد ذلك خرقاً عقائدياً حري بالأمة وشبابها ان تقف حائلاً دون ذلك كونه يعد واعية ونكسة كبيرة تحتاج الى النصر من الجميع.

إن الإمام الحسين (عليه السلام) حينما ثار وحينما بدأ يبذل بدمه في سبيل الإسلام كان يواجه بدايةً خط من الانحراف؛ هذا الخط نحن الآن نعيش قيمته؛ نعيش كل تصورات فواعية الإسلام اليوم أوسع وأكبر.

وبذلك يأتي دور بناء الشباب ليكون واعياً تجاه قضيته في سبيل ان يساهم في إنقاذ الإسلام؛ في إنقاذ المسلمين في إعادة الإسلام إلى الحياة.

إن كل شاب قادر على أن يساهم في هذه العملية بقليل أو كثير في حدود قابلياته أو امكانيات لا يكون ذلك إلا بعد بناء شباب تعي النهضة الحسينية ومترتبة على أساسها وبذلك ننشأ جيل من الشباب المنصهر مع مبادئ عاشوراء؛ ولا يمكن ان يوجد هذا الشكل فجأة. اذن لا بد لكل شاب ان يساهم بقدر إمكانه وظروفه الفكرية والعلمية والاجتماعية في هذا المنهج الحسيني.

نظوي ثورة الحسين (عليه السلام) على معان سامية وقيم رفيعة تتجلى ارقى صورها في ان ابطالها وحاملها لوائها اغلبهم من الشباب الذين سلكوا طريق ترسيخ الدين الاسلامي وتعزيز مبادئه واصوله.

(١) الفتوح؛ ج ٥/ص ٧٤.

فلم تكن ثورة الحسين (عليه السلام) ثورة ضد الظلم فقط ،فاذا ما تمعنا فيها بعمق ،
لوجدناها ثورة للبناء وانشاء مجتمع اسلامي وجيل من الشباب هدفه إقامة حكومة اسلامية
تهددي بخطى اهل البيت (عليه السلام) كون الحسين (عليه السلام) يمثل رمزا للوحدة
الإسلامية باتفاق جميع المسلمين والمنصفين .

الخاتمة:

وبعد رحلة البحث مع النهضة الحسينية وتأثيرها في اصلاح المجتمع لابد ان نسجل بعض النتائج التي توصل اليها البحث ومنها:

١- يأتي الحديث عن ثورة الحسين ع اليوم ونحن نعيش حياة التطور والتكنولوجيا التي دخلت إلى أغلب بيوت المسلمين وحيث حملات الفساد الأخلاقي المنظم التي تقودها بعض الدوائر المعروفة ومن يدور بفلكها علينا أن ندرك فحضة الحسين (عليه السلام) وثورته من أجل الإصلاح وهو القائل: (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله))^(١)، وذلك لأن الإصلاح ومحاربة الفساد يأخذ العديد من الأوجه ولا يتعلق بزمان أو مكان معين إلا أننا نؤكد على هذه المرحلة العصبية.

٢- اظهر البحث أن النهضة الحسينية أخذت جميع شرائح المجتمع وسيلتها للسير في طريق العقيدة الراسخة في عالم الوجود لغرض بناء الأمة والمجتمع الصالح والابتعاد عن طريق الانحراف والفساد لقد ضرب لنا الشباب المؤمن الذين كانوا في عسكر الإمام الحسين (عليه السلام) أروع الأمثلة في الصبر والعزيمة والتوكل على الله في تحمل المسؤولية مهما بلغ حجمها وعظمتها بدافع عقائدي لا يشوبه الشك قيد أنملة فكانوا مصداقاً لقوله

(١) الملحمة الحسينية، الشهيد مطهري؛ ج٢/ص ٢٣.

تعالى ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(١). فعلي الأكبر لم يكن وقوفه إلى جانب النهضة الحسينية بسبب ارتباطه بأبيه (عليه السلام) فقط ولكن السبب الرئيسي هو إعتقاده الجازم بصدق القضية التي خرج من أجلها الإمام الحسين (عليه السلام) وشعوره بالمسؤولية الملقاة على عاتقه كشاب مسلم مؤمن وهو يرى الفساد والانحراف العقائدي والأخلاقي ينخر جسد الأمة ويمزق أوصالها.

٣- من المؤكد لدينا ان تلك الهمة والعزيمة التي بادر اليها شبابنا الولائي بفضل النهضة الحسينية إنما علموا ان عناصر تلك النهضة لم تضح من أجل شخص او مال او منصب او موقع في أي من اماكن الدنيا انما كانت التضحية والدفاع المقدس عن الدين القويم مثلما ترجمه الحسين (عليه السلام) كما قيل عنه: (ان كان دين محمد لم يستقم فيا سيوف خذيبي) فكان من مبادئ النهضة إيجاد حركة قوية وسط العالم الإسلامي، تهزّ ضمائر المسلمين هزة عنيفة، وتبعث في نفوسهم الحياة والإحساس بالمسؤولية.

مصادر الدراسة:

خير ما نبتدأ به القرآن الكريم

- ١- الإمامة والسياسة لإبن قتيبة الدينوري، ط مصر ، ١٩٦٩م
- ٢- بحار الأنوار العلامة محمد باقر المجلسي ، بيروت ، ط ٢، ١٩٨٣م.
- ٣- تاريخ الطبري محمد بن جرير الطبري أبو جعفر الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٧

(١) الكهف: ١٣.

- ٤- تاريخ العرب، السيد مير علي، ترجمة رياض رأفت: ٧٤، طبع مصر، ١٩٣٨م.
- ٥- الثورة الحسينية، محمد مهدي شمس الدين ، بيروت - لبنان، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر.
- ٦- الحركة الإسلامية، هموم وقضايا ، السيد محمد حسين فضل الله الناشر: دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة ٢٠٠١ -
- ٧- روضة الكافي، محمد بن يعقوب الكليني ، تحقيق محمد جواد الفقيه، تحقيق: الدكتور يوسف البقاعي، دار الاضواء، بيروت لبنان، ١٩٩٢م.
- ٨- سنن أبي داود ، لابي داود سليمان بن الاشعث ، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية.
- ٩- سيرة المصطفى ، هاشم معروف الحسني ، مؤسسة الاعلمي للطباعة والنشر ، بيروت لبنان.
- ١٠- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد عبد الحميد بن محمد (ت ٦٥٦هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الساقية للعلوم، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ١١- الفتوح لابن ابي اعثم الكوفي (٣٤١هـ) تحقيق : علي شيري دار الأضواء، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- ١٢- مقتل الحسين، عبد الرزاق المقرم، دار الشريف الرضي للطباعة، قم، ٢٠١٢م.
- ١٣- الملحمة الحسينية، تأليف: الشهيد الشيخ مرتضى مطهري تعريب: السيد محمد صادق الحسيني الناشر: الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٩٩٢.

**الدروس التربوية من زيارة أربعينية الإمام الحسين
(عليه السلام)**

الدكتور حيدر محسن الشويبيّ

جامعة ذي قار – كلية التربية للعلوم الصرفة

ملخص البحث

إن لكل مجتمع إنساني في أي زمان أو مكان بناءه الاجتماعي وثقافته التي يتميز بها عن غيره من المجتمعات، وله تركيبه السياسي والاقتصادي، وله عقيدته وتراثه وقيمه، التي ينشأ حولها فكره وتفكيره وله عاداته وتقاليده ومُثله العليا التي تنبثق منها توجهاته الفكرية وانتماءاته العقائدية لذلك نجد أن التربية حينما تصوغ أهدافها ومبادئها فإنها تسعى جاهدة لأن تكون هذه الأصول متلائمة مع عقيدة المجتمع وفكره والقيم التي يؤمن بها فتعمل على تربية الإنسان في إطاره الاجتماعي بواسطة الأهداف والغايات التي تحددها الفلسفة العامة للمجتمع والمبادئ الأساسية التي تؤمن بها الأمة والمعتقدات التي يعتنقها أفرادها إذ بدونها تفقد أهداف التربية المصدر الأساسي لها.

وتلعب التربية دوراً مهماً في حياة الفرد والمجتمع ويبدو ذلك في انتقاء الأفراد الصالحين لبعض المهن، مثل رجال السياسة والدين وهي موجهة وضابطة للسلوك الإنساني، كما تلعب دوراً مهماً في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي، وفي عمليات العلاج النفسي، وتساعد في إعطاء المجتمع وحدته.

وقد جاء الاهتمام بها وغرسها في قلوب الناشئة لبناء مجتمع فاضل تسوده القيم النبيلة، وتشيع بين أفرادها روح المحبة والتعاون والإخاء.

فضلاً عن ذلك فإن المتغيرات التي تشكل العالم المعاصر في خمسة متغيرات رئيسة وهي : معرفية ومعلوماتية واقتصادية وسياسية وثقافية، ويتضمن كل تغير منها جديلاً علمياً وأيديولوجياً، بل ويؤثر كل منها في الآخر، لتشكل في النهاية البيئة المحيطة بالنظام التعليمي، وتفرض هذه المتغيرات آثاراً ومضامين عميقة وعديدة ذات صلة بالنظام التعليمي ومكوناته وعناصره، ومن أبرز هذه الآثار: البحث والتطوير، والمعلوماتية، والتنافسية الاقتصادية، والديمقراطية والمواطنة، والمعيارية والتعددية الثقافية، وهي آثار

وتحديات تمس التربية والمجتمع، وهذه المتغيرات تستلزم سرعة التحرك في التعامل معها، وتوجيهها.

وتعد زيارة الأربعين أحد العوامل المهمة في بناء المجتمع ونشر التماسك الاجتماعي بين المواطنين، فهي ممارسة إنسانية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بكل معاني الخير والعمل الصالح عند كل الناس.

وتعد زيارة الأربعين من الشعائر التي اعتاد الناس على احيائها، طالما ان لكل أمة الحق في احياء تراثها، وتعد الزيارة من ضمن ما تقوم به الأمة في عملية نقل التراث الاسلامي من جيل إلى جيل آخر. فالأمة كلما ازدادت في التقدم والرقى، ازداد عطاء وانغماس أفرادها. كما أصبح احيائها جزءاً مهماً في حياة الناس.

وقد اختير موضوع البحث تحسّساً بأهميته التي تخدم المجتمع، ويأتي ذلك لتقدم ما يمكن أن يسهم في تفعيل وتطوير المجتمع وتوسيعه ليشمل أكثر من منحى مما يخدم مسيرة الأمة الاسلامية.

الفصل الأول

التعريف بالبحث

أولاً : مشكلة البحث :

إنّ التربية عملية تنمية، وتوجيه للسلوك الانساني، وقدراته في اتجاه مرغوب فيه، وهي عملية سلوكية انسانية، واجتماعية، وحضارية، يكتسبها الانسان، نتيجة لتفاعله المباشر مع البيئة الطبيعية والاجتماعية بإمكاناتها المادية والمعنوية، ويعد الشباب طاقة متجددة، فهم أدوات الحاضر وأهم طاقاته وقدراته. والشباب هم العنصر الرئيس في بناء المستقبل، وعلى عاتقهم ستواجه التحديات المستقبلية، وعليهم يتوقف نجاح المجتمعات وتطورها في حسن استثمار وتوظيف طاقاتهم وقدراتهم بعددهم رأس مال بشري للمساهمة في نهضة المجتمع وتقدمه، فالشباب هم الطاقة الحقيقية التي ينفق في إعدادها الكثير، وتعد عليها الآمال في دفع مسيرة التنمية الشاملة، ممثلين طليعة التغيير.

اذ ان زيارة الاربعة تعد من الشعائر التي اعتاد الناس على احيائها، طالما ان لكل أمة الحق في احياء تراثها، وتعد الزيارة من ضمن ما تقوم به الأمة في عملية نقل التراث الاسلامي من جيل إلى جيل آخر.

فالأمة كلما ازدادت في التقدم والرفي، ازداد عطاء وانغماس أفرادها. كما أصبح احيائها جزءاً مهماً في حياة الناس.

ومن هنا، وبناء على ما سبق جاء البحث الحالي لتسليط الضوء وبما ينسجم وأهدافه، لمعرفة دور زيارة الاربعة وأهميتها في تنمية القيم التربوية عند الناس.

ثانياً : أهمية البحث :

ان المجتمعات بحاجة الى منظومة قيم، تستند إليها، عندما تقوم بالتفاعل الايجابي، بعضها مع بعض ويستلزم هذا التشابه في كل مجتمع، إذ تستطيع هذه القيم أن تكفل قيم المجتمع وأهدافه، ويعتمد ذلك على مدى قبول المجتمعات لمثل هذه القيم أو رفضها إذ ان قبولهم يؤدي فيما بعد الى وحدة بناء المجتمع أو تماسكه.

وتأتي أهمية هذه الدراسة لأن موضوعها (زيارة الاربعة)، عبر تاريخ الإنسان بدافع التخفيف عن المآسي عن الناس، ويأتي اختيار هذا الموضوع ضمن هذا التوجه لأهميته، الذي يتوجه لترصين وتفعيل توجه الشباب للمشاركة في بناء المجتمع العراقي.

فلاهتمام بفئة الشباب في المجتمع، والانشغال، بقضايا الشباب يعبر عن الاهتمام بمستقبل المجتمع الإنساني ككل، كما أن مرحلة الشباب لا تقل خطورة وتأثيراً في التنشئة الاجتماعية الكلية للإنسان عن مرحلة الطفولة المبكرة، وتعد مرحلة الشباب أكثر مراحل العمر تأثيراً بالتغيرات السريعة التي تطرح اختيارات عديدة فيما يتعلق بالالتزام بالحاضر والمستقبل^(١).

ومن الجدير بالذكر انه منذ ان التقى الامام زين العابدين في كربلاء بالصحابي جابر بن عبد الله الانصاري اصبحت كربلاء قبلة للزوار في يوم العشرين من صفر - اربعين الامام الحسين - يؤمها الملايين من المسلمين من الكثير من البلدان العربية والاسلامية - اضافة الى العراق.

واصبح الزوار يتزايدون سنة بعد اخرى وتشير الاحصائيات الى ان عدد الزوار يوم الاربعة سنة ١٩٦٨ بلغ اكثر من نصف مليون زائر، وارتفع عددهم في بداية السبعينات الى حوالي مليون زائر حتى بدأت سلطات نظام البعث البائد بمحاولات

(١) محمد، ١٩٨٥، ص٥.

عقيمة لمنع الزوار من اداء زيارة الاربعين خوفاً من النعمة وتحسباً من الثورة ضد الظلم والطغيان، وقد ذهب في سبيل ذلك آلاف المؤمنين بين شهيد ومسجون ومعذب على ايدي أذلام نظام الدكتاتور صدام، ولكن بعد رياح التغيير التي هبت على العراق ونهاية الدكتاتورية الصدامية انفسح المجال للمسلمين لزيارة الامام الحسين (عليه السلام) حتى وصلت اعداد الزائرين (في زيارة الاربعين) خلال السنوات التي اعقبت (٢٠٠٣) لأكثر من خمسة ملايين زائر، بينما بعض وسائل الاعلام قدرت اعداد الزائرين بـ (ثمانية ملايين) زائر، جاء اغلبهم من مدن العراق المختلفة وكذلك من الدول العربية والاسلامية وخاصة من ايران والهند وباكستان والبحرين والكويت والسعودية.

وخلال اقامة الشعائر الحسينية في يوم الاربعين في كربلاء يصل عدد المواكب الحسينية الى الفي موكب احيانا، يتوزعون بين مقرات المواكب والحسينيات والمساجد، وكذلك الفنادق والمقاهي والمطاعم بحيث تضطر الالوف من الزائرين الى قضاء ليلة زيارة الاربعين في الصحنين الشريفين للحسين والعباس، اضافة الى الشوارع والأزقة.

كما تضطر بعض المواكب الوافدة الى كربلاء الى ان تنصب خياماً خارج المدينة او في اطرافها وتنظيم امورها لتقديم المنام والمأكل والمشرب لأفرادها وضيوفها من الزائرين.

وخلال اقامة مواكب العزاء في كربلاء يتبادل افراد المواكب الزيارات فيما بينهم للتعارف وتقديم الخدمات لبعضهم البعض والاستماع للخطب والقصائد التي تقام بهذه المناسبة والتي تعبر عن اعتزازهم بتضحيات الامام الحسين واخيه العباس من اجل الاسلام وحبهم وتفانيهم في خدمة الزائرين.

وتأتي هذه الدراسة في وقت حاولت فيه أن تشرى الدراسات المناظرة بصيغة أو أخرى، وتقدم نتائج يمكن مقارنتها مع نتائج تلك الدراسات.

وجاءت أيضاً إيماناً بزيارة الأربعين الذي تمثل إحدى أهم المظاهر المهمة، منطلقة من حب الناس للمساعدة والتكافل والتعاون مع غيرهم بدافع إنساني وبدون مردود مادي شخصي.

وبناء على ما تقدم فقد تناول الباحث في هذا البحث موضوعاً يعتقد بأهميته القصوى في ظل التأثيرات المتنامية مما دفع بالباحث للقيام بهذا البحث، وتكمن أهمية البحث الحالي في النقاط التالية:

١. أنه تناول أهمية زيارة الأربعين لدى الشباب، لما لهذه المرحلة الحساسة من دور محوري في صياغة مستقبل المجتمع وقيمه، وإعدادهم للحياة بأبعادها المختلفة.
٢. أن هذا البحث يحاول أن يبرز أهمية الموضوع من حيث انعكاساته على قيم الشباب الناشئ في ظل المستجدات المتسارعة من حولهم : العالم الجديد، العولمة والغزو الثقافي، لذا أتى هذا البحث ليبرز موضوع العمل التطوعي وآثاره التربوية وتأثيره في المجتمع.
٣. يسعى البحث الحالي للوصول إلى مقترحات وتوصيات، لكي يتمكن الشباب من مواكبة المستجدات الحادثة، والحفاظ على هويته الحقيقية في ذات الوقت.
٤. في ضوء ما سبق فإنه من المؤمل بأن يشكل هذا البحث خطوة على طريق تقدم المجتمع العراقي ويستفيد منها كل مطلع مهتم بشؤون المجتمع.

تعريف القيم التربوية :

١. عرّفها (طهطاوي ١٩٩٦) أنها: " مجموعة المبادئ والقواعد والمثل العليا التي يؤمن بها الناس، ويتفقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزاناً به يزنون أعمالهم، ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية والمعنوية"^(١).
٢. عرفها (مسعود ١٩٩٨) أنها: "المفاهيم والمعاني التي يولد الانسان عليها ولادة ربانية"^(١).

(١) طهطاوي، ١٩٩٦، ص٤٦.

ويعرفها الباحث :

هي صفات إنسانية إيجابية راقية مضبوطة بضوابط الشريعة الإسلامية تؤدي بالمتعلم إلى السلوكيات الإيجابية في المواقف المختلفة التي يتفاعل فيها مع دينه ومجتمعه وأسرته في ضوء معيار ترتضيه الجماعة لتنشئة أبنائها وهو الدين والعرف وأهداف المجتمع ، وتصبح هذه القيم تربوية كلما أدت إلى النمو السوي لسلوك المتعلم ، وكلما اكتسب بفضل غرسها في ذاته مزيداً من القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ ، وبين الخير والشر ، وبين القبيح والجميل... الخ.

الفصل الثاني

خلفية نظرية

شذرات من زيارة الأربعين

منذ ان التقى الامام زين العابدين في كربلاء بالصحابي جابر بن عبد الله الانصاري اصبحت كربلاء قبلة للزوار في يوم العشرين من صفر - اربعين الامام الحسين (عليه السلام) - يؤمها الملايين من المسلمين من الكثير من البلدان العربية والاسلامية - اضافة الى العراق.

وليوم الأربعين اهمية من قبل اهل الفقيده حيث يقومون بإسداء البر اليه وعَدَ مزاياه في عَقْد مجلس تَأْيِينِي يدُون تخليداً لذكره.

والاعتناء بهذه المناسبة عادة عربية - اسلامية ترتبط بأهمية العدد (أربعين) وقديسيته. ولم تقتصر هذه المناسبة على الاسلام، فهي عادة قديمة كانت تقام في الديانات الاخرى كالنصرانية واليهودية والحضارات القديمة كالسومرية والبابلية. فالحداد على الميت اربعين يوماً طريقة مألوفة وعادة متوارثة بين الناس وفي اليوم الاربعين من وفاته يقام على قبره تابين يحضره اقاربه وخاصته واصدقاؤه.

وقد اعتنى الاسلام بهذه العادة فقد رويت احاديث شريفة في قدسية العدد اربعين منها ما ذكره ابن شهر آشوب في مناقب آل ابي طالب في شهادة علي (عليه السلام) عن ابي ذر الغفاري عن رسول الله (ص): ان الارض لتبكي على المؤمن اربعين صباحاً^(١).

(١) البحار ج ٢ ص ٦٧٩ ومجموعة الشيخ ورام ج ٢ ص ٢٧٦.

الشعائر في اربعين الامام الحسين(عليه السلام)

تأتي خصوصية اقامة الشعائر الحسينية في يوم اربعين الامام الحسين (عليه السلام) المصادف في العشرين من صفر لأنها تشكل احياءاً لنهضة الامام الحسين الاصلاحية وتعاليمه الاخلاقية ومبادئه النبوية فان قضية سيد الشهداء هي التي ميزت بين دعوة الحق والباطل ولولا نهضة الحسين ووقوفه بوجه الظلم والطغيان الاموي لكاد الاسلام ان يندثر حتى قيل: الاسلام محمدى الوجود حسيني البقاء، وما قام به الامام الحسين (عليه السلام) في نهضته الاصلاحية كان امتداداً لدعوة الرسول لنشر الاسلام وهو (عليه السلام) الامتداد الطبيعي للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بنص حديث الرسول: حسين مني وانا من حسين.

وتأتي خصوصيتها ايضاً في استذكار الفاجعة التي جرت على اهل البيت في يوم عاشوراء وما صاحبها من المآسي والآلام وتعريف الناس بجور بني امية واذنابهم. كما تتزامن اقامة الشعائر الحسينية في يوم الاربعين مع ذكرى رجوع الراس الشريف من الشام الى العراق، ودفنه مع الجسد الطاهر في يوم العشرين من صفر.

جابر مع الامام السجاد (عليه السلام)

تواترت الروايات على ان السبايا بعد ان اخرجوهم من الشام توجهوا الى كربلاء فوصلوها يوم العشرين من صفر، فوجدوا جابر بن عبد الله الانصاري الصحابي، ومعه جماعة من الشيعة توافدوا لزيارة قبر الحسين، فالتقى ركب السبايا معهم واقاموا البكاء والنحيب.

وقد نصت على ذلك العديد من الكتب المعتبرة، فقد جاء في موسوعة آل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ٧٤٧، في وصف الرحلة من الشام الى المدينة:

قالت زينب (عليها السلام) للدليل مرة : لو عرجت بنا على كربلاء فأجاب الدليل مخزوناً: أفعّل، ومضى بهم حتى اشرفوا على الساحة المشؤومة وكان قد مضى على المذبحة يومئذ اربعون يوماً، وما تزال الارض ملطخة ببقع من دماء الشهداء وبقية من اشلاء غضة عفا عنها وحش الفلاة، وناحت النوائح واقمن هناك ثلاثة ايام لم تهدأ لهن لوعة ولم ترقأ لهن دمعاً ثم اخذ الراكب المنهك طريقه الى مدينة الرسول.

وتقول الروايات ايضاً : ان يزيد امر برد السبايا والاسارى من الشام الى المدينة المنورة في الحجاز مصطحبين بالرؤوس تحت اشراف جماعة من العرفاء يرأسهم النعمان بن بشير الانصاري، فلما بلغ الراكب ارض العراق في طريقه الى مدينة الرسول قالت زينب للدليل : مر بنا على طريق كربلاء ومضى بهم حتى اشرفوا على ساحة القتل المشؤومة وكان جابر بن عبد الله الانصاري الصحابي الجليل وجماعة من بني هاشم ورجال من آل الرسول قد وردوا العراق لزيارة قبر الحسين، يقول السيد علي بن طاووس في كتابه اللهوف في قتلى الطفوف ص ٨٦ : فتوافدوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم واقاموا المآتم المقرحة للأكباد واجتمع عليهم اهل السواد واقاموا على ذلك اياماً.

ومنذ ذلك اليوم وهو العشرين من صفر اصبح هذا التاريخ مشهوداً فتوافد مئات الالاف من الزائرين على كربلاء لزيارة الامام الحسين واقامة الشعائر وتجديد هذه الذكرى المؤلمة.

الاربعون في اقوال الائمة (عليهم السلام)

وردت روايات عن الائمة المعصومين في خصوصية يوم الاربعين وفضل زيارة الحسين في ذلك اليوم ففي مستدرک الوسائل للنوري ص ٢١٥ باب ٩٤ عن زرارة بن اعين عن ابي عبد الله الصادق انه قال: ان السماء بكت على الحسين اربعين صباحاً بالدم، والارض بكت عليه اربعين صباحاً بالسواد، والشمس بكت عليه اربعين صباحاً

بالكسوف والحمره، والملائكة بكت عليه اربعين صباحا وما اختضبت امرأة منا ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى اتانا رأس عبيد الله بن زياد وما زلنا في عبرة من بعده.

وروي في كامل الزيارات ص ٩٠ باب ٢٨ عن الامام محمد الباقر (عليه السلام) انه قال: ان السماء بكت على الحسين اربعين صباحا. اما زيارة الامام الحسين يوم الاربعين فقد وردت في احاديث عن الائمة المعصومين في فضلها منها ما روي عن الإمام الحسن العسكري انه قال: علامات المؤمن خمس؛ صلاة احدى وخمسين؛ وزيارة الاربعين؛ والتختم باليمين؛ وتعفير الجبين.

أما الزيارة المشهورة في يوم الأربعاء والمعروفة بالأربعينية فقد رويت على روايتين الرواية الاولى رواها صفوان الجمال عن الامام الصادق فقال: قال لي مولاي الصادق تزور الحسين عند ارتفاع النهار وتقول... ثم تلا الزيارة.

اما الرواية الثانية فقد رويت عن عطا عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: كنت مع جابر يوم العشرين من صفر فلما وصلنا الغاضرية اغتسل في شريعتها ولبس قميصا كان معه طاهرا ثم قال لي: امعك شيء من الطيب يا عطا؟ قلت: سعد، فجعل منه على راسه وسائر جسده ثم مشى حافيا حتى وقف عند راس الحسين وكبر ثلاثا ثم خر مغشيا عليه فلما افاق سمعته يقول:... ثم تلا الزيارة.

الزيارة في المصادر

ذكر الكثير من العلماء الاعلام فضل زيارة الحسين في يوم الاربعين وقد استدلوا في ذلك على روايات الائمة المعصومين منهم:

١. ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في التهذيب ج ٢ ص ١٧ باب فضل زيارة الحسين (عليه السلام) فانه بعد ان روى الاحاديث في فضل زيارته (عليه السلام) ذكر المقيد منها

- بأوقات خاصة وذكر شهر صفر وما فيه من الحوادث نقل عن مصباح المتعجب ص ٥٥١ ثم قال: وفي يوم العشرين منه رجوع حرم ابي عبد الله الحسين من الشام الى مدينة الرسول وورود جابر بن عبد الله الانصاري الى كربلاء لزيارة ابي عبد الله الحسين فكان اول من زاره من الناس وهي زيارة الاربعين ثم روى حديث الامام الحسن العسكري.
٢. ابو الريحان البيروني في الاثار الباقية ص ٣٣١: في العشرين من صفر رد الراس الى جثته فدفن معها وفيه زيارة الاربعين ومجيء حرمه بعد انصرافهم من الشام.
٣. العلامة الحلبي في المنتهى كتاب الزيارات بعد الحج: يستحب زيارة الحسين في العشرين من صفر ثم روى حديث الامام العسكري.
٤. العلامة المجلسي في البحار باب فضل زيارة الحسين يوم الاربعين.
٥. السيد ابن طاووس في الاقبال.
٦. الشيخ يوسف البحراني في الحدائق في الزيارات بعد الحج.
٧. الشيخ المفيد في مسار الشيعة.
٨. العلامة الحلبي في التذكرة والتحرير.
٩. ملا محسن الفيض في تقويم المحسنين.
١٠. الشيخ البهائي في توضيح المقاصد الاربعين.
١١. الشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان.

أربعون الإمام الحسين(عليه السلام).. سجل الزمن الخالد

ساعات مضت لتسجيل التاريخ ثروة حافلة بعاصفة من السيوف والسهام والرماح خلّفت وراءها تلك المسيرة من الدموع والجراح والألم، فرحل سيد الشهداء الحسين(عليه السلام) بعد أن ارتدى الباطل قناع الإسلام وراح يشدّ وثاقه بحبال العصبية الأولى وفجعت كربلاء يوم انتهت المعركة لتبتدئ مسيرة الطف من جديد وتلك هذه

الأرض التي انتقلت إلى أرض الشام بعد أن تواصلت تلك الأنفاس بصبر النفوس التي لم تحذل. فكان لواقعة كربلاء أن تبقى في ذاكرة الآخرين وهي تشهد ذلك المصاب الذي بكته السماء يوم كان النموذج الأعلى للتفاني من أجل رفعة الإسلام وحماية هوية الأمة... وراحت تلك الكلمات تحفر في الحياة نشيد الأمل وتوقف هزيمة المتخاذلين أمام ذلك المعنى الذي استوعب شهادة الرسل والأنبياء فكانت الرمال حاضرة في قصائد الفاجعة تسجل معها تلك المواقف وأولئك الرجال الذين عاهدوا الله فقدموا أرواحهم فداء للثورة الحسينية فارتبط ذلك اليوم بضمائر العالم أجمع وهزّ النفوس بعد أن ترك تلك البصمات المشرفة في صفحات التاريخ سبيلاً للتحرر من العبودية والطغاة، ولهذا صار من خصائص تلك الثورة إحياء تراثها اللامع عبر العقيدة والمجلس والموكب ومع الأدب الحسيني يبقى التراث يشارك أحفاد الحسين (عليه السلام) بذكرى حادثة كربلاء ليشهد أمجاد أمتنا ومفاخرها مستلهما تلك الدروس وتلك العبر من أروع المعاني التي نشأت من ثنايا المحنة تسوق تتغشى القلوب ببرهان الشهادة فخراً وعزّة... وها هي أم سلمة زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله) مرة أخرى...

تقسم بالله على ما جرى لها يوم سمعت الجن تنوح على الحسين (عليه السلام) يوم استشهاده... ولم ينته ذلك التاريخ الذي بقي يفسّر لنا معنى الجهاد ومعنى استعادة تلك الذكرى ويوم الأربعين بالذات كما ورد عن أبي ذر الغفاري وابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله) (أن الأرض لتبكي على المؤمن أربعين صباحاً بالسواد والشمس بكت عليه أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة والملائكة بكت عليه أربعين صباحاً وما اختضبت امرأة منا ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتنا رأس عبيد الله بن زياد ومازلنا في عبرة من بعده.

لذا فإن إقامة المآتم عند قبره الشريف (عليه السلام) في كل سنة تجديداً لذلك العهد إنما هو إحياء لتلك النهضة الحسينية وتعريف بعمق المصيبة حيث أولئك النخبة من

العظماء والأبطال الذين ساورا في مسيرة الزمن مشدودي الخطى نحو رايات العزّة والشموخ.. لتلك الرسالة السماوية التي لم تصنعها مشيئة المخلوق بل إنها إرادة الله في الأرض حملها الرسول (صلى الله عليه وآله) في صدر الإسلام لتبقى حيّة تنبض بالسمو والعطاء... ومع الأربعين يتجدد اللقاء مع ههضة سيد الشهداء وقد فاز مع أصحابه الميامين بالخلود الأبدي في جنات النعيم. وبقي الزيف المضيء يلتحف الذاكرة.. حيث كربلاء الرمز وجسد الحسين (عليه السلام) وأصحابه وروح التحدي..

لذا فقد ذكر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) علامات المؤمن خمس (صلاة إحدى وخمسين وزيارة الأربعين والجهر بيسم الله الرحمن الرحيم والتختم باليمين وتعفير الجبين) لذا فإن تأييد أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) في الأربعين إنما هو علامة من علامات المؤمن حتى أن إقامة المآتم في يوم الأربعين تشكل أهمية تلك الزيارة المخصوصة لسيد الشهداء تعبيراً عن الولاء المطلق وتجديداً للعهد إليه (عليه السلام).

وقد قال أحد شعراء أهل البيت (عليهم السلام):

بجك لذّي عيشي وطابا	وقلي في هواك العذب ذابا
جنت بجك الغالي ومن لم	يجن بجك الميمون خابا
فأنت من الألى فرض ولاهم	ومن والاهم أمن العقابا
لكم خلق الوجود وفي يديكم	حساب الخلق أن في الحشر آبا
أبا الثوار قد أحييت ديناً	وللثورات قد أوجدت باباً
وأرشدت الأبءة طريق عز	إذا ساروا به كانوا غلابا

وقال الشاعر محمد صالح بحر العلوم:

بدم الشهيد تخط فاجعة الإبا حقا بدون دم أبي أن يكتبنا
و سجلّ إثبات الحقوق سطوره حمراً تعلمنا النضال الأصوبا
والحر إن خاف المنيّة لم ينل حرباً بدون ضحيّة لن تكسبا
فالموت في طلب الكرامة منهل عذب وميت من يعيش معذباً

فتأين سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) بهذه المناسبة أي الأربعين إنما هو
تعبير عن الولاء والمشايعة وإحياء للنهضة الحسينية بكل مفرداتها.

اربعينية الامام الحسين (عليه السلام) وشهداء فاجعة كربلاء..

مر على استشهاد الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام وأهل بيته (عليهم
السلام) وأصحابه (عليهم السلام) ما يقارب الأربعين يوماً، وقد قضى العقل والدين
باحترام عظماء الرجال، أحياءً وأمواتاً، وتجديد الذكرى لوفاتهم وشهادتهم، وإظهار الحُزن
عليهم، لا سيّما من بذل نفسه وجاهد، حتى قُتل لمقصدٍ سَامٍ،

وغيّاةً نبيلة، وقد جرت على ذلك الأمم في كلِّ عصرٍ وزمان ،، فحقيق على
المسلمين بل جميع الأمم أن يقيموا الذكرى في كل عام للإمام الحسين عليه أفضل الصلاة
والسلام، ، وإحياء هذا اليوم المشهود قد أصبح من شعائر الله تعالى ومن أجزاء التاريخ.

إن الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام قد جمع أكرم الصفات، وأحسن الأخلاق، وأعظم الأفعال.

وأجل الفضائل والمناقب، علما وفضلا، وزهادة وعبادة، وشجاعة، وسخاء وسماحة، ومقاومة للظلم، وقد جمع إلى كرم الحسب شرف النسب وهو نسب حبيب إله العالمين محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد جاهد الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام لنيل أسمى المقاصد، وأنبل الغايات، وقام بما لم يُقَمُ بمثله أحد.. فبذل عليه أفضل الصلاة والسلام نفسه، وماله وآله (عليهم السلام) وأصحابه (عليهم السلام)، في سبيل إحياء الدين، وإظهار فضائح المنافقين، واختار المنية على الدنيا، وميتة العز على حياة الذل، ومصارع الكرام على اللئام.. فأمن الحق أن تقام له عليه أفضل الصلاة والسلام الذكرى على ما جرى عليه في كل عام، بل وفي كل يوم، وتبكي له العيون بدل الدموع دما.

ونحن وفي هذه الذكرى الأليمة نرى في جميع أنحاء العالم كم من الزائرين الموالين والمواليات سواء عن قرب أو عن بعد، جاؤوا يحملون اللوعة والحراة في زيارتهم للإمام للحسين عليه أفضل الصلاة والسلام.

في هذه الذكرى الأربعينية لأبي عبد الله الإمام الحسين (عليه السلام)..

فكيف لا تكون اللوعة والتأسي بهذه المصيبة الألية منا نحن المحبين للإمام الحسين (عليه السلام) بهذه الذكرى، فقد حث أهل بيت النبوة عليهم أفضل الصلاة والسلام شيعتهم وأتباعهم ومحبيهم على إقامة الذكرى لهذه الفاجعة الألية في كل عام، فهم نعم القدوة وخير من اتبع صلوات الله عليهم أجمعين.. نقره لعرض الصورة في صفحة مستقلة.

فقد قال الإمام الحسين (عليه السلام): (انا قتيل العبرة ما ذكرت عند مؤمن الا
ودمعت عيناه)..

وقد بكى الإمام زين العابدين (عليه السلام) على مصيبة أبيه الإمام الحسين (عليه
السلام) ثلاثين سنة..

وكان الإمام الصادق (عليه السلام) يبكي لتذكر المصيبة، ويستنشد الشعر في رثائه
ويبكي..

وكان الإمام الكاظم (عليه السلام) إذا دخل شهر محرم لا يُرى ضاحكاً، وكانت
الكآبة تغلبُ عليه..

وقال الإمام الرضا (عليه السلام) (إنَّ يَوْمَ الحسِينِ أقرَحَ به جُفُونُنَا، وأسَال دموعَنَا،
وأورثْنَا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء)..

ونحن نقول كلنا بصوت واحد..

سيدي يا أبا عبد الله

سيدي إن فاتنا السعي إليك، ،

لترانا صرعا بين يديك، ،

لم يفتنا الوجد والنوح عليك، ، أبد الدهر وجذب الحسرات..

فضل يوم الأربعاء

إن لأربعينية الإمام الحسين (عليه أفضل الصلاة والسلام) أصول وجذور، فقد ورد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ((إِنَّ الْأَرْضَ لَتَبْكِي عَلَى الْمُؤْمِنِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا...)).

وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام: ((إِنَّ السَّمَاءَ بَكَتْ عَلَى الْحُسَيْنِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا.. تَطْلُعُ حَمْرَاءَ، وَتَغْرِبُ حَمْرَاءَ...))

وكما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله: إِنَّ السَّمَاءَ بَكَتْ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا بِالدَّمِ، وَإِنَّ الْأَرْضَ بَكَتْ عَلَيْهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا بِالسَّوَادِ، وَإِنَّ الشَّمْسَ بَكَتْ عَلَيْهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا بِالكَسُوفِ وَالْحَمْرَةِ...

وإنَّ الملائكةَ بَكَتْ عَلَيْهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا..

ولمَّا كانت مزايا الإمام الحسين عليه السلام وفجائعه لا تُحَدِّدُ.. لم تتوقَّف هذه السَّنَّةُ الشريفة، وهي إحياء مناسبة زيارته من قِبَل أسرته. قال الشيخ المجلسي: عن المناقب: ذكر الشريف المرتضى في بعض مسائله أنَّ رأس الحسين عليه السلام رُدَّ إلى بدنه بكرِباءٍ من الشام، وضمَّ إليه.

«زيارة الأربعاء»

ويمضي المواليون لأهل البيت عليهم السلام على تجديد العهد في يوم الأربعاء من كلِّ سنة، يتذكَّرونه ويذكِّرون به، ويتشبَّتون على أصله في حديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام: علامات المؤمن خمس:

صلاة الإحدى والخمسين (وهي الفرائض اليومية مع النوافل)، وزيارة الأربعين (وهي زيارة الحسين سلام الله عليه في أربعينية شهادته، والألف واللام في كلمة الأربعين تُسمّى للعهد، فهي زيارة معهودة مشهورة)،

والتختم باليمين (التزاماً بسنة النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم)،

وتعفير الجبين (بالسجود على الأرض؛ خضوعاً لله تعالى وتذلاً في محضره القدسي)،

والجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» (وذلك وجوباً في الصلاة الجهرية)..

فهذه هي علامات المؤمن المسلم لأوامر الله تعالى، ومنها موالاة أوليائه ومودتهم

وقد قال الله تعالى: "قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ"،

والإمام الحسين (عليه السلام) من أقرب قُربى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ومن مصاديق المودة: إحياء الذكرى، والمواساة مع التآسي، والتفاعل الروحي والقلبي بسيرته وما جرى عليه صلوات الله عليه.

وهذا من خصوصيات المؤمن الموالي والمحَبِّ المخلص، يكون فيه علامة تُميّزه عن عامة الناس، إذ زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم أربعينه ممّا يدعو إليها الإيمانُ الخالص والولاء الخالص لأهل البيت عليهم السلام، ويؤكّدها الشوق الحسيني، ولا يوفّق إلى ذلك إلا خصوص المشايخين له والسائرين على منهاجه وأثره.

ونذكر هنا قصة الصحابي الجليل جابر الأنصاري في الأربعين..

قال عطا : كنت مع جابر بن عبد الله الأنصاري يوم العشرين من صفر، لما وصلنا الغاضرية اغتسل في شريعته، ولبس قميصاً كان معه طاهراً، ثم قال لي : أمعك من الطيب يا عطا ؟

قلت : معي سعد.

فجعل منه على رأسه وسائر جسده، ثم مشى حافياً حتى وقف عند رأس الحسين (عليه السلام)، وكبر ثلاثاً، ثم خرّ مغشياً عليه، فلما أفاق سمعته يقول :

السلام عليكم يا آل الله ^(١).

وكان يزيد قد أمر برّد سبايا الحسين (عليه السلام) إلى المدينة، وأرسل معهم النعمان بن بشير الأنصاري في جماعة. فلما بلغوا العراق، قالوا للدليل : مُر بنا على طريق كربلاء.

وكان جابر بن عبد الله الأنصاري، وجماعة من بني هاشم قد وردوا لزيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام).

فبينما هم كذلك إذ بسوادٍ قد طلع عليهم من ناحية الشام.

فقال جابر لعبده : إنطلق إلى هذا السواد وآتِنَا بخبره، فإن كانوا من أصحاب عُمر بن سعد فارجع إلينا، لعلنا نلجأ إلى ملجأ، وإن كان زين العابدين (عليه السلام) فأنت حُرٌّ لوجه الله تعالى.

فمضى العبد، فما أسرع أن رجع وهو يقول : يا جابر، قم واستقبل حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، هذا زين العابدين قد جاء بعمّاته وأخواته. فقام جابر يمشي حافي الأقدام، مكشوف الرأس،

(١) بحار الأنوار ١٠١ / ٣٢٩

إلى أن دنا من الإمام زين العابدين (عليه السلام)، فقال (عليه السلام) : (أنتَ جَابِرٌ ؟) .

فقال : نعم يا بن رسول الله .

فقال الإمام (عليه السلام) : (يَا جَابِرُ هَا هُنَا وَاللَّهِ قُتِلَتْ رِجَالُنَا ، وَذُبِحَتْ أَطْفَالُنَا ، وَسُيِّبَتْ نِسَاؤُنَا ، وَحُرِّقَتْ خِيَامُنَا) .

وفي كتاب الملهوف : إنهم توافوا لزيارة قبر الحسين (عليه السلام) في وقت واحد، وتلاقوا بالبكاء والحزن، وأقاموا المأتم، واجتمع عليهم أهل ذلك السواد، وأقاموا على ذلك أياماً^(١) .

الأثار التربوية المترتبة على زيارة الاربعة من وجهة نظر الباحث:

أهمية تنمية (القيم التربوية الإسلامية)

يعتقد الباحث أننا مدعوون لنتناول في هذا البحث موضوع القيم التربوية الإسلامية، وهو موضوع قديم وخطير، حيث تقوم لأجله الصراعات قديماً وحديثاً وكل حضارة تحاول نشر وفرض قيمها على الحضارات الأخرى مستخدمة عدة أساليب وأدوات لتحقيق هذه الغاية.

والقرآن الكريم كتاب الله عز وجل الخالد ودستور المسلمين إلى قيام الساعة أنزله على رسوله الأمين لينظم حياة الناس ويضبط أمور معاشهم، ويهديهم إلى ربهم ويردهم إلى طريق الصواب ولتستقيم حياتهم وليكون المرجعية الأولى للمسلمين في كل أمور حياتهم وحين تعترضهم أي مشكلة، ولهذا الأمر اهتم المسلمون الأوائل بالقرآن وربوا

(١) أعيان الشيعة ١ / ٦١٧ .

أبناءهم على تعاليم الإسلام وزرعوا فيهم حب الله ورسوله والقرآن وحب الخير لجميع الناس، والعمل على نفع البشرية جمعاء وإنقاذ الناس جميعاً من الاستعباد البشري، فقد سادوا العالم بأسره وحكموا فيه بالقرآن وعبدوا الناس لخالقهم بعد أن أخرجوهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فكانوا منارات يهتدى بهم في بحار الظلمات وأعلام شاخحة يقتدي الناس بهم، وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها فكان العالم كله يشهد لهذه الحضارة الإسلامية الزاهرة بالتقدم والحضارة التي لا مثيل لها، لذلك وجب على الباحثين في التربية الإسلامية أن يستمدوا مبادئ التربية وقيمها من مصادر سليمة، وأن تبنى قواعدها على أسس صحيحة تصل فيها نسبة الصدق إلى أعلى درجاتها بحيث لا يكون فيها مجال للخطأ، ولهذا يجب أن تقوم التربية على أسس صادقة متينة تستمد من كلام الله عز وجل وكلام نبيه عليه السلام، ثم بعد ذلك تأتي اجتهادات العلماء الراسخين في العلم، ويجب الاعتماد على التربية الإسلامية لتربية أبنائنا فالتربية الإسلامية تعني الإعداد الصالح لحياة الدنيا والآخرة^(١).

وتبدو أهمية القيم في قدرتها على تحقيق تكامل واتزان سلوك الإنسان وقدرته على مقاومة القيم المنحرفة والتوازن بين مصالحه الشخصية ومصالحة المجتمع وتفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، كما يظهر أثر القيم في تحويل المجتمع من مجتمع له حدود جغرافية إلى مجتمع ممثل لجميع البشر^(٢).

ولذلك لا بد من الرجوع إلى القرآن الكريم لاستنباط القيم والمبادئ والأهداف والمفاهيم والأسس التي لا بد أن نربي أبنائنا عليها، (الصاوي، ١٩٩٩، ص ١٧٢٣). وتعد القيم من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والفلسفية ذلك أنها تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها، فالقيم هي معايير

(١) الشيباني، ١٩٧٥، ص ٤٩٨.

(٢) طهطاوي، ١٩٩٦، ص ٢٤.

وأهداف لا بد أن نجدها في كل مجتمع منظم سواء أكان متقدماً أم متأخراً، ولكل أمة ثقافتها الخاصة بها^(١).

فالقيم العليا هي التي تقر الفطرة السليمة لكل إنسان عاقل سوي، لأنها خيرة نافعة عادلة من خلال قول أو عمل أو تصرف والتي تبذل على أسس، منها علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في كل نشاط يقوم به، سواء أكان سياسياً أم اقتصادياً أو اجتماعياً أو فكرياً، حيث لا بد من وجود معايير يحتكم إليها الناس في تعاملهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض ليعيشوا في سلام ووثام وحب وتعاون وتعاطف وتراحم وحق وعدل وخير، فيسودهم الأمن والرضا والاطمئنان وبذلك يستطيعون العمل بكفاية لخير أنفسهم ومجتمعهم^(٢).

ويعد موضوع القيم الإسلامية من أعقد الموضوعات وأكثرها حساسية نظراً لتشعبها وشمولها وتعدد جوانبها، فالبحث فيها بحث في القرآن والسنة وما تتضمنه من معاملات وعبادات وعقائد وأخلاق كما أنها تعالج الميادين جميعها للحياة النفسية والاقتصادية والاجتماعية، وللقيم الإسلامية طبيعة منفردة لأنها تنبع من العقيدة الإسلامية أساساً لا من المصلحة المؤقتة وتجعل الإنسان الأساس الذي تقوم عليه كافة القيم كما أنها تهدف إلى تحقيق مصلحة الإنسان التي لا تقف عند حد الحياة الدنيا بل تمتد إلى الحياة الآخرة^(٣).

وتعد القيم أحكاماً معيارية تفضيلية ثابتة نسبياً حيال الظواهر والموضوعات والأشخاص والأفكار، وتحدد تفاعل المرء معها وتنظم قيم الفرد والمجتمع في منظومة قيمية شاملة بحيث تمثل كل قيمة في هذه المنظومة عنصراً من عناصره وتتفاعل هذه

(١) الزيايدي، ٢٠٠١، ص ١١٣.

(٢) الأسمر، ١٩٩٧، ص ٣٩٣.

(٣) أبو بكره والتل، ١٩٩٨، ص ٤٩.

العناصر معا لتؤدي وظيفة معينة بالنسبة للفرد، كما ترتبط فيما بينها في إطار هرمي ينظمها وفقا لأهميتها من القيم الأقل أهمية إلى القيم الأكثر أهمية^(١).

إن المجتمع الإسلامي يعاني من قصور في تأكيد ذاته وهويته الثقافية إلى جانب معاناته من قصور في الوسائل الحضارية المادية، وهذا يعود في حقيقته إلى الضعف في الجانب القيمي لديه وهذا أدى إلى وجود انفصام بين التصور والواقع والأهداف والوسائل والغايات.

وقد أقتصرت الباحثة في دراسته للقيم التربوية الإسلامية على القيم الأخلاقية والقيم الاجتماعية، ويمكن استعراض هذه القيم على النحو الآتي :

١. القيم الأخلاقية :

إن القيم الأخلاقية تمثل علاقة الإنسان بربه ومجتمعه، وبالكون الذي يعيش فيه، ونظرته إلى نفسه وإلى الآخرين وإلى سلوكه وكيفية ضبطه، وإلى مكانته من المجتمع بأنظمته وبماضييه وحاضره ومستقبله، والتي تتمثل في مجموعة القوانين والأهداف والمثل العليا بصورة تمثل الاستقرار، وتصلح للتنبؤ بالسلوك في المستقبل^(٢).

وقد استخلصت الباحثة عدداً من القيم الأخلاقية التي وجدنا من خلال ما تناوله من دراسات حولها اتفاقاً مشتركاً بين العديد من الباحثين، أمثال : طهطاوي (١٩٩٦)، وبربخ (٢٠٠٠)، وسمارة (٢٠٠٠)، وصالح (٢٠٠١)، على كونها قيماً أخلاقية إسلامية أساسية، وفيما يلي استعراض لهذه القيم بشكل أكثر عمقاً، وهي :

١. قيمة الصدق

(١) التل، ٢٠٠٣، ص ١١٣.

(٢) عفيفي، ١٩٨٠، ص ٢٨٦.

من القيم المفضلة وهي تعني قول الحق والتزام الحقيقة^(١).

٢. قيمة الإحسان :

الإحسان إيثار وهو ثمرة طيبة للنفس النقية التقية المخلصة في العمل والعبادة، وقيمة الإحسان تعني ألا يعطي الإنسان وهو كاره أو مجبر، ولا هو متعجب أو راض عن نفسه، لأن ذلك إحسان ظاهري، وهذا يناقض معنى الإحسان كنوع من عبادة المؤمن لله^(٢).

٣. قيمة التواضع :

التواضع صنفان، تواضع عامي وهو الاكتفاء بالدون من الملابس والمسكن والركب، وتواضع خاصي وهو تمرين النفس على قبول الحق ممن كان وضيعاً أو شريفاً^(٣)

٤. قيمة الوفاء :

تعني إيثار النفس الخالصة من شوائب الهوى، ويقظة القلب النقي من موافقة الشر، وتجنب لمهاوي الأنانية وإقبال على الجود والسخاء والعطاء^(٤).

٥. قيمة الأمانة :

تعني الأمانة مدى التزام الفرد بالحفاظة على ممتلكات الغير وعدم إتلافها وإعطاء الحق لصاحبه ورد الأمانات إلى أهلها^(١).

(١) محمد، ١٩٩٩، ص ٢١٣.

٢ الشرقاوي، ١٩٨٣، ص ١٣٩.

٣ الغزالي، ١٩٧٢، ص ١٠٠.

٤ الشرقاوي، ١٩٨٣، ص ١٥٥.

أهمية القيم الأخلاقية

تتمثل أهمية القيم الأخلاقية في عدة نقاط أهمها :

١. للقيم الأخلاقية دورها في تماسك المجتمع وسعادته، وبعده عن الفوضى والشقاء فضلاً عن دورها في إحداث التوازن وتحقيق التكيف^(١).
 ٢. تعمل على تنمية الوازع الديني لدى الإنسان دون أي تطرف أو مغالاة كما تعمل على تربية الضمير الإنساني وحمايته من الأناثية ونكران الذات في سبيل صالح المجتمع^(٢).
- وقد تبين للباحثين مما تم استعراضه أن القيم الأخلاقية السابقة هي قيم أخلاقية أصيلة تتفق وتعاليم ديننا وعادات مجتمعا، وأنها ذات أهمية كبيرة بالنسبة لطلبة الجامعة، وهذا ما يبرر أهمية هذا البحث في تنمية هذه القيم.

٢. القيم الاجتماعية :

حيث يعبر عنها باهتمام الفرد وميله إلى غيره من الناس، فهو يحبهم ويميل إلى مساعدتهم ويجد في ذلك إشباعاً له.^(٣)

واستخلص الباحث عدداً من القيم الاجتماعية التي وجدنا من خلال ما تناوله من دراسات حولها اتفاقاً مشتركاً بين العديد من الباحثين، أمثال : طهطاوي (١٩٩٦)، وبريخ (٢٠٠٠)، والهندي (٢٠٠١)، وزقوت (٢٠٠٠)، وسمارة (٢٠٠٠)،

(١) حسن، ١٩٨٨، ص ٦٧.

(٢) بكر، ١٩٨٣، ص ٣٦٥.

(٣) بكر، ١٩٨٣، ص ٨٥.

كونها قيماً إسلامية اجتماعية أساسية وفيما يلي استعراض لهذه القيم بشكل أكثر عمقاً، وهي:

١. قيمة التعاطف : وتعني وجود اتجاه لدى الفرد نحو مشاركة الآخرين في مشاعرهم وانفعالاتهم ومواقفهم المؤلمة وتفهم معاناتهم والإحساس بها^(١).
٢. قيمة بر الوالدين : يعتقد الباحث أن المقصود ببر الوالدين هو مدى التزام الابن بخدمة والديه والتذلل لهما، والسهر على راحتهما، وكسب رضاهما، والدعاء لهما بالرحمة، واحترامها في الكبر.
٣. قيمة مساعدة الآخرين : تعرف على أنها مدى التزام الفرد بمساعدة من هو محتاج ومد يد العون له سواء أكان كبيراً أم صغيراً^(٢).
٤. تحمل المسؤولية : يعتقد الباحث أن المقصود بقيمة تحمل المسؤولية هو قيام الفرد بواجباته تجاه دينه ومجتمعه وأسرته والمحيط الإنساني من منطلق قناعة ذاتية.
٥. قيمة احترام الآخرين : تعني مدى التزام الفرد باحترام من هو أكبر منه سنّاً قولاً وفعلاً^(٣).
٦. قيمة الصداقة : صلة من الصلات التي تربط الفرد بأشخاص يؤثرون فيه ويتأثرون به، ويقتربون من حياته اقتراباً خطيراً لأمد طويل^(٤).
٧. قيمة التعاون : تعني مشاركة الآخرين والتضامن معهم في كل ما يساعد على إسعاد الفرد والجماعة^(٥).

(١) صالح، ٢٠٠١، ص٤٤.

(٢) صالح، ٢٠٠١، ص٤٤.

(٣) صالح، ٢٠٠١، ص٤٣.

(٤) الغزالي، ١٩٨٠، ص١٨٤.

(٥) محمد، ١٩٩٩، ص١٩٧.

أهمية القيم الاجتماعية

تتمثل أهمية القيم الاجتماعية في عدة نقاط أهمها :

١. إن للقيم الاجتماعية دوراً في تشكيل الشخصية السوية المتكاملة للفرد المسلم، كما تهدف إلى بناء وتنمية عامل الضبط الاجتماعي في الإنسان، وهو ضبط داخلي ينبع من ذات أو ضمير الإنسان فيكون هادياً له إلى معرفة وتمييز المقبول وغير المقبول، والحلال من الحرام، وضبط خارجي يتمثل في الالتزام بتعاليم الإسلام المتعلقة بكل من أمور الحياة الاجتماعية المختلفة^(١).

٢. تغرس لدى الشباب المسلم أن فعل الخير جزء لا يتجزأ من مهمة المسلم التي أمره الله بها، فمن هنا فكل فرد ينبغي أن يكون عضواً نافعاً في جماعته، يفعل الخير ويدعو إليه، ويكره الشر وينهي عنه، ويشارك في كل عمل ينهض بالمجتمع^(٢).

وقد اتضح للباحثين مما سبق أن القيم الاجتماعية الواردة آنفاً هي قيم حسنة تنسجم مع الأعراف الدينية السمحة والتعاليم الإنسانية والعادات المجتمعية السليمة، والتي لها أهميتها بالنسبة لطلبة الجامعة.

١. سمارة، ٢٠٠٠، ص ١٩١.

٢. القرضاوي، ١٩٩٢، ص ٥٠.

الفصل الثالث

النتائج العامة والتوصيات والمقترحات

النتائج العامة للدراسة

خلصنا من هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج الهامة والتي تمثل الإطار الفكري والعملية للسلوك التربوي في الإسلام، من أهمها ما يلي :

أولاً : إن الإسلام دين، وعبادات ومعاملات، وشعائر وشرائع، وهو مادة وروح، وهو منهج حياة، تتفاعل فيه القيم الإيمانية والقيم الأخلاقية لتفرز سلوكيات سوية للمستهلك نحو اتخاذ القرار الرشيد في جميع أموره.

ثانياً : للقيم التربوية الإسلامية أثر فعال حيث تدفع الانسان وتبعثه نحو اتخاذ القرار الرشيد الذي يحقق له مقاصد الشريعة الإسلامية والتي تتمثل في : حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، ويجب أن تكون هذه القيم هي أساس التربية في البيت وفي المدرسة وفي كافة نواحي الحياة، كما يجب التحذير من المفاهيم التربوية المستوردة والتي تتعارض مع قيم الإسلام ولا سيما في ظل العولمة والجات.

ثالثاً : لقد استنبط الفقهاء والعلماء مجموعة من الضوابط التي تحكم السلوك التربوي على مستوى الفرد وعلى مستوى الدولة، والتي تمثل الدستور الذي يأمل كل انسان أن يكون قراره متفقاً معه، ومن أهم هذه الضوابط ما يلي :

(أ) - مجموعة ضوابط الواجبات: وتتمثل في :

- الحلال والمشروعية، والطيبات، والاعتدال والوسطية، وسلم الأولويات الإسلامية.

(ب) - مجموعة ضوابط الحرمات : وتتمثل في :

- تجنب الإسراف، وتجنب التبذير، وتجنب التقليد المخالف لشرع الله، وتجنب الترف والبذخ، وتجنب التعامل مع الأعداء الحربيين.

رابعاً : من أهم الدوافع والبواعث على الالتزام بالضوابط الشرعية للسلوك الاستهلاكي ما يلي :

١. يعتبر الالتزام بالقيم والأخلاق والضوابط عبادة لله وطاعة يثاب المسلم عليها ويعاقب في حالة مخالفتها إياها.
٢. يعتبر الالتزام بها ضرورة شرعية وحاجة حياتيه ومن أساسيات انتظام المعاملات ومنع الظلم الاجتماعي.
٣. ينال الملتزم بها الاحترام والتقدير من المجتمع الذي يعيش فيه.
٤. يستشعر الملتزم بها حلاوة الإيمان في قلبه.
٥. تمثل هذه الضوابط المنهج والطريق لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية وهي حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال.

التوصيات:

١. ضرورة أن توفر برامج إعداد معلم التربية الإسلامية وأنشطتها التدريسية والتعليمية فرص التعلم الذاتي والتعليم المستمر، واكساب الطالب المعلم الكفاءات التي تمكنه من التغيير والتطوير الذاتي والنمو في حياته المستقبلية.
٢. التأكيد على أن تعمل جميع المؤسسات على تنمية أنماط التفكير الإيجابي لدى الشباب لمواجهة التحديات العلمية والتقنية والفكرية بالنسبة لكل من الحاضر والمستقبل.
٣. ضرورة تطوير نظم وأساليب تربوية بصفة مستمرة في ضوء المتغيرات والتطورات المعاصرة، بما يتناسب واحتياجات الشباب وخصائص مرحلتهم العمرية المميزة.
٤. مراعاة الاهتمام بالجوانب العملية والتطبيقية للمقررات الدراسية التخصصية في برامج إعداد معلمي الشريعة الإسلامية.

٥. يمكن المطالبة بزيادة حجم المعلومات التربوية والنفسية التي تقدم في المجتمع، وتقديمها في أطر جديدة، وبأساليب جديدة.
٦. يجب على الأسرة في ظل الظروف الراهنة العمل على غرس القيم الدينية والخلقية في نفوس الأبناء وخاصة في مرحلة الشباب وإكسابهم القيم الأخلاقية والاتجاهات والأنماط السلوكية الحمودة التي يمكن عن طريقها مواجهة الغزو الفكري وحملات التشكيك التي تستهدف القيم والمعتقدات والمقدسات الإسلامية.
٧. أن تعمل كلا من المدارس والجامعات على تكوين الاتجاهات الصالحة والقيم البناءة والهادفة في نفوس الطلاب من خلال المناهج الدراسية وأسلوب التدريس، وإحلالها محل الاتجاهات العدائية نحو المجتمع ونحو الآخرين حتى يمكن تغيير نظرهم إلى ذاتهم وإلى الآخرين.

المقترحات

١. إجراء دراسة للاستفادة من القيم التربوية الإسلامية.
٢. عمل منظومة للقيم التربوية الإسلامية اللازمة للشباب في ظل التحديات التي يواجهونها.
٣. إجراء دراسة حول الوعي بأهمية البرامج التربوية.

المصادر

القرآن الكريم

١. أبو بكر، عصام. تطور مقياس القيم الإسلامية، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مجلد ١٣ ، العدد ١ ، ص ٤٧ - ٧٢ ، ١٩٩٨.

٢. أبو العينين، علي خليل. القيم الإسلامية والتربية، الطبعة الأولى، مكتبة إبراهيم حلي،
المدينة المنورة، ١٩٨٨.
٣. أبو ناهية، صلاح الدين. الطرق الإحصائية في البحث والتدريس، الطبعة الثانية، مكتبة
الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠.
٤. الأسمر، أحمد رجب. فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء"، الطبعة الأولى، دار
الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٧٩.
٥. بربخ، أشرف عمر. القيم المتضمنة في كتابي القراءة للصفين العاشر والحادي عشر
بمحافظة غزة فلسطين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين
شمس، مصر، ٢٠٠٠.
٦. بكر، عبد الجواد السيد. فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، دار الفكر
العربي، القاهرة، ١٩٨٣.
٧. التل، شادية. المنظومة القيمية لطلبة جامعة الزرقاء الأهلية، مجلة مؤتة للبحوث
والدراسات ٠٤٤-، مجلد ٧، عدد ١، ص ١١-٤٢، ٢٠٠٣.
٨. حسن، السيد الشحات أحمد. الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور
التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨.
٩. حسين، محي الدين أحمد. القيم الخاصة لدى المبدعين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١.
١٠. حمودة، محمود ربيع إبراهيم. القيم التربوية المتضمنة في قصص المنهاج الفلسطيني في
المرحلة الأساسية العليا في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، الجامعة الإسلامية - غزة،
كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٩.

١١. الزياي، احمء، الخطيب، إبراهيم. مفاهيم أساسية في التربية الإسلامية والاجتماعية، دار الثقافة، عمان ٢٠٠١..
١٢. سمارة، سامي محمد. القيم التربوية المتضمنة في شعر علي بن أبي طالب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٠.
١٣. الشرقاوي، حسن. نحو تربية إسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٩٨٣.
١٤. صالح، عايءة شعبان ديب. برنامج مقترح لتنمية القيم الأخلاقية لدى أطفال الرياض بمحافظة غزة، اطروحة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، مصر، ٢٠٠١.
١٥. الصاوي، محمد. دراسات في الفكر التربوي، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٩٩.
١٦. طهطاوي، سيد أحمد. القيم التربوية في القصص القرآني، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦.
١٧. عفيفي، محمد الهادي. في أصول التربية الأصول الفلسفية في التربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٦.
١٨. الغزالي، أبو حامء محمد بن محمد. منهاج العابدين، تقديم الشيخ محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجنءي، القاهرة، ١٩٧٢.
١٩. القرضاوي، يوسف. التربية الإسلامية ومدرسة حسن البناء، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢.

٢٠. محمد، محمد علي. الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥..

٢١. محمد، هناء السيد. التلفزيون والتنشئة الثقافية لطفل الريف - دراسة تطبيقية بالقرية المصرية، الطبعة الأولى، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩.

٢٢. الهندي، سهيل أحمد. دور المعلم في تنمية بعض القيم الاجتماعية لدى طلبة الصف الثاني عشر من وجهة نظرهم ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠١.

مفهوم الأهمية في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)

الباحثين

المدرس الدكتور خالد جعفر مبارك
دكتوراه في الأدب الإسلامي
الكلية التربوية المفتوحة ديالى

الباحث عبد الكريم جعفر الكشفي
بكالوريوس في آداب الشريعة
مدير عام تربية ديالى السابق

٢٠١٦م

١٤٣٨هـ

المقدمة

إنَّ الزخَمَ العِطائِيَّ لِثَوْرَةِ الإمامِ الحُسَيْنِ عليه السلام عطاءً مستمرَّ ودائمٍ، على مُختلفِ العصورِ والدهورِ والأجيالِ، فهي بمثابة المشعل الذي ينير الدرب للثائرين، في سبيل رسالة الحق، الرسالة الإسلامية الخالدة. وفي نفس الوقت تحرق الهياكل الوهمية المزيفة التي بنت دعائهما على عروش وكراسي من الشمع، سرعان ما تذوب بحرارة الثورة الحسينية المقدسة.

وهذا العطاء الدائم المستمر للثورة، طالما غدَّى الغصون الإسلامية؛ حتى نمت وترعرعت ببركة ثورة أبي الشهداء الحسين الخالد. فهي كانت ولا تزال وستكون نبراساً لكل إنسان معذب ومضطهد على وجه هذه الأرض، وهي الأمل المنشود لكل الناس الخيرين، الذين يدافعون عن حقهم في العيش بسلام وأمان.

فهذه القرون تأتي وتذوب قرناً بعد قرن، كما تذوب حبة الملح في المحيط. وهذا الحسين اسمه باق في القلوب وفي الأفكار والضمائر، فهو أكبر من القرون وأكبر من الزمن؛ لأنه عاش لله، وجاهد في سبيله، وقتل في رضوانه. فهو مع الله والله معه، ومن كان الله معه فهو باق.

وقد تخضت ثورته عليه السلام على جوانب عدة منها العاطفي؛ لأنها الثورة الوحيدة في العالم، التي لو تسنى لكل فرد مهما كان معتقده وفكرته أن يقرأ مسرحيتها بكل أبعادها وتفصيلها، لما تمكّن من أن يملك دمعه وعبرته. وكما هو المعروف الآن في البلاد غير الإسلامية كالهند وبعض الدول في أفريقيا حيث يقرأ بعض أبنائها ملحمة واقعة الطف في كربلاء، فإنهم لا يملكون إلا أن يجهشوا بالبكاء، وقد يؤدي أحياناً إلى ضرب الصدور لا شعورياً؛ لأنها مأساة أليمة تتصدع القلوب لهولها ومصاها. وهذا ما جعل المؤرخ الإنكليزي الشهير (جيبون) يصفها بقوله: ((إنَّ مأساة الحسين المروعة، بالرغم من تقادم عهدها، وتباين موطنها، لا بدّ أن تثير العطف والحنان في نفس أقلِّ القراء إحساساً وأقساهم قلباً)).

وتمخض عنها جانب عقائدي مهم، وذلك لأنه لم تعرف ثورة في التاريخ تمثلت فيها العقائد بهذا اللون من الاعتقاد، والتفاني من أجله. فثورته عليه السلام بلغت في عقائديتها الذروة العليا في الوعي والعمق، لدى قائدها وأتباعه وأنصاره. فهي لم تختلف وعباً في جميع أدوارها، منذ أن أعلنت حتى آخر نفس من حياة رجالها، على مختلف المستويات الثقافية والإدراكية لرجالها. فهذا الشيخ الكبير يحمل نفس الوعي للثورة الحسينية، الذي يحمله الكهل والفتى، وحتى الذي لم يبلغ الحلم، يحمل نفس الروح لدى رجالها وأبطالها. فضلاً عن أهمية هذه الثورة التي جمعت الأديان كلها والجناس كلها متمثلة بأصحابه الذين استشهدوا معه في واقعة الطف.

ولأهمية الموضوع وشموليته قسمنا بحثنا إلى ثلاثة محاور تناولنا في الأول مفهوم الأئمة، وفي الثاني الحسين والعنصرية، وفي الثالث الحسين والقومية، ثم وضعنا خاتمة تتلخص فيها أهم أفكار البحث، ثم اتبعناها بقائمة بالمصادر والمراجع التي استفدنا منها البحث.

وتبقى ثورة الامام الحسين مناراً للأجيال القادمة، لأنها المأساة التي أدمت قلب الإنسانية، وأفرحت جفونها،
تألماً وتأثراً؛ ولما فيها من دروس وعبر تعد مثلاً لكل جوانب الحياة الانسانية والتربوية والفكرية، فسلام عليه
يوم ولد ويوم استشهد ويوم بيعث حيا.

المبحث الأول

مفهوم الأهمية

الأهمية مصطلح يطلق على التعاون الطوعي بين أمم حرة مختلفة. وقد أخذ في الأيديولوجية الاشتراكية معنى يدل على رفض النزعة العرقية والتعصب القومي ووحدة الطبقة العمالية العالمية، وكان أول تعبير عملي له تأسيس الأهمية الأولى وهي: أعضاء الاتحادات العمالية الإنكليزية المؤمنة بالاشتراكية التعاونية، وأنصار يرودون الفرنسيون الذين يحذرون العمال من العمل في السياسة، وأنصار لاسال من الحزب الاشتراكي الألماني الذي يؤمن بالدولة العسكرية، ثم اللاجئون السياسيون القوميون أمثال الإيطالي ماتزيني، ثم الشيوعيون والماركسيون، ولدت فكرة الأهمية الأولى في مرحلة نمو الرأسمالية في بلدان أوروبا الغربية وتنامي نزعتها، إذ اشتد نضال الحركة العمالية في مواجهة البرجوازية وحكوماتها، وبدأت تتكون منذ عام ١٨٤٨ نواة لقوة عمالية عالمية تضم اتجاهات إيديولوجية متنوعة، وعبرت هذه القوة عن وجودها في اجتماع دعا إليهنفر من العمال الإنكليز والفرنسيين انعقد في ٢٨ أيلول ١٨٦٤ في سانت مارتنير هول بلندن، للاحتجاج على قمع قيصر روسية الثورة البولندية. وقد اشترك في هذا الاجتماع ساسة وفلاسفة كبار، وإن السمة التي تتميز بها هي نظرتها إلى العالم نظرة أعمية تتحول إلى الوحدة الأهمية التي تشمل الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية^(١).

أما الأهمية بالمنظور الماركسي فتعد الأهمية مبدأ جوهرية، ومنبع ذلك هو نشأة الطبقة العاملة كطبقة أعمية وجدت في الدولة نتيجة التطور الرأسمالي العالمي، فالتوسع الرأسمالي المتواصل والتنافس المحموم بين الامبرياليات الكبرى للسيطرة على الأسواق واستغلالها في الإنتاج والاستهلاك في كل الأقطار بطابع رأسمالي مترابط يوحد بين أجزائه سوق عالمي واحد. وعلى مدى القرنين التاسع عشر والعشرين حطمت البرجوازية الأسس الاقتصادية التقليدية للمجتمعات المغلقة المنكفئة على ذاتها، وأنشأت صناعات جديدة محلها تقوم على الطرق الرأسمالية الحديثة في الإنتاج. وفي كل مجتمع جديد تغزوه الرأسمالية تنشأ طبقة حديثة على أنقاض الطبقات المستغلة القديمة المحتضرة؛ هي الطبقة العاملة. تنشأ هذه الطبقة وتعيش في ظروف متشابهة في جوهرها، ولا تستطيع الفروق في الدين واللغة والثقافة والمعتقدات مهما أوتيت من قوة تأثير أن تمحو الحقيقة الأساسية وهي أن شروط حياة العمال في كل أركان الأرض واحدة، وتتبنى الماركسية القومية الاتحادية التي تنعدم فيها الحدود والحواجز بين عمال شتى القوميات التي تتألف منها الدولة^(٢). وهذا تجسيد للأهمية العمالية فالعمال يخضعون لنفس القوة المستغلة - رأس المال - ولا تربطهم بالمجتمع الحديث مصالح استراتيجية من أي نوع؛ فأولئك الذين لا يملكون شيئاً في مجتمع يقوم على الملكية الخاصة سوى قوة عملهم ولن يفقدوا بالثورة سوى أغلالهم وقيودهم.

وبعد ما تقدم نأق لتلمس هذا المفهوم وبعده الإنساني المجتمعي في الدعوة الإسلامية لاسيما في ثورة الامام الحسين عليه السلام، التي تمسدت فيها كل تعاليم الاسلام التي استوعبت ما قبلها وما دعت إليه الديانات السماوية التي سبقتها، وحافظ على طقوس دينية كان يعتبرها ذات صلة جوهرية بالإيمان التوحيدي فإنه

(١) فيدوسييف، القومية الأهمية البروليتارية، ترجمة نجاح الساعاتي، دار الجماهير، بيروت، ١٩٧٣: ١١.

(٢) لينين، نصوص حول المسألة القومية، دار الطليعة بيروت، ١٩٧٢: ١٠.

في الجانب الآخر، عمل على استيعاب كل المعطى الإيجابي في منظومة المفاهيم والعلاقات المجتمعية التي كانت سائدة في البيئة المجتمعية التي ظهرت فيها الدعوة، وعمل على إلغاء كل ما اعتبره يتناقض في السلوك المجتمعي وما جاء به الدين الحنيف، وعمد إلى تشذيب سلوكيات ومفاهيم كي تصبح متلائمة مع معطى الدين الجديد نصاً وسنة لإدارة المجتمع في شق العلاقات الإنسانية المجتمعية، ولهذا فإن كثيراً من العادات والتقاليد والأعراف والمفاهيم التي كانت سائدة في البيئة المجتمعية لمرحلة ما قبل الدعوة استمرت لكن عبر ضوابط جديدة فرضتها نواميس الدين المبشّر به، وهذا لم يقتصر على البيئة المجتمعية الأصلية التي انطلقت منها الدعوة، بل طال أيضاً كل البيئات المجتمعية التي دخل أبنائها في رحاب الإسلام، فهذه البيئات التي اعتنقت الإسلام كمعتقد ديني، بقيت مشدودة في علاقاتها الاجتماعية إلى أعراف وتقاليد وعادات، تماهي بعضها مع الدين الجديد واستمر وتناقض بعضها مع المفاهيم المجتمعية الجديدة التي ادخلها الإسلام إلى العلاقات الإنسانية، وكان ذلك سبباً جوهرياً في بروز صراعات بين التكوينات المجتمعية التي كانت شديدة التمسك بأعرافها وتقاليدها وان بعضاً من هذه التكوينات المجتمعية عمدت إلى إدخال بعض مفاهيمها الخاصة إلى منظومة الإسلام كونها كانت ترى بذلك واحداً من العوامل الأساسية في حماية مكونات شخصيتها المجتمعية. علماً ان الاسلام المحمدي اكد على ان العقيدة شان انساني خاص بين الانسان وربّه ويتضح من خلال قوله تعالى: ((لا كراه في الدين))البقرة: ٢٥٦ . إنّ حرية العقيدة في القرآن احيطت بضمانات قرآنية جعلت منها حرية مطلقة^(١).

هذه الحالة التي سادت في البيئات المجتمعية التي اعتنق أبنائها الإسلام، لم يستطع الإسلام كدين أن يصورها في بوتقة واحدة، اذ بقيت كل بيئة محافظة على سمات خاصة بها، وبذلك فإن الإسلام الذي لم يسقط كل منظومة المفاهيم والعلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في البيئة الأصلية التي تنشأ فيها والمقصود بذلك البيئة العربية، فإنه أيضاً لم يستطع أن يذيب ويلغي السمات الخاصة للبيئات المجتمعية في الحوض البشري الذي انتشر به، فإنه تعامل معها أيضاً مع البيئات المجتمعية التي انتشر بها، وإذا كانت قد حصلت حالات إكراه في مراحل معينة من مراحل نشر الدعوة، فهذا لم يكن استناداً إلى النص المعتقدي، بل يعود إلى إدارة الفعل السياسي التي أدارت شؤون البيئات المجتمعية المعتبرة ضمن المديات السلطوية لهذه الإدارة، ومن يعيشون في ظل الحكم الاسلامي ولا يدينون بدين الاسلام يقول عنهم الامام علي عليه السلام (دماؤهم كدمائنا وامواهم كأموالنا)^(٢)، ومن هنا تأتي أهمية الاسلام.

من كل ما تقدم، نصل إلى خلاصة أن الامام الحسين عليه السلام والدين الإسلامي لم يبلغ الأديان السماوية التي سبقت وأقر استبعاداً لذلك بتعددية دينية وهذا الامر يتجسد بمشاركة جون المسيحي بثورته، والموالي من غير العرب كما أنه لم يبلغ السمات الخاصة للبيئات المجتمعية التي انتشر فيها، فكان فيه العام والخاص بالنسبة لهذه البيئات، العام، هو وحدة الإيمان، والخاص هو تنوع المفاهيم الاجتماعية، تبعاً لتنوع التكوينات المجتمعية، هذا التنوع في المفاهيم الاجتماعية جعل من كل مكون بيئي ومجتمعي يتميز بسمات خاصة عن غيره ومن أهمها الأهمية، وهذا يقودنا للقول بأن الإسلام كدين موحد للإيمان كان كذلك موحداً للبيئات المجتمعية، هذه

(١) لا اكراه بالدين اشكالية الردة والمرتين، د. طاهر جابر علواني...مكتبة الشروق القاهرة، ٢٠٠٦: ٩١.

(٢) الامام علي في محنة الثلاث، د. علي شريعتي، سلسلة افكار معاصرة ١١، دار الفكر الجديد، النجف، د.ت. ١٧٠.

البيئات التي لم تختلف ولم تتصارع على مبادئ الإسلام الإيمانية الأساسية، اختلفت وتصادمت حول المصالح ودخلت في حروب في ما بينها وكانت كل بيئة ترسم حدوداً لها، هذه الحدود التي ينظر إليها تقليدياً بأنها حدوداً جغرافياً، هي الواقع حدوده تميز سمات كل مجتمع عن غيره. ولا بد لنا في هذه العجالة ان نمر على اهمية ثورة الامام الحسين عليه السلام والتي اكتسبت شهرة عالمية انسانية الامور منها:-

١- كونها اصلاحية إيمانية مبنية على الإيمان بالله الخالص وهي امتداد لنهضة جده محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم. انه عليه السلام قيم ومبادئ وافكار ورسالة، انه ليس مجرد نائر من اجل سلطة، او مغامر من اجل حكم، ابداً، والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله: (الا واني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا مفسداً ولا ظالماً، وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابي علي بن ابي طالب عليه السلام)، و ان الاصلاح اخذ به المسلمون في اول عهدهم فنجحوا وتركته الحكومات الاسلامية فما رجحوا^(١).

٢- ووضوح الهدف الشراكة الحقيقية والواقعية امتازت بالحرية وعدم الاكراه، والتي تتمثل في حرية العقيدة والرأي والاختيار، فتحديد حرية الإنسان، أو سلبها من اي انسان، بمثابة اعتداء على كرامة الإنسان، لأن العبودية ضد الكرامة، وان الإنسان إما أن يكون حراً أو أن يكون عبداً، ولا وجود لمنطقة وسط بين الحرية والعبودية، نعم، يمكنك أن تميز بين الناس على أساس العلم والعمل وحسن الأداء.

٣- استطاع سيد شباب اهل الجنة الامام الحسين عليه السلام ان يضرب اروع الامثلة في مقارعة الطغيان و الظلم والظالمين وكانت بحق ثورة انتصار الحق على الباطل. كانت ثورة ليست كباقي الثورات التي حدثت في تاريخ الانسانية جمعاء، فهي ثورة للإصلاح، ولضمان مبدأ حرية الانسان وكرامته، ومنحه حقوقه وان يعيش حياة حرة كريمة بعيدة عن الذل والهوان، وحين يقبل الناس داعي الحق فإنما يقبلونه لما يحملهم اليهم من الحق والخير لا لنفسه وفي هذا تعال وتسام عن التفاخر القبلي الذي كان رأس مال كل زعيم سياسي او ديني في عصره عليه السلامذ.

٤- لم تكن لجمع المال، والبحث عن الجاه، والتطلع الى الحكم والتسلط على رقاب الناس، ولم تكن ملكاً لفئة دون أخرى، بل هي ثورة للإنسانية جمعاء. ولهذا بقي صداها المؤثر منذ استشهاده عليه السلام في سنة ٦١ هـ حتى يومنا هذا، كشعلة متوهجة لا تنطفئ،. فقد ناشد عليه السلام القوم بقوله: (فمن قبلي بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين).

٥- الإمام الحسين لم يعد رمزاً للشيعنة ولا حتى للمسلمين وحدهم، بل هو رمز إنساني.. رمز اتخذته اكبر نائر في القرن العشرين رمزاً له ذلك الزاهد الشجاع المهاتما غاندي مؤسس دولة الهند الحديثة قال: (وبعد دراسة عميقة لسائر الأديان عرف الإسلام بشخصية الإمام الحسين وخطب الشعب الهندي بالقول المأثور "على الهند إذا أرادت أن تنتصر فعليها أن تقتدي بالإمام الحسين"). وهكذا تأثر محرر الهند بشخصية الإمام الحسين ثائراً

(١) المثل العليا بالاسلام لا في بمحمدون، محمد حسين ال كاشف الغطاء، المطبعة الحيدرية ، النجف، ١٩٥٤: ٧٤ .

حقيقياً وعرف أن الإمام الحسين مدرسة الحياة الكريمة ورمز المسلم وقدوة الأخلاق الإنسانية وقيمها ومقياس الحق.

٧- اكدت هذه الثورة على التوحد وحرص الصفوف والتأخي ونبذ الفرقة، والتحلي بالزاهمة والصدق وقول الحق والعمل الصالح، ومن خلال المكونات المشتركة بالثورة و الذي نحن الان بأمس الحاجة الى قادة يتحلون بأخلاق الحسين عليه السلام واصحابه قولاً وفعلاً وليس تسترا تحت خيمة اهل بيت رسول الله.

٨- للقضاء على الفتن التي سادت في تلك الفترة، لا التستر على الطغاة الفاسدين والظالمين وهذه الثورة هي امتداد للإرث الحضاري والاخلاقي لشعبنا وهي ضد القتل وسفك الدماء والتهجير والطائفية والعرقية والمنطقية. ودعت الى الرحمة والتربية والاحساس الوجداني بالأمم الاخرين ومشاركتهم الأهم^(١).

٩- الحسين ثار بأنصار جمع بهم الحجة على المجتمعات فكان الشيخ رافضاً للباطل والمرأة والتي كان لها وور مهم يطول الحديث عنه وكذلك الطفل، والمسلم والمسيحي والاسود والابيض والاصفر كلهم صهروا ببنوتة واحدة هي ثورة الحسين عليه السلام، والحسين رسم طريق الحرية والكرامة ونحن بحاجة الى صحوة ضمير ونفيق من هذا السبات لنعيش الحقيقة ولو كانت مرة فالثورة الحسينية هي دستور المظلوم التوجه في قلب كل ذي ضمير وعقل وقد علمنا الامام الحسين ان الظلم يجيا بالسكوت وقد اصبحت اليوم عبارة عن عادة يمارسها الناس وتناسوا بأن الحسين عليه السلام قد خرج مضحياً بالغالي والنفيس من اجل المثل العليا للإنسانية.

٧- البعد الانساني والعاطفي والجماهير؛ لأنها طرحت قضايا ترتبط بضمير ووجدان الانسان، اما عاطفياً من خلال المسألة التي صنعها الحسين عليه السلام في كربلاء والتي لازالت تعيش ضمير مئات الملايين من الناس المسلمين وغيرهم^(٢). هذا فيض من غيظ يطول الحديث عنه خشية الاطالة.

فبقراءة متأنية لرسالة الامام الحسين عليه السلام ولثورته المعطاءة، تتجلى كرامة الإنسان، كإنسان، بغض النظر عن لونه أو جنسه أو اثنيته، والى هذا المعنى الباري بقوله ((ولقد كرماً بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً))^(٣)، وهي إشارة واضحة إلى أن الهدف هو كرامة الإنسان، وليس المسلم فحسب أو الشيعي على سبيل الفرض، إنما الهدف هو كرامة بني آدم وهي عبارة تعني كل البشر بغض النظر عن انتماءاتهم وأصولهم ومعتقداتهم، والى ذلك أشار الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ((من آذى ذمياً فقد آذاني)) وقوله عليه وعلى آله أفضل التحية والسلام ((من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت أنا خصمه، خصمته يوم القيامة))، هذا هو الاسلام وجوهر العقيدة الاسلامية وبالتوحيد يحجر الانسان من العبودية لغير الله^(٤) ومن هنا جاءت انسانية وأهمية الامام الحسين عليه السلام.

(١) مفاهيم حضارية، مؤسسة البلاغ، مطبعة الصدر طهران، ٢٠٠٩م: ٦١ .

(٢) ثورة الحسين، اية الله محمد باقر الحكيم بمجمع العالمي لأهل البيت ط بيروت، ١٤٢٥هـ: ١١٤ .

(٣) الاسراء: ٧٠

(٤) الاسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر، اصدار مجمع الثقلين، بغداد ٢٠٠٤: ٤٩ .

المبحث الثاني

الحسين والعنصرية

يقصد بالعنصرية او بالتفرقة العنصرية في العرف الحديث التمييز بين الأجناس في القوانين والمعاملات على أساس اللون والدم والامور المتعلقة بتكوين الجسم البشري، وما يتبع ذلك من الحياة الفكرية ومظاهر السلوك والاجتماع. لقد صنّف العلوم الإنسانية الأجناس البشرية إلى جماعات تجمع بين كل منها خصائص وميزات طبيعية متوارثة في مجموعها مجال للاختلاف البسيط بين أفرادها، ومن أبرز هذه الخصائص لون البشرة وشكل الجمجمة، وملامح الوجه وطول القامة، وقالوا: إن هذه الطبيعية يتبعها اختلاف في المواهب العقلية والقوى النفسية وما إليها ورأى بعض هؤلاء أن تقسيم البشر إلى أجناس يرجع إلى الدم نفسه على خلاف فيما بينهم على مقدار نسبة ما يوجد من دم الآباء والأجداد في الإنسان حتى ينسب إلى هذا الجنس، وعلى هذا الأساس تم التقسيم العنصري بين البشر لاعتقادهم أن هناك امتيازات للبعض على البعض الآخر، ومن هنا يحق للأجناس العالية أن تكون لها قوانين وأن تعامل معاملة خاصة، بخلاف الأجناس الأخرى التي لا ينبغي أن تدخل معها في هذه القوانين وتلك المعاملات.

هذا هو مفهوم التفرقة العنصرية في العرف الحديث الا أن هذا يتنافى ومبدأ الاسلام في نبذ التعصب والعنصرية و لأن فكرة التمييز بوجه عام بين بني الإنسان فكرة قديمة، لوجود اختلاف بينهم في اللون وقوة الجسم العقلية والمظاهر المادية، والتي كان من أثرها استعلاء بعضهم على بعض، واستغلال القوى منهم للضعيف وللفقير، وسيطرة العالم على الجاهل، والتي كان من أكبر مظاهرها الرق وان كثير من المفاسد الاخلاقية ومنها النفاق والكذب وسحق الحقوق والتملق والظلم والتميز والسرقه والخنوع والانحطاط واللاإنسانية كلها ثمار تلك الشجرة الخبيثة^(١).

ولعل بعض الديانات وعلى العكس من السلام اقرت العنصرية ومنها المسيحية واليهودية، وظل الرق معترف به بين المسيحيين، وكثر كثرة فاحشة بعد اكتشاف أمريكا، إذ تم جلب الرقيق من أفريقيا للعمل وباتت المنافسة في تجارة الرقيق على أشدها بين الدول الاستعمارية، إذ لم تقتصر على التجار فقط بل باتت يمارسها ملوكها وكبار رجالها، حتى صدرت قوانين تنص على احتقار الجنس الأسود وإهدار كرامته.

لقد كتب عدة كتاب عن هذه المشكلة بمفهومها ومظاهرها آثارها وتاريخها، لنكون على بينة من هذا الأمر ، ولتعرف بوضوح أن الإسلام وثورة دين حق ومنهج جاء بأرقى التشريعات لأرقى الأمم ولأرقى العصور، ولتسليط الضور على السود او الموالي الذين اشتركوا بالثورة الحسينية والتي كانت نسبتهم عالية وهذا اكبر دليل على نبذ ثورة الحسين (عليه السلام) للعنصرية واصحاب الحسين من الملونين او غير العرب هم:-

١. جون مولى ابي ذر، ذكره المجلسي في بحار الانوار باسم جون بن حوي. (بحار الانوار، محمد باقر المجلسي ١١١١، المكتبة الاسلامية بتهران، ١٣٨٥ هـ ج ٤٥ ص ٧١).

(١) الاسلام والعلمانية، د. عبد الكرم سروش، دار الفكر الجديد، النجف، ٢٠٠٧: ١٥٤.

٢. زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي ذكره ابن شهر اشوب ومحمد باقر المجلسي في بحار الانوار ج ٤٥ ص ٢٧
 وعدة من شهداء الحملة الاولى وهو جد محمد بن سنان وهو من اصحاب الامام الكاظم وعلي موسى الرضا
 (عليهم السلام) وهو ضعيف جدا وذكرته بعض المصادر باسم زاهر بن عمر الكندي شيخ كبير من موالي كنده.
٣. سالم مولى بني المدينة الكلبي ذكره المجلسي في بحار الانوار وهو مولى لبني المدينة بطن من كليب بن برة من
 القحطانية من عرب الجنوب.
٤. سالم مولى عامر العبدي ذكره سماحة اية الله محمد مهدي شمس الدين في كتابه انصار الحسين (المصدر، انصار
 الحسين، محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦، ص ١٩٠).
٥. سعد بن عبدالله مولى عمرو بن خالد الازدي ذكره الطبري ج ٥ ص ٤٤٥ وقد ذكر بالزيارة باسم سعيد لحق
 الامام الحسين مع مولاه عمرو بن خالد الازري الاسدي الصيداوي واخرون فانتهوا الى الحسين وهو بعذيب
 المهجانات بعد لقائه مع الحر بن يزيد الرياحي وقبيل وصوله الى كربلاء.
٦. شاذب مولى شاكر بن عبدالله الهمداني الشاكري. ذكره الطبري والخوازمي في المناقب وكان من وجهاء الشيعة
 ووجههم ومن اعظم الثوار اخلاصا وحامسا وهو مولى ينسب لبني عرب الجنوب.
٧. السيدة الارملة التي لجأ مسلم بن عقيل الى منزلها بعد ان فشلت حركته وتفرق القوم عنه وهي السيدة طوعة
 وكانت مولى لمحمد بن الاشعث. (المصدر/تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري/تحقيق محمد ابي الفضل اب
 اهيم، دار الكتب، بيروت، ١٩٦٣، ج ٦، ص ٣٧١).
٨. اسلم التركي مولى الامام الحسين ذكره الطبري باسم سلمان وذكره السيد محسن الامين في اعيان الشيعة ج ٤
 ص ١٢٦ وقال (خرج غلام تركي كان للحسين عليه السلام اسمه اسلم) ووصف اسلم بانه قارئ قران عارف
 بالعربية.
٩. قارب مولى الامام الحسين ذكره المجلسي في بحار الانوار ج ٤٥ ص ٦٩.

ولعل ما قدمته ثورة الامام الحسين (عليه السلام) للبشرية في نبذها للعنصرية، والتميز من خلال اللون
 والعرق والدم يعد نموذجاً للتسامح والمحبة مع رفضها للتفرقة العنصرية ونظرها إلى البشر نظرة واحدة على
 اختلاف الواهم واجناسهم، منطلقة في ذلك من نظرة الاسلام الى البشر جميعا متجسدة في قوله تعالى: ((منها
 خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)) طه: ٥٥، فالإسلام لا يفرق بين اسود وبيض او اصفر او
 احمر وبين عربي وغير عربي، فكلهم مولودون من أب واحد هو آدم، فنسبنا جميعا واحد، ونحن إخوة في هذه
 الأسرة الإنسانية الواسعة، قال تعالى ((يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
 إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير))^(١)، وإذا كان لبعض أفرادها نوع امتياز بلون أو شكل أو نشاط
 فذلك لا يغض من قيمته في أنه يشكل ركنا أساسيا في تالف هذه المجموعة وتضامنها في عمارة الكون وتحقيق
 الخلافة في الأرض، وجعل الناس موزعين إلى مجموعات نسبية على الرغم من اتفاقهم في هذه الأصول، وذلك
 لتمييز بعضهم عن بعض، ولتعريف الحقوق وتحدد الواجبات، وتسهل تنظيم أمر الجماعة، فهذا الإجراء
 تنظيمي بحت لا يمس جوهر المساواة الحقيقية في الأصول المذكورة، وهذا التوزيع نعمة من نعم النظام الالهي،
 والذي تستريح له النفس وتطمئن إليه القلب لقوله تعالى: ((ومن آياته خلق السموات و الأرض واختلاف

ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات))^(١) ، فقد وقد ورد في عهد الامام علي لملك الاشتر قوله: (واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى بعضها عن بعض ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها اهل الجزية واهل الذمة ومسلمة الناس)^(٢).

ولم يكن في هذه الثورة المعطاء تفاوتاً في المعاملة بين البشر على الجنس أو اللون أو اللسان، وإذا وجد فقد كان على أساس الكمالات النفسية والأخلاق الطيبة والعمل الصالح القائم على الإيمان بالله، فالطبيعة البشرية واحدة، وإن كان هناك اختلاف فهو لأمر عارضة كتأثير البيئة، وعدم إتاحة الفرصة للبعض أن يكمل نفسه، وقد حارب الاسلام وثورة الامام الحسين عليه السلام أن يكون هناك تفاوت في المعاملة على غير هذا الأساس وخير دليل على ذلك وقوفهم متساويين في الصلاة أمام الله دون تمييز طبقي او عرقي وأدأؤهم لشعائر الحج مجردين عن كل مظهر من مظاهر التفرقة العنصرية، التي كان الناس على أساسها يفرقون بين الابيض والاسود قبل الاسلام، وخير دليل على ذلك ما قام به الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم حين ولي دعيه زيد، في جند كان خيار المسلمين من العرب، وزيد كان رقيقاً ثم أعتقه النبي وزوجه من زينب القرشية ابنت عمته والتي صارت بعد ذلك من امهات المؤمنين وعندما اعترض البعض قال فيه (صلى الله عليه وآله وسلم): ((اسعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)) رواه البخاري... كما أعتق الحسين (عليه السلام) جارية ثم تزوجها وعندما علم معاوية بذلك عاب عليه، فرد عليه الحسين بقوله: (قد رفع الله بالإسلام الخسيسية ووضع عنا به النقيصة، فلا لوم على إمرئ مسلم إلا في أمر مأمث وإنا اللوم لوم الجاهلية). لقد كانت نظرة الامام الحسين للعنصرية والرق نظرة انسانية تحررية. فالحسين عليه السلام وارث راية الحرية الراهية الحمراء التي تناقلتها الانسانية يدا بيد من زمن ادم وهي اليوم بيد الحسين واودع الراهية بيد قادة الناس والاحرار وجميع المطالبين بالعدالة في تاريخ البشرية^(٣).

لقد ظهر موقف الإسلام وثورة الامام جلياً في محاربتهم للتفرقة العنصرية في تشريعهم الحكيم لإبطال الرق تضييق بابه الذي كان متسعاً جداً قبل الإسلام، وكذلك فتح الأبواب الواسعة لتحرير الرقيق، وإيجاد منافذ كثيرة للانطلاق من الرق إلى الحرية. وكذلك الأمر بالإحسان إلى الرقيق حتى تحين الفرصة لعتقه، والوصايا في ذلك كثيرة. ان موقف الامام يدل دلالة واضحة على احترامه لأدمية الإنسان عن طريق الإحسان إلى الرقيق، فإنه من غير شك يراعى هذا التكريم مع من لا يملك الإنسان رقبته وان اول من سن قانون رفض القوميات ومحاربة العنصرية بكل شدة وشجاعة هو الاسلام حيث عمل جاهدا على اذابة القوميات وجعل التفاضل بين الافراد على اساس التقوى وليس على اساس قومي او عنصري منطلقاً من النظرة القرآنية^(٤).

ففي صدر الاسلام وبعد رحيل رسول الانسانية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مرسي اسس العدالة والحرية اوشك الاسلام ان ينمحي ويتلاشى بسبب انحراف بني امية وعنصريتهم واحياء القبيلية وتفضيلهم

(١) الروم: ٢٣.

(٢) حقوق الانسان عند اهل البيت، ع،، علي الكوراني/مركز المصطفى للدراسات الاسلامية، قم، ٢٠٠٧: ٥٨ .

(٣) الامام الحسين وارث ادم، د. علي شريعتي، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، قم، ٢٠٠٧م ج ٣: ٢٠٣ .

(٤) الشيعة رواد العدل والسلام. الشيخ مجيد الصائغ، مؤسسة النبراس، للطباعة والنشر، النجف، ١٤٢٥: ٢٩٩ .

العربي على غيره والأبيض على الأسود متناسين اساس التقوى ونتيجة انحراف هؤلاء الحثالات وخططهم الهادفة لإحياء الشعور الوطني القومي برفعهم شعار (لا خبر جاء ولا وحي نزل) فقد عملوا على تحويل حكومة العدل الاسلامي الى حكم ملكي امبراطوري وعزل الاسلام والوحي وازاء ذلك حدثت هزيمة اسلامية يقودها رجل عظيم تغذى من عصارة الوحي الالهي وتربى في احضان سيد الرسل محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم). وسيد الاولياء علي المرتضى (عليه السلام) وترعرع في احضان الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فانتفض ثائراً ومن خلال تضحيته الفذة وهضته الالهية اكبر ملحمة جهادية في التاريخ ليقف ضد تشوية وطمس معالم الاسلام وليقوم سلوك البشرية كافة، غير طامع بسلطة ونفوذ بل هدفه اعادة روح الاسلام وكرامة الانسان التي سرقها وانتهكها بني امية لعنهم الله^(١).

(١) هزيمة عاشوراء، الامام الخميني، س، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني- الشؤون الدولية،

طهران، ٣٩: ٢٠١٠.

المبحث الثالث

الحسين والقومية

القومية مذهب سياسي قوامه إثارة المصالح القومية على كل شيء، ويظهر هذا الإثارة في منازع الأفراد، أو في منهج حزب سياسي، يناضل في سبيل قومه، ويدافع عنهم، ويعتز بهم، والقومية قوميتان ضيقة وواسعة. الأولى تضع نفسها فوق كل شيء، وتتعب لجنسها أو دينها أو لغتها أو ثقافتها أو تاريخها تعصباً أعمى؛ والثانية تمد بصرها إلى العالم للاقتباس منه أو للإسهام في تقدمه الحضاري. وبين هذه القومية الواسعة والإنسانية الكاملة وحدة عميقة، إذ لا يمكن للفرد أن ينمي ذاته إلا داخل الإطار القومي، كما أنه لا يستطيع أن يكون مخلصاً لقوميته بحق إلا إذا عمل على توكيد إنسانيته الكاملة. وهذا يعبر مفهوم القومية عن حالة عقلية لجماعة من البشر تؤلف بينهم صلة اجتماعية عاطفية تتولد من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والثقافة والتاريخ والحضارة والأمال والمصالح المشتركة، ويكون فيها ولاء الفرد للدولة القومية واجباً أسمى. ويرادف هذا المفهوم للقومية مفهوم الأمة بوصفها تمثل مجموع الخصائص المميزة لوجود أمة ما، وحركتها السياسية والثقافية، التي تجعلها مختلفة عن الأمم الأخرى، فلكل أمة كيان متفرد، يختلف عن سواه، لاختلاف اللغات. والاسلام يبني الحياة الاجتماعية والاخلاقية للإنسان في اطار الامم والمجتمعات وقيمة التكريم والتفاضل الانساني بين الناس افرادا وجماعات على اساس التقوى^(١).

أمّا القومية بالمفهوم الماركسي: لقد ادت الثورة الصناعية الى تقوية الطبقة الوسطى وتوسيعها وتركيز نفوذها ورفعها من مجرد طبقة وسطى الى مرتبة الطبقة الحاكمة، وما يترتب على ذلك من تركيز على المتغيرات واستغلالها. كما ادت على إيجاد طبقة عاملة جديدة متكئة ذات مصالح متناقضة مع مصالح تلك الطبقة، وادت ايضا الى نشوء الفكر الاشتراكي للطبقة العاملة، متميزا عن الفكر الحر الذي كان سنده دائما للطبقة الوسطى. وتبلور الفكر الاشتراكي في مذهب ماركسي وانجاز الذي الغى القومية الغاء تاما، وعم انها ليست لا تركة من تركات حكم البرجوازية اي الطبقة الوسطى التي اخترعها بهدف تركيز قبضتها على الشعب كله بجميع طبقاته، ويهدف استعمال اسم القومية في معنى صوفي يختلط بالجد القومي، وما ينبع عنه من عظمة وجبروت قومي يساعد في دخول المعارك من اجل الحصول على المستعمرات لزيادة ثروتها واستغلالها الأكبر عدد ممكن من البشر افرادا واما، ويرى الفكر الماركسي وجوب ازالة القوميات واعتبارها مجرد اختراعات برجوازية مستندا الى ان العالم لا ينقسم في الواقع الى قوميات مختلفة واما ينقسم الى طبقات مختلفة فحسب، ولذلك فعلى الطبقة العاملة ان تتحد لتكون كتلة واحدة في وجه الطبقة المستغلة صرف النظر عن القوميات التي ينتمي اليها هؤلاء العمال اولئك المستغلون، ويرى الفكر الماركسي ايضا ان الحكومة لا وظيفة لها في الواقع الا تثبيت مصالح الطبقة التي تنتمي اليها، وبما ان الاشتراكية ترمي لإيجاد مجتمع غير ذي طبقات، فهو اذن مجتمع لا حاجة به الى الحكومة، لذلك يجب الغاء هذه الحكومات وما تمثله من مصالح طبقية، ويتحول المجتمع الانساني كله الى مجتمع

(١) رسالتنا الاسلامية بين الاصله والتغريب، الشيخ فؤاد كاظم المقدادي، مجمع الثقلين العلمي، بغداد، ١٤٢٤:

واحد غير ذي طبقات وغير ذي حكومات وغير ذي قوميات ويعمل التيار القومي التسعير نيران العداوة القومية والكره القومي وتتصاعد قوة وحامية هذا التيار خلال الحروب وخصوصاً ضد الاجانب^(١).

لقد حرر الاسلام المحمدي وثورة الامام الحسين المجتمعات من النظرة التجزيئية التي لاثربط التكوينات الاجتماعية في عقيدة واحدة، والتي كانت تسمح بأن تصبح المكونات الاجتماعية بنى متباعدة تتشكل عناقها على مبدأ الصراع والغلبة، وحتى عندما حاول هاشم الجد الاكبر للرسول الخاتم (صلوات الله عليه وآله) ان يوحدها في ظل الحفاظ على ترابط يحمل قيماً علياً استناداً الى البيت العتيق، وعبر ترتيب عناقها الاقتصادية من خلال رحلتي الشتاء والصيف، فان النزعة القبلية بقيت هي العامل المؤثر في ترتيب العلاقات بشكل عام.

ولهذا عندما ظهر الفكر الاسلامي طرح منهجية مخالفة لما اعتادت عليه القبائل العربية المتناثرة في صحراوات الرمل، فقد استطاع الفكر الرسالي تحليل شخصية المجتمع القبلي انطلاقاً من مفاهيم تكرس وحدة المجتمع وإن تباينت مواقفه من قضية ما، وقد ادرك صاحب الرسالة السماوية ان الاشكالية تكمن في جذور البناء القبلي او القومي من جهة اعتباره تكويناً مغرقاً في الذاتية وتحتل الرؤى الطاغوتية فيه مساحة واسعة في اخضاع المجتمع لهيمنة سطوة المال والقوة، ومن هنا سعى الفكر الرسالي الى تجريد المجتمع من نزعته القومية وليدة التعصب القبلي لصالح قيمة اعلى. فطرح معيارية تتفق والمنهج العقلي من جانب وقادرة على تحريض النفس من جانب آخر فقال سبحانه: ((يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم إن الله علم خير))^(٢). فهذا الخطاب الالهي يضع قيم المعيارية الرسالية في تحديد العلاقة بين الانسان والله، وهذا المعيارية لم تتخذ القوة او الثروة ولا السلطة والوجاهة لتكون معياراً لقيمة الانسان، بل جعلت التقوى والتي هي اعلى درجات الايمان لتكون المعيار الحقيقي لعلاقة الانسان بالخالق. إذن هي لم تتخذ معياراً مادياً، ولكنه تبنت معياراً معنوياً يتحدد وفق المنهج الرسالي، هذا المنهج الالهي سعى الى تحرير الانسانية من النزعة القومية المبنية على القبلية والنظرة الذاتية وتخليصها من الحالة الانية، لينتقل بها الى مسارات كونية وتجليات روحية يصبح للإنسان من خلالها موقعا حقيقيا في حركة التاريخ والامة التي اختارت الوقوف الى جانب الامام الحسين ضد يزيد واركاز دولة وهي ايضا حالة من التواصل والامتداد الطبيعي الاقليات الامم السابقة التي اختارت الوقوف مع انبيائها ومبادئهم^(٣).

لقد اراد الامام الحسين (عنه السلام) ومن خلال ثورته ان يعيد ترتيب العلاقة بين العقيدة والمجتمع بعد تفشي الانحراف الفكري والابتعاد عن المنهج الرسالي، ولما كانت العقيدة الاسلامية تنحو منحاً كونياً وهي لاتقف عند حد الانسان الفرد في تطلعه المستمر نحو التعالي كما هي عليه السنن الالهية، فان الامام الحسين وكما كان جده الرسول من قبل حين سعى لانتزاع العقل من النظرة القبلية وبناء مجتمع تسوده الالفه والوئام والسلام، والارتقاء به ليكشف عن عظيم مكنوناته التي اودعها الله فيه، فالامام الحسين (عليه السلام) حاول

(١) موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، د. ناظم عبد الواحد الجاسور، دار النهضة

العربية، بيروت، ٢٠٠٨: ٣٨٢ .

(٢) الحجرات/١٣.

(٣) كربلاء الثورة والمأساة، الخامي احمد حسين يغقوب، دار الغدير، بيروت، ١٩٩٧،: ٩٩ .

انتزاع الفكر من الاسلوب القبلي الذي حركة التاريخ والمجتمع من قبل، ومن هنا كانت فمضته دعوة للإنسانية للخروج من ضحالة الفكر الابي الى سمو التجلي الكوي. وهنا كانت مأساة الحسين تتغلغل في كل شيء حتى تصل الى الأوس.

فهذا التغلغل يشكل اتجاهها منطقيًا وعقلانيًا في ثورته المباركة باعتبارها لانقف عند رؤيا محددة، ولكونها تطرح مفهومًا يرسم علاقة الانسان بالحياة من جانب، وبالمنهج الرسالي من جانب آخر. وهذا الاتجاه يكشف حقيقة أسباب الثورة الحسينية باعتبارها لانتبني اهدافًا دنيوية، ولم تتخذ في تطوراتها منحاً سياسياً، بل ان الجانب الاصلاحى و العقائدى يشكل المنهج الوحيد الذى سعى من اجل تحقيقه وكان يعي مقالة ابيه (عليه السلام) ان النزعة القومية والقبلية ما هي الا ارث شيطاني يزينه الشيطان لأوليائه فيها، وان هذا الشيطان احق بالخرابة من الضعفاء الذين يقع عليهم الظلم ويلحق الحيف بهم بسبب النزعة القبلية والقومية^(١).

إن التضحية التي قدمها الامام الحسين (عليه السلام) لا تحتكم الى المنهج القومي القبلي باعتبار كونه الفكر الاسلامي وشموليته اللامتناهية، أذ لا يمكن حصر الاسلام فكراً وعقيدةً في فئة او قبيلة ما، ولا مساحة جغرافية وتاريخ ما. لقد اراد الامام الحسين (عليه السلام) ان يستعيد الانسان كرامته ومن خلال هذا الفكر الحي بغض النظر الى اللون والجنس وان يأخذ الانسان موقعه الحقيقي في حركة التاريخ، وان يكون فعله إيجابياً في التطلع الرسالي نحو الاخرة. اراد ان يعيد للإنسانية اعتبارها كحاملة للفكر الرسالي، وان يوحد البناء الاجتماعي عبر المشروع النهضوي داعياً الى الخلاص من ظلامية الطاغوت، ولهذا كانت ثورته اصلاحية بحتة وانسانية ذات هدف اعمى. ففي كل قتلة للحسين هزيمة... ولكل ذبحة للحسين هوض^(٢).

لاشك إن الامام الحسين قد استطاع ان يجسد العلاقة بين الانسان والعقيدة حد الاستشهاد، فتمكن ان يؤسس لمواجهة نوعية بين الانسان وذاته عبر منح الانسانية قيمة شرعية وتاريخية، تنحو منحاً مستقبلياً لتمتلك الانسانية من اعادة اكتشاف ذاتها بشكل مجرد من النزعات الآنية، أو المرجعيات القبلية، حيث لا قيمة للشكل القومي امام قيم الشهادة، ولا معنى لمفاهيم الفكر المتردي امام التعالي، فالثورة الحسينية حررت المجتمع من امكانية النكوص المستقبلي، فلا حجة للفكر في العودة الى النهج القومي المبني على القبلية بعد تبيان الحقيقة في اسمى تجلياتها، ولا حجة في الائتال على الشخصية عندما يخرج الامام بنفسه للجهد معلناً ان قيمة الانسان تتجلى عبر قيمة الفعل، فالفعل الذي يترك بصمته على حركة التاريخ هو بالتالي عنوان للإنسانية في ارقى تجلياتها بحثاً عن الحقيقة. ففي تبيان مفاهيم الصراع بين القيم الكونية وتلك القبلية ذات النزاع الجاهلية لقد استطاع الامام الحسين عليه السلام أن يسحق بنهضته كل الاشكال القومية والقبلية العصبية التي ظل المجتمع متشبثاً بها ولم يتمكن من الخروج من قيعة ضحالتها ويرتقي في سماء آت الفكر الرسالي. وان ثورة الامام الحسين (عليه السلام) ((كانت ثورته انتحارية لا تقوده الى نصر سياسي آبي وانما تنبيه الامة الى الخطر وتضعها في

(١) دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين، دار الزهراء ببيروت، ١٣٩٢ هـ: ١١٢.

(٢) الحسين يقتل من جديد، الشيخ عبد الهادي المهاجر، مكتبة المهاجر، النجف الاشرف، ٢٠٠٠م: ٢٧.

مواجهة وتفجير طاقة الثورة وروح الرفض وتحمل الحاكم ان يحافظ على الحد الادنى من رعاية مبادئ الاسلام في سياسة^(١).

إن الإسلام الذي أقر بتعددية دينية وانطلاقاً من إقراره واعترافه بالديانات التي سبقت، فإن المجتمع الذي أطلق ويطلق عليه المجتمع الإسلامي، إنما هو في الواقع مجتمع تعددي في المعتقد الديني لأفراده، وهذا يستتبع اعترافاً بحق معتنقي أي دين إلهي توحيدي أن يمارسوا طقسهم الديني؛ لأن الإسلام لم ينكر ما قبله من ديانات سماوية، لم يكن تعايشه معها تسامحاً وحسب بل أيضاً اعتقاداً دينياً، وإن ممارسة الآخرين طقسهم الديني هي حق لهم استناداً إلى أحكام الدين الذين يعتقدون وعلى قاعدة ثابتة عند الإسلام أن (لا أكراه في الدين) وهذا يقودنا إلى أن مجتمع الذين يؤمن غالبية أعضائه بالدين الإسلامي لا يحرم فيه أن يكون هناك أناس يعتقدون ديانات سماوية أخرى وبذلك لا يصح القول بأن يسمى المجتمع، مجتمعاً إسلامياً، إذا كان فيه من هم غير مسلمين بالمعتقد الديني، وبغض النظر عن عدد هؤلاء.

وهنا، نصل لنطرح التساؤل التالي، هل الإسلام كدين يشكل مكوناً وحيداً للأمة حتى يصبح الأخذ به كعامل حاسم في تحديد مفهومها؟ إن الجواب على هذا التساؤل، لا يكون بما يشير إليه النص، بل الأهم من ذلك مدى مطابقة النص للواقع، فإذا لم يكن النص عاكساً لحالة واقعية أو ممكن التطبيق على حالة واقعية، فإنه يبقى مندرجاً ضمن إطار الجدل النظري، وإنه في ضوء ذلك لا يكفي أن يقول المنظرون للأمة الإسلامية بأن المسلمين يشكلون أمة واحدة وإن تميزت سمات تكوينات بيئاتهم المجتمعية لأن ذلك يتناقض مبدأً إسلامياً جوهرياً، وهو إقرار واعتراف الإسلام بديانات سماوية أخرى يعيش المنتمون إليها دينياً في نفس البيئات المجتمعية، وعندها لا يصح أن يطلق على المكون البشري في البيئة المجتمعية بأنه مكون مسلم نظراً لوجود أناس من قوميات أخرى وهذا ما جسده ثورة الامام الحسين عليه السلام من خلال مشاركة غير العرب ومن قوميات مختلفة بالثورة الحسينية وإن هذه المشاركة دلت دلالات اذ بلغت مستوى معين في الكثافة والتنوع، فاذا لحظنا ان نسبة غير العرب كانت كبيرة من مجموع الثائرين وهي نسبة لا يستهان بها وهم:-

١- اسلم التركي ذكره الخوارزمي وقال عنه ((ثم خرج غلام تركي كان للحسين))^(١)

٢- جون ابن حوي وكان رومياً.

٣- حنظلة بن اسعد الشامي الهمداني.

٣- سواربن منعم بن حابس الهمداني النهمي توفي متأثراً بجراحة بعد ستة اشهر من واقعة الطف.

٤- شوذ مولى شاكر بن عبدالله الهمداني وكان من وجوه الشيعة وهو غير عربي.

(١) واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي. الشيخ محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م: ٣٩.

(٢) مقتل الحسين،، الابي المؤيد الموفق بن احمد المكي الخوارزمي ت٥٨٦. مطبعة الزهراء، النجف. ١٩٤٨ ج٢: ٢٤.

٥- عبد الرحمن بن عبدالله بن الكدر الارحبي الهمداني وهو من حمل رسائل اهل الكوفة الى الحسين وكان في الكوفة مع مسلم بن عقيل.

٦- عمار بن ابي سلامة الدالاني الهمداني ودالان بطن من همدان.

٧- عمر بن عبدالله الجندعي وجدع بطن من همدان.

٩- برير بن الحصين الهمداني كان محترماً في مجتمع الكوفة وقد بعثه الامام الحسين الى اصحاب عمر بن سعد فوعظهم فلم يسمعوا وذكرهم فلم ينتفعوا وحينما برز للقتال قال ((لقد علمني قومي اني احببت الباطل كهلا ولا شاباً...))^(١).

لا يمكن لأي مصطلح ان يطرح مشروعاً مستقبلياً يحمل قيمة كونية وينظر لمستقبل الامة اذا اتكل في بناء الاجتماعي على القومية او القبيلة لكن فكر الامام الحسين الاصلاحى في منهجه الموضوعى يدرك الحاجة الى طرح المشروع الحضارى على قاعدة اوسع، وهذا ما سار عليه الامام الحسين عليه السلام وعلى خطى جده الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد دعى اهل بيته من بني هاشم ليبلغهم برسائله السماوية وليكونوا نواة للبناء المستقبلى، وكذلك والحسين اصطحب اهل بيته (عليهم السلام) ليكونوا نواة للمشروع الاستشهادى، وليدرك من آمن به وبمشروعه، وانه لم يعلن نهضته الثورية ليجعل من الاخرين شهداء وليحتفظ باهل بيته بعيداً عن القتل، ولاشك ان الان الامام الحسين يدرك قيمة حرية الانسان وكرامته، ومن هنا كان السماح لهذه النواة المؤمنة بمرافقته والتي ضمت مختلف الاجناس القومية والعرقية في مشروعه النهضوى، والذي اعتمد على قيمة الانسان نفسه ككائن حر يحمل اختياره الذاتى، وهكذا لم يوثق لنا التاريخ عبر حركته الطويلة ان الامام الحسين قد اجبر احد على اتباعه في مسيرته المباركة، لقد اكتفى الامام بتبيان قيمة الاصلاح والثورة باعتبارها تطبيقاً حقيقياً لقضية الجعل الالهى، كما كشف قيمة الخلافة الراشدة المبنية على الاسلام المحمدي في قيادة الامة وتحريرها من العبودية والقومية القبلية وجاهلية الفكر المنحرف عن المنهج الرسالى، فقد وضع المجتمع امام مسؤوليته في التعامل مع مدعى الخلافة وسعى هؤلاء لمسح العقيدة وتضييع الشريعة فرض التعصب القومى واعادة العصبية القبلية الى سابق عهدها، اذن للمقارنة التي اوجدها الامام الحسين عليه السلام التي تركز على الحق الالهى وهي لا تطرح مشروعاً آنيا بقدر انها تشكل بناءً مستقبلياً يعيد الانسانية الى مسارها الصحيح. وقد جسده ثورة الامام الحسين (عليه السلام) من خلال وضوح الهدف وصدق المبدأ، وعلينا ان نعرف ان القومية عندما طرحت في القرن العشرين كانت سبباً لإبادة قوة كبرى في الشرق وتحزنتها باسم القوة الاسلامية^(٢).

ومن خلال اطلاعنا على ثورة الامام الحسين نرى أن الدعوة إلى القومية أيًا كانت أهما إساءة إلى الإسلام ومحاربة له في بلاده فهي أيضاً إساءة إلى القومية نفسها، وجناية كبيرة عليها. لكونها فصلهم عن الإسلام الذي

(١) الملهوف على قتلى الطفوف، علي بن جعفر بن طاوس ت ٦٦٤، دار السوه للطباعة والنشر، طهران، ١٤٢٥

هـ: ١٥٥.

(٢) مسؤولية المثقف، د. علي شريعتي، مؤسسة الآداب الشرقية، النجف الاشرف، ٢٠٠٦ م: ١٩١.

هو مجدهم الأكبر، وشرفهم الأعظم ومصدر عزهم وسيادتهم على العالم، فكيف يرضى مسلم عاقل بدعوة هذا شأنها وهذه غايتها، فمن المؤسف المحزن المخجل أن يقوم في هذا الوقت في العالم رجال يدعون إلى القومية المجردة من العقيدة والرسالة، وإلى قطع الصلة عن أعظم نبي عرفه تاريخ الإيمان، وعن أقوى شخصية ظهرت في العالم، وعن أمتن رابطة روحية تجمع بين الأمم والأفراد والأشنيات، إنها جريمة كبرى تفوق جميع الجرائم القومية، التي سجلها تاريخ هذه الأمم، وإنها حركة هدم وتخريب، تفوق جميع الحركات الهدامة المعروفة في التاريخ، وإنها خطوة حاسمة مشؤومة، في سبيل الدمار القومي والانتحار الاجتماعي، والذي قد سبر أحوال العالم وعرف نتائج الدعوة إلى القوميات وسوء مصيرها، وقد ادرك اصحاب العقول السليمة ما وقع فيه القوميون المسلمون اليوم، من فتنة كبرى ومصيبة عظيمة، وهذه الدعوة المشؤومة، التي ولدت داعش وافكار التكفيرية الضالة وقى الله المسلمين شرها، ووقف جميع المسلمين للرجوع إلى ما كان عليه أسلافهم المهديون، إنه سميع مجيب. ثم لا يخفى على لبيب غربة الإسلام اليوم، وقلة أنصاره والمتحمسين لدعوته، وكثرة المخارئين له والمتنكرين لأحكامه وتعاليمه، فالواجب على أبناء الإسلام بدلاً من التمسك للقومية والمناصرة لدعاها أن يكرسوا جهودهم للدعوة إلى الإسلام المحمدي والذي رفع الحسين شعاره ومن خلال ثورته وتعظيمه في قلوب الناس، وأن يجتهدوا في نشر افكاره محاسنه وإعلان أحكامه العادلة، وتعاليمه السمحة الصافية، التي ثار الامام الحسين عليه السلام من اجل نقيتها من شوائب الشرك والخرافات والبدع والأهواء حتى يعيدوا ذلك درساً من مجد أسلافهم، وحماستهم للإسلام، وتكريس قواهم لنصرتة وحمائته، والرد على خصومه بشتى الأساليب الناجعة، وأنواع الحجج والبراهين الساطعة ولا شك أن هذا واجب متحتم، وفرض لازم على جميع أبناء الإسلام المحمدي، وكل منهم بحسب ما أعطاه الله من المقدرة والإمكانات، التي يستطيع بها القيام بما أوجب الله عليه من النصر لدينه والدعوة إليه، فنسأل الله أن يمن على الجميع بذلك، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا، وأن يقر أعين المسلمين جميعاً بنصر الإسلام الصافي من الشوائب اسلام محمد والحسين صلى الله عليهم وآله وسلم، وظهوره على جميع خصومه في القريب العاجل، إنه سبحانه خير مسؤول وأقرب مجيب. كما ان الامام الحسين عليه السلام نهي عن دعوة الجاهلية وحذر منها، في نصوص كثيرة بل قد جاءت هذه النصوص تنهى عن جميع أخلاق الجاهلية، وأعمالهم إلا ما أقره الإسلام من ذلك، ولا ريب أن الدعوة إلى القومية العربية من أمر الجاهلية، لأنها دعوة إلى غير الإسلام، ومناصرة لغير الحق.

لقد عمل القوميون المعاصرون من خلال أدواتهم المتعددة على فرض فكرهم على الشعوب بكل الطرق ولم يظهر في الصورة غيرهم ولكن الشعوب المؤمنة لم تلفظ الإسلام رغم كل المحاولات لتسريب القومية من خلال الإعلام كمنهج فكر بديل ولكن الاستبداد لا يقنع حراً ولا مقهوراً. ومع ترغيب وترهيب نظم حكم رفعت شعار القومية للمثقفين والساسة والاعلاميين طغى الفكر القومي حين لكن ظل الإيمان بالإسلام كامناً في النفوس فقد كانت تجارب وحكم القومييين كلها فاشلة سياسياً عسكرياً اقتصادياً ولم تقدم مشروعاً مُضروباً للشعوب يغير ويبدل من حالتها فضلاً على شعور الشعوب ان الله لا يرضى عنهم وقد فطنت الشعوب الى زيف شعارهم وان المخدع البعض فقد التزم الكثير من الشعوب بالإسلام ديناً ومنهجاً للحياة وظهر ذلك مع الصحوة الاسلامية الي عمت العالم، وكم جرت القومية على أهلها من ويلات وحروب طاحنة، وقودها النفوس والأموال والأعراض، وعاقبتها تمزيق الشمل وغرس العداوة والشحناء في القلوب، والتفريق بين القبائل

والشعوب، وان القومية والاسترقاق كانتا من اكبر اسباب الحروب والغزوات والفوضى الاجتماعية^(١)، وهذا الامر يتنافى واممية ثورة الحسين عليه السلام الخالدة.

(١) مفاهيم اسلامية، الشيخ محمد حسن ال ياسين، مطبعة، اسعد، بغداد، ١٩٦٥م: ٥٥ .

الخاتمة

وتبقى ثورة الامام الحسين منارا للأجيال القادمة لما فيها من دروس وعبر ولأثما ثورة ربانية اريد لها الدوام مدى الحياة ولجميع العصور حتى تنهل الاجيال من معينها القيم والاخلاق والوعي والنبيل والعنفوان في كل زمان ومكان لما تحمل في طياتها من دروس رفيعة، والتي نوجزها:

- ١- استوعبت ثورته (عليه السلام) الأديان السماوية كلها التي سبقت الاسلام وأقر استنباعاً لذلك بتعددية دينية وهذا الامر يتجسد بمشاركة جون المسيحي بثورته، والموالي من غير العرب كما أنه لم يبلغ السمات الخاصة للبيئات المجتمعية التي انتشر فيها، فكان فيه العام والخاص بالنسبة لهذه البيئات، العام، هو وحدة الإجمانية، والخاص هو تنوع المفاهيم الاجتماعية، تبعاً لتنوع التكوينات المجتمعية.
- ٢- استطاع سيد شباب اهل الجنة الامام الحسين (عليه السلام) ان يضرب اروع الامثلة في مقارعة الطغيان والظلم والظالمين وكانت بحق ثورة انتصار الحق على الباطل. كانت ثورة ليست كباقي الثورات التي حدثت في تاريخ الانسانية جمعاء، فهي ثورة للإصلاح، ولضمان مبدأ حرية الانسان وكرامته، ومنحه حقوقه وان يعيش حياة حرة كريمة بعيدة عن الذل والهوان.
- ٣- الحسين لم يعد رمزاً للشيععة ولا حتى للمسلمين وحدهم، بل هو رمز إنساني... رمز اتخذته اكبر ثائر في القرن العشرين رمزاً له ذلك الزاهد الشجاع المهاتما غاندي مؤسس دولة الهند الحديثة .
- ٤- اكدت هذه الثورة على التوحيد ورفض الصفوف والتأخي ونبذ الفرقة، والتحلي بالزهادة والصدق وقول الحق والعمل الصالح، ومن خلال المكونات المشتركة بالثورة و الذي نحن الان بأمس الحاجة الى قادة يتحلون بأخلاق الحسين (عليه السلام) واصحابه قولاً وفعلاً وليس تسترا تحت خيمة اهل بيت رسول الله .
- ٥- ولعل ما قدمته ثورة الامام الحسين (عليه السلام) للبشرية في نبذها للعنصرية، والتميز من خلال اللون والعرق والدم يعد نموذجاً للتسامح والحب مع رفضها للتفرقة العنصرية ونظرها إلى البشر نظرة واحدة على اختلاف الواهم واجناسهم، منطلقة في ذلك من نظرة الاسلام الى البشر .
- ٦- لم يكن في هذه الثورة المعطاء تفاوتاً في المعاملة بين البشر على الجنس أو اللون أو اللسان، واذا وجد فقد كان على أساس الكمالات النفسية والأخلاق الطيبة والعمل الصالح القائم على الإيمان بالله.
- ٧- لقد اظهرت الثورة موقف الإسلام والامام جلياً في محاربتهم للتفرقة العنصرية في تشريعهم الحكيم لإبطال الرق تضييق بابه الذي كان متسعاً جداً قبل الإسلام، وكذلك فتح الأبواب الواسعة لتحرير الرقيق، وإيجاد منافذ كثيرة للانطلاق من الرق إلى الحرية وكذلك الأمر بالإحسان إلى الرقيق حتى تحين الفرصة لعنتقه.
- ٨- إن التضحية التي قدمها الامام الحسين عليه السلام لا تحتكم الى المنهج القومي القبلي باعتبار كونية الفكر الاسلامي وشموليته اللامتناهية، أذ لا يمكن حصر الاسلام فكراً وعقيدة في فئة او قبيلة ما، ولا مساحة جغرافية او تاريخ ما.
- ٩- لقد طرحت ثورته (عليه السلام) المشروع الحضاري على قاعدة اوسع، على خطى جده الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم فقد دعى اهل بيته من بني هاشم ليلبغهم برسالته السماوية وليكونوا نواة للبناء المستقبلي ليكونوا نواة للمشروع الاستشهادي، وليدرك من آمن به وبمشروعه.

المصادر

- القرآن الكريم
- الاسلام والعلمانية، د. عبد الكريم سروش، دار الفكر الجديد، النجف، ٢٠٠٧.
- الاسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر، اصدار مجمع الثقلين، بغداد ٢٠٠٤.
- الامام الحسين وارث ادم، د. علي شريعتي، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، قم، ٢٠٠٧ م.
- الامام علي في محنة الثلاث، د. علي شريعتي، سلسلة افكار معاصرة ١١، دار الفكر الجديد، النجف، د.ت.
- ثورة الحسين، اية الله محمد باقر الحكيم، المجمع العالمي لأهل البيت ط بيروت، ١٤٢٥ هـ.
- ثورة الحسين، محمد مهدي شمس الدين، دار الاندلس، بيروت، د.ت.
- الحسين يقتل من جديد، الشيخ عبد الهادي المهاجر، مكتبة المهاجر، النجف الاشرف، ٢٠٠٠ م.
- حقوق الانسان عند اهل البيت، ع،/علي الكوراني/مركز المصطفى للدراسات الاسلامية، قم، ٢٠٠٧.
- دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين، دار الزهراء، بيروت، ١٣٩٢ هـ.
- رسالتنا الاسلامية بين الاصالة والتغريب، الشيخ فؤاد كاظم المقدادي، مجمع الثقلين العلمي، بغداد، ١٤٢٤.
- الشيعة رواد العدل والسلام. الشيخ مجيد الصائغ، مؤسسة النبراس، للطباعة والنشر، النجف، ١٤٢٥.
- فيدوسييف، القومية الاممية البروليتارية، ترجمة نجاح الساعاتي، دار الجماهير، بيروت، ١٩٧٣.
- كربلاء الثورة والمأساة، الحامي احمد حسين يعقوب، دار الغدير، بيروت، ١٩٩٧.
- لا اكره بالدين اشكالية الردة والمرتدين، د. طاهر جابر علواني...مكتبة الشروق القاهرة، ٢٠٠٦.
- ليتين، نصوص حول المسألة القومية، دار الطليعة بيروت، ١٩٧٢.
- المثل العليا بالاسلام لا في بجمدون، محمد حسين ال كاشف الغطاء، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٤.
- مسؤولية المثقف، د. علي شريعتي، مؤسسة الآداب الشرقية، النجف الاشرف، ٢٠٠٦ م.
- مفاهيم اسلامية، الشيخ محمد حسن ال ياسين، مطبعة، اسعد، بغداد، ١٩٦٥ م.
- مفاهيم حضارية، مؤسسة البلاغ، مطبعة الصدر، طهران، ٢٠٠٩ م.
- مقتل الحسين،، الابي المؤيد الموفق بن احمد المكي الخوارزمي ت٥٨٦. مطبعة الزهراء، النجف، ١٩٤٨.
- الملهوف على قتلى الطفوف، علي بن جعفر بن طاوس ت٦٦٤، دار السوه للطباعة والنشر، طهران، ١٤٢٥ هـ.
- موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، د. ناظم عبد الواحد الجاسور، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٨.
- نهضة عاشوراء، الامام الخميني، س، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني-الشؤون الدولية، طهران، ٢٠١٠.
- واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي. الشيخ محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠ م.

**الزيارة الأربعينية وأثرها في إرساء السلم الاجتماعي
بين الشعوب**

الأستاذ المساعد الدكتور خضير نعمه هادي

الجامعة المستنصرية - كلية الآداب - قسم التاريخ

٢٠١٦م

١٤٣٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اخذت الزيارة الاربعينية صداها الاعلامي على مستوى العالم اجمع وذلك لتوافد الحشود الغفيرة من اغلب بقاع العالم لإحياء هذه الشعيرة المباركة لكي يتوحدوا تحت راية ابي الاحرار الإمام الحسين (عليه السلام) والذي جسدهم الحرية والاباء والثورة على الظلم ولجائرين وجسد للإنسانية معاني الخلق العظيم الذي ورثه من جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبيه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) وكما هو معروف فان هذه الزيارة تحصل في كل سنة في العشرين من صفر عام ٦١هـ، وهي ليست مختصة بمذهب من المذاهب او دين او فئة محده، بل هي تضم جميع الاديان ولمذاهب والفئات على مختلف انواعها لأن الإمام الحسين (عليه السلام) خرج من اجل المبادئ الانسانية واحقاق الحق والدفاع عن حقوق الإنسان ونبذ الباطل عن جميع الشعوب خاصة الشعوب المظلومة، وضحى بنفسه واهله، يقول الإمام الحسين (عليه السلام) لا ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وانما خرجت لطلب الاصلاح في طلب امة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذن هو الاصلاح النفسي والديني والاخلاقي لشعوب العالم اجمع لما تحمله من مبادئ يمكن ان تكون دستوراً للإرساء السلم الاجتماعي بين الناس كافة وبالتالي تحقيق وحدة اجتماعية عالمية تكون نوات لوحدة الشعوب المظلومة ضد الطغاة ومفسدين.

إن هذه الزيارة الأربعينية ودلالاتها واهدافها ومبادئها ليست وفاة ونهاية انسان إنما هي أربعينية ولادة وليست ممات، ولدلالة على ذلك انها عمقت مسيرة الانسانية السمحة من خلال تهافت الزائرين من كل انحاء العالم للتفاعل مع هذه الملحمة وابعادها الاجتماعية في تحقيق التأخي والمحبة بين الناس كافة لأنها حررت الانسان من كل القيود التي تحول دون اللقاء الانساني الحر مع أخيه الانسان وبالتالي يعتبر الإمام الحسين (عليه السلام) وثورته النموذج الاقدر على تحقيق الحرية والعدالة الاجتماعية لسائر بني المعمورة ومحو الصورة المشوهة عن الاسلام من قبل أصحاب الفكر المنحرف والظالم والدلالة على ذلك نجد الناس في هذه الزيارة سواسيه لا فرق بين فقير وغني وبين انسان واخر من حيث المذهب والقومية والجنس والون لان الجامع المشترك لهم هو التسابق صوب المرقد الطاهر وهذا آت مما كتبه المؤرخون في الغرب والشرق عن الإمام الحسين (عليه السلام) وانسانية اهدافه ومبادئه، ومشروعيتها ليست رهينة للأكثرية لأن قرار انتصار الدم على السيف جعلها نبراساً للإنسانية ضد الظالمين.

إن التاريخ البشري شهد عظماء ودعاة ومصلحين في مختلف المجالات يذكرهم التاريخ باحترام ولكن لم تزحف إليهم ملايين البشر ولا تتساقط عليهم الدموع الحارقة كما تساقطت على الإمام الحسين (عليه السلام) على مدى ١٤٠٠ عام من استشهاده خلاصة القول أن الدرس والعبر المستنبطة من هذه الزيارة الأربعينية يمكن أن تكون نبراساً في ارساء التأخي الديني بين مختلف شعوب العالم والعمل على أرساء

السلم الاجتماعي وعدم ألغاء الآخر حسب المذهب أو الدين أو الجنس لكي يتحقق مبدأ العدل الاجتماعي والأخاء والمحبة بين مختلف شرائح المجتمع الإنساني.

المبحث الأول

الزيارة الأربعينية لغة واصطلاحاً

كلمة زياره من مادة (زور) بمعنى الميل إلى شيء والعدول عن آخر، ولذلك فإن اللقاءات التي تحمل هذه الخصوصية تسمى الزيارة، والواو والراء أصل واحد يدل على الميل والعدول ... ومن الباب الزائر، لأنه اذا زارك فقد عدل عن غيرك^(١) وقيل إذا زار فلانا فلانا، أي مال إليه^(٢) ولزياره في العرف تعني المزور إكراما له وتعظيما له واستئناسا به.^(٣)

يتضح مما تقدم ان مفهوم كلمة الزيارة تعني الرؤية مع الميل والمحبة، ولأنس والإكرام بالإضافة الى الإعراض عن الأسرة والأخرين.

إن مفهوم الزيارة في روايات أهل البيت (عليه السلام) هي أن معيار توصيتهم بالزيارة وحثهم عليها تابع لمستوى تأثيرها ودورها في البناء الفردي والاجتماعي، وبذلك فكلما كانت الزيارة ذو فائدة لبناء المجتمع التوحيدي كأن التأكد على أدائها أكثر، وعلى هذا الأساس فقد تم الحث على زيارة الأقارب واهل الإيمان والعلماء

(١) ابن منظور، ابا الفضل محمد جمال الدين (ت ٧١١هـ) لسان العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.

مصر (د. ت) ج ٤، ص ٣٣٣ .

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٣٥ .

(٣) المصدر نفسه ج ٤، ص ٣٣٥

وأولياء الله وخاصة أهل البيت (عليهم السلام) في زمان حياقتهم وبعد محامتهم (عليهم السلام)^(١).

فقد جاء في كتاب صحيح البخاري ((كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) كلما كان ليلتها (عائشة) من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين) واناكم ما تواعدون غدا مؤجلون، وأنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الفرقد^(٢).

وروي عن الإمام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) أنه خاطب أهل القبور عند عودته من معركة صفين اقتربه من مقبرة الكوفة قائلاً يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربية يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة، انتم لنا قرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق ..^(٣).

من خلال الروايات التاريخية نجد أن هناك ثواب لزيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (عليه السلام) فذكر أن الإمام الحسين (عليه السلام) سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً: ((يا أبتاه! ما لمن زارك؟ فأجابه النبي (صلى

(١) محمد الري شهري، موسوعة الإمام الحسين (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، ط ١، قم، دار الحديث، ١٤٣١هـ، م ٧، ص ٢٠٦.

(٢) البخاري، محمد ابن اسماعيل (٢٥٦ هـ) صحيح البخاري، ط دار الفكر، بيروت ١٩٨١ م، ج ٢، ص ١١٠.

(٣) ابن ابي الحديد، عز الدين عبد الحميد (٦٥٦ هـ) شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ١، دار احياء الكتب العربية ١٩٥٩ م، ج ٣، ص ٣٢٠.

الله عليه وآله وسلم) يا بني! من زارني حيا أو ميتا أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك! كان
حقا علي ان أزوره يوم القيامة وأخلصه من ذنوبه^(١).

(١) ابن قلوبه، ابو القاسم جعفر ابن محمد (ت ٣٦٨ هـ)، كامل الزيارات، صححه وعلق عليه بهرات الجعفري قم
ص ١٣٠، المجلس، محمد باقر، (ت ١١١١ هـ)، بحار الانوار، مؤسسة الوفاء ط ٢ بيروت ١٩٨١ م، ج
١٠١، ص ٥٥

الزيارة اصطلاحاً :-

أما المعنى الاصطلاحي لزيارة الأربعين فهي تعني اليوم العشرون، من شهر صفر الذي يوافق مرور (٤٠) يوماً على استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) في واقعة الطف بكربلاء على يد جيش عبید الله ابن زياد وبأمر يزيد بن معاوية في الشام والذي صادف رجوع العقيلة زينب (عليه السلام) وعلي بن الحسين السجاد (عليه السلام) برفقة الأيتام وأطفال الحسين (عليه السلام) إلى أرض كربلاء لزيارة جسده الشريف ورجوع رأسه المقدس إلى الجسد^(١).

وتسميتها بهذا الاسم لا يحتاج إلى دلالة وبحت لأنها تمثل مرور (٤٠) يوماً على استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وأهمية هذه الزيارة آتية من كونها تمثل إحياءاً لنهضة الإمام الحسين (عليه السلام) الإصلاحية وتعاليمه الأخلاقية ومبادئه النبوية.

إن قضية سيد الشهداء (عليه السلام) هي التي ميزت بين دعوة الحق والباطل، ولولا نهضة الحسين (عليه السلام) ووقوفه بوجه الظلم والطغيان الأموي لكانت الأمة الإسلامية في حالة يرثى لها من الانحراف والظلم والابتعاد عن سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، من هنا بدأت زيارة الأربعين مشياً على الأقدام عندما التقى موكب أهل البيت (عليه السلام) العائد من الشام بجابر بن عبد الله

(١) مهند سلمان ال ياسين، زيارة الاربعين موسوعة الهداية والاستبصار، بغداد ٢٠٠٨م ص ٣٥.

الأنصاري، كما إنه اليوم الذي رجعت فيه رؤوس أهل البيت (عليه السلام) إلى أبدانهم في كربلاء^(١).

يتبين بوضوح من خلال الروايات التاريخية أهمية زيارة سيد الشهداء (عليه السلام) ولزوم زيارته على كل مؤمن معترف بإمامة أهل البيت (عليه السلام) أن القادر على زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ويمتنع عنها يكون بذلك قد ترك حقا من حقوق الله سبحانه وتعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحق أهل البيت بهذا الجفاء وحرم من خيراتها وبركاتها^(٢)، والدليل على ذلك أن لزيارة الأربعين آثار وبركات غزيرة، منها أن ملائكة الله تولى احترامها خصوصا لزائر الإمام الحسين (عليه السلام) وإنه سيكون مشمولاً بدعاء أهل البيت (عليهم السلام) والملائكة ويغفر له الله سبحانه وتعالى ذنوبه ويطيب بعمره ويزيد من رزقه ويزيل غمه ويشفع له الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويأذن للأخرين^(٣)، لأن حكمة زيارة سيد الشهداء (عليه السلام) وحكمة استمرار إقامة العزاء له وحكمة شهادته شيء واحد والسبب في ذلك إن أهم أهداف الإمام الحسين (عليه السلام) من شهادته، هو إزالة الجهل في المجتمع المسلم^(٤) وتأكيد على ذلك، فإن لزيارة سيد الشهداء أهداف ومبادئ وآداب مهيبية يجب أن يلتزم بها الزائر وخاصة بعض السلوكيات التي بدأت تصدر في الآونة الأخيرة من قبل بعض

(١) طه الربيعي، روح البداية لمسيرة الانتماء الى الثورة المحمدي، بغداد، ص ١١٥.

(٢) محمد الري شهري، موسوعة الإمام الحسين (عليه السلام) م ٧، ص ٢١٠.

(٣) المرجع نفسه، م ٧، ص ٢١٠ — ٢١١.

(٤) المرجع نفسه، م ٧، ص ٢١١ — ٢١٢.

الأشخاص الجهلة عند الذهاب إلى مراقد الأئمة، فمن آدب الزيارة، معرفة حق الإمام الحسين (عليه السلام) والإخلاص وخشوع القلب والشوق للزيارة والحزن والنظافة والوقار والصمت والاستئذان قبل الدخول للزيارة وغيرها من الآداب والأخلاق الإيمانية^(١).

وخلاصة القول أن زيارة الحسين (عليه السلام) وإقامة مراسيم العزاء له عبادة كبرى ومن السلم به ان كيفية العبادات كأصلها يجب أن تحضى بتأييد الناس وبناءا على ذلك فإن كل عمل لا يتمتع بتأييد أهل البيت (عليهم السلام) يعتبر من آفات الزيارة ويكون من الواجب والضروري اجتنابه^(٢).

(١) المرجع نفسه، م٧، ص ٢١٧ — ٢١٨.

(٢) المرجع نفسه، م٧، ص ٢١٨.

المبحث الثاني

فضائل زيارة الأربعين

أولاً: فضائل زيارة الأربعين في احاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (عليهم السلام) نظرا للدور المؤثر والبارز بالارتباط برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الطاهرين في الإنسان دنيويا و أخرويا، فقد وردت روايات عديدة حول التوجيه لزيارتهم أكثر من الخرين في حياتهم وبعد مماتهم، فعن الإمام ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: ((أن زيارة الحسين (عليه السلام) أفضل ما يكون من الأعمال))^(١)، وعن الإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال (من زار قبر أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) بشط الفرات زار الله فوق عرشه)^(٢)، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري عن الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ((من زار فاطمه فكأنما زارني ومن زار علي بن أبي طالب (عليه السلام) فكأنما زار فاطمة ومن زار الحسن والحسين فكأنما زار عليا ومن زار ذريتها فكأنما زارهما)^(٣)، وفي تهذيب الأحكام بإسناد عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال له أن الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع الجنة... من زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته امه...))^(٤).

-
- (١) ابن قلوبه، كامل الزيارات، ص ٢٧٨، المجلس، بحار الانوار ج ١٠١، ص ٤٩.
- (٢) الطوسي، محمد ابن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، تهذيب الاحكام، تحقيق حسن الموسوي، ط ٣، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٣٦ ش، ج ٦، ص ٤٦، ابن شهر اشوب، ابو جعفر محمد ابن علي (ت ٥٨٨ هـ)، مناقب ال ابي طالب، مؤسسة الأعلم، ط ١، بيروت، ٢٠٠٩ م، ج ٤، ص ١٢٨.
- (٣) الطوسي كتاب المالي، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم ١٤١٤ هـ، ص ٤١٤، المجلس، بحار الانوار، ج ١٠١، ص ٦٩.
- (٤) ابن قلوبه، كامل الزيارات، ص ٢٥٥، الطوسي، تهذيب الاحكام، ج ٦، ص ٤٦.

أما إذا كانت هناك مشقة في زيارة قبر الحسين (عليه السلام) كالمشي مثلاً فعن أبي الصادق قال: سمعت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول: ((من أتى قبر الحسين (عليه السلام) ماشياً كتب الله له بكل خطوه ألف حسنة، ومحاه عنه الف سيئة، ورفع له الف درجة^(١)، وعن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: من أتى قبر الحسين (عليه السلام) ماشياً كتب الله له بكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل^(٢).

يبين من خلال التأمل في الروايات التي تؤكد على زيارة سيد الشهداء وتكرارها وأهميتها وحسناتها وبركاتها، أن هذا العمل لا يشتمل على فلسفة عبادية بل أنه يشمل على فلسفة سياسية عميقة أيضاً، والرسالة سياسية لزيارة سيد الشهداء (عليه السلام) هي في نفسها توجب ازاحة الخرافات دوماً عن هذه الحركة الثقافية يهدف اعداد الأراضية للنظام الإسلامي الأصيل الذي تم بيانه من قبل، ولذلك فإن الرسالة السياسية لزيارته (عليه السلام) تفوق الرسالة العبادية لها أهمية بنائية ومن خلال القاء نظرة عميقة وشاملة إلى الروايات الواردة في شأن الزيارة الأربعينية والتي تعتبرها في فريضة وأفضل الأعمال وتذكر فضائل وبركات كثيره لها تعد تحمل المعاناة والمشقة امرا مطلوباً في سبيل الزيارة الأربعينية، وعن الخليلي أبي شهاب، قال: قال الحسين (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا ابتاه ما لمن زارك؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا بني من زارني حيا او ميتا، أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك، كان حقا علي أن ازوره يوم القيامة واخلصه من ذنوبه ((٣))، وعن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: (إن فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) تحضر

(١) الطوسي، تهذيب الاحكام، ج ٦، ص ٥٢، ص ٧٧، ابن قلوبه، كامل الزيارة، ص ٢٥٥.

(٢) ابن قلوبه، كامل الزيارة، ص ٢٥٧، المجلس، بحار الانوار، ج ١٠١، ص ٣٦.

(٣) الكليني، اب جعفر محمد (ت ٣٣٩هـ)، اصول الكافي، منشورات الفجر، ط ١ بيروت، (د.ت)، ج ٤، ص ٥٤٨، الطوسي، الأماليج، ص ٤١٤.

لزوار قبر إبنها الحسين (عليه السلام) فتستغفر لهم ذنوبهم ..))^(١)، والدلالة على عظمة ومنزلة الحسين (عليه السلام) عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قول الحسين (عليه السلام): ((دخلت على جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعنده أبي بن كعب، فقال لي مرحباً يا زين السموات والأرض، فقال أبي بن كعب، كيف يكون غيرك زينتها فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي بعثني بالحق أنه لفي السماء أكبر منه في الأرض وانه مكتوب على يمين العرش وأنه لمصباح الهدى وسفينة النجاة))^(٢)، هذا الحديث الشريف لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يبين لنا أن العرش هو العالم، وهنالك روايات أخرى عرفت العرش بمظهر آخر من مظاهره وقالت إنه علم وقدره وهكذا، لذلك فإن الحسين (عليه السلام) على ضوء حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مكتوب اسمه على يمين العرش والعقل كذلك والعرش هو العلم وهو منتهى الكمال الانساني الذي لا يستطيع الانسان ادراك ما فوقه والمسير إلى الحسين (عليه السلام) مسير إلى الكمال الإنسان يتضح لنا أهمية هذه الزيارة المباركة هو فضائلها وحسناتها حسب ما يقدمه الزائر من مشقة وخاصة المسير الى قبر الحسين (عليه السلام) التي تعتبر من السنن والتي تحدث عنها الكثير من الفقهاء، فقد وردت كتب الصحاح المختلفة روايات عديدة فيها، ((ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يأتي مسجد قباء كلسبت ماشياً او راكباً^(٣)، وتأكيداً على ذلك قول الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): ((إن علامات المؤمن خمس أولها الصلوات الخمس وثانيها تعقير الجبين وثالثها الجهر باسم الله الرحمن الرحيم ورابعها زيارة الأربعين وخامسها التختم باليمين...))^(٤).

(١) ابن قلوبه، كامل الزيارات، ص ٢٣١، المجلس، بحار الانوار، ج ١٠١، ص ٥٥.

(٢) القمي، ابو الحسن علي (ت ٣٢٩هـ)، تفسير القمي، مكتبة الهدى، النجف الاشرف ١٩٦٧م، ج ٢، ص ٢٦، ابن طاووس، اقبال الاعمال، ج ٢، ص ٥٩٠.

(٣) ابن طاووس، اقبال الاعمال، ج ٢، ص ٥٨٩.

(٤) ابن قولوه، كامل الزيارات، ص ٤١، المجلس، بحار الانوار، ج ١٠١، ص ٦٥.

ثانياً: اول من زار قبر الإمام الحسين (عليه السلام).

بعد البحث في مصادر التاريخ الإسلامي لمعرفة اول من زار قبر الإمام الحسين (عليه السلام)، فذكران جابر بن عبد الله الأنصاري وعطية العوفي هما أول من زار قبر الحسين (عليه السلام) بعد دفنه من قبل الإمام علي بن ابن الحسين (عليه السلام) وقيل إن أول من زار قبر الحسين (عليه السلام) هو عبد الله بن الحر الجعفي لقرب موضعه من الجسد الطاهر، وعندما وقف الجعفي ونظر إلى مصارع القوم فأستعبر باكياً الحسين (عليه السلام)، وراثه بقصيده قال فيها:.

يقول امير غادر معه غادر إلا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة
فوا ندمي إلا أكون نصرته إلا كل نفس لا تسدد نادمة
أهم مرارا ان اسير بجحفل إلى فئة زاغت عن الحق ظلمه^(١)

إلا ان اغلب المصادر التاريخية ذكرت ان جابر بن عبد الله الأنصاري كان اول من زار قبر الحسين (عليه السلام) والتقاءه بموكب أهل البيت (عليه السلام) العائد من الشام بقيادة العقيلة زينب (عليه السلام) وابن اخيها علي بن الحسين (عليه السلام)^(٢) والدليل على ذلك ان هناك روايات تاريخية واحاديث مروية عن عطا مولى جابر بن عبد الله الأنصاري قائلاً: ((كنت مع جابر بن عبد الله يوم العشرين من صفر فلما وصلنا الغاضرية، اغتسل شريعتهما وليس قميصا كان معه طاهرا ثم قال لي: امعك من الطيب يا عطا؟ قلت معي سعد، فجعل منه على رأسه وسائر جسده، ثم مشى حافياً حتى وقف عند رأس الحسين (عليه السلام) وكبر ثلاثاً ثم خر مغشياً عليه فلما فاق سمعته يقول: السلام عليكم يا آل

(١) ابن طاووس، اقبال الاعمال، ج٢، ص٥٨٩.

(٢) ابن قولوه، كامل الزيارات، ص٢٣١، ابن طاووس، اقبال العامل ج٢، ص٥٨٩، المجلس، بحار الانوار، ج١٠١ ص٥٦، الغضارية، قرية من نواحي الكوفة قربه من كربلاء، يا قوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٨٣.

الله ..))^(١)، بعد ذلك اصبحت زيارة الأربعينية سنة متبعة في كل عام وتحديداً
في عاشوراء وفي العشرين من صفر.

(١) المجلس، بحار الانوار، ج ١٠١، ص ٥٧.

المبحث الثالث

المبادئ الإنسانية للزيارة الأربعينية وتأثيرها على مستقبل العالم الإنساني

أولاً: انسانية ثورة الحسين (عليه السلام)

تعتبر زيارة الأربعينية اكرم وافضل كتاب وموسوعة لعقائد الإمام الحسين (عليه السلام)، وفكره ومعارفه في عالم المكتبات الميدانية وحيث تجعل الزائر مهما كان دينه ومذهبه وقوميته أشوق لقراءة هذه الكلمات والتزود منه وتنوير قلبه بالعقائد الإلهية الحققة ونبذ البدع التي اختلقها أهل الباطل مادام هذا الزائر يحمل في داخله روح الإنسانية وطلب العلم والحقيقة وحيث الشواهد والأدلة على ذلك لكثير حيث نجد الكثير من العلماء والمفكرين العرب والأجانب والمستشرقين وفي مختلف الديانات قد استبصروا حيث كانوا يعتقدون بمعتقدات باطلة ولكن عقائد الإمام (عليه السلام) هي التي جعلتهم يوفقون لمعرفة بطلان عقائدهم ومن ثم احتضنوا هذه العقائد السمحة وهي ذاتها عقائد جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(١).

إن مفكري العالم الإنساني بمختلف مذاهبهم كتبوا عن الإمام الحسين (عليه السلام) لذلك فلنجعل ثورة الإمام (عليه السلام) الرابطة بيننا من أجل وحدة انسانية نجتمع تحت ظلالها مستلهمين منها العبر والأفعال البناءة من اهداف ومبادئ لأن ثورة الحسين (عليه السلام) لعطائها الكبير للإنسانية جمعاء ومبادئها السمحة جمعت المجتمع الإنساني وحددت طريقة الى التأخي بالتعايش السلمي كونها المعبر عن أرادة الخير لكل الأطراف والبطوائف دون الأخرى بالمحبة والتعاون على حب الأنسان لأخيه الإنسان الآخر فهو إمام الإنسانية لما تحمله رسالته

(١) عبد الألة البركاني، فلسفة الثورة الحسينية، ص ٢٢

من معاني كريمة للبشرية جمعاء كون ملحمة الإمام (عليه السلام) أوقدت شعلة في أعماق التاريخ منذ ١٤٠٠ عام إلى يومنا هذا ولم تنطفئ جذوتها على مدى الزمن ومستمرة تجلت فيها ثورة الفكر الإنساني، بعيداً عن الترغيب والترهيب للاستثثار بالسلطة وتوريث الحكم بعيداً عن مبادئ الرسالة المحمدية والتزامها في المساواة بين الناس وضمن حقوق المستضعفين القائمة على أساس التحرير من العبودية ومقارعة الظلم والفساد^(١).

اذن هذه هي واقعة كربلاء التي انارت للإنسانية طريقها وكان الثمن استشهاد أي الأحرار (عليه السلام)، وعائلته والتي كتب لها الله سبحانه وتعالى أن تبقى حاضرة على واجهة التاريخ مهما كثرت وتفاقت أحداثه، وللتعبير عن انسانية هذه الواقعة نجد أهالي العراق قد تكفلوا برعاية وضيافة الزوار الذين يبلغ تعدادهم بالملايين وهكذا أصبحت هذه الزيارة حدثاً تاريخياً حير وأذهل العالم لما تشهده من طقوس فريدة أولها المشي على الأقدام من جميع محافظات العراق رغم الحر والبرد والمطر وبأعداد مليونية إضافة إلى أعداد كبيرة من مختلف أنحاء العالم، وهذا تجسيد للمعنى الحقيقي للإنسانية التي تدعو إلى الحق ورفض الظلم والطغيان فأصبحت منارة للعالم وعلى الرغم من تقادم السنين إلا أنها تزداد بهاءً واصراراً على البقاء لإحياء هذه المناسبة العالمية التي أذهلت الجميع.

إن الضمير الإنساني دون واستنبط قضية استشهاد الحسين (عليه السلام) للتاريخ حفظاً للوجدان الخالد على امتداد العصور معلناً عن كون المشروعية ليست رهينة للأكثرية لأنه قرار انتصار الدم على السيف، ومن هنا نجد ان الإنسانية تقف امام ضريح الحسين (عليه السلام) لتستمد من الأحداث وابعاد الواقع مقامين

(١) المرجع نفسه، ص ٢١.

حدث التضحية كإرث تاريخي لكل البشرية^(١)، وبما إن أربعينية الإمام (عليه السلام) روح البداية لمسيرة الانتماء الى الثورة المحمدية ضد الجهل والكفر والشرك بالله، فقد تحولت الى مناسبة دينية وعقائدية لتكون طقساً مهماً من طقوس ممارسة الشعائر التي أريد لها الاستمرار في الولوج إلى النفس التي تحيي ما يمكن إحيائه في الخلق بالدين وأهل البيت، هذه المناسبة التي تدرجت عبر التاريخ لتصل الى ما وصلت اليه الان من اداء ملايين الزوار من مختلف انحاء العالم وبعضها من ديانات مختلفة إلا شاهداً على هذه النهضة الحسينية التي أصبحت حدث العالم ويؤديها الملايين من الزوار العرب والمسلمين والأجانب وأن تاريخها يعني بقاء روح البداية التي نفخت في جسد الشعائر لتكون واحدة من علامات الطقوس الدينية وملتقى جميع الثقافات من مختلف انحاء العالم وهذا تجسيد للعلاقات الإنسانية التي جمعتها هذه الزيارة يقول الإمام الحسين (عليه السلام) ((ما خرجت اشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للأمر بالمعروف ونهي عن المنكر...))^(٢).

ثانياً: المبادئ الإنسانية لثورة الحسين (عليه السلام)

أخذت الزيارة الأربعينية أهميتها على مستوى العالم وذلك لتوافد الحشود الغفيرة من اغلب بقاع العالم لإحياء هذه الشعيرة المقدسة ولكي يتوحدوا تحت راية أبي الأحرار (عليه السلام) الذي جسد لهم الحرية والإباء والثورة على الظلم والجائرين وجسد لهم معاني الخلق العظيم الذي ورثه عن جده رسول الله (عليه السلام) وأبيه امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) وأهمية مبادئها الإنسانية برزت كونها القصة

(١) ابن قولوه، كامل الزيارات، ص ١٣٨، المجلس، بحار الانوار، ج ١٠١، ص ٧٠-٧١.

(٢) محمد الري شهري، موسوعة الإمام الحسين، ص ٦٨.

الوحيدة التي ظهرت واستمرت رغمًا عن الذين حاربوها عبر العصور و حاولوا دفنها في طيات التاريخ وهي القصة التي هزت مشاعر وضمير الإنسانية لتفيقهم من سباتهم وهي التي حافظت على استقامة وبقاء الرسالة الإسلامية والتي رسمت الخطوط العريضة للحقة للحياة، والتي حددت مبادئها مسار البشرية نحو العدل والحق والثورة على الباطل بفضل استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإمام التقي وسيد شباب أهل الجنة وسفينة النجاة هذا الاستشهاد الفريد من نوعه الذي أتسم بكل معاني التضحية والفداء ونكران الذات والشجاعة من أجل اصلاح الأمة وصوت رسالة جده المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) من الانحراف وتحدي الباطل بسلاح الحق وسحق الظلام بروح النور، كل هذا جسده الإمام الحسين (عليه السلام)، وتأكيدا على مبادئها الإنسانية هو التراحم والتلاحم الذي يجمع الأبدان والنفوس والعقول لزوار الأربعينية اللذان حجهم هدف واحد هو زيارة سيد الشهداء ذلك التجاذب الروحي القادر على محو اسباب، التفرقة وتجذير معاني الاخاء والولاء والوفاء وحماية اللّحمة الاجتماعية بين أبناء الشعب الواحد وبين الشعوب الأخرى، الأمر الذي تعجز عنه أعظم الأيدولوجيات والأديان والمشاريع الإنسانية المعاصرة عن الإتيان نظيره، والدلالة على أهميتها وعمق معانيها ما ذكره محمد بن عبد الله الحمري عن أبيه عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد عن عبد الله بن حماد البصري، عن ابان بن عثمان عن زرارة قال: قال ابو عبدالله الصادق (عليه السلام): ((يا زواره، إن السماء بكت على الحسين (عليه السلام) أربعين صباحا بالدم وان الأرض بكت أربعين يوما بالسواد، وأن الشمس بكت أربعين صباحا بالكسوف والحمرة، وأن البحار تفجرت وأن الملائكة بكت أربعين صباحا على الحسين (عليه السلام))^(١)، فأى معنى مقدس لهذه الثورة الجليلة، يقول الشهيد حسن الشيرازي، ((عشوراء حدث جسد مبدئ

(١) طه الربيعي، روح البداية، لمسيرة الانتماء الى الثورة المحمدية، ص ١١٦.

انساني فهى ثورة الحق المكبوت على الباطل الطاغى فعاشوراء مستمر لا يمكن مسحه من ذاكرة الحياة الانسانية مع بقية مبادئ الكون التي لا تنمحي من ذاكرة الحياة، وهى أكبر تظاهرة سلمية حضارية وعالمية تنطلق من باب الحرية الدينية والحق في ممارسة الشعائر بالطريقة التي نراها مناسبة دون التأثير او الإساءة لأي دين أو طائفة أو مذهب))^(١).

(١) عبد الألة الزرقاني، فلسفة الثورة الحسينية، ص ٢٥-٢٦

المبحث الرابع

الزيارة الأربعينية وأثرها في إرساء السلم الاجتماعية بين الشعوب .

أولا :. اثر الزيارة الأربعينية في تحقيق التكامل الإنساني بين الشعوب.

عندما نتحدث عن هذه المناسبة الأليمة والعظيمة يقف التاريخ إجلالا لها ويسبق حديثنا بخشوع هي الجليل امام ما تعنيه هذه المناسبة الخالدة، من قيم ومبادئ ومعاني سامية رسمت الخطوط العريضة للحياة، والتي حددت مسار البشرية نحو العدل والحق والثورة على الباطل بفضل استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) الذي عبد طريق الحرية بمبادئ عظيمه جعلت ملايين الناس من مختلف العالم يؤدون هذه الزيارة بحيث أصبحت زيارة الأربعين عالم صغير يجتمع لأداء مناسك هذه الزيارة وبالتالي فإن مظلة هذه الزيارة ومبادئها ومعانيها يمكن أن تصبح مظلة يعيش العالم اجمع تحت لوائها لا فرق بين غني وفقير من حيث الدين والمذهب والجنس واللون، وبالتالي سوف تتحقق العدالة الالهية للبشر أجمع للقضاء على الظلم والطغيان وبالتالي تحقيق العدالة الاجتماعية بين الشعوب كافة.

تمثل هذه الزيارة السلام للعالم اجمع وهي الشاهد الحي في تجسيد معنى الحرية لأنها تحرر الأنسان من كل القيود والأسيرة التي تحول دون اللقاء الإنساني الحر مع أخيه الأنسان وبالتالي فالزيارة الأربعينية للأمام الحسين (عليه السلام) إلا نموذج الأقدر على أن يكون رسول الحرية والسلام لسائر بني الإنسان ضد الطغيان والعبودية وجور الحكام، ومحو الصورة المشوهة للإسلام من قبل المتطرفين والمنحرفين، وخير مثال على ذلك ما حققته هذه الزيارة في العراق من عدالة اجتماعية وتكافل اقتصادي بين الناس لأداء مهام هذه الزيارة والتكفل بأمورها المادية والمعنوية لملايين البشر، فالعدالة الاجتماعية

تحقق السلم الاجتماعي بين الناس مختلف الناس تجسد بأروع صورته في تلك الزيارة المباركة إذ لا فرق بين سيد ومسود وغني وفقير من حيث الدين والمذهب أو الجنس أو اللون، الكل يتسابق لأداء مراسيم هذه الزيارة التي هي ولادة حياة وليس نهاية ممت^(١) والدليل على ذلك إن هناك الكثير من الذين لا يدركون أهمية هذه الواقعة التي غيرت مجرى التاريخ البشري من ظلم إلى مشرق وهؤلاء كثيرون ومن أديان ومذاهب مختلفة يتساءلون لماذا هذا الإصرار على احياء هذه الشعائر الحسيني بهذه الطريقة وخاصة الأربيعينية مشيا على الأقدام إلى كربلاء طهر ثراها بأطهر دم عرفته الإنسانية لأنه دم رجانة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وثمرة الجنة وابن حيدر الكرار الذي انقذ بسيفه (ذو الفقار) الرسالة المحمدية من شر الكفار.

إن احياء هذه الشعائر حير ودوخ واذهل العالم اجمع، هو ليس بإرادة بشريه بل أرادة الإلهية خالصه والدليل على ذلك في مجمل اجابتنا على تساؤلات الذين يعيبونها علينا ببساطه جدا هي، أن التاريخ البشري شهد عظماء كثر في مختلف المجالات من علماء وثور وفلاسفة ومحررين مثل غاندي والإغريقي ايوب والسيد المسيح وفيلسوف العين الكبير والقديس يولس الذي حمل رسالة المسيح (عليه السلام)، بعد أن رفعه الله عز وجل اليه بالإضافة الى الدعاة المصلحين وكل هؤلاء احدثوا تغير ملموسا في التاريخ البشري ويذكرهم التاريخ باحترام ولكن لم تزف اليهم ملايين البشر كما في أربيعينية الإمام الحسين (عليه السلام) ولم تتساقط عليهم الدموع كما تساقطت على الإمام الحسين (عليه السلام) ولم يستذكرهم التاريخ كما يستذكر الإمام (عليه السلام) على مدى ١٤٠٠ عام .

(١) فريا ستارك، ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) في اقوال المستشرقين، ص ١٤٥.

إذن هي فعلا أرادة السماء التي هي نفسها بكت على مصاب أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) وإذا نظرنا الى هذه الواقعة من زاوية اخرى مقارنة بشهداء كثيرون في التاريخ، ولم نجد فيهم من استشهد بالطريقة التي استشهد بها الإمام الحسين (عليه السلام) خاصة وان الواقعة التي شهدها التاريخ كان فيها أحد طرفي القوه المتقاتلة بعدد (٧٢) شخصا بين رجل وطفل وامراه وبلا عده عسكريه مقابل عدو لثيم يفوقهم عدة وعددا بلغ قوامها (٣٠) الف واكثر مقاتل مجهزين بكل انواع الأسلحة وعدة الحرب انذال^(١).

(١) الدوميلي، العلم عند العرب، ص ٢٠.

ثانياً: اقوال العلماء والمؤرخين الأجانب في حق انسانية ثورة الحسين (عليه السلام) وشموليتها المتصفح لحركة

التاريخ يلاحظ مدى تأثير العلماء والمفكرين والدعاة والسياسيين بمبادئ ثورة الحسين (عليه السلام) خاصة الشعوب المظلومة والمستعبدة، فمن عاشوراء تستقي الإنسانية الدروس والعبر، فلأمام (عليه السلام) من اشد الداعين إلى مبادئ حقوق الأنسان وصيانتها من الانتهاك وانه لم يكتفي بحدود العوة النظرية المجردة الى تلك المبادئ عمليا وضحي بنفسه واهل بيته من اجل عالم يسوده الحق والعدل والمساوة^(١).

إن اربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) تعتبر أربعينية احياء وقيامه وبعث وليست أربعينية وفاة ونهاية أو بمعنى آخر انها أربعينية ولادة وليست أربعينية ممات والدلالة على أن الأربعينية تعمق مسيرة الإنسانية هو التهافت والمشاركة الواسعة بكل أنحاء العالم للتفاعل مع القضية الحسينية وأبعادها الإنسانية على سبيل المثال ما قاله الناس بحق هذه القضية فالرئيس السابق للمؤتمر الهندي تام لاس تن دون قال هذه التضحيات الكبرى مثل شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) رفعت مستوى الفكر الانساني وخلفه هذه الذكرى ان تبقى الى الابد وتذكر على الدوام، وقول الآثاري الإنكليزي وليم لوفنس: " لقد قدم حسين ابن علي ابلغ شهادته في تاريخ الانسانية وارتفع بمأساته الى مستوى البطولة الفذة"^(٢)، وقول المستشرق الهنكاري اجنناس غولد تسيهر: "قام بين الحسين ابن علي والغاصب الاموي نزاعاً دائماً وقد زودة ساحة كربلاء تاريخ الاسلام بعدد كبير من الشهداء اكتسب الحداد عليهم حتى اليوم مظهر عاطفياً"^(٣).

(١) المرجع نفسه، ص ٥٠.

(٢) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٥١.

(٣) د. ج. هو كارت، كتاب الجزيرة العربية، ص ٣٠١.

وفي تعبير رائع عن معنى ثورة الحسين (عليه السلام) يقول المهاتما غاندي:
"تعلمت من الحسين كيف اكون مظلوماً فانتصر"^(١)، أما المستشرق النكليزي د . ج .
هوكارت فقال: "دلت صفوف الزوار التي تدخل الى مشهد الحسين في كربلاء والعواطف
التي ما تزال تؤججها في العاشر من محرم في العالم الاسلامي باسره كل هذه المظاهر
استمرت لتدل على ان الموت ينفع القديسين اكثر من ايام حياتهم مجتمعهم"^(٢).

(١) المرجع نفسه، ص ٣٢.

(٢) المرجع نفسه ص ٣٠.

الخاتمة

هناك دروس وعبر روحية وعلمية ودينية يمكن أن نستخلصها من الزيارة الأربعينية
اهمها .:

أولاً: هي تجديد وتذكير النفوس بالتعاليم الإلهية وتجديد العهد مع الأخلاق
السامية والقيم النبيلة .

ثانياً: ثورة الحسين (عليه السلام) تذكر الإنسان بالواجب والتكاليف الإلهية
مقابل السهو والنسيان.

ثالثاً: ثورة الحسين (عليه السلام) تذكر الإنسان بمشاهد الأخرة لتقف أمام الدنيا
في رغبتها.

رابعاً: ان زيارة الأربعين تعبر عن رضا الله سبحانه وتعالى

خامساً: نصرت المبادئ الإسلامية التي من أجلها استشهد الحسين (عليه السلام)
في العدل والكرامة والحرية وتطبيق الشريعة الإسلامية .

سادساً: تجديد البيعة للأمام (عليه السلام) وخطه الإسلامي الثوري الجهادي

سابعاً: مواساة أهل البيت (عليه السلام) بعد عودتهم من الشام ومواساة رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والزهراء (عليه السلام) وأمير المؤمنين (عليه السلام).

**الدروس التربوية في الزيارة الأربعينية
موعظة تغيير وإصلاح**

الدكتور خمائل شاكر الجمالي

جامعة بغداد

مركز إحياء التراث العلمي العربي

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

للشريعة المحمدية المقدسة غايات وأهداف جليلة في مقدمتها السير ببني آدم إلى الكمال الإنساني والرجوع إلى حيث أمر الله قال تعالى: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، وقد أوجدت لذلك سبل بينتها، وطرائق أوضحتها، منها التمسك بالثقلين الكتاب العزيز والعترة الهادية صلوات الله عليها كما نص على ذلك حديث الثقلين المتواتر، ومنها كذلك ما ورد في الزيارات الشريفة.

إن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) أبواب الله تعالى التي منها يؤتى، وإهم (عليهم السلام) سفن النجاة فمن اقتفى أثرهم واتبع هجهم وتمسك بهم أمن من الغرق والهلاك ووصل إلى بر الأمان حيث السعادة الأبدية والرضا الإلهي.

والإمام الحسين (عليه السلام) سفينة النجاة العظيمة والسريعة وفق الأحاديث الشريفة بل هو (عليه السلام) سفينة الكمال، وقد ورد في الأثر الشريف: «قال الحسين (عليه السلام) دخلت على جدي وعنده أبي بن كعب فقال لي مرحباً يا زين السماوات والأرض فقال أبي كيف يكون غيرك زينهما فقال (صلى الله عليه وآله) والذي بعثني بالحق أنه لفي السماء أكبر منه في الأرض وإنه مكتوب على يمين العرش إنه مصباح هدى وسفينة نجاة».

وقد تنوعت الدروس والمعطيات في ثورة عاشوراء الحسين (عليه السلام) بتنوع الأهداف التي تحققت بعد استشهاده (عليه السلام)، فضلاً عن ثورة للحرية والخلاص فهي أيضاً ثورة للتربية الروحية والأخلاقية وبناء الذات ثورة خاصة لبناء مجتمع متكامل من كل النواحي، تلك الدروس تجسدت في أكثر من موقف في هذه الثورة العملاقة التي ترسخت مبادئها في عقول وقلوب عشاق الحسين (عليه السلام) منها زيارة الأربعين؛

فيقول في ذلك الشاعر :

مررتُ على قبرِ الحسينِ بكربلاء
وما زلتُ أبكيه وأرثي لشجوه
وبكيتُ من بعد الحسينِ عصائباً
إذا العين قرّت في الحياة وأنتم
سلامٌ على أهل القبورِ بكربلاء
سلامٌ بأصالِ العشي وبالضحى
ولا برح الوفّاد زوّار قبره
ففاض عليه من دموعي غزيرها
ويسعد عيني دمعها وزفيرها
أطافت به من جانيبه قبورها
تخافون في الدنيا فأظلم نورها
وقلّ لها مني سلامٌ يزورها
تؤدّيه نكبأ الرياح ومورها
يفوح عليهم مسكها وعبيرها

المبحث الأول

مفهوم زيارة الأربعين:

إن كلمة الأربعين تعدّ من المصطلحات المستعملة كثيراً في المتون الدينية سواء الروائية منها أو التاريخية، وقد حدد الكثير من الأمور بهذا العدد الخاص مثلاً كمال العقل في الأربعين مؤمن ومؤمنة؛ وزيارة الأربعين تعني زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) بعد مرور أربعين يوماً على استشهاده في العاشر من المحرم وتصادف يوم العشرين من صفر كل عام وفيها يتجمع الزائرون من أنحاء العراق والعالم العربي والإسلامي في كربلاء لأداء هذه المراسيم، ولم يرد في الأحاديث زيارة الأربعين إلا في حق الإمام الحسين (عليه السلام)، وهذا يعدّ من الامتيازات الخاصة بالإمام الحسين (عليه السلام) (١).

وقد عدّ العلامة المجلسي أن أحد وجوه وعلل استحباب زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم الأربعين هو إعادة إرجاع الرؤوس الطاهرة إلى الأجساد الشريفة على يديّ الإمام السجاد الشريفة (عليه السلام)، وهناك الكثير من المصادر عند فرق المسلمين كافة التي تؤكد على أن رأس الإمام الحسين رد إلى جثته الطاهرة ودفن معها، كما أن الكثير من الخاصة والعامة ذكروا ورود أهل البيت إلى كربلاء في يوم الأربعين وبأنه يوم رجوع حرم الإمام الحسين (عليه السلام) من الشام (٢).

والأربعين هو اليوم الذي زار فيه الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري قبر الإمام الحسين (عليه السلام)، وفي نفس ذلك المكان والزمان حصل اللقاء بين جابر وأهل البيت (عليه السلام) عندما رجعوا من الشام لزيارة قبر الحسين (عليه السلام)، وفي سياق زيارة الأربعين هناك روايات كثيرة ينقلها الشيعة عن أئمتهم منها رواية للإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال (من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين

(١) القرشي، محمد باقر. حياة الإمام الحسين بن علي، الجزء الثالث، تحقيق مهدي باقر القرشي، قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية، ٢٠٠٨، ص ٢٨٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار الجامعة لدرر إخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: يحيى العابدي، ط ٢ بيروت، مؤسسة الوفاء للنشر، ١٩٨٣، ص ١٩٤-١٩٧.

بن علي (عليه السلام) أن كان ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحا عنه سيئة حتى إذا صار في الحائر كتبه الله من المفلحين المنجيين حتى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملك فقال: " أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يُقرئك السلام ويقول لك إستأنف العمل فقدّ غفر لك ما مضى " (١).

لذلك نجد أن في زيارة الأربعين درس تربوي لكل مؤمن ومؤمنة، لما تحمله هذه الزيارة من رسالة إيمانية تدخل قلوب المؤمنين فيما بينهم ويجمعهم حب أهل بيت رسول الله (عليهم السلام)، ولما حدث لهم من ظلم وشر، ليكونوا قدوة لهم للتغيير والإصلاح في مجتمعاتهم، وموعظة نحو إصلاح المجتمعات.

وهناك رواية للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) يقول فيها: (علامات المؤمن خمس صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم).

وهذه الزيارة شأنها شأن الشعائر الأخرى لها أثار تحويلية ففيها تحسين المستوى المعاشي للزوار في هذا العالم ولنحهم المغفرة والعفو عن ذنوبهم وثواب الدنيا والآخرة كما يسعى الزوار إلى طلب شفائهم من الأمراض وحماية ممتلكاتهم وأبنائهم وتحقيق أمنياتهم الشخصية (٢).

وبوجه عام اتخذت زيارة الأربعين بعد عام ٢٠٠٣ منحنى آخر فقد أقيمت على الطرقات والخدمات التي تجهز الزائرين السائرين إلى كربلاء بما يحتاجونه في مسيرهم من الأكل والشرب على طول الطريق المؤدي إلى كربلاء وفي جميع محافظات الوسط والجنوب، كما أن هذه الزيارة تعدّ حدث مهم وذو أهمية تربوية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية وهي بخلاف زيارة عاشوراء تتركز وتقام في مدينة كربلاء بصفتها مدفناً لجسد الإمام الحسين (عليه السلام) فيقوم الشيعة بعامتهم بتنظيم أنفسهم في مجاميع ووفود لتسافر إلى كربلاء، ويرمز ذلك إلى أن الشيعة يحاولون تجاوز انتماءهم

(١) الشيرازي، حسن. الشعائر الحسينية، مؤسسة الفكر الإسلامي، بيروت، د.ت، ص ٤٩.

(٢) الصفار، موسى حسن. الحسين في وجدان الأمة، الطبعة الأولى، دار المهجة البيضاء، لبنان، ٢٠٠٨.

المحلية إلى العامل الأوسع وبذلك ترمز هذه الزيارة إلى عدها وسيلة لبناء هوية تربية تشمل جميع الشيعة في جميع أنحاء العالم هذا من جانب، ومن جانب إخر فإن الأفراد الذين يقومون بأداء هذه الشعيرة في اثناء السير مشياً على الأقدام وتحمل مصاعب الطريق الذي لا يخلو من المخاوف والإرهاب مع وجود المركبات ووسائط النقل الحديثة أو الذين يقومون على خدمتهم في اثناء صرف المبالغ الطائلة في تلك المواكب المنتشرة، على جانبي الطريق والتي تهيء مختلف أنواع الأطعمة والمشروبات فضلاً عن الخدمات الطبية والصحية؛ إنما في ذلك دلالة على عمق الدرس الديني التربوي عند هؤلاء وإيمانهم بقضيتهم وامتثالهم لما حدث عليه الأئمة في هذا السياق متأملين أن تقضى حوائجهم وأن ينالوا الشفاعة وبخصوص المواكب المنتشرة على جانبي الطريق في كافة المحافظات وشوارعها المؤدية إلى مدينة كربلاء المقدسة، إذ تجد هذه المواكب الخدمية والتي تقدم الأطعمة بكافة أشكالها يقوم أصحاب المواكب بعد انتهاء هذه المناسبة بحجز أماكنهم إلى السنة القادمة بوضع المعدات والشبكات الحديدية ومجاميع صحية صغيرة بهدف الحفاظ على المكان، والجدير بالذكر أن طريق نجف كربلاء حافل بالحسينيات والمساجد والمجاميع الصحية، وقد تم الإفادة منها في إيواء النازحين من المحافظات ولاسيما نينوى وصلاح الدين وأغلبهم من الشبك والتركمان بسبب الأزمة الراهنة ومجاميع (داعش) الإرهابية التي دخلت البلاد مؤخراً. إذن هذا درس تربوي آخر في هذه الزيارة الأربعينية، لما يحمله أصحاب هذه المواكب من ألفة ومحبة ولحمة وطنية تهدف إلى تعزيز قيمة المواطنة بين أبناء الوطن الواحد في ظل هذه الظروف الراهنة.

المبحث الثاني

الدروس التربوية في الزيارة الأربعينية:

في زيارة قبر الحسين (عليه السلام) في يوم الأربعاء درس من الدروس التربوية في الموعظة والإصلاح، والمكاسب الروحية، والفوائد الفكرية، والأخلاقية ما ليس مثلها في زيارة أيّ مرقد وضريح آخر؛ ولذا قال الإمام الصادق (عليه السلام): " مَنْ زار الحسين (عليه السلام) عارفاً بحقه فكأنما زار الله في عرشه " (١).

وفي حديث آخر عنه (عليه السلام) قال: ((زيارة الحسين (عليه السلام) فرض على كلِّ مَنْ يؤمن للحسين (عليه السلام) بالولاية)) (٢).

وكان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يعلمون ذلك كلّهم ولم يمنعوا الناس من زيارة الحسين (عليه السلام) لما فيها من مكاسب تربوية، وروحية، واجتماعية، وسياسية للمؤمنين، بل يحثّونهم على الاستمرار في زيارة قبر الحسين (عليه السلام) رغم كلّ الصعاب والعقبات، ويقولون لهم إنّ لزيارة قبر الحسين (عليه السلام) بكلِّ خطوة يخطوها حسنة عند الله سبحانه.

وإن الحسين (عليه السلام) قتل مهموماً حزيناً كئيباً فاللّله أن لا يأتي قبر الحسين مهموم إلا فرّج عنه، وتكفل برد مظلمته (٣).

وقدّ التزم أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم بالحفاظ على زيارة الحسين (عليه السلام) في ظروف صعبة وشاقّة، وقد كلّفتهم تضحيات غالية؛ ففي عصر المتوكّل العباسي مثلاً فرضت ضريبة مالية قدرها ألف دينار من ذهب على كلّ شخص يرد كربلاء لزيارة قبر الحسين (عليه السلام)، ولما رأّت السلطات العباسية أنّ هذه الضريبة

(١) يعقوب، احمد حسين. كربلاء، الثورة والمأساة، ط١، (بيروت، مركز الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧، ص ٨٧.

(٢) الأصفي، محمد مهدي، في ظلال الطف، ط١، بيروت، دار الكرام، ١٤١٦هـ، ص ٣٧ - ٤١.

(٣) الحرائي، ابن شعبة، تحف العقول فيما جاء من المواعظ والحكم من آل الرسول، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٢. قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤هـ، ص ٨٨ - ٩٢.

الباهظة لم تمنع الناس من زيارة الحسين (عليه السلام) أضافوا إليها ضريبة دموية، فكانوا يقتلون من كل عشرة زائرين واحداً يعين من بينهم بطريق القرعة^(١).

الا ترى الشعوب غير المسلمة تنحت الصور، وتقيم التماثيل لرجالها المصلحين في الساحات العامة والمواقع الحساسة من مدنها؟ لماذا يصنعون ذلك؟ لا شك أنك تعرف أنهم يفعلون ذلك تكريماً لذكراهم، و شكراً لتضحياتهم، وتلقيناً لسيرتهم، و عملهم إلى الشباب الحاضر والأجيال القادمة، غير أن الإسلام يحرم النحت وصنع التماثيل مطلقاً، ولأي شخص كان، فلذا ليس أمامنا نحن المسلمين لأجل تكريم زعمائنا المخلصين و شهداءنا الأحرار؛ لأجل الإعراب عن شكرنا لهم، ولأجل تلقين أجيالنا الطالعة سيرتهم ومبادئهم، إلا زيارة قبورهم، والوقوف أمام مراقدهم خاشعين مستوحيين منها الدروس التربوية وذكريات التضحية والفداء في سبيل المصلحة العامة، وفي سبيل موعظة التغيير والإصلاح.

هذا منطق الشيعة وفلسفتها لهذه الظاهرة، وهو كما تراه منطق العقل في كل زمان ومكان ونذكر نبذة من كتاب (أبو الشهداء) للعقاد حول هذا الموضوع قال: ((وشاءت المصادفات أن يُساق ركب الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء بعد أن حيل بينه وبين كل وجهة أخرى، فاقترن تاريخها منذ ذلك اليوم بتاريخ الإسلام كله، ومن حقه أن يقترن بتاريخ بني الإنسان حيثما عرفت لهذا الإنسان فضيلة يستحق بها دروساً في التربية والتنويه والتخليد فهي (أي كربلاء) اليوم الأربعينية يوم يزوره المسلمون للعبرة والذكرى، ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة، ولكنها (أي كربلاء)، لو أعطيت حقها من التنويه والتخليد لحق لها أن تُصبح مزاراً لكل أنسان يعرف لبني نوعه درساً في التربية، و نصيباً من القداسة، و حظاً من الفضيلة؛ لأننا لا نذكر بقعة من بقاع هذه الأرض يقترن اسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمى وألزم لنوع الإنسان من تلك التي اقترنت باسم كربلاء بعد مصرع الحسين (عليه السلام) فيها. فكل صفة من تلك الصفات العلوية التي بها الإنسان إنسان، وبغيرها لا يحسب إلا

(١) شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ظروفها الاجتماعية وأثارها الإنسانية، تحقيق: سامي الغريبي، ط ١، د.م، دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٦، ص ١٥٢ - ١٥٦.

ضرباً من الحيوان السائم، فهي مقرونة في الذاكرة بأيام الحسين (عليه السلام) في تلك البقعة الجرداء^(١).

وأن من أهم الدروس التربوية في هذه الزيارة الأربعينية الحسينية هو الحفاظ على مبادئ الإسلام واحكامه وتعاليمه المقدسة التي ضحى الإمام الحسين (عليه السلام) واهل بيته واصحابه من اجل حمايتها من الضياع والانحراف، ويقتضي ذلك من المؤمنين مزيد التفقه في الدين والحرص على تطبيق تعاليمه بطاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة الاطهار (عليهم السلام) واداء الواجبات واجتناب المحرمات ويتصدى في هذه الزيارة - كما في التي قبلها - مجموعة من فضلاء الحوزة العلمية وطلابها لبيان الدروس التربوية، والاحكام الشرعية، والتعاليم الاخلاقية، واقامة الصلاة جماعة على طول مسار الطريق الواصل إلى كربلاء المقدسة؛ فينبغي للزائرين الكرام أن يغتنموا هذه الأيام ويجعلوا سفرهم الالهي هذا فرصة لمزيد التفقه في الاحكام الشرعية والتحلي بالأخلاق الفاضلة والحرص على اقامة الصلاة في اول وقتها وينبغي أن لا يمنع بعضهم الاهتمام بأداء الخدمة لزوار الإمام الحسين (عليه السلام) واقامة مراسم العزاء عن اداء الصلاة في اول وقتها فإن الإمام الحسين (عليه السلام) من شدة عنايته وحرصه على أداء الصلاة لم يمنعه يوم عاشوراء انشغاله بالحرب والقتال وهو على أشده عن أن يؤدي واصحابه تلك الفريضة الالهية في أول وقتها (فالله الله في الصلاة فأئها عمود دينكم ومعراج المؤمن إلى ربه واحب الأعمال إلى الله تعالى وقره عين نبيكم (صلى الله عليه وآله وسلم))، ففي زيارة أربعين الإمام الحسين (عليه السلام) درس تربوي ديني في التحلي في أحكام الدين والأخلاق الفاضلة في إقامة الصلاة، والسفر الإلهي^(٢).

ومن المقاصد المهمة لهذا السفر الالهي هو تثبيت المبدأ الأساس الذي انطلق منه الإمام الحسين (عليه السلام) في مسيرته من المدينة المنورة إلى كربلاء المقدسة واراد من شيعته ومحبيه الالتزام به في احلك الظروف واقساها... إلا وهو التضحية بالنفس والمال

(١) الصدر، محمد محمد صادق، أضواء على ثورة الحسين (عليه السلام)، ط ٢، النجف الاشرف، د.ت، ١٤١٧هـ، ص ٧٧.

(٢) الموسوي، رياض. الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، موسوعة الأعلامي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١١، ص ٦٤.

والولد لحماية قيم الإسلام ومبادئه والحفاظ عليها من دون تغيير وتحريف، والايثار والشجاعة والصبر والصمود والعزيمة الراسخة والإرادة الصلبة في هذا السبيل، ولاشك في أن المعركة المصيرية في هذه الأيام مع عصابات داعش تتجلى فيها تلك القيم بأسمى صورها ومعانيها ولاسيما من أحببنا الأبطال المقاتلين بمختلف عناوينهم، الذين يرابطون في الجبهات وقد تركوا الدنيا وما فيها وفارقوا الأهل والولد والأحبة ليجسدوا قيم الفداء والتضحية والايثار بأنفسهم من أجل الحفاظ على هذا البلد ومقدساته واعراض مواطنيه ولعل من أجلى مظاهر الولاء والارتباط بالإمام الحسين (عليه السلام) في هذه الأيام وصدق التوجه اليه بالزيارة هو ادامة زخم المعركة ضد داعش وذلك بتعزيز روح الصمود و ارادة القتال ودعم المقاتلين بالمعونات والرجال الأشداء اولى البأس والعزم لتطهير ارض العراق كلها من دنس هذه العصابات، فان الشعب الذي استطاع أن يتحدى الإرهاب طوال هذه السنوات وحقق الانتصار في الكثير من المعارك لقادر أن يدم زخم الانتصارات في معركته الحالية ضد عصابات داعش لبلوغ النصر النهائي (ان شاء الله تعالى)، فمن زيارة الأربعين نتعلم درس في التربية بالتضحية بالغالي، والنفيس من أجل حماية الوطن، والحفاظ على قيم ومبادئ الإسلام السامية ليكون موعظة للتغيير والإصلاح في المجتمع.

إلى أمثال هذا كثير وكثير فكانت الشيعة ولا تزال تقصد زيارة قبر الحسين(عليه السلام) من البلدان النائية، والأقطار البعيدة فدأب الأئمة (عليهم السلام) على الدعاء للزائرين، فمن دعاء طويل للإمام الصادق (عليه السلام) في سجوده نقتطف منه هذا المقطع ليتبين لنا مدى الاهتمام الذي أولوه (عليهم السلام) بهذه الشعيرة والدعوة إليها يقول عليه السلام: (اللهم اغفر لي ولإخواني وزوار قبر الحسين الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برّنا ورجاء لما عندك في صلتنا وسرورا أدخلوه على نبيك)^(١).

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام)، موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، ط ٣، قم، دار المعروف للنشر، ١٩٩٥، ص ٩٤-٩٧.

ودأبت الشيعة منذ استشهاد الامام الحسين (عليه السلام) على جعل الصلة نابضة وحية ومستمرة بينهم وبين كربلاء، ويدلنا قول عقبة بن عمرو السهمي على أن قبر الحسين لم يزل منذ استشهاد مهوى القلوب وكعبة الوفاة^(١).

ومن أهم الزيارات المخصوصة التي أكد عليها أئمتنا الطاهرون لقبر الإمام الحسين هي (زيارة الأربعين) حيث وردت روايات كثيرة عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) في خصوصية يوم الاربعين وفضل زيارة الحسين (عليه السلام)، في ذلك اليوم ففي مستدرک الوسائل للنوري (ص ٢١٥ باب ٩٤) عن زرارة بن أعين عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) إنه قال: (إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، والأرض بكت عليه أربعين صباحاً بالسواد، والشمس بكت عليه أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، والملائكة بكت عليه أربعين صباحاً وما اختضبت امرأة منا ولا أدهنت ولا اكتحلت ولا رجّلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد وما زلنا في عبرة من بعده)^(٢)، وروي في كامل الزيارات (ص ٩٠ باب ٢٨) عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) إنه قال: (إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً). أما زيارة الامام الحسين يوم الأربعاء فقد وردت في أحاديث عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) في فضلها منها ما روي عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أنه قال: علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعاء، والتختم باليمين، وتعفير الجبين^(٣).

(١) القزويني، شاکر، ملحمة عاشوراء منهج للحياة والموت والعبادة، مجلة الكوثر، النجف الاشرف، السنة السابعة، العدد ١١٤، ٢٠٠٧، ص ١٥٤-١٥٧.

(٢) النوري. مستدرک الوسائل، ج ٣، باب ٩٤، دت، ص ٢١٥.

(٣) كامل الزيارات، فيمن ترك زيارة الحسين، باب ٢٨، ص ٩٠.

المبحث الثالث

فضل الزيارة الأربعينية:

قد شاء الله أن تكون قضية الإمام الحسين (عليه السلام) استثنائية في كل جوانبها، ومن ذلك: شدة الحزن والبكاء عليه وإقامة العزاء على مصابه، وشدة الرجال لزيارته في كل مناسبة إسلامية مهمة وفي كل ليلة جمعة وغيرها. فإن ما ورد من الحث على ذلك من النبي الأعظم وسائر المعصومين (عليه السلام) بشأن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يرد في شأن أي معصوم منهم (عليهم السلام). فقد تظافت الروايات الواردة عنهم (عليهم السلام) أن لزائر الإمام الحسين (عليه السلام) ولمعظم شعائره والمقيم العزاء عليه أجراً لا مثيل له. ولذا فإن المقولة التي يرددها البعض: (كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء) غير صحيحة لأنها تعارض ما ورد عن المعصومين (عليهم السلام) وهو: لا أرض مثل كربلاء ولا يوم كعاشوراء^(١).

يقول الإمام الصادق (عليه السلام): ((إن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بنى الله بيته على ظهري ويأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه! فأوحى الله إليها أن كفي وقرّي، فوعزّي وجلالي ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت به أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غمست في البحر فحملت من ماء البحر! ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا ما تضمّنته أرض كربلاء لما خلقتك ولا خلقت البيت الذي افتخرت به؛ فقري واستقري ..))^(٢).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله): - في حديث طويل - «... كربلاء... وهي أطيب بقاع الأرض وأعظمها حرمة»^(٣)، لذا يجدر بالمؤمنين أن يضاعفوا جهودهم في سبيل

(١) الأصفى، محمد مهدي. دروس من نغمة الإمام الحسين (ع)، انتهاكات الاستكبار العالمي للعالم الإسلامي والموقف منها، ط١، النجف، دار النجف للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ص ١٣٧-١٤٦.

(٢) ابن شهر آشوب، مشير الدين ابن عبد الله. مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من اساتذة النجف الاشرف، النجف الاشرف، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٥٦، ص ٢٤٧.

(٣) الاطحي، مرتضى. الشيعة في احاديث الفريقين، ط١، ايران، امير للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ، ص ١٥٩.

نشر معالم ملحمة عاشوراء الخالدة وإقامة الشعائر الحسينية وتحمل الصعاب والأذى
مهما زادت، كما تحمل المؤمنون من قبل؛ لأن الله تعالى يعامل كل ما يتعلّق بالإمام
الحسين (عليه السلام) معاملة استثنائية.

المبحث الرابع

الأجواء التربوية الإيمانية في الزيارة الأربعينية:

في الزيارة الأربعينية تختلف الأجواء كلياً عملياً عما هو عليه باقي الزيارات إذ أن المرء يشعر أن المرقد الحسيني أصبح له من التمدد المعنوي الكثير إذ إن ذلك التمدد يغطي كل مسالك الزوار؛ لذلك نجد أن طبيعة العلاقة بين الزوار في هذه الزيارة لها خصوصية واضحة.

إذ إن الزائر خارج المرقد يعيش في مجتمع مماثل لما هو موجود في داخل المرقد وكذلك طبيعة الخدم في المواكب كأنها تحاكي طبيعة الخدم داخل المرقد، القائم بين الناس وواقعهم التربوي والاجتماعي وفي السياق التربوي والاجتماعي والسياسي تنطوي الزيارة على قدرات تفجيرية، فلقد لوحظ بأنه كلما تقلصت ممارسة السياسة المؤسساتية ازدادت التعبئة الجماهيرية في أثناء الشعائر الدينية بما فيها شعيرة الزيارة، وكلما كانت الهوية الاجتماعية الحديثة أضعف كلما كانت الهويات الطائفية أقوى وهذه الشعائر أكثر تشدداً^(١).

وقدّ تعكس التذبذبات في إعداد الزوار ظروفاً متغيرة قدّ تشجع على المشاركة في هذه الشعائر أو تحول دونها، وزيارة الاضرحة في كربلاء أو بقية الأئمة فعل يحقق دروس تربوية للجماعة اعتماداً على القيمة المقدسة الرمزية الخاصة بهؤلاء ومن ثمّ يصحّ التشفع بقيمتهم وبرمزيتهم داخل السياق المجتمعي، فالمراد من زيارة أضرحة الأئمة هو الاعتراف بسلطتهم على المجتمع الإسلامي بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) والحفاظ على حبل الوصل والعهد بين المؤمن الشيوعي وإمامه القادر على التوسط عنه الله يوم القيامة وتهدف إلى الحفاظ على ذاكرة الشيعة الجمعية وهويتهم الجماعية؛

(١) عزيز، ريسان. محات في الشخصية العراقية والمجتمع العراقي، ط ١، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠١٢،

فالزيارة درس تربيوي جماعي وتأكيد على قدسية الأئمة بوصفهم الصلة ما بين الشيعة والله سبحانه وتعالى. كونها تقرب العبد إلى ربه وعدّها من الشعائر ويجب تعظيمها^(١).

وقد أشار القرآن الكريم بتعظيم الشعيرة ((ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ))^(٢).

ولا يعدّ ذلك عبادة لها كما يتوهم البعض لأنه ليس كل تعظيم أو خضوع أو غيره يكون عبادة كل وأن تعظيم القبور عبادة وطاعة لله تعالى لأن التعظيم لمن عظمه الله هو طاعة لله وعبادة وخضوع له سبحانه ؛ فالنبي والصالح لا تسقط حرمة بموته^(٣).

وقد قال مالك بن أنس (صاحب المذهب المالكي المعروف) للمنصور (حرمة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ميتاً كحرمة حياً.

وهذه ظاهرة أخرى عند الشيعة لم تسلم أيضاً من النقد أحياناً، ومن التساؤل والاستفهام عنها أحياناً أخرى، وهي زيارة قبر الحسين (عليه السلام) بكربلاء من أرض العراق في مواسم عدّة من أيام السنّة، وخاصة يوم الأربعاء (أي العشرين من شهر صفر)، وهو يوم ذكرى عودة الرأس الشريف من الشام، والتحاقه بالجسد على يد الإمام زين العابدين (عليه السلام)، الذي عادّ في ذلك اليوم مع السبايا من الشام في طريقهم إلى المدينة المنورة فصادف وصولهم إلى كربلاء في يوم الأربعاء بعد قتل الحسين (عليه السلام). ومن المأمول من الزائرين في أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام)، على صحاب المواكب جزاهم الله تعالى خيراً، أن تكون اعمالهم وخدماتهم مرآة عاكسة للدروس التربوية والأخلاق العالية لأهل البيت (عليهم السلام) ؛ وذلك عن طريق حرصهم على الحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة سواء أكانت لدوائر الدولة أو لعموم المواطنين وعدم مزاحمة مسارات الاليات والسيارات الناقلة للزائرين والحفاظ على نظافة مواقعهم وعدم الاسراف في الاطعام فإن هذا العمل الحمود وهو اطعام الزائرين قدّ

(١) سلام، عاطف. الوحدة العقائدية عند السنة والشيعة، دار البلاغة، مكتبة الروضة الحسينية المقدسة، ١٤٢٦هـ، ص ١٢٨.

(٢) الحج: ٣٢.

(٣) الموسوي، عبد الرسول. عاشوراء في الكتاب والسنة، ط ١، مؤسسة الإبلاغ، لبنان، ٢٠٠٦، ص ٨٧.

ينقلب إلى فعل مذموم إذا اقترن بالإسراف أو التبذير، وايضاً لا بد من الحفاظ على ضرورة حسن المعاشرة بين الزائرين وعدم التزاحم والتنافس في ما لا ينبغي بل لا بد من التأكيد على التعاون بين الجميع لإنجاح هذه الزيارة وخصوصاً التعاون مع القوات الامنية لتمكينهم من إداء مهامهم على افضل وجه وعدم السماح بوقوع خرق امني لا سمح الله تعالى^(١).

زيارة الأربعين المخصوصة:

بسم الله الرحمن الرحيم

السَّلَامُ عَلَى وَلِيِّ اللَّهِ وَحَبِيبِهِ، السَّلَامُ عَلَى خَلِيلِ اللَّهِ وَتَجِيبِهِ، السَّلَامُ عَلَى صَفِيِّ اللَّهِ وَابْنِ صَفِيِّهِ، السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ، السَّلَامُ عَلَى أَسِيرِ الْكُرْبَاتِ، وَقَتِيلِ الْعَبْرَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْنُ وَلِيِّكَ، وَصَفِيُّكَ وَابْنُ صَفِيِّكَ، الْفَائِزُ بِكَرَامَتِكَ، أَكْرَمْتَهُ بِالشَّهَادَةِ، وَحَبَوْتَهُ بِالسَّعَادَةِ، وَأَجْتَبَيْتَهُ بِطِيبِ الْوِلَادَةِ، وَجَعَلْتَهُ سَيِّدًا مِنَ السَّادَةِ وَقَائِدًا مِنَ الْقَادَةِ، وَذَائِدًا مِنَ الذَّادَةِ، وَأَعْطَيْتَهُ مَوَارِيثَ الْأَنْبِيَاءِ، وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِكَ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ، فَاعْذَرَ فِي الدُّعَاءِ، وَمَنْحَ النَّصْحِ، وَبَدَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ، لَيْسْتَ تَقْدِرُ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ، وَقَدْ تَوَازَرَ عَلَيْهِ مِنْ غَرَّتِهِ الدُّنْيَا، وَبَاعَ حَظَّهُ بِالْأَرْدَلِ الْأَدْنَى، وَشَرَى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الْأَوْكَسِ، وَتَغَطَّرَسَ وَتَرَدَّى فِي هَوَاهُ، وَأَسْخَطَكَ وَأَسْخَطَ نَبِيَّكَ، وَأَطَاعَ مِنْ عِبَادِكَ أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ، وَحَمَلَةَ الْأَوْزَارِ الْمُسْتَوْجِبِينَ النَّارِ، فَجَاهَدَهُمْ فِيكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، حَتَّى سَفِكَ فِي طَاعَتِكَ دَمَهُ، وَأَسْتَبِيحَ حَرِيمَهُ، اللَّهُمَّ فَالْعَنُهُمْ لَعْنًا وَبِيلاً، وَعَذِّبْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ أَشْهَدُ أَنَّكَ أَمِينُ اللَّهِ وَابْنُ أَمِينِهِ، عِشْتَ سَعِيدًا، وَمَضَيْتَ حَمِيدًا وَمُتَّ فَقِيدًا مَظْلُومًا شَهِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ مُنْجِزٌ مَا وَعَدَكَ، وَمُهْلِكٌ مَنْ خَذَلَكَ وَمُعَذِّبٌ مَنْ قَتَلَكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ

(١) حيدر، حب الله. جدل ومواقف في الشعائر الحسينية، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.

وَفَيْتَ بَعْدَهُ اللَّهَ، وَجَاهَدْتَ فِي سَبِيلِهِ حَتَّى آتَيْكَ الْيَقِينَ، فَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ظَلَمَكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ، اَللَّهُمَّ اِنِّي اُشْهَدُكَ اَنِّي وَلِيُّ لِمَنْ وَالَاهُ، وَعَدُوُّ لِمَنْ عَادَاهُ، يَا اَنْتَ وَاُمِّي يَا بَنَ رَسُوْلِ اللّٰهِ، اَشْهَدُ اَنَّكَ كُنْتَ نُورًا فِي الْاَصْلَابِ الشَّامِخَةِ وَالْاَرْحَامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجَاهِلِيَّةُ بِاَنْجَاسِهَا، وَلَمْ تُلْبِسْكَ الْمُدْلَهَمَاتُ مِنْ ثِيَابِهَا، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ مِنْ دَعَائِمِ الدِّينِ وَاَرْكَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَعْقِلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ الْاِمَامُ الْبَرُّ التَّقِيُّ، الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الْهَادِي الْمَهْدِيُّ، وَاَشْهَدُ اَنَّ الْاَيْمَةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَاَعْلَامُ الْهُدَى، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَالْحُجَّةُ عَلَى اَهْلِ الدُّنْيَا، وَاَشْهَدُ اَنِّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ، وَيَا بَابَكُمْ مُوقِنٌ، بِشَرَائِعِ دِينِي وَخَوَاتِيمِ عَمَلِي، وَقَلْبِي لِقَلْبِكُمْ سَلِمٌ، وَاَمْرِي لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ لَكُمْ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَامَعَ عَدُوُّكُمْ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَعَلَى اَرْوَاحِكُمْ وَاَجْسَادِكُمْ، وَاَشْهَدُكُمْ وَعَائِبِكُمْ، وَظَاهِرِكُمْ وَبَاطِنِكُمْ، اٰمِيْنَ رَبَّ الْعٰلَمِيْنَ.

وأرجو ببركة الإمام الحسين (عليه السلام) وهو الرحمة الإلهية الواسعة أن يكتب الأجر الجزيل لكل الذين يساهمون ويتحملون العناء المادي والنفسي في سبيل إحياء شعائر الإمام الحسين (عليه السلام) وتعظيمها، وأن يديها تبارك وتعالى فينا وفي ذريّاتنا، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المصادر

القرآن الكريم

١. الابطحي، مرتضى. الشيعة في احاديث الفريقين، ط١، ايران، امير للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ.
٢. ابن شهر آشوب، مشير الدين ابن عبد الله. مناقب آل ابي طالب، تحقيق: لجنة من اساتذة النجف الاشرف، النجف الاشرف، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٥٦.
٣. الأصفي، محمد مهدي. دروس من نهضة الإمام الحسين (ع)، انتهاكات الاستكبار العالمي للعالم الاسلامي والموقف منها، ط١، النجف، دار النجف للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.
٤. الأصفي، محمد مهدي، في ظلال الطف، ط١، بيروت، دار الكرام، ١٤١٦هـ.
٥. الحراني، ابن شعبة، تحف العقول فيما جاء من المواعظ والحكم من آل الرسول، تصحيح وتعليق: علي اكبر الغفاري، ط٢. قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
٦. حيدر، حب الله. جدل ومواقف في الشعائر الحسينية، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.
٧. سلام، عاطف. الوحدة العقائدية عند السنة والشيعة، دار البلاغة، مكتبة الروضة الحسينية المقدسة، ٥٤٢٦هـ.
٨. شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ظروفها الاجتماعية وأثارها الإنسانية، تحقيق: سامي الغريبي، ط١، د.م، دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٦.
٩. الشيرازي، حسن. الشعائر الحسينية، مؤسسة الفكر الإسلامي، بيروت، د.ت.

١٠. الصدر، محمد محمد صادق، أضواء على ثورة الحسين (عليه السلام)، ط ٢،
النجف الاشرف، د.ت، ١٤١٧هـ.
١١. الصفار، موسى حسن. الحسين في وجدان الأمة، الطبعة الأولى، دار المهجعة
البيضاء، لبنان، ٢٠٠٨
١٢. عزيز، ريسان. لمحات في الشخصية العراقية والمجتمع العراقي، ط ١، الدار
البيضاء، بيروت، ٢٠١٢.
١٣. القرشي، محمد باقر. حياة الإمام الحسين بن علي، الجزء الثالث، تحقيق
مهدي
١٤. باقر القرشي، قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية، ٢٠٠٨.
١٥. القزويني، شاکر، ملحمة عاشوراء منهج للحياة والموت والعبادة، مجلة
الكوثر، النجف الاشرف، السنة السابعة، العدد ١١٤، ٢٠٠٧.
١٦. كامل الزيارات، فيمن ترك زيارة الحسين، باب ٢٨.
١٧. لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام)، موسوعة كلمات الإمام
الحسين (عليه السلام)، ط ٣، قم، دار المعروف للنشر، ١٩٩٥.
١٨. المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار الجامعة لدرر إخبار الأئمة الأطهار، تحقيق:
يحيى العابدي، ط ٢ بيروت، مؤسسة الوفاء للنشر، ١٩٨٣.
١٩. الموسوي، رياض. الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، موسوعة
الأعلامي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١١.
٢٠. الموسوي، عبد الرسول. عاشوراء في الكتاب والسنة، ط ١، مؤسسة الإيلاغ،
لبنان، ٢٠٠٦.
٢١. النوري. مستدرك الوسائل، ج ٣، باب ٩٤، د.ت.
٢٢. يعقوب، احمد حسين. كربلاء، الثورة والمأساة، ط ١، (بيروت، مركز
الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧.

البنى الاسلوية
في شعر زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)

أ.م.د. خولة عبد الحميد - أ.م.د. بلقيس خلف رويح

كلية الادارة والاقتصاد /جامعة بغداد - كلية التربية/الجامعة المستنصرية

ملخص البحث

كانت الزيارة في الشعر العربي ظاهرة مميزة فالشاعر يصف رحلته الى قبر الإمام عليه السلام سواء أكانت في الخيال ام في الحقيقة. ومن هنا جاء اختيارنا لهذا الموضوع. وقد قسمنا البحث على ثلاثة محاور، المحور الأول تناول الدوافع والأسباب التي دعت الى ظهور فكرة الزيارة في الشعر العربي، والمحور الثاني جاء لدراسة المساق الزمني لشعر زيارة الإمام عليه السلام فبدأ من العصر الإسلامي مرورا بالعباسي والعثماني حتى نصل الى الشعر الحديث. أما المحور الآخر فقد كانت مهمته بيان البنى الأسلوبية لشعر الزيارة، فدرسنا البنى الصوتية وبخاصة بنية التماثل الصوتي ، ومن ثم تناولنا البنى التركيبية من خلال دراسة البنية التركيبية وركزنا على حضور الجملة الفعلية واسلوب النداء، وبعدها انتقلنا لدراسة البنية التصويرية التي اسهمت في رسم العواطف الجياشة لدى الزائرين وهم في طريقهم لزيارة قبر الإمام عليه السلام. وقد اعتمدنا في بحثنا المتواضع هذا على دواوين الشعراء والاختيارات الشعرية، فضلا عن كتب البلاغة والاسلوبية والنقد.

الاسباب والدوافع لظهور شعر الزيارة

لقد وقعت معركة الطف بين فئة الحق والتمثلة بالامام الحسين وأهل بيته واصحابه عليهم السلام، وبين الفئة الباغية فئة الباطل والتمثلة بيزيد بن معاوية ومن والاه عليهم اللعنة الى يوم الدين، وما ان انتهت هذه الواقعة باستشهاد سيد شباب اهل الجنة (عليه السلام) حتى بدأ الصراخ والعيويل والندم الشديد من المسلمين الذين لم تتح لهم الفرصة ليقفوا الى جنب ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان الشعر خير وسيلة إعلامية تفصح عن مظاهر الحزن والتفجع الجاثمة في صدور المسلمين. وما حفزهم على ذلك تحفيز الائمة الشعراء على قول شعر يخلد الدماء

الطاهرة لآل البيت عليهم السلام ومن والاهم، ومن ذلك قول الامام الصادق: (من قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى غفر الله له ووجبت له الجنة)^(١)، فكأنهم أرادوا ان يمزجوا العواطف والمشاعر مع المعاني الانسانية التكاملية المتجسدة في شخص الإمام عليه السلام، لذلك ظهر شعراء كثر تناولوا جوانب هذه الواقعة. ومن بين الظواهر التي اكدوها في شعرهم مسألة الزيارة، والسبب يعود الى أقوال الأئمة عليهم السلام التي حثت على ضرورة زيارة قبر الحسين (عليه السلام) والتمسك بها في كل زمان ومكان هذه الشعيرة القدسة وقد وردت في ذلك الكثير من الاحاديث والروايات عنهم عليهم السلام في فضل زيارة الحسين عليه السلام والثواب الجزيل الذي يصيبه زائره بزيارته، من ذلك قول الامام الباقر عليه السلام يقول فيه: (مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين فان اتيانه مفترض على كل مؤمن يقرّ للحسين بالامامة من الله عز وجل)^(٢). وفي حديث آخر له عليه السلام ايضاً عندما سئل ما لزائر الحسين من الثواب فقال عليه السلام: (يؤمنه الله يوم الفزع الاكبر وتلقاه الملائكة بالبشارة ويقال له لا تخف ولا تحزن هذا يومك الذي فيه فوزك)^(٣). كما دأب الائمة عليهم السلام على الدعاء للزائرين، فمن دعاء طويل للامام الصادق عليه السلام في سجوده نقتطف منه هذا المقطع ليتبين لنا مدى الاهتمام الذي اولوه عليهم السلام بهذه الشعيرة والدعوة اليها يقول عليه السلام: (اللهم اغفر لي ولاخواني وزوار قبر الحسين الذين انفقوا اموالهم واشخصوا ابدانهم رغبة في برنا ورجاء لما عندك في صلتنا وسرورا ادخلوه على نبيك)^(٤).

(١) بحار الانوار: ٤٤.

(٢) كامل الزيارات: ١٠٢.

(٣) المصدر نفسه: ٢٤٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٤١.

المسار الزمني لشعر الزيارة:

أول شاعر زار الامام الحسين عليه السلام وحث غيره على اداء هذه الشعيرة المقدسة، هو عقبة بن عمرو السهمي الذي عدّه ابن الجوزي في تذكرة الخواص والسيد الامين في اعيان الشيعة على انه اول من رثى الحسين عليه السلام فقد قصد هذا الشاعر قبر الحسين عليه السلام ووقف بإزاء القبر وقال^(١):

مررت على قبر الحسين بكربلا	ففاض عليه من دموعي غزيرها
ومازلت ابكيه وأرثي لشجوه	ويسعد عيني دمعها وزفيرها
وبكيت من بعد الحسين عصائبها	أطافت به من جانبيه قبورها
إذا العين قرّت في الحياة وانتم	تحافون في الدنيا فأظلم نورها
سلام على أهل القبور بكربلا	وقلّ لها مني سلام يزورها

ويزور سليمان بن قتة العدوي قبر الحسين عليه السلام فيرثيه بآياته المشهورة^(٢):

مررت على أبيات آل محمد	فلم أرَ أمثالها يوم حلتِ
ألم ترَ ان الشمس اضحت مريضة	لقتل حسين والبلاد اقشعرتِ
وكانوا رجاء ثم أضحووا رزيةً	لقد عظمت تلك الرزايا وجلتِ
وتسألنا قيس فنعطي فقيرها	وتقتلنا قيس اذا النعل زلّتِ
وعند غني قطرة من دماننا	سنطلبها يوماً بما حيث حلتِ

وقد كان التعبير عن الزيارة قليل جدا في العصر الأموي؛ بسبب العداة السلطوي لآل البيت عليهم السلام، لكنه كثر في العصور اللاحقة كالعصر العباسي، كقول السيّد الحميريّ (ت ١٧٣هـ)^(٣).

(١) تذكرة الخواص: ٢٧٠.

(٢) المصدر نفسه: ٢٧٢.

(٣) ديوان السيد الحميري: ٥٥.

أُمُرُّ عَلَى جَدَّتِ الْحَسِيَّةِ مِنْ وَقُلْ لِأَعْظَمِهِ الزَّكِيَّةِ:
يَا أَعْظَمًا لَا زَلَّتْ مِنْ وَطِفَاءً سَاكِبَةً رَوِيَّةَ
مَا لَذَّ عَيْشٍ بَعْدَ رَضٍّ كَ بِالْجَيَادِ الْأَعْوَجِيَّةِ
قَبْرٌ تَضَمَّنَ طَيِّبًا أَتْبَأُوهُ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ
فَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاطْلُبْ بِهِ وَقِفَ الْمَطِيَّةِ
وَإِنَّكَ الْمَطْهَرُ لِلْمَطْهَرِ وَالْمَطْهَرَةُ الزَّكِيَّةِ
كَبْكَاءَ مُعَوْلَةٍ غَدَّتْ يَوْمًا بِوَاحِدِهَا الْمَنِيَّةِ

ونجد شاعراً كالشافعيّ محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ) لا يصرّح بالزيارة وقصد المزار، إنّما يبحث عمّن يحمل رسالة منه إلى الإمام الشهيد الذبيح عليه السّلام في موضع مصرعه بكريلاء^(١):

فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْحَسِينَ رِسَالَةً وَإِنْ كَرِهَتْهَا أَنْفُسٌ وَقُلُوبُ
ذَبِيحٌ بِلَا جُرْمٍ، كَأَنَّ قَمِيصَهُ صَبِيغٌ بِمَاءِ الْأَرْجَوَانِ خَضِيبُ

حتّى دعبل (ت ٢٤٦هـ) الشاعر الملتزم.. لم يصرّح في شعره بزيارة سيّد الشهداء عليه السّلام، بل ترك في شعره وثيقة تاريخيّة تنصّ على ندرة زيارة قبور أهل البيت عامّة وقبر الإمام الحسين خاصّة، يقول^(٢):

قَلِيلَةٌ زُورًا.. سِوَى أَنْ زُورًا مِنْ الضَّبَعِ وَالْعَقْبَانِ وَاللِّزَابِ

وتلهب لوعة مصاب الحسين عليه السلام قلب الشريف الرضي فيشدّ الرحال من بغداد الى كربلاء ليصادف وصوله اليها يوم عاشوراء فيهرول الى القبر الشريف حاسر الرأس حافي القدمين ضاجا بالبكاء لينشد ملحمته الخالدة^(٣):

(١) أدب الطف: ١٥٧/١.

(٢) ديوان دعبل الخزاعي: ٣٠٠.

كربلا لا زلت كرباً وبلا ما لقي عندك آل المصطفى
كم على تربك لما صرّعوا من دم سال ودمع قد جرى
كم حصان الذيل يروي دمعها خدما عند قتيل بالظما
تمسح الترب على اعجالها عن طلا نحر زميل بالدمما

ويطالعنا شاعر آخر من شعراء القرن الرابع الهجري وهو علي بن حماد العبدي إذ يقول^(٢):

إبك ما عشت بالدموع الغزار لذراري محمد المختار
شردّوا في البلاد شرقاً وغرباً خليت منهم عراض الدار
وغزّتهم بالحقد أرجاس هند وغيلل من الصدور الحرار
فكأنّي بهم عطاشى يسقون كؤوس الردى بحدّ الحرار

وفي القرن الخامس الهجري نجد مهيار الديلمي (ت ٤٢٨هـ) يخاطب الإمام الحسين عليه السلام^(٣):

أنشركُ ما حَمَلَ الزائرون أم المسكُ خالطَ تُرْبَ الطفوفِ؟!
كأنّ ضريحكَ زهرُ الربيبِ .. هبّتْ عليه نسيماً الخريفِ

ويقف على القبر الشريف (ابن الهبارية - ٥٠٩هـ)، ويقول^(٤):

حسين والمبعوث جدك بالهدى قسما يكون الحق عنه مسائلي

(١) ديوان الشريف الرضي: ٧٣.

(٢) أدب الطف: ٦٧/٣.

(٣) ديوان مهيار: ٢٢٠/٢.

(٤) أدب الطف: ١٧٣/٣.

لو كنت شاهد كربلا لبذلت في تنفيس كربك جهد بذل الباذل
وسقيت حد السيف من اعدائكم عللاً وحدّ السمهري البازل
هبني حرمت النصر من اعدائكم فأقل من حزنٍ ودمع سائل

وروى ان هذا الشاعر كان يبكي عندما انشد الابيات فلما فرغ منها نام قرب القبر الشريف فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فقال له صلى الله عليه وآله : ابشر فان الله قد كتبك ممن جاهد بين يدي الحسين عليه السلام.

ومن شعراء القرن السادس الهجري ابن المعلّم الواسطيّ (ت ٥٩٢ هـ) إذ يقول^(١):

يا زائرَ المقتولِ بغيّاً.. قفْ على جدّثٍ يقابله هنالك مَصْرَعُ
وقل: السلامُ عليك يا مولى به يرجو الشفاعةَ عبدك المتشيّعُ

وقد ظهرت ملامح الزيارة بصورة اكثر واوضح في العصور المتأخرة وبخاصة عند شعراء العصر العثماني، ومنهم حسن بن عبدالباقي العمريّ (ت ١٥٧ هـ)، الذي يقول^(٢):

يا ابنَ بنتِ الرسول، قد ضاقُ أمري من نناءٍ وغُربةٍ وافتراقِ
ودجا الخُطبُ، والمصائبُ أَلقتُ رَحَلها فوق ضيق هذا العناقِ
جئتُ أسعى إلى حماك، وما لي لكَ والله ما سوى الأشواقِ
وامتداح مُرصّع برثاءٍ فتقبّل هديّة العشاقِ
وعلى جدّك الحبيب صلاةٌ ما شدا طائرٌ على الأوراقِ

(١) ديوان ابن المعلّم الواسطي: ٣٤١.

(٢) أدب الطف: ١٠٢/٥.

وقول حسين أفندي العشاري في عام (١١٨١) عندما عزم السير الى زيارة الإمام

عليه السلام^(١):

عيونٌ وأجفانٌ تسيلٌ ومهجةٌ تذوب، وشوقٌ في القلوب كثيرٌ
قصدناكمُ نرجو التَّوال، لآتكمُ غُيُوثٌ لَنَ يبغي النَّدى وبُحورٌ
أُتيناكمُ غُبرَ الوجوه، وتُرْبكمُ غُسولٌ وماءٌ للقلوب طهُورٌ
وُزناكمُ يا خيرةَ الله في الوري وقد طاب منّا زائرٌ ومزورٌ

وفي العصر الحديث يطالعنا محمد مهدي الجواهري -رحمه الله تعالى- وهو مقبل

على القبر الشريف فخطبه بقوله^(٢):

فداءً لمثواك من مضجع تنوّرٌ بالابلج الاروع
بأعقب من نفحات الجنان روحاً ومن مسكها أضوع
شمت ثراك فهب النسيم نسيم الكرامة من بلقع
وعفرت خدي حيث استراح خدّ تفري ولم يضرع

وهي تفوح منها عطر الاباء والكرامة والشموخ المتمثلة بقبر الامام الحسين عليه

السلام.

وفي ديوان الوائلي تطلعنا بعض النصوص المعبرة عن الزيارة، وبخاصة قصيدته التي

اسماها (برسالة إلى الحسين) يقول في مطلعها^(٣):

(١) المصدر نفسه: ٧٦/٥.

(٢) ديوان الجواهري: ٧٣/٣.

(٣) ديوان الوائلي: ٥٢/٢.

دأبت أزورك في كل عام وألثم تربك يا بن النبي

وهي طويلة نفيض بالعواطف الجياشة وقد اتسمت برقة الاسلوب وفخامة التعبير.

البنى الاسلوبية لشعر الزيارة:

تعددت لفظة البنية في دلالاتها اللغوية والاصطلاحية لتدل على ((ما يكشف عنها التحليل الداخلي لكلمة ما، والعناصر والعلاقات القائمة بينها، ووضعها، والنظام الذي تتخذه))^(١)، فهي تعمل وفق نسق أو نظام يتألف من عناصر تكون عادة متآزرة مع بعضها البعض فاي خلل في أي منها يحدث خللاً في بقية العناصر^(٢)، فهي تسعى للتخلص من التحليل القائم على فكرة ((تجزئة العناصر وعزلها عن سياقها النصية والمقامية والتداولية))^(٣).

وإذا اردنا ان ندرس البنى الاسلوبية لشعر الزيارة فلا بد لنا من ان نركز على البنى الثلاثية وهي: البنية الصوتية، والبنية التركيبية، والبنية التصويرية.

البنية الصوتية:

ونقصد بها: ((التكرار المتسق أو غير المتسق لوضع أو مركز قوة، لمعنى أو حركة، وهو واحد من أنواع الوحدة؛ لأنه تركيز على حركة أو نغم أو لفظ معين، يظهر في تناوب الحركة والسكون، والأنوار والظلال، عودة البداية في النهاية))^(٤)، وهو كما قال كوهين ((خطاب يكرر كلاً أو جزءاً، في نفس الصورة الصوتية))^(٥).

(١) النظرية البنائية في النقد الأدبي: ١٤٠.

(٢) ينظر: مشكلة البنية: ٣٥.

(٣) فاعلية المشتقات: ٢٤.

(٤) تمهيد في النقد الأدبي: ١٠٧.

(٥) بنية اللغة الشعرية: ٥٢-٥٣.

وهذا يؤدي بنا الى التوغل في دراسة بنية التماثل الخاصة ببنية التوازي؛ لأنها تعمل على تكوين طرفي الايقاع ومحققة لبنية ايقاعية ألا وهي التوازي القائم على التماثل الإيقاعي من خلال ((تنمية لنواة معنوية سلبيا أو إيجابيا بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتية ومعجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية، ضمانا وانسجام الرسالة))^(١).

نستطيع أن نلمس من خلال قراءتنا للنصوص التي بين أيدينا ايقاعا تكراريا متوازيا بأسلوب التماثل اللفظي وليس التكرار المحض، أي لا وجود لتكرار لفظي حرفي محض بل هو توازي تشكله لنا بعض البنى الإيقاعية جراء تدافق أصوات متماثلة. فالتوازي المتماثل في لفظة (حلت) في قصيدة سليمان بن قته العدوي^(٢):

مَرَرْتُ عَلَى أَبِياتِ آلِ مُحَمَّدٍ فَلَمْ أَرَهَا أَمْثَالَهَا يَوْمَ حُلَّتْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ أَضْحَتْ مَرِيضَةً لِقَتْلِ حَسِينٍ، وَالْبِلَادَ اقْشَعَرَّتْ؟!
وَكَانُوا رَجَاءً .. ثُمَّ أَضْحَوْا رِزِيَةً لِقَدِّ عَظُمْتَ نَلِكِ الرِّزَا وَجَلَّتْ

وَتَسألُنَا قَيْسَ فَنعْطِي فَقِيرَهَا وَتَقْتَلُنَا قَيْسَ إِذَا النِّعْلَ زَلَّتْ
وَعِنْدَ غَيْيٍّ قَطْرَةٌ مِنْ دِمَائِنَا سَنَطْلِبُهُمْ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حَلَّتْ

فالتماثل الصوتي واضح في هذه الابيات وذلك من خلال تكرار الفاظ بعينها أو تكرار الفاظ متجانسة صرفيا، فالشاعر عمد الى تكرار الفعل (حلت) في القافية وتكرارها اما عن طريق التكرار الحرفي للفعل او عن طريق المجانسة (حلت في البداية والنهاية، جلت، زلت)، فضلا عن تشابه الفعلين من حيث الصيغة الصرفية (تسالنا وتقتلنا) ومجيئهما في بداية الشطرين عمق من الوقع الموسيقي المتوازن للابيات. فضلا عن تكرار الالفاظ التي تحتوي على حرف التاء وهي من الحروف الانفجارية الشديدة الوقع، فهي تلائم بصوتها وتكرارها الهادر ما يعتور النفس من معاني الغضب والشدة، وتضفي

(١) تحليل الخطاب الشعري: ٢٥.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٧٠.

جواً من الإيقاعات الصوتية الملائمة للنفس البشرية الهائجة، فهو يرسم لنا ابعادا تصويرية لمشهد الزيارة التي قام بها، وكان لفونيم التاء دوره الفعال في ربط الأبيات بعضها ببعض ورفد النص بالدلالة المناسبة له.

ويقول الشيخ الوائلي (رحمه الله تعالى)^(١):

فأنت الصلابة والاعتداد إذا افتقر الساح للأصلبِ
وأنت إذا ما استبد الظلام شمس مدى الدهر لم تغربِ
وأنت السداد وأنت الرشاد وأنت النزوع إلى الأصوبِ

إذ كرر الضمير المخاطب (أنت) خمس مرات في تشكيل صوتي تكراري وبنساق زمنية متساوية، من خلال بنية تماثل وتطابق خلقت جوا إيقاعيا نغميا نبريا حتى أنه تواصل في آخر بيت بتكراره ثلاث مرات، تأكيداً لبروز النغمة ومن ثم إعطاء صيغة التأكيد المعنوي التي تتجلى بثبات الصفات (السداد، الرشاد، النزوع إلى الأصوب، الخلود) التي ميزها الوائلي في أبياته تلك لتشكيل رمزا من رموز شخصية الإمام الحسين (عليه السلام).

ويقول الجواهري في نص آخر^(٢):

ولم تبذر الحب اثر الهشيم وقد حرقته ولم تزرع
ولم تخل أبراجها في السماء ولم تأت أرضا ولم تدقع
ولم تقطع الشر من جذمه وغل الضمائر لم تنزع
ولم تصدم الناس فيما هم عليه من الخلق الاوضع

(١) ديوان الوائلي : ٥٣/٢ .

(٢) ديوان الجواهري : ٧٤/٣ .

هذه الابيات تعتمد على تكرار اداة الجزم (لم) مع تماثل بعض الالفاظ صرفيا، مما خلق ايقاعا متوازيا، ومما عمق من اثر هذا التوازي استعماله في بداية الاشطر، ويمكن ان نضع هذا النوع من التكرار ضمن فن التسميط عند البلاغيين وهذا ما يخلق موازنة صوتية من بداية البيت الى نهايته وعلى طول الاربعة ابيات المتلاحقة، وهذا ابداع صوتي في تماثل اصوات في فواصل ((متساوية في الوزن وان يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساوي الالفاظ))^(١).

كما نلاحظ التماثل التركيبي فضلا عن التماثل الصوتي، متمثلا بتكرار تقنية (عامل الجزم وفعله) مما اعطى تقابلا صوتيا وتركيبيا في بنيتين متماثلة صوتيا بتخالف دلالي .

ومن مظاهر التماثل الصوتي القافية التي تعد العنصر الفونيمي الذي يشكل أساس الإيقاع الموسيقي وما تقدمه من عنصر دلالي، وهي ضرورة من ضرورات دراسة البناء الصوتي ((القافية تستلزم بالضرورة علاقة دلالية بين الوحدات التي ترتبط بينها))^(٢). ويمكننا ان ندرس القافية هنا بحسب ما استند اليه ياكبسون في الشعرية إذ قسم القافية على قسمين^(٣)، قافية نحوية تعتمد الموازنة الصوتية الدلالية، من خلال تقليدها ((معنى البيت تعلق نظم له وملائمة لما مرّ فيه))^(٤).

ف نجد القافية التي افضت الى تلازم الصوت والمعنى في النوع الأول من القافية في شعر الزيارة قد سجلت حضورا واضحا، من ذلك قول الصنوبري (ت ٣٣٤هـ)^(٥):

أنيخا بنا العيس في كربلا مناخ البلاء، مناخ الكُربُ
نَشَمُّ مُمَسِّكَ ذاك الثرى ونلثم كافورَ تلك التُّربُ

(١) المثل السائر: ٧٨/١، وينظر: الطراز: ٣٨/٣

(٢) قضايا الشعرية: ٤٦ .

(٣) المكان نفسه

(٤) نقد الشعر: ١٦٧ .

(٥) أدب الطف: ٧٣/٣ .

فالقافية المتمثلة بـ(الكُربُ- التُّربُ)، مفردات متتالية متشابهة صوتيا، فضلا عن التماثل المعنوي الناشئ من أصوات القافية، فالراء الذي يعطي معنى التكرار زائدا حرف الباء الشديد؛ ليخلق توافقا دلاليا، فأرض كربلاء (كرب وبلاء) ، وهو ما يرسمه السياق بشكل عام، فقراءة السطر كاملا يعطي شعورا برجوع الى ما قبل أول البيت، فتراب هذه الأرض أثارت ألما وكربا في نفوس آل البيت ومحبيهم.

وتخلق القافية في تماثلها الصوتي نسقا متوازيا فضلا عن تماثلها النحوي كما نجد في قول الجواهري^(١):

ذخد تفرى ولم يضرع	وعفرت خدي بحيث استراح
وجالت عليه ولم يخشع	وحيث سنا بك خيل الطغاة

فالقافية المتماثلة فونيميا متماثلة نحويا (لم يضرع، لم يخشع)، مما خلق جوا إيقاعيا، فهناك توافق داخلي وخارجي بين الفونيم والدلالة النحوية ثم الدلالية، فالببتان يشعان بجو الرفض وعدم الرضوخ والخنوع للظلم بوساطة أداة الجزم+ الفعل المضارع، الذي يمتلك معنى الثبوت والاستمرار.

أما النوع الثاني من القافية فلم نجده في شعر الزيارة، ونستطيع أن نميز انمطا للقافية بحسب بعض التقسيمات^(٢).

إذ يمكن تقسيمها إلى قافية بسيطة وأخرى مركبة، وأكثر الانمط حضورا في القافية هي البسيطة المضارعة التي تلتزم صوتا ثابتا بتردد على مسافات زمنية متقاربة والذي يطلق عليه اسم (الموسيقى التصويرية)^(٣).

(١) ديوان الجواهري: ٧٤/٣.

(٢) دير الملاك: ٣٣.

(٣) فن التقطيع الشعري: ٢٢-٢٣.

فمنها القافية المطلقة التي يكون رويها متحركا، التي سجلت حضورا متميزا في قصائد الزيارة، ويمكننا دراسة هذه القافية بحسب حركتها ، فنلاحظ حركة الرفع (الضمة) الاكثر شيوعا، كقول الصنوبري مخاطبا من مشى تلقاء المزار، والحائر الحسني في كربلاء^(١):

سر راشداً يا أيها السائرُ ما جارَ من مقصده الحائر
 ما حار من زار إمام الهدى خير مزور زاره الزائر
 من جده أظهر جدٌ ومَنْ أبوه لا شكَّ الأبُّ الطاهرُ

مما زاد من الدرجة التوقيعية لهذه القافية هيمنة أصوات (ز-ا-ر) في الأبيات فضلا عن تكرار التجنيس (ما حار) وكل ذلك شكل تدفقا موسيقيا عاليا اتمته القافية المطلقة وتكرار فونيم الراء سواء في القافية أم في كلمات الأبيات، الذي يعمل تردادا صوتيا لتأكيد فعل الزيارة وضرورتها بل وجوها، فصوت الراء صوت مكرر وهذه الخاصية جعلته يحمل دلالة (الايغال والإلحاح)^(٢) .

ومن امثلة القافية المضمومة قول الشافعي(ت ٢٠٤هـ)^(٣):

فمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الحسِينُ رسالةٌ وإن كرهتْها أنْفُسٌ وقلوبُ
 ذبيح بلا جرم، كأنَّ قميصه صبَّيغُ بماء الأرجوانِ خضيبُ

وقد تستعمل القافية المكسورة مثل قول ابن حماد العبدي^(٤) :

فابكهمُ أيها المحبُّ وناصرُ همُّ بكثْرِ البُكا وكثْرِ المزارِ
 لو درى زائرُ الحسين، بما أو جبَّهُ ذو الجلالِ للزوارِ
 فله عفوه ورضوانه عنَّ همَّ، وحطَّ الذنوبِ والأوزارِ

(١) أدب الطف: ١٠٥/٣ .

(٢) لغة الشعر: ١٣٨ .

(٣) أدب الطف: ١٠٧/٢ .

(٤) المصدر نفسه: ٦٠/٣ .

فالتشابه الفونيمي في قافية القصيدة (مزار - زوار - الازار) أعطى نغمة تصويرية من خلال ترادف الأصوات بذاتها وهي (الزاي والالف) التي تتيح اتساع النفس وارتفاع الصوت فضلا عن تواشج (الالف والراء) أعطى مساحة صوتية عالية تتسع مع تكرار القافية لاكثر من سطر شعري؛ لينتج صوتا واحدا يؤكد فعل الزيارة (زار). وشكلت القافية المسبوقة بحرف المد ملمحا اسلوبيا في شعر الزيارة.

ومن امثلة القافية المكسورة الشاعر الحويزي (ت ١٠٨٨هـ)^(١):

فيا خائفا من كل ذنب أتى به	حنانيك إن زرت الغرين تسلم
عسى دلجات العيس والليل مظلم	وقطع الموامي معلما بعد معلم
تبلغني أرض الغري وكربلا	وأغدو مع الزوار في زي محرم
أسوف ترابا من ضريح معزز	وأرشف ماء من نقى سيط بالدم
فيارب بلغني مرامي بحقهم	وصل على تلك القبور وسلم

فنلاحظ ان حركة القافية ألقت بظلالها على أجزاء الابيات ولونتها بحركة مماثلة لها فالالفاظ المجرورة بالكسرة أكثر من غيرها، وقد أدت دورا مهما في الافصاح عن المعنى، إذ عبرت عن حزن الشاعر وحنينه لزيارة سيد الشهداء عليه السلام.

ولعل غلبة مجرى على آخر يأتي إرتباطا بالإحساس الذي يصوره الشاعر من خلال قافيته فهو ((الإحساس الحركي المصاحب للنطق بالصوت))^(٢). وصولا إلى ترسيخ فكرة أهمية زيارة الإمام عليه السلام والوصول إلى قبره الشريف وما يتحصله من إحساس نفسي وهو بجوار ذلك القبر المقدس.

(١) ديوان الحويزي: ٢٧٣.

(٢) موسيقى الشعر: ١٢-١٣.

البنية التركيبية

أ- التركيب الفعلي ب- تركيب النداء

أ- التركيب الفعلي

للأفعال حضور واضح في الاستعمال اللغوي لقصائد الزيارة وأهم دلالاته كانت الحرص على فعل الزيارة وديمومتها واكسابها روح القدسية والعطاء، ونجد هذا الحث للزيارة جاء بصور فعلية متفاوتة ما بين الماضي والحاضر والمضارع، ولعل صيغة فعل الأمر كانت الأوفر حظاً بين الصيغ المستعملة في شعر الزيارة، كقول السيد الحميري (ت ١٧٣هـ)^(١):

أمرُّرُ على جَدَّتِ الحُسيبِ من وُقِلْ لأعْظَمِهِ الزكِيَّةِ:
فإِذَا مررتَ بقبْرِهِ فأطْلُ بِهِ وقِفَ المَطِيَّةِ
وإبْكَ المَطَهَّرَ للمَطَهَّرِ والمَطَهَّرَةَ الزكِيَّةِ

الحث على الزيارة جاء بفعل صريح من خلال (أمرر-أطل)، فضلاً عن تكرار الصيغة ذاتها (ابك) فالبكاء لازمة من لوازم الزيارة. ونجد التضمين لفعل الزيارة من دون التصريح، إذ يقول القاسم بن يوسف (ت ٢١٣هـ)^(٢):

سلم على قبر الحسين وقل له صلى الإله عليك من قبر
ف(التسليم) يتضمن إمكانية السلام عن بعد وعن قرب، فهو يقصد زيارته من البعدين القريب والبعيد.

(١) ديوان السيد الحميري: ٦٨.

(٢) أدب الطف: ٤٠٢/٤.

وهذا الصنوبري يصرح بفعل الزيارة والذهاب سيرا على الأقدام عن طريق
(فعل الأمر)، إذ يقول^(١):

سر راشداً يا أيها السائرُ ما جارَ من مقصده الحائر
ويقول أيضاً^(٢):
أنيخا بنا العيس في كربلا مناخ البلاء، مناخ الكُرب

وهذا الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) يقول^(٣):

قفْ بي - ولو لوثَ الإزار - فإتما هي مهجة علقَ الجوى بفؤادها

واستعمل ابن حمّاد العبدي الفعل (طف)^(٤):

ثمّ طفَ حول قبره والتمُّ ثُرُ بةَ قبرٍ مُعظَمَ المقدارِ

ويأتي توظيف الفعل الماضي بالمرتبة الثانية في شعر الزيارة، فهو كثير الاستعمال في
القصائد والابيات المتناولة لهذه الظاهرة، كقول السهمي^(٥):

مررتُ على قبر الحسين بكربلا ففاض عليه من دموعي غزيرها

ويقول الشيخ الكفعمي (ت ٩٠٥هـ)^(٦):

(١) المصدر نفسه: ١٦٠/٢.

(٢) المصدر نفسه: ٥٥/٣.

(٣) ديوان الشريف الرضي: ١٩٩.

(٤) أدب الطف: ١١٨/٥.

(٥) تذكرة الخواص: ٢٧٠.

(٦) أدب الطف: ٣٧/٥.

أتيتُ الإمامَ الشهيد بقلبٍ حزينٍ ودمعٍ غريزِ
أتيتُ ضريحاً شريفاً به يعود الضرير كمثل البصيرِ
أتيتُ إمامَ الهدى سيّدي إلى الحابرِ الجارِ للمستجيرِ
فهو يكرر الجملة الفعلية الماضية ليؤكد وقوع فعل الزيارة، فضلا عن سمة الزهو والفرح التي نلمحها من خلال قراءتنا لهذه الابيات في شخص الشاعر.

ويقول الشيخ عبد الحسين الأعسم (ت ١٢٤٧هـ) ^(١):

مررت به مستنشقا طيبه الذي تَصَوَّعَ من فيّاح طيبك فائحه
أقمتُ عليه شاكياً بتوجّعي تباريح حزن في الحشى لا تبارحه

ويقول محمد الزيني (ت ١٢١٦هـ) ^(٢):

نزلنا حماها آمنين، وحسبنا دخول ديارٍ عندها جنةُ المأوى

فهذا المكان يعطي للزائر الشعور بالهيام الإلهي وترغيبا بالزيارة، ويقول أيضا ^(٣):
نزلنا بها، والركبُ شتّى شؤونهم فمِن سائل عَفْواً، ومِن أملٍ جَدوى
هذا الاستعمال للماضي (أتيت، مررت، أقمت..) فيه دلالة تأكيد خاصية الزيارة وما تحمله من دوافع إيمانية ولما لها من بعد روحي نفسي يرافق هذا الفعل.

أنا الفعل المضارع فقد استعمل في عدد من النصوص، كقول ابن حماد العبدي ^(٤):
نزوركم سعياً، وقل لحقكم لو أننا على اقدامنا لكم زرنا

(١) المصدر نفسه: ١٥٠/٥.

(٢) المصدر نفسه: ٢٤٣/٥.

(٣) المصدر نفسه: ٢٢٣/٥.

(٤) المصدر نفسه: ٣٠٦/٥.

وهذا الوائلي يقول^(١):

دأبت أزورك في كل عام والشم تريك يا ابن النبي
وفعل المضارع يشير الى استمرارية وديمومة الزيارة بحيث تمتد الى الحدود
اللامتناهية للزمن.

تركيب النداء

يعد النداء واحدا من الاساليب التي تثير الانتباه لدى المتلقي فهو ((طلب اقبال
المدعو على الداعي بحرف مخصص))^(٢).

ويرى بعض النحويين أن حرف النداء يتضمن معنى لفظة (ادعو)^(٣).

أما عند المحدثين من البلاغيين فيعجوه اسلوب ((القصد منه التنبيه وحمل المنادى
على الالتفات))^(٤).

ولعل تعدد ادوات النداء كلها تشير إلى امكانية استعمالها للإنسان المعرض عن
المنادى أو تنبيهه لغفلته^(٥).

فلاحظ أحد الشعراء يربط سبب الزيارة عن طريق النداء فيقول حسن عبد الباقي
العمري (ت ١١٥٧هـ)^(٦):

يا ابن بنت الرسول، قد ضاق أمري من تناءٍ وغربةٍ وافتراقٍ

(١) ديوان الوائلي: ٥٤/٢.

(٢) البرهان: ٣٢٣/٢.

(٣) حاشية الصبان: ١٣٣/٢.

(٤) في النحو العربي: ٣٠١.

(٥) ينظر: الجنى الداني: ٣٤٩.

(٦) أدب الطف: ٥٠ / ٣.

وَدَجَا الحَطَبُ، والمصائبُ أَلَقْتُ رَحَلَهَا فوق ضيق هذا العناق

النداء بـ(يا) هنا حددت قرب الحسين من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؛
ليعطي المزار هنا قدسية، والنداء هنا أضحى تعليلاً للزيارة فحملت اسرار نفسية،
فتوالت بعد النداء (يا = خطب، مصائب، تناء، غربة، افتراق) واستفاد الشاعر من
خاصية النداء هنا مع هذه الأحاسيس النفسية العميقة الصعبة لجعلها (ملقاة) عند
القبر الشريف للفكك منها، بقوله (القت رحلها).

كما ويخاطب ابن المعلم الواسطي (ت ٥٩٢هـ) الزائر إذ يقول^(١):

يا زائرَ المقتولِ بغيًّا.. قفْ على جَدَثٍ يقابله هنالك مَصْرَعُ
وقل: السلامُ عليك يا مولىً به يَرجو الشفاعةَ عبدُك المتشيعُ

فالنداء (يا) مخاطباً زائر (المقتول)، دلالة على شد الانتباه لهذا الأمر (الخطب) من
خلال الإفصاح بلفظة المقتول، ليردفه بفعل الأمر (قف) على جدث، فالزيارة هنا تأخذ
معنى الجدل العقلي، أما الكيفية فكانت محققة بقوله (وقل السلام عليك) وهي من
أوائل العبارات التي تقال عند دخول الضريح المقدس.

فنداء لشاعر هنا ليس منه الغرض التنبيهي فحسب بل وهو الغرض الواجب.

ويقول الوائلي ذاكراً زيارته للإمام عليه السلام ومخاطباً أرض كربلاء^(٢):

ويا كربلا يا هدير الجراح وزهو الدّم العلوي الأبي
ويا سفر ملحمة الخالدين غير البطولة لم يكتب
ويا شفةً بنشيد الدّم تغرّد عبر المدى الأرحب
ويا عقباً في ثرى العلقميّ شد الأنوف إلى الأطيب
ويا صرح مجدّ بناه الحسين وأبدع في رصفه المعجب

(١) ديوان ابن المعلم الواسطي: ٣٤١.

(٢) ديوان الوائلي: ٥٣/٢.

فالنداء هنا جاء بأسلوب تراكمي؛ ليكشف عن قرب المسلفة بينه وبين تلك الأرض التي سكنت الروح، فنداء الأرض وتكراره يعطي احساسا بالمخاطبة وجهها لوجه، إلا أن بعد المسافة الحقيقية على أرض الواقع جعل تكرار هذا النداء واجبا تراكميا، يحمل معنى اللوعة والحزن والاشتياق بكثافة عاطفية خلقها تكرار النداء.

وفي قصيدة الجواهري يكرر أداة النداء (يا) في بيتين متتاليين، لنقرأ له^(١):

وياغصن هاشم لم يفتح بازهر منك ولم يُفزع
ويا أصلاً من نشيد الخلود ختام القصيدة بالمطلع

وقد يجيء النداء بغير أداة النداء (يا)، إذ يقول ابن حماد العبدي^(٢):

فأيّ أمريء، يرنو قبورهمُ بها وأحشاؤه بالدمع ليس تسيلُ؟!

فالنداء هنا بأداة (أي) خطاب عام؛ ليشكل القاعدة الأساسية لكل محب. وبهذا فقد كان لاسلوب النداء دوره الهام في إظهار مشاعر الزائر الانسانية وعاطفته وحبه المفرط لآل البيت عليهم السلام.

البنية التصويرية:

نقف هنا على أعتاب الكشف عن كل ما يعطيه الخطاب الشعري من خلال الاسناد والانزياح عنه، في التشكيل المألوف لتأسيس خطاب خارج عن ما هو متعارف عليه، لتنبري منه دلالات أكثر علوقا في النفس القارئة، ليصل بالخطاب من مجرد كونه

(١) ديوان الجواهري: ٧٣/٣.

(٢) أدب الطف: ٢٠٠/٣.

خطابا عاديا إلى خطاب شعري الذي يكون تعبيرا عن ((المفاهيم والأشياء بشكل غير مباشر))^(١)، متمثلا بعلاقات الحضور والغياب، لمرحلتين تتطلب إعادة النص الى توازنه، وإعادة ترتيبه النصي بما يلائم المفهوم المقبول، وبما يحقق سلامة النص، عبر محوري المجاورة والاستبدال.

وللاقتراب من مفهوم هذين المحورين الاستبدالي والمجاورة، لا بد من الحديث عنهما، فالاستبدال قائم على اختيار بديل من بدائل متعددة من بين اقتراحات تضعها اللغة الشعرية والتي تعتمد إلى اعطاء الجمادات والمجردات الطابع الانساني لإعطاء ثراء صوري، فالاستعارة تعد من اسس التماثل/المماثلة كما صنفها بعض الباحثين^(٢)، فهي من خلال الإسناد المحوري يخلق منها انزياحا استبداليا^(٣)، خارج نطاق بعض الانزياحات التي تتحدد بالسياق المألوف، وهي سمة من سمات الاستعارة المستحسنة^(٤). ولعل أهم ما يميز ذلك في التشخيص والتجسيد وهي من تقنيات محور الاستبدال، فلنقرأ رصدا استبداليا قول الشافعي^(٥):

إلى الله أشكو لوعةً عند ذكرهم سَقَّتْنِي بِكَأْسِ الثُّكْلِ وَالْفَطَعَاتِ

فالنص يؤسس لتنافر أسنادي فالشكوى من لوعة الفراق، متمثلة بالشكل الذي يسقى بكأس عبر متواليات غير متوقعة فاللوعة تسقى بكأس وهذا الكأس هو الثكل والفقد؛ ليكون صورة نفسية مجسدة.

وفي صورة استعارية أخرى يقول عقبة السهمي^(٦):

(١) سيموطيقا الشعر: ١٥٢/٢.

(٢) ينظر: قضايا الشعرية: ٥١.

(٣) بنية اللغة الشعرية: ١١٠.

(٤) دلالات الإعجاز: ٥١-٥٢.

(٥) ادب الطفي: ١١٠/٢.

(٦) تذكرة الخواص: ٢٧٠.

ألم تر أن الشمس أضحت مريضةً لقتل حسين، والبلاد اقشعرت؟!

فالمعطى الاسنادي قدم صورة تنبؤية للحياة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، قدم إليها بأسلوب استفهامي؛ ليسند للشمس صفة من صفات البشرية، وفي ذلك دلالة غياب الفائدة منها، وصورة البلاد المتأثرة من قتله باضفاء صفة للقشعريرة.

ويقول الشريف الرضي^(١):

تجري لها حَبُّ الدموع، وإنما حَبُّ القلوب يَكُنُّ من إمدادها
يا يوم عاشوراء كم لك لوعة ترقصُ الأحشاء من إيقادها

فالصورة الاستعاري تكونت من خلال إسقاط محور الاستبدال في اسناد (رقص) و (الأحشاء)، بنيتين لا تتطابقان على محور الحضور، ولكن في مستوى الغياب، يشير الى عدم الاستقرار والشعور باختلال جانب مهم من جوانب الحياة، وهو ما حدث في يوم عاشوراء الذي هز سكان السماء والأرض.

وفي صورة على المحور الاستبدالي تواجها دلالات تنبع من بنية اعتمدت على المشاهدة؛ لتعطي النواة الدلالية التي تصور لوعة قتل الإمام عليه السلام، وقدسية الضريح.

يقول السيد الحميري^(٢):

وإبك المطهر للمطهر والمطهرة الزكية
كبكاء مَعُولَةٍ غَدَّت يوماً بواحدتها المنية

(١) ديوان الشريف الرضي: ٢٠١.

(٢) ديوان السيد الحميري: ٥٦.

ويقول الشافعي^(١):

فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْحَسِينَ رِسَالَةً
وإن كرهتُها أنْفُسٌ وقلوبُ
ذبيح بلا جُرم، كأنَّ قَمِيصَهُ
صَبِيغٌ بماء الأرجوان خَضِيبُ

وهذا مهيار الديلمي يقول^(٢):

أَنْشَرُكَ مَا حَمَلَ الزائرون
أم المسكُ خالطَ تُرْبَ الطفوفِ؟!
كأنَّ ضريحَكَ زهرُ الربيبِ
ع.. هبَّتْ عليه نسيْمُ الخريفِ

ويقول ابن حماد العبدي^(٣):

أمثُلُ مولايَ الْحَسِينَ وَصَحْبُهُ
كأنَّجُمَ ليلٍ بينها البدرُ، أو أسنى

ولعل الجواهري اعتمد تقنية المشاهدة واسناده اليد الحمراء التي تمتد من وراء الضريح المقدس؛ ليحقق الإسناد لخارج عن المؤلف، تحقيقاً لخاصية الترابط بقضية الإمام التي لا نهاية لها^(٤):

كأن يدا من وراء الضريح حمراء مبتورة الأصبع

٢- محور المجاورة:

وأهم آليات هذا المحور الكناية والجاز المرسل القائم على أساس ((الترابط التماسي والتسلسلي المفترض بين الموضوع الحرف والبديل المجاور))^(١)؛ ليكون هناك

(١) ادب الطف: ١١٤/٢.

(٢) ديوان مهيار الديلمي: ١٣٤/٢.

(٣) ادب الطف: ٥٨/٣.

(٤) ديوان الجواهري: ٧٣/٣.

تخالف على المستوى الحاضر يعمل على تقويمه الفائت من خلال العلائق بين ثيمات الألفاظ المتجاورة من خلال وجود إشارة إيائية تعطي بديلا إيحائيا من الشيمة للموضوع الأصلي.

يقول حسين أفندي العشاري^(١):

قَصَدْنَاكُمْ نَرْجُو النَّوَالَ، لِأَتِّكُمْ غَيْوْتُ لَمَنْ يَبْغِي النَّدَى وَبُحُورُ
أَتَيْنَاكُمْ غَيْرَ الْوَجُوهِ، وَتُرْبُكُمْ غُسُولُ وَمَاءٌ لِلْقُلُوبِ طَهُورُ

اسناد القصد والنوال بشيمة (الغيث)، دلالة واضحة لكرم آل البيت (عليهم السلام).

وفي بيت آخر يقول الشافعي^(٢):

يَا أَعْظَمًا لَا زَلَّتْ مِنْ وَطْفَاءٍ سَاكِبَةٍ رَوِيَّةٍ

فالوظفاء السحابة التي امتلأت بالمطر فاسناد العظام إلى الوطفاء فيه دلالة الكرم والأكثر من ذلك فهي ساكبة روية.

ويقول دعبيل^(٤):

فَأَمَّا الْمُمِضَاتُ الَّتِي لَسْتُ بِالْغَاءِ مَبَالِغَهَا مَتَّى بَكُنْهُ صِفَاتِ
قَبُورٌ بِجَنْبِ النَّهْرِ مِنْ أَرْضِ كَرْبَلَا مُعَرَّسُهُمْ فِيهَا بِشَطِّ فُرَاتِ
تُوقُوا عَطَاشِي بِالْفُرَاتِ، فليتني تُوفِّيتُ فِيهِمْ قَبْلَ حِينِ وَفَاتِي

ولعل الضغط السياسي أجبأ الشعراء إلى اعتماد محور المجاورة والاستبدال في التعبير عن الزيارة وضرورة التزامها.

(١) البنيوية وعلم الإشارة: ٧١.

(٢) أدب الطف: ٤٤/٥.

(٣) المصدر نفسه: ١١٦/٢.

(٤) ديوان دعبيل الخزاعي: ٣٠٢.

ويقول وهب بن زمعة الجمحي من قصيدة طويلة^(١):

تبيت النشاوى من أمية نوّما وبالطف قتلى ما ينام حميمها
وتضحى كرام من ذؤابة هاشم يحكّم فيها كيف شاء لثيمها
وتغدو جسوم ما تغذت سوى العلى غذاها على رغم المعالي سهومها
ويقول الواصل^(٢):

أترّبُ خدي بعفر الثرى بحيث دماؤك لم تنضب
بحيث يلعلع ثغر أبي بأن يحتسي الذل في مشرب
فاحتساء الذل في المشرب صورة كناية عن الخنوع والقبول والرضوخ المتجرع،
(فتغر الإمام) هذه الثيمة دلالة على العطش والقتل ضماناً على أن يقبل من احتساء
وشرب الذل، إلى أن يقول:

فيالك بالعطاء الدماء يحيل الفلا لثرى معشب

فالدماء عطاء، بل ان هذا العطاء يحيل الثرى الى عشب أخضر، فالعطاء مرتبط
بالعشب الأخضر عبر توضحية الدماء.

(١) أدب الطف: ١٠٨/٣.

(٢) ديوان الواصل: ٥٣/٢.

الخاتمة

وفي الختام نستنتج من كل ما سبق أن موضوع الزيارة قد استحوذ مساحة لا بأس بها من الشعر العربي، وقد اشعل شرارتها شعراء العصر الاموي كونهم قريبي العهد من واقعة الطف الأليمة مرورا بالعصر العباسي فالعثماني فالخديث، وهذه القصائد كانت تؤكد عظم ومكانة زيارة الإمام عليه السلام، والتي لا بد ان تكون مصحوبة بالبكاء وذرف الدموع وإظهار الحزن في المرقد المقدس، كل هذه المعاني طرحت بطريقة اسلوبية بليغة، وقد رصدنا بعض البنيات الاسلوبية تمثلت بالبنية الصوتية والمتمثل بالتمائل الصوتي الذي يحدث توازيا صوتيا داخل النص الشعري، وقد ادخلنا القافية نوعا من التماثل الصوتي المعتمد على تكرار هيئة متشابهة لكلمات القافية، والبنية الأخرى البنية التركيبية التي تشكلت من تكرار الافعال بصيغها وازمنها المختلفة فكان فعل الأمر اكثر الافعال حضورا ويأتي بعده الفعل الماضي ومن ثم الفعل المضارع، والفعل بصورة عامة يدل على الاستمرارية في الحركة وعدم الثبوت وهذا ما تنطوي عليه الزيارة. ومن الظواهر التركيبية الأخرى النداء، فقد اكثر الشعراء من هذه الصيغة في قصائدهم للتعبير عن امتداد صوتهم عبر الأزمنة والامكنة المختلفة. اما البنية الثالثة فكانت التصويرية والتي استنتجنا من خلال الأبيات التي بين أيدينا انها تكونت من محاور الاستبدال والمشابهة والمجاورة.

المصادر والمراجع

- بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، ٢٠٠٨.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٩٨٠م.
- بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٨٦م.
- البنيوية وعلم الإشارة، ترنس هوكس، ترجمة مجيد الماشطة، مراجعة د. ناصر حلاوي، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد، ط ١، ١٩٨٦م.
- تحليل الخطاب الشعري-ستراتيجية التناص- د. محمد مفتاح، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٨٥م.
- تذكرة الخواص، للعلامة سبط ابن الجوزي (٦٥٤هـ)، قدم له العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم، طهران، د.ت.
- تمهيد في النقد الأدبي، روز غريب، دار المكشوف- بيروت، ط ١، ١٩٧١م تمهيد في النقد الأدبي، روز غريب، دار المكشوف- بيروت، ط ١، ١٩٧١م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن القاسم المرادي، تحقيق طه محسن، مؤسسة دار الكتب والنشر، جامعة الموصل، ١٩٧٦.
- حاشية الصبان على شرح الاشموني على الالفية، دار احياء الكتب العربية، مصر، د.ت.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١هـ)، تحقيق محمد عبدة، محمد محمود الشنقيطي، ووقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه محمد رشيد رضا، مطبعة المنار-القاهرة، ١٩٦١م.

- ديوان ابن المعلم الواسطي (ت ٥٩٢هـ)، دراسة وتحقيق، ياسر علي عبد سلمان المنصوري، رسالة ماجستير، جامعة القادسية – كلية الآداب، ٢٠٠٠م.
- ديوان الحويزي (١٠٨٨هـ)، الموسوم خير أنيس لخير جليس، دراسة وتحقيق: د. عبد الرحمن كريم اللامي، مكتب النور للطباعة، بغداد-باب المعظم، ٢٠١٢م.
- ديوان دعبل الخزاعي، جمعه وقدم له وحققه عبد الصاحب عمران الدجيلي، منشورات الشريف الرضي، دار الكتاب اللبناني – بيروت، ط ٢، ١٩٧٢م.
- ديوان السيد الحميري، شرحه وضبطه وقدم له: ضياء حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت.
- ديوان الشريف الرضي، تحقيق الدكتور: محمود مصطفى حلاوي شركة دار الأرقم بن الأرقم – بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
- ديوان الشيخ أحمد الوائلي، شرح وتدقيق: سمير شيخ الارض الناشر: مؤسسة البلاغ – دار سلوئي، ط ١، ٢٠٠٧.
- ديوان مهيار الديلمي، مطبعة دار الكتب المصرية الطبعة الأولى – ١٩٢٥م.
- فاعلية المشتقات في البنية الأسلوبية للسياق القرآني، حسين خليفة صالح عبد القادر، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد- كلية الآداب، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- فن التقطيع الشعري والقافية، صفاء خلوصي، دار الكتب- بيروت، ط ٤، ١٩٧٤م
- في النحو العربي، نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، ط ٢، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ١٩٨٦م.
- قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر – المغرب، ط ١، ١٩٨٨م.
- كامل الزيارات، الشيخ ابي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي تحقيق: نشر الفقاهة، د.ت.

- لغة الشعر في القصيدة العربية الأندلسية في عصر الطوائف، د. بشرى البشير،
اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠م.
- مدخل الى السيموطيقا (مقالات مترجمة ودراسات)، ترجمة سيزا قاسم، ونصر
حامد أبو زيد، دار قرطبة - المغرب، ط٢، ١٩٩٣م.
- مشكلة البنية، زكريا ابراهيم، مكتبة مصر - القاهرة، د.ط، د.ت.
- النظرية البنائية في النقد الأدبي، الدكتور صلاح فضل، مطبعة الأمانة، مصر،
مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، ١٩٨٧م.
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب
العلمية، بيروت، د.ت.

المضامين التربوية في مواقف الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء

أ.م. د. شهلة حسن هادي

الجامعة المستنصرية

كلية التربية - قسم اللغة العربية

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الذي قال: (إن للحسين في بواطن المؤمنين معرفة مكتومة)^(١).

إن لكل إنسان بعدين أحدهما مادي يتمثل في الجسم الانساني والمتكون من الجوارح الظاهرة والآخر: البعد الروحي المعنوي فيكون الاول محلاً للحواس الخمس وأما الثاني فيكون محلاً للعلوم والمعارف المتنوعة. فالأول ظاهري محسوس والثاني باطني خفي.

وإن المعارف الربانية إنما تكون في البعد الباطني الخفي.

ولو تأملنا الحديث الشريف لوجدنا فيه تلك الاشارة الواضحة على أن للإمام

الحسين (عليه السلام) معرفة مكتومة استقرت في الباطن الغيبي للمؤمنين^٢.

فباطن الانسان الغيبي تكون فيه المعرفة المكتومة ولكن ليس لكل باطن انساني انما في باطن المؤمن الموحد والذي قال الرسول الاعظم محمد (صلى الله عليه و اله وسلم) فيه انه يكون محلاً للمعرفة المكتومة. وللخصوصية التي اختص بها الامام الحسين (عليه السلام) دون غيره من الائمة فان له معرفة ومكانة تميز بها في نفوس المؤمنين. والشواهد على ذلك كثيرة منها ما ورد حول ذكر الامام الحسين (عليه السلام) الذي يورث العبرة والحزن والاهتمام فذكر الامام الحسين (عليه السلام) يورث العبرة والعبرة في ذكر اسمه ومصائبه واحواله في يوم عاشوراء فذكر مصائبه موجب لحدوث العبرة والحزن والام للذاكر نتيجة الارتباط الحقيقي للإمام في بواطن المؤمنين الذين كانت في قلوبهم حرقه امتدت على مدى قرون لتستعر جذوقها في قلوب لاعتها مقولة: ((يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً)) قلوب عطشى للشهادة بمقدار عطش الامام الحسين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه رجال الحسين الذين تجسدت فيهم غيرة العباس وشجاعة الاكبر

(١) الخرائج والجرائح: ٢/٨٤١ البحار: ٤٣/٢٧١ ح ٣٩.

وشباب القاسم وبراعة الرضيع ووفاء حبيب وصدق برير واخلاص مسلم بن عوسجة رجال استقر في قلوبهم حب الحسين وتمثلوا في افعالهم مبادئ الحسين فكانت نهضتهم وتلبيتهم لنداء المرجعية الرشيدة في الجهاد انعكاساً لثورة الحسين وتجسيدا لافكارها القرآنية وتطبيقا لمضامينها التربوية فكان حقاً ان نقول فيهم قوله تعالى: ((انهم فتية امنو برهم وزدناهم هدى)).

البعد التربوي للثورة الحسينية في نفوس محبي اهل البيت (عليهم السلام):-

لقد اثبت ابطال العراق ورجاله من الحشد الشعبي المقدس ان حبهم للامام الحسين (عليه السلام) ليس مجرد تعاطف انساني وتأثر نفسي بمصابه يفضي بهم الى البكاء السليبي انهم ببطولاتهم وتضحياتهم النبيلة قد غيروا تلك النظرة القاصرة عن محبي الامام بإتخاذهم إياه قدوتهم في المعرفة والاخلاق والادب والتربية الجهادية والاصلاح الاجتماعي والانتصار على الذات الدنيوية فنجد فيهم ذلك الارتباط النوراني المتين بكل جانب من جوانب حياته فنجد فيهم الحسين الثائر الحسين القائد الحسين المرابي الحسين السياسي المتمكن الحسين المرشد الاخلاقي الحسين المجاهد الذي لا يابه الموت ولا يخافه.

لقد اثبت الرجال للعالم اجمع ان المنبر الحسيني منظومة ثقافية واسعة وحركة عقلانية منظمة تطل على شخصية الامام من جوانبها جميعاً دون التركيز في الجانب المأساوي وحده الذي نعثر به ارثاً انسانياً لا فعلاً يختصر شخصية الامام الحسين وبهمش فاعليتها فاستلهم ابطال الحشد الشعبي دروس الامام الحسين (عليه السلام) واخذوا بتمثيلها وتجسيدها عندما سيطرت داعش الملعونة احفاد بني امية على مساحات كبيرة من العراق واخذت تهدد العاصمة بغداد والاماكن المقدسة جميعها وعندما ادركت المرجعية الدينية بالخطر الكبير الذي يهدد العراق اعلنت الجهاد الكفائي من اجل انقاذ الارض والعرض والدين.

فكان هذا الاعلان هو المنقذ الحقيقي للعراق وشعبه بعدما استجاب لدعوة الجهاد اكثر من ثلاثة ملايين مجاهد من شيب وشباب وطرزوا اروع الملاحم البطولية في الجهاد والقتال والاستشهاد من اجل العراق والدين وتحت شعار - واحسيناه - وهو الدرس الحقيقي لابي عبد الله الحسين (عليه السلام) في تقويم الدين والدنيا وتطهير العراق من الزنادقة الجدد الوهابية احفاد معاوية ويزيد.

فجسدوا بحق مواقف الامام الحسين (عليه السلام) في كربلاء الحسين التي هي في الواقع مدرسة تربوية لا تنحصر في دين او مذهب او تيار معين فهي معين تنهل منه النفس البشرية بغض النظر عن انتمائها لان فيه ما يسمو بهذه النفس على اساس انها نفس انسانية لا نفس اسلامية. وهذا المعنى يستقى من قوله الامام الحسين (عليه السلام) وهو يخاطب جيشا جرارا اجتمع من كل حذب وصوب لقتله بقوله (عليه السلام): (ابها الناس ان لم يكن لكم دين فكونوا احرارا في دنياكم).

هذه العمومية في خطاب الامام الحسين (عليه السلام) وكذلك في الحال فيما اشتملت عليه هذه الواقعة من خطب وعبارات وحوارات تدلل بما لا يترك مجالا للشك على عمومية ثورة الامام الحسين (عليه السلام) وبالتالي عمومية الخطاب الوجداني التربوي في هذه الثورة الخالدة فإذا ما سلمنا بهذه العمومية توجب علينا ان نسلم بضرورة استقصاء الدروس التربوية والقيم الفاضلة التي تضمنتها ثورة الحسين (عليه السلام). وليس فقط حادثة اليوم العاشر من المحرم بما يسهم في تعزيز حالة السمو النفسي ولأجل تحقيق ذلك لا بد من الحصر النوعي لهذا التراث التربوي والاخلاقي والوقوف على كل موقف من المواقف التي تجلى فيها الامام الحسين (عليه السلام) وانعكاسات مواقفه (عليه السلام) في حربنا ضد الارهاب ومواقفه (عليه السلام) كثيرة وكلماته عظيمة وسكاته عميقة له في كل منها عبرة وحكمة ودرس سمعنا عنها في الروايات واليوم نراها رؤى العين في أناة الضيم من ابطال الحشد الشعبي المقدس.

نماذج من مواقف الامام الحسين (عليه السلام):-

البكاء:-

تكررت في واقعة الطف حالة للإمام الحسين عليه السلام.. وهي البكاء فنجده يبكي عندما يقف على اجساد اصحابه وهي مخضبة بدمائها فنجده يتصفح وجوههم فيقف على شيخ كبير فيبكي ويقول له: (شكر الله سعيك ياشيخ).

يقف على احد اصحابه صريعاً فيبكي ثم يزداد بكاء عندما يقف على شاب في مقتبل عمره يعفر برجليه ينظر اليه مضرجاً بدمه ويزداد بكاءً فتكاد تزهر روحه عند ما يقف على جسد ابنه شبيه رسول الله فيراه مقطعاً قد صبغت الدماء جسمه ينظر الى النساء يبكي يرى الاطفال يبكي....

انه امر غريب فهذا خلاف كل الثوار الذين لا يعرفون البكاء يفتدون انفسهم وعروشهم بأمم لا يكون عليها ولا بدمعة واحدة وبخلاف قادة كل التحركات فلم يعرفوا البكاء او حتى الاسف على قريب او بعيد صغير او كبير.

لكن الامام الحسين (عليه السلام) فقط هو من يبكي كيف لا وهو الذي تجلت فيه اعلى مظاهر الانسانية فضلا عن ان البكاء وحزن القلب ودمع العين امور فطرية تقتضيها الطبيعة البشرية فليس البكاء بغريب على الامام الحسين (عليه السلام) فهو رحمة في عباده كما هو جده - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي بكى عمه (الحمزة).

فتراه يبكي اصحابه تارة ويبكي اعداءه تارة اخرى لانهم سوف يدخلون النار بقتلهم له (عليه السلام) وهم يقابلون كرم النفس المعطاء وحنوها عليهم بكل جحود وقبح فينادي مناد منهم: (لا تبقوا من اهل هذا البيت صغيرا ولا كبيرا)^(١).

ولا زال الدرس الحسيني يشع بأنواره الانسانية رغم تواتر الازمان وتغير المكان.

(١) مقتل الحسين عبد الرزاق المقرم ص ٣٨٧.

صبر الامام الحسين (عليه السلام):-

تجلى الامام الحسين (عليه السلام) في اعظم مظاهر الصبر بل تجلى الصبر فيه حتى تعجب اعداؤه من صبره فقال قائلهم:-

(ما رأيت مكثورا قط قتل اهل بيته وولده أربط جأشاً منه) بل تعجبت الملائكة من صبره كما في زيارة الناحية المقدسة:-

(وانت مقدم في الهبوات ومحتمل للاذيات قد تعجبت من صبرك ملائكة السماوات).

فمع كل تلك المصائب التي هدت ركنه وكسرت ظهره فشاب لها رأسه وابتضت لحيته وانحنى ظهره لم تضعف عزيمته ولا قل تجلده ولم يستسلم لهم او ينزل على حكم بني امية بل كان صابرا متجلدا مفوضا امره الى الله محتسبا تلك المصائب عند ربه فلم يجزع ولم يمس إيمانه بالله ضعف.

ذكر الله:-

اما التجلي الاهم والاعظم له (عليه السلام) فهو تجليه في ذكر الله سبحانه وتعالى حتى انه اصبح لا يرى منه الا ذكر الله فتراه في كل موقف يذكر الله (جلت قدرته) في كل احواله ففي ليلة العاشر ونهاره يطلب تأجيل القتال ليصلي لله يخطب في اصحابه يبدأ بذكر الله يصبر أخته يذكرها بتقوى الله والتمسك به من ذلك قوله: ((يا أختاه اتقي الله وتعزي بعزائه واعلمي ان اهل الارض يموتون وان اهل السموات لا يبقون وان كل شيء هالك الا وجه الله تعالى الذي خلق بقدرته ويبعث الخلق ويعودون وهو فرد وحده))^(١).

(١) بحار الانوار - ج ٤٥ ص ٢.

يرى إبنه الرضيع يذبحه السهم من الوريد الى الوريد وهو بين يديه فيذكر الله بقوله:
((أهون ما نزل بي انه بعين الله اللهم لا يكن عليك أهون من فصيل (ناقة صالح)...))^(١).

يقف على مصرع يتيم اخيه وينظر اليه فيدعو الله: ((اللهم احصهم عددا واقتلهم
بددا ولا تغادر منهم أحدا...))^(٢).

يقف على جون فيدعو: ((اللهم بيّض وجهه وطيب ريحه واحشره مع الابرار وعرف
بينه وبين محمد وآله)).

يقف ليستريح فيذكر الله: ((استعدوا للبلاء واعلموا ان الله حاميك وحافظكن
وسينجيكن من شر الاعداء...)).

احاط به القوم يضربونه بسيوفهم ويطعنونه برماحهم فيذكر الله: ((صبرا على
قضائك يا رب لا اله سواك يا غياث المستغيثين)).

مناجاته (عليه السلام):-

من ابلاغ ما ورد عنه (عليه السلام) مناجاته لله وهو يجاذب انفاسه الاخيرة يغشى
عليه تارة ويفيق تارة اخرى وقد اشتد به العطش واخذ منه مأخذا عظيما حتى أثر على
عينه فلا يكاد يبصر واثر في لسانه حتى صار كالحشبة اليابسة وقد اثنته كثرة
الجراحات واضعفه نزيف الدم من جسده الطاهر واذا به وهو في هذه الحال يذهل عن
جراحاته ويقبل على ربه فيناجيه بقوله:

((اللهم متعالى المكان عظيم الجبروت شديد المحال غني عن الخلائق عريض الكبرياء
قادر على ما تشاء قريب الرحمة صادق الوعد سابغ النعمة حسن البلاء قريب اذا دعيت

(١) بحار الانوار - ج ٤٥ ص ٤٦.

(٢) مقتل الحسين - آل بحر العلوم ص ٣٥٧.

تحيط بما خلقت قابل التوبة لمن تاب اليك قادر على ما اردت تدرك ما طلبت شكور اذا شكرت ذكور اذا ذكرت ادعوك محتاجا وارغب اليك فقيرا واتوكل عليك كافيا اللهم احكم بيننا وبين قومنا فانهم غرونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد (صلى الله عليه واله وسلم) الذي اصطفيته بالرسالة واثمنته على الوحي فاجعل لنا من امرنا فرجا ومخرجا يا أرحم الراحمين^(١).

هذه المناجاة العظيمة لا تصدر الا من عظيم وهو الحسين (عليه السلام) فهي طويلة جدا على من هو في مثل وضع الامام (عليه السلام) فهو يذهل عما حوله ويناجي ربه بتلك المعاني العالية والمعارف العظيمة التي يذهل عنها عند البلاء حتى العلماء العرفاء لشدة ارتباطه وثقته بالله وصدق تفويضه امره لله (سبحانه وتعالى) فلم تزد تلك المصائب وذلك البلاء الا ثقة بربه وتصديقا بوعدده وإيمانا بقدرته واحتسابا لامره وتعظيما لشأنه العظيم في هذه المناجاة انها ابتدأت بـ متعالي المكان عظيم الجبروت.... الخ من صفات العظمة والكبرياء مع انه قد يظن ان حالة الامام الحسين (عليه السلام) واضطراره وشدة ضعفه وافتقاره يحتاج فيها الى التوجه بالمعين... الرحيم... محيب المضطر... وامثالها مما يتناسب مع تلك الحالة ذلك لان التوجه لله في هذه الصفات فيه توجه الى حالات الانسان ومصائبه وآلامه وهو يعني السير الى الله سبحانه من خلقه اليه وهو ليس مقام الصديقين بخلاف ما ابتدأ به الامام الحسين (عليه السلام) ففيه اغفال تام للنفس وحاجتها او ذكر الامها واضطرارها. فهو انقطاع تام عن الخلق وانجذاب الى الله سبحانه وتعالى وتعلق به ونظر اليه وسير بالحق في الحق فلم يعد يرى نفسه وحاجتها لم ير الا عظمة ربه وتعالى مكانه لانه لا يعرف الله الا هم ولا يعرف سبحانه وتعالى الا بهم فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قوله: ((يا

(١) مقتل الحسين: آل بحر العلوم حاشية رقم ٨٤ ص ٤٥١ - مصباح الكفعمي ص ٥٤٤.

علي ما عرف الله الا انا وانت ولا عرفني الا الله وانت ولا عرفك الا الله وانا))^(١) وورد عنهم: ((من اراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجه بكم))^(٢) فكل من عرف الله فيهم والا لم يعرف وكل من وصل الى الله فيهم والا لم يصل.

من هنا كان مقامه صلوات الله عليه مقام شكر مع ما هو فيه من المصاب ووصفه الله بسابغ النعم حسن البلاء لانه يبصر بما لا يبصر غيره فهو لا يرى ما هو فيه واصحابه واهل بيته من المصائب الا ان الله يريد ان يهبهم من المنازل الشريفة بصبرهم واحتمالهم المكاره وان ما هم فيه هو طريق الفوز في الاخرة وبه ادراك الفتح ونصرة الاسلام فلولا هذه الشهادة لما سمع آذان على وجه الارض لانهم لم يريدوا قتل شخصه بل انهم ارادوا قتل الاسلام بمقتله (عليه السلام) وهذا الشمر (لعنة الله عليه) يكشف هدفهم بقوله عندما سأله الامام (عليه السلام): ((انقتلني ولا تعلم من انا؟ فقال: اعرفك حق المعرفة امك فاطمة الزهراء وابوك علي المرتضى وجدك محمد المصطفى وخصمك العلي الاعلى أقتلك ولا أبالي))^(٣) فقتله قاصدا قتل الاسلام بعد ان اعلن (عليه السلام) اياه للاستسلام ورفض بيع دينه بدنياه مختارا هو واصحابه مصارع الكرام على حياة اللثام.

تجليات الدروس الحسينية في انتصارات ابطال الحشد الشعبي:-

لقد قدّم الامام الحسين (عليه السلام) نفسه الشريفة لله سبحانه وتعالى في موقف لم يعرف له مثيل في تاريخ الاسلام بل في تاريخ البشرية جمعاء اقدم على الموت طوعا مختاراً مصارع الكرام على حياة اللثام لحفظ كرامة الرسول واهل بيته (صلوات الله عليهم

(١) مستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٣٨٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٦١٥.

(٣) بحار الانوار ج ٤٥ ص ٥٦.

اجمعين) وكرامة دينه من ان يكونوا طلقاء لاولاد الطلقاء واختار الثقة بالله على الثقة
بغيره والخوف من الله على الخوف من غيره فكان شهيد الكرامة شهيد الصبر شهيد
الثقة بالله شهيد الخوف من الله شهيد ذكر الله شهيد الدفاع عن الحق شهيد العرض
والشرف اربع الموت بموته وانتصر عليه بخلوده اذ كان وما زال وسيبقى خالدًا قبلة
للاحرار ومنارا وهدى يمتد اريجه عبر مئات بل الاف السنين ليولد بل يبعث من جديد...
حسين شهيد فيروي بدمائه ارض المقدسات والنبين ارض العراق الذي تكالبت عليه
احفاد يزيد ليظهروا لهم احفاد الحسين من جديد مستلهمين دروسهم من مواقف
الحسين (عليه السلام) ابطلنا ابطل الحشد الشعبي المقدس الذين ترجموا دروس امامهم
في الايثار والوفاء والصبر وذكر الله ومناصرة الحق والحرية والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر والامانة والشرف والكبرياء ترجموها بأروع البطولات واعظم الملاحم ضد دواعش
العصر في ارض الانبياء والائمة عليهم السلام.

الخاتمة:-

الحمد لله والصلاة والسلام على اشرف الاوصياء محمد وعلى آله الطيبين
الطاهرين...

لو ولد الف يزيد لبعث اليه الف حسين من جديد وبالتأكيد الحسين لا يقارن بيزيد
ولان قصة عاشوراء لم تكتمل بعد لان كل يوم عاشوراء... وكل ارض كربلاء... فأن
القصة لا تزال مستمرة يكتب سطورها شهداء العراق بدمائهم الزكية... قصة بدايتها
الصمود ونهايتها... الخلود... فهنيئا لمن سار على درب النصر والشهادة... هنيئا لمن
يكون قائده الحسين... هنيئا لمن اثبتوا ان ارض العراق لا تزال للابطال ولأداة... هنيئا
لابطلنا وعزتنا وشموخنا وموضع فخرنا... ابطل حشدنا الشعبي المقدس.

المصادر:

- بحر العلوم محمد تقي مقتل الحسين تحقيق: الحسين بن تقي بحر العلوم قم ط ١
.١٩٢٦
- المجلسي محمد باقر بحر الانوار ط ٤ بيروت مؤسسة الوفاء.
- المسعودي محمد فاضل الاسرار الحسينية ط ١ مطبعة كيمياه ١٤٢٤هـ.
- المصلي الشيخ عبد العزيز ابن الحاج سعيد اتفاق الحسن و كربلاء الحسين(عليه السلام) ط ١ مؤسسة العروة الوثقى لبنان ٢٠٠٧.
- مؤسسة النشر الاسلامي من لا يحضره الفقيه قم ١٤١٣هـ.

**"رؤية سوسيولوجية للتجمعات الدينية"
الزيارة الأربعينية للإمام الحسين أنموذجاً**

الدكتور شيرين محمد كاظم

الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

المخلص:

يناقش هذا البحث وجهة النظر الاجتماعية للتجمعات الدينية وفق آراء علماء الاجتماع وما يعكسه التجمع الديني على سلوك الحشود والتجمعات وما ينتج عنه هذا السلوك الجمعي من قيم وأعراف اجتماعية تتبلور بعضها الى نهج تربوي، ويتطرق البحث الى زيارة الامام الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) كنموذج للدراسة في مناسبة ذكرى استشهاده وهي ظاهرة محلية المكان عالمية التجمع تطرح محتوى وأحداث سوسولوجيا لا بد من تسليط الضوء عليها لطرح رؤيا اسشرافية لدراسة السلوك الجمعي الديني و الابتعاد عن سلبياته وتعزيز إيجابياته.

أولاً: الإطار العام للدراسة

لاشك ان الإطار العام للدراسة في البحوث والدراسات العلمية له أهمية كبيرة، فهو يضع الحجر الأساس للموضوعات التي يتناولها البحث العلمي، ويتضمن الاطار العام للدراسة الآتية:.

١ - الموضوع:

أن موضوع البحث يناقش رؤية علم الاجتماع عن التجمعات الدينية بصورة عامة والزبارة الأربعية بصورة خاصة إذ يسلط البحث الضوء على سلوك الأفراد داخل الحشد ما لذي دفع الأفراد الى التجمهر والتجمع وكيفية تفسير سلوك الأفراد داخل هذا التجمع الديني وما الذي يدفع هذه الحشود الى السير نحو كربلاء هل هو التدين؟ أم القيم الاجتماعية التي نادى بها الحسين عليه السلام؟ ويحاول هذا البحث الاجابة على هذه الأسئلة من وجهة نظر علماء الاجتماع والواقع الاجتماعي.

٢ - الأهمية:

يسلط البحث الضوء على ظاهرة التجمع الديني لزبارة الامام الحسين في ذكرى اربعية استشهاده التي تمر سنوياً، وهي ظاهرة محلية الوجود عالمية الحشود، مليونية العدد وهذا يناقش البحث المحتوى السوسولوجي لهذا التجمع الديني الذي يجمع بين أعراق وبلدان ولغات وحتى ديانات مختلفة تحت ظل مفهوم واحد وهو نصرة الحسين ضد الظلم، وهذا تتجلى أهمية من هذه الظاهرة السنوية التي مركزها محافظة كربلاء وامتدادها العراق والعالم.

٣- الأهداف:

يهدف البحث الى دراسة التجمع الديني متمثلاً بزيارة الامام الحسين والتركيز على سلوك الحشود الايجابي والسلبي بعيداً عن التفسيرات الدينية وانما برؤية اجتماعية خالصة تهدف الى تعزيز القيم الايجابية التي نادى بها الحسين بن علي بن أبي طالب.

ثانياً: مفاهيم الدراسة

ان تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية خطوة مهمة من خطوات البحث العلمي فهي تساعد الباحث على فهم المعاني والأفكار لتلك المفاهيم في بحثنا الحالي الموسوم: رؤية سوسيولوجية للتجمعات الدينية /الزيارة الأربعينية للامام الحسين أئموذجاً.

١- التجمعات الدينية

التجمع

معناه الوجود المقصود والوقتي لعدة أشخاص في مكان عام لخدمة القضية المشتركة. ويعترف هذا التعريف بحقيقة أنه على الرغم من أن أشكال معينة من التجمعات قد تتطلب صياغة أحكام قانونية خاصة فإن جميع أنواع التجمعات السلمية سواء التجمعات الثابتة أو المتنقلة فضلاً عن تلك التي تقام في المباني العامة أو الخصوصية أو في منشآت مغلقة - تستحق الحماية^(١) إذ التجمع عبارة عن وسط يمكن للفرد من خلاله ان يشبع حاجاته الأساسية سواء الشخصية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الدينية.

الدين

الدين من المظاهر التي يصعب وضع مدلول محدد لها، وهذا يرجع الى العديد من الاعتبارات فمن الضروري شمول الدين على أرقى وأدنى صورة له لتنطبق على كل المجتمعات الانسانية رغم اختلاف ظروفها إن الشعور بالارتباط الديني هو أول مراتب

(١) مكتب المؤسسات الديمقراطية وحقوق الانسان (ODIHR) التابعة لمنظمة الامن والتعاون الاوربي، مبادئ توجيهية بشأن حرية التجمع السلمي، ط٢ طبع في بولندا من Poligrafus Jacek Adamiak، ص ١٥٠.

الدين لدى الأفراد والجماعات (الشعور الفردي والشعور الجمعي) وهو مستوى قائم في نطاق الأحاسيس والعواطف والوجدان يُقرّ بتهيؤ الإنسان لاستقبال الطبع الديني. كما صرّح أيضا العديد من العلماء والباحثين عن حقيقة الشعور الديني وثباته في تجاربهم الخاصة أثناء تعاملهم أو مواجهتهم لمواقف دينية، إذ ينظر علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا إلى الدين على أنه مجموعة من الأفكار المجردة، والقيم أو التجارب القادمة من رحم الثقافة، ومن بين هؤلاء مثلا نجد (Tocqueville) توكفيل الذي يعترف قائلا "إني لست مؤمنا، لكن أيا كان الإيمان الذي أشعر به، إلا أنني لم أستطع مُطلقا أن أحمي نفسي من شعور عميق عند قراءة الإنجيل^(١) كما يعتبر "G.Simmel" ج. زميل الدين إيقاعا للنفض الداخلي للإنسان، وهو يرى بشكل جاد جدا وجود الشعور الديني الذي لا يمكن حسبه أن يختفي أو أن يأفل، مع تأكيده على الدور الفعال لهذه المشاعر الدينية في حركية المجتمعات وديناميكيته^(٢).

وهذا يمكننا تعريف التجمع الديني حسب عالم الاجتماع دور كايم بأنه الأنشطة الطقوسية والاحتفالية الدورية التي يتجمع بها المؤمنون ويلتقون سوياً. وفي هذه الاحتفالات الجماعية يتأكد وترسخ الإحساس بالتضامن الاجتماعي^(٣).

٢- الزيارة الاربعية للإمام الحسين

الزيارة

في المعنى الشعبي العامي تنطق بزاي مسكونة (زيارة) و تدل على قصد المزارات و الأماكن المقدسة كالحج مثلا والذهاب إلى الكعبة، أو زيارة قبور الموتى و أضرحة الأولياء الصالحين للتبرك بهم و الطلب إكراماً له و استئناساً به^(١).

(١) هيرفيه ليجيه، د و ويلام، ج بول :سوسولوجيا الدين، تر:درويش الحلوجي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥، ص ٥

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٨

(٣) أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، ط ٤، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ٢٠٠٥، ص

الاربعينية

إن يوم الأربعين من النواميس المتعارفة للاعتناء بالفقيد بعد أربعين يوماً من وفاته، أما الزيارة الاربعينية للإمام الحسين تصادف اليوم العشرين من صفر والذي يوافق مرور ٤٠ يوماً على مقتل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب في معركة كربلاء في العراق على يد جيش عبید الله بن زياد، وبحسب بعض الروايات فقد قامت زينب بنت علي وعلي بن الحسين السجاد وبرفقة الأيتام وأطفال الحسين بالذهاب إلى أرض كربلاء لزيارة قبر الحسين في الأربعين، ومن هنا بدأت زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام ويعتبر من أهم المناسبات الدينية التي تقام سنوياً عند المسلمين الشيعة^(١) حيث تخرج مواكب العزاء في مثل هذا اليوم ويتوافد الملايين من الشيعة من كافة أنحاء العالم إلى أرض كربلاء لزيارة قبر الحسين.

ثالثاً: سوسولوجيا التجمعات الدينية

إن دراسة أي موضوع في علم الاجتماع يخضع للمنهج العلمي وأدواته ووسائله لذلك سعى علماء الاجتماع لدراسة أسباب التجمعات الدينية رغم اختلاف التراكم المعتقدي التاريخي للتركيبية الدينية أو الثقافية أو الفكرية أو القيمة لهذا الاجتماع الانساني، أو ذاك حسب ماهية، وشمولية وموضعية هذا الاجتماع، لاسيما الموضعية الزمانية والمكانية التي تحيط باي دائرة اجتماع انسانية وما تسمح أو لا تسمح به هذه البيئة الاجتماعية من سلوك داخل التجمع الديني مما يتصل بصناعة وصياغة فكر الفرد

(١) سراج جيلالي، زيارة الاضرحة وأثرها في المعتقدات الشعبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أبي بكر بالقائد، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، ٢٠١٥، ص ٦٢.

(٢) يطلق المؤرخون والفقهاء لفظ الشيعة على الفرقة المسلمة المعروفة بمولاتها علي بن أبي طالب ولبنائه دون غيرهم .

والمجتمع ويساهم في تشكيل الهوية الثقافية، إن التجمع الديني يعبر عن حالة من التدين وهو سلوك الفرد اتجاه الدين يتجلى في رمزية الطقوس و الممارسات و التمثلات الدينية المرتبطة بالطريقة التي يوقع بها نفسه في الوجود، حيث يتداخل في تكوينها العامل الثقافي و العامل الديني، ويشكل التدين "غريزة ملازمة لحياة الإنسان أين ما كان و حيث ما وجد"^(١)، ينعكس من خلال ممارسات تعبدية تظهر في التعبيرات الجماعية عن الخبرات الدينية المكونة للمعتقدات التي تعتبر من الركائز الأساسية التي يقوم عليها الدين والتي تعكس ظاهرة الدين كشرعية وأصول اعتقادية.

وفي مثل هذه التجمعات ينأى أفراد الجماعة بأنفسهم عن المشاغل اليومية في الحياة الاجتماعية ويرتقون بأنفسهم الى مرتبة عليا يشعرون معها بالتواصل مع قوى علوية، وهذه القوى منسوبة الى الطوطم والى الآلهة أو المؤثرات السماوية إنما هي، في واقع الأمر تعبير عن غلبة الروح الجماعية على النزعة الفردية^(٢).

وهذا تعد الطقوس والممارسات المتبعة لكل ديانة أو طائفة عند التجمع الديني شكلاً من أشكال الاتصال و لما كانت الشعائر تعبر عن مجموعة من الأفكار الأساسية لذا فهي تعتبر نموذجاً من نماذج الاتصال لا يمكن إغفال تأثيره "كونها تحتوي على بعض الإشارات و الرموز إذ تنقل المعلومات والوقائع والأفكار و المشاعر من شخص إلى آخر" و لأن موضوع الاتصال عملية ديناميكية تتعلق بالسلوك الإنساني يتم من خلالها تبادل المفاهيم والرموز والخبرات، يمكننا اعتبار طقوس الزيارة عملية اتصال غير مباشرة، ففي الوقت الذي تقوم به هذه الجماعات بممارسة الطقوس تنشر الأفكار و المعتقدات من خلال التفاعل الاجتماعي بين الزائرين، حيث يمثل التفاعل الاجتماعي "عملية تربط بين الإنسان الذي يقوم بأداء فعل معين بغرض إحداث تأثير في الآخرين، وذلك من خلال وجود احتكاك بين الفئات الاجتماعية سواء الحاضرة في هذا

(١) هنية مفتاح القمطي، الفكر الديني القديم، منشورات جامعة قارون، ليبيا، ط١، ٢٠٠٣ ص ٢٧.

(٢) أنتوني غدنز، مصدر سابق، ص ٥٨١.

المجمع القدسي أو الغائبة عنه. يتم الاتصال بين الفئات الاجتماعية بطريقة أو بأخرى في مكان خاص أو عام خاصة إذا كانت الغاية المشتركة فهي التي تنتج الحس المشترك الناتج عن التفاعل الاجتماعي على حد تعبير كيرتز، فتظهر الممارسات و الطقوس في الزيارة على أنها تجمع الزائرين و توحدهم في أشكال و أفكار الاعتقاد المشتركة و هنا أتوجه لأستدل برأي فرويد الذي يرى أن جميع المعتقدات تتطلب الإيمان بما تدعيه من خلال الممارسة و إدراك نتائجها، فالمعتقد يكون بالغ الوهن و السطحية ما لم يتم إدراكه و مشاهدة نتائجه، إذ أن المعتقدات تضحل و تتلاشى ما لم تتحول الى أفعال و ممارسات تثبتها وتجسدها^(١). من خلال الممارسات و الطقوس و التجمعات الدينية إذ تسهم المجالس الدينية في إكساب الأفراد أنماطاً من السلوك وفقاً لعادات و تقاليد المجتمع و تعاليم الدين و فرّجوا من التعاطف و الود و التراحم بين الأفراد و ينظم العلاقات و الروابط داخل الجهاز الأسري و المجتمعي، و يخفف من حدة الاضطرابات و المشكلات النفسية و الاجتماعية و وضع الحلول المناسبة لها عندما تحدث و قبل أن تحدث و يحدد دور كل فرد داخل و خارج المؤسسات الاجتماعية وفقاً للنظام القيمي السائد في المجتمع^(٢).

استناداً إلى ما تقدم ذكره يمكن القول بأن الطقس أو التجمع الديني ليس فقط مجموعة من الحركات الظاهرة في شكل اشارات و رموز تترجم الاعتقاد في المعلم القدسي، بل هو أيضاً تعبير عن شعور انفعالي لا يظهر في الوهلة الأولى كنظام من الأفكار بل نظام من السلوكات و الأفعال يمارسها الزائر بتوجيه من الأفكار و المعتقدات.

(١) سراج جيلالي، زيارة الاضرحة و أثرها في المعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص ١٠٤.

(٢) جليل شكور، تشكيل نظام القيم، مجلة الثقافة النفسية، ع(٨)، ١٩٩١، ص ٥١-٤٦.

رابعاً: سوسيولوجية الزيارة الاربعية

ظاهرة زيارة الأضرحة ظاهرة ثقافية سلوكية تشكل نظاماً ثقافياً اجتماعياً قائماً بذاته، حيث أنتج مفاهيم وممارسات خاصة^(١) ونتطرق في بحثنا هذا الى الزيارة الاربعية للامام الحسين وهنا يطرح السؤال التالي:لماذا تذهب هذه الحشود للزيارة؟ والمقصود من هذا السؤال لمعرفة الخلفية الأدلوجية لهذه الحشود وسبب زيارتها السنوية هل هو الدافع الديني أم المذهبي أم هو الدافع السياسي أم الاجتماعي أم كلها مجتمعة، أن أغلب الحشود متوجه للزيارة بقصد الهدف المعلن وهو التوجه الديني، وهو الأطار العام لهذه الثورة الحسينية أما الهدف للشعوري فهو دفع الظلم الواقع على الفرد ولو كان بتعبير تجريدي متمثل في الزيارة، فالذين يقصدون الزيارة هم من مختلف الاعمار والقوميات وحتى من أديان اخرى وعندما تطرح عليه سؤال لماذا تزور الحسين؟ يكون جواب معظمهم لانه بطل ثوري حارب الحاكم الظالم وهنا يكمن سر ثورة الحسين في كونها تشكل جزء من ثقافة الفرد والمجتمع المتجذرة بنذ الظلم، ومدى تجذر هذه الثقافة في السلوك النبوي والوظيفي داخل المجتمع يعمل على بث أهدافها في جسد أفراد المجتمع فيصبحون مهئين نفسياً وعقلياً وروحياً للزيارة، وتنبع هذه الثقافة من الموروث السوسيولوجي والعادات والتقاليد للمجتمع، وعليه يكون المشارك بعملية الزيارة الاربعية مهياً عقلياً واجتماعياً لهذا الفعل الديني، إذ لا يولد هذا الفعل في المجتمع، وإنما يصنع فيه صنعاً وكذلك هي الشخصية الوطنية، والهوية الاجتماعية، والتجمعات الدينية. كلها أنماط وإنتاجات ثقافية التكوين والتشكيل والتلوين، ويكون التجمع الديني المتمثل في الزيارة الاربعية للامام الحسين نمطاً ثقافياً، شأنه شأن الأنماط الأخرى للسلوك الاجتماعي، عبر عملية تنشئة اجتماعية مستمرة من التعليم والتدريب والتأهيل، وعبر نظم ومؤسسات، وعلاقات وتفاعلات اجتماعية ثقافية مستمرة. يتم إنتاجها وإعادة إنتاجها، عبر الوحدات والمؤسسات الاجتماعية نفسها إذ يتم في هذه

(١) سراج جيلالي، زيارة الأضرحة وأثرها في المعتقدات الشعبية، مصدر سابق، ص ١٩ .

المؤسسات بناء الشخصيات المحبة لأهل البيت والحسين بن علي بن أبي طالب والمأسسة لخلق فرد يحمل كل المفاهيم والادوات لتنفيذ الطقوس والشعائر الحسينية، وذلك بوسائل عدة مثل زرع صورة نمطية عن الإمام الحسين بكونه القائد الذي قارع الظلم والجور وضحى بأهله وأصحابه ونفسه لاجل الحق وأسناد هذه الصورة بالرويات التاريخية والتراثية المصحوبة بالظلم الذي عاناه الحسين وأهل بيته، وبهذا تتشكل الثقافة الخاصة بمحبين الحسين بكل أطيافهم ومذاهبهم وأديانهم، وقد تختلف بعض الطقوس الدينية المتبعة أثناء تأدية الزيارة الأربعينية تبعاً للثقافة الفرعية الثانوية للجماعات المنحدرة من ثقافات وبلدان مختلفة قاموا بالقدوم الى كربلاء لأداء الزيارة الأربعينية فهم من جماعات دينية مذهبية، عرقية اثنية، ووظيفية مختلفة وبهذا تكون ثقافة الزيارة الأربعينية متنوعة ومنفتحة وليست منغلقة على ذاتها: مكتفية بذاتها. فلهذا نشاهد بعض الطقوس أو التصرفات التي لانقبلها في مجتمعنا كونها مستمدة من ثقافات ومجتمعات أخرى، فنحن هنا لا نغالي في وصف فضائل الزائرين أو مساوئهم، بل نحاول توضيح بعض من الصورة الكلية عن الثقافة والسلوك الاجتماعي للزائرين إذ نجد هناك استعداد سريع للتصديق المطلق لكل ما يسمعه بعض الزائرين ولأبعد الحدود، حيث يتم قبول وتصديق معظم البيانات والإشاعات الواردة إليهم لدرجة السذاجة والحساسية المبالغ فيها، وعدم قدرتهم على الاستجابة للمؤثرات العقلية، وهنا يظهر التحليل الاجتماعي لهذه الحالة متمثلاً بعالم الاجتماع دوركايم إذ يصف القبائل البدائية كانت تجتمع خلال الحفلات والمواسم التوتمية المتضمنة لمراسيم العبادة، وخلالها يزداد الحماس والتهييج الاجتماعي حين أدائهم الشعائر العبادية، ويشابه هذا الحال ما يحصل لدى الزيارة الأربعينية خلال أيام عاشوراء. ويحلل دوركايم الحالة السابقة وفق العقل الجمعي وتأثيره على الأفراد، فنخلل الظاهرة الاجتماعية يبرز هذا العقل ويقوم بإشعاع قهره وتأثيره على عقول الأفراد الخاصة كما يتبين حين انفصالها وانصرافها عن

بعضها البعض^(١)، ورغم وجود هذه الصفة في زائري الحسين (العقل الجمعي) لكنهم يتميزون بكوهم جماعات مختلفة داخل التجمع الأكبر، إذ كانت هذه الطقوس جزءاً خاصاً من المساحة الشيعية فحسب، إلا أن أسباباً مختلفة أخرى مثل الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية، والحرب الأمريكية على العراق، إضافة إلى ظاهرة تسليع الثقافة كل ذلك حول هذه المراسيم إلى ظاهرة علمية الحضور^(٢).

وهنا يأتي دور رجل الدين بتنوير العقول والبصائر والعيون للحفاظ على أمان المجتمع معاً للسير في الطرق التي تريح الإنسان نفسه وترضي الله تعالى عنه، ولعلنا نتفق على أن المجالس الحسينية وطبيعة ما يُطرح فيها من أفكار ومواعظ وتوجيهات تأتي ملائمة لجميع المستويات، فهي تلائم البسيط في وعيه وفكره وتلائم المطلع والمتعمق في الأفكار، ولهذا يُصبح عامل التوصيل الفكري من أهم مميزات هذه المجالس التي تهدف بالدرجة الأولى إلى إحياء الشعائر المقدسة، وتعزيز القيم الاجتماعية والإنسانية التي استشهد الحسين وأهل بيته من أجلها.

وبهذا نستطيع القول أن الزيارة الأربعينية، هي العملية التي تستغرق وقتاً للتخطيط والتنسيق والتنفيذ إذ لا يمكن تفسيرها باعتبارها أحداثاً معزولة أو عفوية دون مستوى معين من التحضير.

وأن التربية والعادات والتقاليد، وضرورات الحياة الاجتماعية، قامت بدعم هذه التجمعات الدينية وتحويلها من نفسية فردية إلى نفسية جماعية مما يؤدي إلى تشكيل روح جماعية، فتنشأ عنها تصرفات نوعية، تتميز بنمط من السلوك الديني يتداخل معه السلوك الاجتماعي والثقافي، وأن هذه الثقافة الفرعية أو الكلية، تعلم الدوافع والمعاني والتبريرات للثورة التي قام بها الحسين عليه السلام كما يتم تعلم العمليات والمهارات

(١) أنتوني غدنز، مصدر سابق، ٥٨٠.

(٢) د. تقي ازادا آرمكي، العولة أثرها على الهوية والثقافة الإيرانية، ترجمة: علي طاهر الحمود، بيت الحكمة، ٢٠١٢، ص ١٩٦.

والفنيات الواجب اتباعها أثناء تأدية هذه الزيارة، إذ يحتاج اتمام الزيارة الاربعينية بالإضافة الى الجهد الحكومي الى متطوعين بالمال والوقت لاستقبال الحشود المليونية من أجل حب الحسين، ونختتم بحثنا بمقولة لعباس محمود العقاد

"ليس في العالم أسرة أنجبت من الشهداء من أنجبتهم أسرة الحسين عدة وقدرة وذكره، وحسبه أنه وحده في تاريخ هذه الدنيا الشهيد بن الشهيد في مئات السنين"^(١).

المصادر:

- (١) أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، ط٤، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ٢٠٠٥.
- (٢) د.تقي ازاذا آرمكي، العولمة أثرها على الهوية والثقافة الإيرانية، ترجمة:علي طاهر الحمود، بيت الحكمة، ٢٠١٢.
- (٣) جليل شكور، تشكيل نظام القيم، مجلة الثقافة النفسية، ع(٨)، ١٩٩١.
- (٤) سراج جيلالي، زيارة الاضرحة وأثرها في المعتقدات الشعبية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أبي بكر بالقلايد، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، ٢٠١٥.
- (٥) عباس محمود العقاد، العبقريّة الإسلامية، الحسين أبو الشهداء، دار الكتب اللبنانية بيروت، ط٤، ١٩٧٤.
- (٦) مكتب المؤسسات الديمقراطية وحقوق الانسان (ODIHR) التابعة لمنظمة الامن والتعاون الاوربي، مبادئ توجيهية بشأن حرية التجمع السلمي، ط٢ طبع في بولندا من Poligrafus Jacek Adamiak، ٢٠١٢.
- (٧) هنية مفتاح القمطاي، الفكر الديني القديم، منشوارت جامعة قاريونس، ليبيا، ط١، ٢٠٠٣.

(١) عباس محمود العقاد، العبقريّة الإسلامية، الحسين أبو الشهداء، دار الكتب اللبنانية بيروت، ط٤، ١٩٧٤، ص ٢٣٠.

هيرفيه ليجيه، د و ويلام، ج بول :سوسيولوجيا الدين، تر: درويش الحلوجي، القاهرة، المجلس الأعلى .للتقافة،
٢٠٠٥ .

النتائج والتوصيات:

- ١ . تثقيف الجماهير بالطقوس والتعاليم الدينية الصحيحة بعيداً عن العادات والتقاليد الدخيلة على الزيارة الاربعينية.
- ٢ . توعية الحشود وتنبههم لأهمية نفي الإشاعة المغرضة ودحرها وطرق التصدي لها.
- ٣ . تعزيز دور خطباء المنبر الحسيني بالخطب التوعوية الاجتماعية التي نادى الحسين من أجلها لنبذ الظلم ودفع الأذى وأعطاء كل ذي حق حقه.

"مدرسة الأربعين"

الدكتور طلال عتريسي

أستاذ علم الاجتماع

عميد سابق للمعهد العالي

للدكتوراه في الجامعة اللبنانية

لم يكن العالم يعرف الكثير عن الزيارة التي يقوم بها الشيعة في العراق الى كربلاء في ذكرى الاربعين لمقتل الامام الحسين والتي اشتهرت بزيارة الاربعين.

كانت عاشوراء ومجالس احيائها المستمرة، وما يقام فيها من شعائر ومن ممارسات مثل المسيرات وعرض المسرحيات، أو التطبير وسواه هي التي جذبت الاهتمام الاعلامي والبحثي طوال العقود الماضية خصوصا" وان شيعة العالم في اماكن تواجدهم كافة كانوا يحيون هذه المناسبة التي تنتهي عادة بمسيرات شعبية في اليوم العاشر من المحرم.

لم تكن زيارة الاربعين موضع اهتمام بحثي او اعلامي او سياسي لأسباب كثيرة. ففي العراق طوال حكم النظام السابق لم يكن من المسموح اصلا" للشيعة إقامة التجمعات او احياء المناسبات مثل عاشوراء فكيف بزيارة الاربعين وما قد يجتمع فيها من حشود مليونية تتوجه سيرا" على الأقدام نحو كربلاء.

لقد استعاد العراقيون بعد سقوط النظام العراقي احياء زيارة الاربعين تدريجيا" على الرغم من المخاطر الامنية والتفجيرات المتنقلة التي كانت (ولا تزال) تهدد حياتهم وارزاقهم، يدفعهم الى ذلك شعور عميق بالتعويض عن السنوات الطوال التي انقضت ولم يتمكنوا فيها من احياء هذه المناسبة العزيزة عليهم. لذا امتزجت الدوافع اليمانية بجوافز التعويض النفسي في وقت واحد. كما بات لإحياء الاربعين دلالة سياسية غير مباشرة تتصل بسقوط النظام الذي كان يمنع احياء هذه الزيارة.

باتت زيارة الاربعين تحت ضوء الاهتمام الاعلامي العالمي والعربي والاسلامي ومحل اهتمام بحثي وأكاديمي على المستويات التربوية والسياسية والاجتماعية والنفسية .بعدما أصبح العراق في العقدين الماضيين مختبرا" لتحولات داخلية واقليمية ودولية استراتيجية يتطلع اليها العالم كله، وتحاول قوى كثيرة التدخل والتأثير في هذه التحولات. لذا بات من الطبيعي ان يكون لأي حركة شعبية وجمهيرية ذات صلة بالأبعاد العقائدية والسياسية مثل زيارة الاربعين في العراق ان تحظى هي ايضا" بالاهتمام والمتابعة، خصوصا" وأن هذه الزيارة لا تقتصر على العراقيين وحدهم بل تحولت الى اكبر تجمع شعبي لملايين الشيعة من مختلف انحاء العالم.

كما كان للبعد المذهبي الذي روجت له أدوات اعلامية وسياسية إقليمية وحتى دولية، وللفتن وعمليات القتل التي مورست بعنوانين مذهبية ودينية تأثيره ايضا" على الاهتمام بكل شعائر الشيعة وممارساتهم المختلفة في مناسباتهم الدينية. وقد أتى هذا

الاهتمام من الأوساط كافة. من تلك التي تترصد الشيعة وكل ما يقومون به وتريد ان تثبت ان لديهم ممارسات لا تتوافق مع الاسلام، وتبرر بالتالي الاتهامات الموجهة اليهم بالخروج عن الدين، أو من تلك التي تريد أن تعرف مدى ما بلغه الشيعة من تطور في أوضاعهم الاجتماعية والثقافية من خلال ممارساتهم الدينية والعاشورائية تحديدا". ولذا كان يثار النقاش في كل عام حول ما يجري في عاشوراء من ممارسات مثل التطبير والضرب بالسلاسل ومبالغات أخرى أكثر غرابة ودموية من جهة، وحول ما يرفع في مسيراتهم من شعارات وما يقال فيها من مضامين سياسية واجتماعية وثقافية من جهة أخرى.

لذا لا يمكن ان نفصل بين هذا الاندفاع الواسع لإحياء زيارة الاربعة من داخل العراق وخارجه وبين ما تشهده مجالس عاشوراء في العالمين العربي والاسلامي وحتى في دول الغرب، من توسع ملحوظ للمشاركين فيها من الأوساط الاجتماعية كافة. بحيث يمكن ان نعتبر احياء عاشوراء هو التمهيد المنطقي، والعاطفي، والنفسي للمشاركة في إحياء الاربعة.

لقد توسعت أماكن إحياء مجالس عاشوراء وتزايدت اعداد المشاركين فيها في السنوات الماضية من المراحل العمرية كافة، على الرغم من عمليات قتل وتفجير حصلت في أكثر من مكان في لبنان او باكستان او حتى العراق. وما تجدر الاشارة اليه هنا والتوقف عنده مليا" ، وهو ينطبق على احياء عاشوراء وعلى احياء الاربعة، أن المقولات الثقافية السائدة منذ سنوات كانت ولا تزال تربط دائما" بين التطور التكنولوجي واستخدام التقنيات الحديثة، وبين ابتعاد الشباب عن القيم العائلية وعن الممارسات الاجتماعية التقليدية. لكن ما نلاحظه من مشاركة متزايدة وليس العكس للشباب وللفتيان سواء في مراسم عاشوراء أو في زيارة الاربعة (وهي ممارسات تقليدية) يخالف تماما" هذه المقولة التي افترض اصحابها انها مقولة علمية وثابتة وتصح في كل زمان ومكان. وهذا يعني ان من المفترض اعادة النظر في مثل هذه الاطروحات والمقولات التي تتعارض مع ما يجري على ارض الواقع. وهذا يحتاج الى مقاربات نظرية مختلفة لتفسير هذا الالتحاق المتزايد لإعداد الشباب ومشاركتهم في ممارسات تتناقض تماما" مع اتجاه المجتمعات نحو التحديث، وتتعارض مع نزوع الأفراد نحو العزلة والفردانية التي فرضها واقع استخدام التقنيات الحديثة في المجتمعات المعاصرة.

أما على المستويات التربوية والنفسية فيمكن مقارنة زيارة الاربعين من زاويتين:
- الأولى هي ما تفعله الزيارة نفسها من تغيير في سلوك المشاركين وانطباعاتهم وتوقعاتهم. ومن المعلوم ان جوهر ما تقوم عليه هذه الزيارة هو العمل التطوعي والخدمة المجانية للملايين الزوار .. وهذا الأمر لا نجد له مثيلاً في التاريخ المعاصر في التعامل مع ملايين الأفراد في وقت واحد، ومن دون أي اضطراب او خلل او صدمات. (نحو ٢٠ مليوناً) ولا شك ان مثل هذا العمل يترك أثراً "مهماً" في نفس المشارك المتطوع على مستوى تقديره العالي للسلوك التطوعي من جهة، وعلى رغبته في أن يحظى بتقدير الذات وبتقدير المجتمع من جهة، وبالأجر والثواب على المستوى الديني من جهة ثانية، لأن هذه الخدمة التطوعية التي قام بها وحصل عليها الزوار إنما كانت من اجل الهدف الذي أتوا من أجله وهو زيارة الامام الحسين عليه السلام.

كما أن الزائر نفسه الذي يحصل على كل هذه الخدمات، ويرى بأمر العين كيف يتنافس العراقيون على خدمته من دون اي مقابل، ومن أجل هدف "مؤجل" هو الأجر والثواب، سيصبح بلا شك، على المستويين النفسي والسلوكي أكثر قابلية وأكثر اندفاعاً للمشاركة في العمل التطوعي مستقبلاً، وفي اي عمل يمكن أن يحقق خدمة للناس وللمحتاجين في بلده وليس بالضرورة ان يكون ذلك في زيارة الاربعين فقط.

إن وجود مشاركين في زيارة الاربعين من مستويات اجتماعية وثقافية واقتصادية مختلفة على قدم المساواة في المشقة وفي الحصول على الاهتمام والخدمة سوف يترك بلا شك تأثيرات نفسية مهمة خصوصاً لدى الفئات الاجتماعية العليا أو المقتدرين مادياً واقتصادياً لجهة التخفف المعنوي والمادي من متعلقات هذا المنصب او تلك القدرة، أو لجهة الشعور بالتضامن والتساوي مع الآخرين في المواقع الأخرى الأضعف أو الأقل قدرة. وهذا يضيف على هذه الممارسة ذات الهدف الديني بعداً "اجتماعياً" تضامنياً "مهماً"، قد لا نلاحظه في أي ممارسة أخرى .

والمقصود هنا هو التغيير المهم الذي سيحصل لهؤلاء المشاركين على مستوى السلوك الاندماجي التشاركي في المجتمع، الذي سوف يؤدي لاحقاً إذا توفرت له الظروف المناسبة، والبرامج الارشادية والدورات التدريبية، الى تحول عميق في العلاقات الاجتماعية والانسانية التضامنية في المجتمع. خصوصاً وأننا أحوج ما نكون لهذا

السلوك التطوعي والتضامني في كثير من بلداننا العربية والاسلامية التي تعاني من ويلات الحروب وتداعياتها الأسرية والاجتماعية والنفسية...

- الثانية إن هذه الزيارة تقدم نموذجاً يتعارض تماماً مع كل ما أنتجتته العولمة من قيم ومفاهيم في العلاقات الانسانية . فقد تراجعت هذه العلاقات بسبب تقنيات التواصل الحديثة على المستويات العاطفية والانفعالية. بحيث يجب ان نتحفظ على تسمية وسائل او وسائل التواصل الاجتماعي، لأن هذه الوسائل لا تحقق عملياً أي تواصل اجتماعي حقيقي. فقد بات بالإمكان على سبيل المثال التواصل مع الآخرين في البلدان البعيدة وفي قارات أخرى في حين يتعذر التواصل مع من نعيش معه تحت سقف واحد، او مع من يجاورنا السكن في الطابق او في الحي نفسه. وبمجرد باتت الصداقة في وسائل التواصل هذه مجرد إضافة، أو حركة على أزرار الجهاز الذي نحمله، وفقدت الصداقة أي شعور بالتفاعل والشعور مع الآخر، فإذا انسحب صديق من القائمة التي تمتلكها، لأي سبب من الاسباب، فإن ذلك على الأرجح لن يعني شيئاً. لا حزناً ولا غضباً ولا فرحاً.. فإضافة اسم آخر الى عداد الصداقة سيفي بالغرض، كما انتشرت مع هذه العولمة قيم القوة والسرعة. فالبقاء في سوق التنافس كان للأقوى، ثم أصبح للأسرع... الأسرع في التقاط الفرص وفي التسويق وفي الوصول الى المستهلك لتحقيق أكبر قدر من الربح. لقد تراجعت كل الأفكار عن التسامح والتعاون ومد يد العون للضعيف وللفقير. باتت مؤسسات العولمة الدولية لا تعطي قروصاً الا اذا رفعت الحكومات المستدينة الدعم عن خبز الفقراء وطبابتهم ومساعدتهم الاجتماعية. أما ما يمكن ان يحدث بعد ذلك من توترات اجتماعية ومن تدهور في حياة الناس ، وما يمكن ان يصيبهم من أمراض ومن عجز عن معالجة هذه الأمراض فلا أحد يهتم. وهذه ليست مشكلة البنوك الدولية. باتت العولمة تقول للحكومات أن على كل فرد ان يتحمل لوحده مسؤولية شيخوخته وصحته وتعليم اولاده. ارادت العولمة بما أنتجتته من قيم ثقافية واجتماعية، ومن قوانين وشروط اقتصادية، ان تقضي ليس فقط على اي سياسة تهدف الى تحقيق التضامن الرعائي من الجانب الحكومي، بل وحتى على أي تفكير فردي يمثل هذا التضامن مع الآخر. وقد انسحب هذا النوع

من التفكير "الانسحابي" من خدمة الآخر على قطاعات واسعة من المفكرين
والباحثين وحتى على كثير من المؤسسات المعنية بمثل هذه القضايا.
لم يعد مقبولاً بالنسبة الى مؤسسات العولمة ان ينتظر احد احدا. الضعيف ينسحب
من السباق. في المدرسة يجب ان يفصل المتفوقين عن الطلاب العاديين ، وأن نعزل ذوي
المستويات الدنيا. أي لا يجب ان يتعايش في صف واحد ومكان واحد قدرات مختلفة. أنه
منطق المصنع والمصرف الذي انسحب على المؤسسات الأخرى. لا يمكن الصبر على
الضعيف لكي يتحسن ويتقدم. ولا يمكن للقوي والمقدر ان يمد يد المساعدة لمن يحتاجها
حتى يواصل الجميع بقدراتهم وطاقاتهم المختلفة معا" في المدرسة او في المصنع او في اي
مكان آخر يلتقي فيه الناس.

وفي البيت بات عادياً "ان يعيش المسنون خارج أسرهم، في أماكن خاصة بهم، لأن
وجودهم يعيق حركة الأبناء من النساء والرجال في الذهاب إلى العمل وفي تحصيل المال
الذي بات أهم من بر الوالدين، لقد فككت قيم العولمة العلاقات العائلية، وعلاقات
التضحية والوفاء، وعلاقات التضامن والتماسك التي يعيش في ظلها أفراد الأسرة من
الفئات العمرية كافة: الطفل والشاب والمسن والحفيد والقريب. انصرف الناس الى
شؤونهم الفردية الخاصة. باتت هذه ثقافة تنتشر بقوة وتكاد تصبح ثقافة عادية وطبيعية،
ويصبح الاعتراض عليها مستغرباً".

قلبت زيارة الاربعين كل هذه المقاييس . في زيارة الاربعين الناس لا تعرف بعضها
لكنها تسعى نحو هدف واحد وتسير في طريق واحد. ولا أحد يريد بدلا "أو مقابلاً"
مادياً لقاء ما يقدمه من خدمات لهؤلاء القادمين من انحاء العالم كافة. هذا المنطق يخالف
كل ما انتجته العولمة من قيم الربح والخسارة ومن قيم الحرص والتنافس ، ومن اعتبار
الربح المادي قيمة لا تعلوها قيمة. هنا الأمور معكوسة تماماً". التنافس هو لخدمة الزوار،
وليس لتحقيق الربح. السرعة المطلوبة هي في توفير ما يحتاجه الزائر لكي يشعر بالأمان
والاطمئنان، وليس لتحقيق اي عائد للطرف المقابل . البعد الإيماني الديني هو نقيض كل
تلك القيم التي لا ترى في الآخر الا مستهلكاً "أو هدفاً" لجني المال. في زيارة الاربعين
التنافس له بعده الإيجابي. فهو ليس لإقصاء أي أحد بل للمساعدة الى خدمة الضيوف
والزوار. منطق الأمور هنا مختلف تماماً". نحن هنا امام سلوك يستند الى منطق لا تعرفه
العولمة ومؤسساتها وقيمها. هذا المنطق يتصل بالرغبة في تحصيل الأجر والثواب، وفي

التطلع الى "خدمة زوار الحسين". الهدف هو الحسين من خلال زواره. نحن هنا أمام مدرسة مختلفة في مبادئها واصولها وبرامجها واهدافها وفي النتائج التي يريد الناس الوصول اليها..

- إن هذه المدرسة هي حالة استثنائية . لأن من يشارك فيها وفي إدارة عملياتها كافة وفي تنظيم برامجها هم فئات الشعب كافة. ليس هناك متخصصون وخبراء .وليس هناك رئيس او زعيم او مدير. وهذا شيء غريب في التعامل مع حشود تعد بالملايين. في كل بلاد العالم تحتاج مثل هذه الحشود الى الاف العناصر للحماية ولحفظ الأمن ولمنع التصادم والاعتداءات. لكن في مدرسة زيارة الاربعين يتحول الجميع ، لا فرق بين غني وفقير ، أو بين مسؤول وغير مسؤول الى "خدام". وربما هذه هي المدرسة او الظاهرة الوحيدة في العالم التي يتنافس فيها الناس لكي يكونوا في مواقع الخدمة وليس في مواقع الرئاسة أو الزعامة أو الإمرة على الآخرين.

- في هذه المدرسة تتفاعل وتتوحد كل انواع الانتماء العشائري والاجتماعي والمنطقي على مستوى العراق. اي ان ما تفرقه السياسات والمصالح والخلافات في الحياة اليومية تجمعه زيارة الاربعين، ولو الى حين. وفي هذه المدرسة تتفاعل من خارج العراق كل الانتماءات العرقية والجغرافية بحيث تتحول الى ما يشبه الحج" المصغر، وإن كانت اعداد المشاركين تفوق بأضعاف اعداء الحجيج الى بيت الله الحرام. وفي مثل هذه المناسبة، وفي مثل هذه المدرسة ستكون فرصة التعرف على ما يجري في بلاد العرب والمسلمين أوسع واسهل، من خلال التواصل والنقاش الحر مع زوار تلك البلاد.

إن احياء الاربعين ومشاركة الملايين في المسيرات الى كربلاء لغايات الأجر والثواب وإحياء الأمر (أحيوا أمرنا) له تداعيات اجتماعية وتربوية ونفسية مهمة. وهذا ما ينبغي الالتفات اليه حتى تصبح هذه المناسبة فرصة لتطوير تلك المسيرات وللإستفادة منها في تطوير الوعي والتنظيم والعلاقات.

إن كل ما يجري في زيارة الاربعين يسمح بأن تكون هي المدرسة التي يستفيد المشاركون فيها والمتابعون لها من كل تلك القيم التي أنتجتها عاشوراء. انها فرصة استثنائية تتكرر كل عام يجتمع فيها الناس من كل المشارب والاقطار لتقدم أنصع الصور وافضل القيم عن الثورة الحسينية. وإن من تداعيات زيارة الاربعين ان يعود

الناس المشاركون فيها الى بيئاتهم والى بلدانهم وهم يحملون معهم قيم التعاون والمشاركة وقيم التضحية الصبر والتحمل والوفاء.

لكن ما ينبغي الالتفات اليه أن "زيارة الاربعين" قد تواجه ما واجهته عاشوراء نفسها من اتجاهات. بين من يريد أن يجعلها ساحة لمبالغات متنوعة تنعكس سلبيًا على الفكرة كلها، وبين من يريد لها فرصة لتقديم صورة نقية عن الالتزام بأهداف الثورة الحسينية. بين من يريد لها تقديسًا للماضي لتبرير الابتعاد عن الحاضر ومشكلاته. وبين من يريد لها فحجًا للإصلاح وللثورة على الطغاة من اجل المظلومين والمضطهدين.

**المقاصد السامية للزيارة الاربعية في عيون
وقلوب انصار ومحبي الامام الحسين
الشهيد(عليه السلام)**

الباحثان

الدكتور عبد الرحمن حمد الغنطوسي

الدكتور محمد بشير حسن العامري

كلية التربية

عميد كلية الآداب

الجامعة العراقية

جامعة الامام جعفر الصادق (ع)

المقدمة

تحمل الزيارة الاربعينية المعاني والعبر عند اتباع الامام الحسين بن فاطمة الزهراء بنت الرسول الاكرم (عليهم السلام) من دروس ومقاصد لتجديد العهد والولاية لسيد الشهداء ابي عبد الله (عليه السلام) بعد استشهاده في العاشر من محرم الحرام في عاشوراء المعظم، في الزحف المليوني مشياً على الاقدام ولمسافات طويلة وايام متعددة، لكسب الأجر والثواب والنذور وهي رسالة للإنسانية في شتى أقطار العالم على ان المظلوم يستحق التضحية والفداء والاستذكار لما جرى للإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) عندما لبي نداء اهل العراق بدعوتهم للإمام ان يكون عليهم خليفة يوحدهم ويحكمهم بالعدل والمساواة والانصاف وحماية المظلوم وارجاع الحقوق للرعية، وقد استجاب إمامنا الشهيد المغدور ان يزحف مع اهل بيته من المدينة المنورة بالحجاز، وهو يحمل النوايا الحسنة والاهداف الاسلامية في تحقيق الامان والسلامة فضحى بحياته وذريته وقد نصحوه في عدم السفر خشية من بطش حكام بني امية وقسوتهم تجاه احفاد الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن الامام قد عقد العزم والاخلاص للرعية واحترام الدعوة والخروج بالقوافل اليمانية لتحقيق المبادئ الاسلامية وقد توالى الخطابات على الامام الحسين ابي عبد الله (عليه السلام) تحذره من المخاطر المحفوفة من مكاييد حكام بني امية المعروفين بالعدو والخيانة للأعراف وعدم مبالغتهم بالعهود والمواثيق والالتزامات الاخلاقية ازدانت المصادر الاسلامية التاريخية والفقهية في الحديث عن الامام الحسين واهله (عليه السلام) وما جرى لهم من خيانة واضطهاد ومطاردة ومضايقة، وقد اوردت الكتب الاسلامية عن اهمية زيارة الاربعين ومنافعها وثوابها ما ورد عن الائمة المعصومين، فقد جاء عن الامام الحجة المهدي عجل الله فرجه بحق زيارة جده الامام الحسين (عليه السلام) في كربلاء مشياً على الاقدام: "ولأبكين عليك بدل الدموع دماً"، كما قال الامام جعفر الصادق (عليه السلام): "ان ارض الكعبة قالت: من قلبي وقد بنى الله بيته على ظهري ويأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه فأوحى الله

اليها ان كفي وقري، فوعزّي وجلالي ما فضل ما فضلت به فيما اعطيت به ارض كربلاء
الا بمنزلة الإبرة غمست في البحر فحملت من ماء البحر ولولا تربة كربلاء ما فضلتك،
ولولا ما تضمنته ارض كربلاء لما خلقتك ولا خلقت البيت الذي افتخرت به، فقري
واستقري..."^(١).

وقد أشار الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن مكانة كربلاء
وفضائلها: "كربلاء وهي اطيب بقاع الارض واعظمها حرمة"^(٢).

إن بركة زيارة الامام الحسين (عليه السلام) في الاربعين لها مقاصد حسنة وبركة في
نفوس الزائرين وهو اجس قلبية ومعاني رئيسية وثواب للقلوب واكد الامام الصادق
(عليه السلام) على اهمية الزيارة الاربعية انه قال: "من زار الحسين (عليه السلام) عارفاً
بحقه فكأنما زار الله في عرشه"، وفي حديث آخر "... كتبه الله في اعلى عليين"^(٣).

وقد وردت اقوال واحكام عن منافع الزيارة الاربعية التي تؤكد على ان زائر
الحسين (عليه السلام) من احباب الله ويدخله الجنة قبل الرعية، وعن عبد الله بن زرار
قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام)، يقول: "ان لزوار الحسين بن علي (عليه السلام)
يوم القيامة فضلاً على الناس، قلت وما فضلهم؟ قال: يدخلون الجنة قبل الناس
بأربعين عاماً وسائر الناس في الحساب والمواقف"^(٤).

ويعتقد الزوار بقدسية الزيارة الاربعية للحسين (عليه السلام) فإن الزائر يكتب في
اعلى عليين، وتزيد في العمر والرزق، وزكاة الابدان، والشفاء من الامراض، وتمسح
الذنوب، وتعادل عتق الرقاب، وتنفس للمكروب وتقضى بها الحوائج، وللزيارة معانٍ

(١) كامل الزيارات، الباب ٨٨، فضل كربلاء، ص ٤٥٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٤٧.

(٣) مستدرک الوسائل، ج ١٠، ص ١١٥؛ ثواب الاعمال، للصدوق، ص ١١٠.

(٤) بحار الانوار، ج ٢٦، ص ١٠١.

بلاغية ووظائف دينية ومقاصد كسب رضى الله ورسوله واهل بيته (عليهم السلام)، وللزيارة آداب وواجبات ومفاهيم اعتمد البحث على امهات المصادر وفرائدها عن زيارة الاربعين نذكر منها:

١ - نور العين في المشي الى زيارة قبر الحسين (عليه السلام). محمد حسن الاصطهباناتي، دار الميزان.

٢ - اسرار زيارة كربلاء، السيد صادق الحسيني الشيرازي.

٣ - جلاء القلب وقرّة العين في الاوقات المخصوصة بزيارة الحسين (عليهم السلام) السيد حسين البراقبي.

٤ - النور المبين في شرح زيارة الاربعين / مهدي تاج الدين، دار الانصار.

٥ - كامل الزيارات، الشيخ ابن قولويه القمي، (ت٣٦٨هـ)، دار السرور.

٦ - مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، مؤسسة الاعلمي، بيروت.

٧ - جبهة رسائل العرب، احمد زكي صفوت، مجلد ٢، العصر الاموي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨ - اسرار زيارة الاربعين، الشيخ محمد السند، بقلم: ابراهيم حسين البغدادي، دار الاميرة، بيروت.

٩ - مقاتل الطالبين، ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني، (ت٥٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م / ١٤٢٨هـ.

١٠ - اضافة الى المراجع والمقالات والاجاث والرسائل الجامعية.

البحث يحتوي على ثلاثة مباحث هي:

- ١- المسيرة الحسينية ومنابعها العطرة.
- ٢- المقاصد الروحانية للزيارة الاربعية.
- ٣- المفاهيم والمعاني الروحانية المقدسة للزيارة الاربعية.
- ٤- الخاتمة والاستنتاجات، وقائمة المصادر الفقهية والتاريخية والمراجع الثانوية.

المبحث الأول: المقاصد الروحانية في الزيارة الأربعينية.

نالت محبة الامام الحسين بن فاطمة الزهراء (عليهم السلام) مكنون قلوب المؤمنين من كافة الطوائف والجنسيات، لما جرى لأحفاد الرسول الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) من مصائب والآلام وجروح في العاشر من المحرم سنة (٦١هـ) في واقعة الطف، ولا تزال اصداء الثورة الحسينية وبصماتها وآثارها باقية على مدى العصور والأزمات التي شهدتها العالم الاسلامي من الاستعلاء والتسلط والقهر والظلم على المسلمين، مما اعطى لاستشهاد الامام الحسين (عليه السلام) من مكانة سماوية في سبيل نشر الاسلام وحماية الرعية من الحاكم الظالم واحياء القيم والمفاهيم الاسلامية في العدل والمساواة والحرية والسلامة من خلال المسيرة الحسينية التي كانت اهدافها ومقاصدها انسانية وحضارية عادلة، ان مقاصد الامام الحسين (عليه السلام) في الخروج من المدينة المنورة الى العراق بدعوة من اهل الكوفة الذين كانوا ينشدون حاكماً عادلاً والتزاماً بالشرعية الاسلامية، مثلما تعودوا عليه من حكم الخليفة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وما شاهدوه من أمن واستقرار ورخاء وقضاء عادل واقتصاد قويم وولاة عادلين وحرص على بيت مال المسلمين. وبذلك ان الثورة الحسينية استثنائية في كل جوانبها، وطعمها، وأهدافها، وظلت مراسيم عاشوراء منبراً لاستذكار القضية من شدة الحزن والبكاء عليه حزناً واقامة منابر العزاء على مصابه، وحماسة الرجال والنساء من مختلف الاجناس والطوائف من محبي الامام الحسين (عليه السلام) يشدون لزيارته في كل مناسبة اسلامية في الاحزان والافراح وطلب النذور والاحتكام للعدل، وقد تظافت الروايات والاحاديث والاقوال عن اهمية زيارة كربلاء لما تمثله من قاعدة ومركز ومقصد للنذور وتعظيم الشعائر في المشاركة في مواكب العزاء والخدمات للزوار لما له من اهمية بالأجر والثواب المعظمة عند اتباع اهل البيت والمحبين من اهل المذاهب والفرق الدينية وصارت

ارض كربلاء مقدسة، وما ورد عن المعصومين (عليهم السلام) هو: "لا ارض مثل كربلاء، ولا يوم كعاشوراء" (١).

بقيت مراسيم التعزية والمواكب والطبخ الحسيني بالعراق مع التاريخ حية مقدسة تحمل معاني التضحية والفداء واحترام ونيل الشرف والتسابق والمفاخرة بين طبقات المجتمع العراقي وقبائله وعشائره ذات طعم ديني رباني إيماني.

سادت الاعتقادات الايمانية الراسخة في عقول وقلوب وعيون اصحاب المواكب الحسينية ان المنبر الحسيني يمتاز بالإصلاح والعدالة وجمع الشمل وانتصار الحق على الباطل وترسيخ قيم البطولة والفداء في نفوس الرعية لمواجهة الظلم والطغيان والجبروت والفساد والغش والكذب وارتكاب الفواحش، وصار خادماً المنبر الحسيني وخادماً الحسين الشهيد (عليه السلام) اكثر قيمة من الاوسمة والكؤوس وكتب الشكر للمبدعين المميزين، واعتاد اتباع أهل البيت (عليهم السلام) أنه ينشدوا نبل وشرف الشهادة والتضحية وانفاق الاموال الطائلة على مواكب العزاء وموائد الطعام ومصاريف النقل والتطوع والتبرع من المحسنين بما لديهم وما يجودون للزوار ويقولون شعار: "خدمة زوار الحسين ابي عبد الله شرف لنا".

ونحث المؤمنين ان يضاعفوا جهودهم في نشر مقاصد ومعالم ملحمة عاشوراء والزيارة الاربعينية واقامة الشعائر الحسينية من التعزية والخطب الدينية والموائد ومساعدة الزوار والفقراء والمحتاجين من المهجرين والمرضى والبيوتات المتعففة فهم احوج من غيرهم بحب الحسين الشهيد.

لم يشهد التاريخ الانساني على مر العصور حادثة وفاجعة بقيت في قلوب وعقول وعيون البشرية تستذكرها بجرارة انفعال وحماسة مشاركة وبلاغة استحضر واناقة احترام

(١) الامالي، للصدوق، ج٢٤، ص١١٥.

وجدارة إعلام وبراعة ترتيبات في المواكب ومنابر العزاء وقدم الوفود من مختلف بقاع الارض من مختلف الاديان والطوائف والاجناس من محبي الثورة الحسينية وعشاق الخير من المؤمنين زحفاً على اقدامهم ينادون... لبيك يا حسين ابا عبد الله المظلوم... وكما تقول الحكمة... من شب على شيء شاب عليه.. والحياة مدرسة يتعلم الاجيال من العادات والتقاليد الراسخة القيم والاخلاق الحسنة والمفاهيم الانسانية تعاطفاً مع اعلام الاسلام وبيارق الحضارة ونجوم الشجاعة وكما خاطب الامام الحسين بن فاطمة (عليه السلام) جيش الاعداء بقوله: " ان كان دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يستقيم الا بقتلي !! فيا سيوف خذيني !.

التضحية والفداء في سبيل الاسلام اهداف الثورة الحسينية وانصارها ومحبيها استعطافاً للشهادة كما صرخ ابو الاحرار الشهيد الحسين (عليه السلام): " لم اخرج اشراً ولا بطراً ؟ وانما خرجت لإصلاح امة جدي الرسول الاعظم (صلى الله عليه واله وسلم) فالدروس والعبر والمعاني الانسانية تتجلى في المسيرة الحسينية للزيارة الاربعينية، عنوان التضحية بالجهد والوقت والعمل والمال والراحة وترك الشهوات والملذات والعوايل من اجل المشاركة ونيل الشرف وكسب ابواب الآخرة وارضاء النفوس المفعمة بحب اهل البيت النبوي الذين اكدوا على اهمية الزيارة الاربعينية فضائلها الايمانية وآمالها الدنيوية والروحية. ينظر النصارى الى قدسية الثورة الحسينية باحترام وحسرة دموع وقد وردت اقوال حضارية من رجال الكنيسة المسيحية تعاطفاً مع شهادة الامام الحسين واهل بيته في واقعة الطف في ١٠ من المحرم الحرام عام ٦١هـ. نذكر نموذجاً فريداً للقس قنسرين النصراني: " تبا لكم !! والله لو كان لعيسى ابن مريم (عليه السلام) ابن لحملناه على احدافنا، وانتم قتلتم ابن بنت نبيكم !! " حقاً مأساة ان يقتل حفيد الرسول الاكرم من ابنته فاطمة الزهراء (عليهما السلام) بالسيوف والنبال من حاكم الدولة العربية في دمشق الطاغية يزيد بن معاوية وابن مرجانة في ابشع جريمة افرزت الحقد والبغضاء تبا للحكام الطغاة الفاسدين والسارقين في ادارة الرعية المسلمين. ولقد تلقى الامام الحسين (عليه

السلام) يوم العاشر من عاشوراء عام ٦١هـ، ١٧٠٠ ضربة من النبال بجسده الطاهر من جند بني امية حقداً وانتقاماً لكرسي السلطة.

التاريخ دروس وعبر الماضي للحاضر والمستقبل لبناء الدولة الاسلامية الرصينة، وعلى الحكام الطغاة ان يتخذوا من الامام الحسين (عليه السلام) ومسيرته الجهادية والتضحيات والاهداف لإصلاح أمة محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في المعاملة الحسنة للرعية وسوف يمجدهم التاريخ والحضارة بالرايات والنصب التذكارية والصدقة الجارية ويسطر اسماءهم مجروف من الذهب ويدخلون المناهج الدراسية بشرف نقول للزوار الاربعينية نيل بركة الامام الحسين (عليه السلام) وهو الرحمة الإلهية الواسعة ان يكتب الأجر والثواب لكل الذين يساهمون ويتحملون العناء المادي والنفسي في سبيل احياء شعائر ابي الاحرار سيد الشهداء وتعظيمها، وان يديمها تبارك وتعالى فينا وفي ذريتنا، اسرار زيارة كربلاء^(١).

الحقيقة من اسرار زيارة الاربعين للمؤمنين عنوان مدرسة وجامعة وكتاب جامع في صفحات الشباب، وصفحات الاولياء والمريدين والتابعين، يعني صفحات خالدة كتبت بماء الذهب فيها دروس وعبر لشريحة المجتمع الانساني من كافة طوائف الملل والنحل تجذب لحب سيد الشهداء ابن فاطمة بنت الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) شاء أم أبي!^(٢).

يوجد تناسب في عالم الخلق والتكوين، فالحور العين مما تزين بالجمال، وان رشحة من رشحات جمال نور الحسين(عليه السلام) خلقت منه الحور العين، بل كل جمال عالم خلقه الآخرة، وهذا الجمال خزنه الله في الحسين (عليه السلام)، ورواية تقول: ان الحسن

(١) السيد صادق الحسيني، ص ٩.

(٢) اسرار زيارة الاربعين، اية الله الشيخ محمد السند، بقلم: ابراهيم حسين البغدادي، دار الاميرة، بيروت،

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، ص ٧٢-٧٣.

والحسين قرطاً العرش. وان الحسن والحسين (عليهما السلام) اكرم الناس نسباً حيث روى الاعمش ان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) اتى باب المسجد فقال: يا بلال هلم عليّ بالناس، فنادى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في المدينة فاجتمع الناس عند رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في المسجد فقام على قدميه فقال: يا معشر الناس الا ادلكم على خير الناس جداً وجدة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فان جدّهما محمد وجدّهما خديجة بنت خويلد، يا معشر الناس الا ادلكم على خير الناس أباً وأماً؟ فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فان اباهما علي يجب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله وأمهما فاطمة بنت رسول الله، يا معشر الناس الا ادلكم على خير الناس عمّاً وعمّة؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال الحسن والحسين فان عمهما جعفر بن ابي طالب الطيار في الجنة مع الملائكة، وعمتهما ام هاني بنت ابي طالب، يا معشر الناس الا ادلكم على خير الناس خالاً وخالة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، فان خالهما القاسم؟ بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ثم اشار بيده هكذا يحشرنا الله، ثم قال: اللهم انك تعلم ان الحسن في الجنة والحسين في الجنة وجدّهما في الجنة وخالتهما في الجنة وامهما في الجنة وعمهما في الجنة وعمتهما في الجنة وخالهما في الجنة وخالتهما في الجنة، اللهم انك تعلم ان من يجبهما في الجنة ومن يبغضهما في النار"^(١).

الحقيقة التاريخية ان محنة الاستضعاف في ملحمة الطف كانت محنة شديدة، لأن احتمال الظفر والنصر كان ضئيلاً جداً، ولم تكن المحنة في انفسهم فقط بل المحنة في اولادهم ونسائهم وممتلكاتهم، فكان الجميع يعلم ان نساءهم سوف تسبى وتسجن كبقية حريم الحسين (عليهم السلام)، وكذلك اولادهم وشملهم سوف يشنت، ودورهم سوف تصادر وتحرق وهذا كل ما يملكونه سوف ينسف تماماً، فهم عاشوا اياماً عديدة لهذا

(١) امالي الصدوق، ص ٣٥٦، المجلس ٢٧ نقلاً عن: اسرار زيارة الاربعين / الشيخ محمد السّند، ص ٧٤-٧٥.

الامتحان، وأما الباقون فهم في حيرة من امرهم. وما كان يجري عليهم وعلى عيالهم وتراهم صامدون يجيئون امامهم بقولهم: "والله لا نخليك، حتى يعلم الله انا قد حفظنا غيبة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فيك، والله لو علمت اني أقتل، ثم احىي، ثم احرق حياً ثم اذر ويفعل ذلك بي سبعين مرة مفارقتك"^(١).

الحب عند زوار الحسين الشهيد (عليه السلام) في الأربعينية ينشغلون بجماله عن الحور العين، وتصور الروايات الروحانية ان اتباع الامام الحسين (عليه السلام) يوم القيامة ينشغلون بالنظر الى جمال وجه ابي الاحرار سيد الشهداء ويتركون ازواجهم من الحور العين حتى تجزع تلك الحور من الانتظار، وعن زرارة، عن احدهما (عليهما السلام) انه قال: يا زرارة ما في الارض مؤمنة الا وجب عليها ان تسعد فاطمة (عليها السلام) في زيارة الحسين (عليه السلام)، ثم قال: يا زرارة انه اذا كان يوم القيامة جلس الحسين (عليه السلام) في ظل العرش، وجمع الله زواره وشيعته ليصروا من الكرامة والنضرة والبهجة والسرور الى امر لا يعلم صفته الا الله، فيأتيهم رسل ازواجهم من الحور العين من الجنة فيقولون: إنا رسل ازواجكم اليكم، يقلن: إنا قد اشتقناكم وأبطأتم عنا، فيحملهم ما هم فيه من السرور والكرامة على ان يقولوا لرسولهم: سوف نجئكم ان شاء الله^(٢).

لنور الثورة الحسينية وبريقها اللمع في قلوب عشاق الحسين (عليه السلام) ومحبيه بصمات ذهبية وقوة حركة في مناصرة المواكب والزيارة والموائد للفقراء استذكراً وتعاطفاً من باب البر والتقوى، وما الزيارة الاربعينية مشياً على الاقدام الا دليل قاطع

(١) ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٧٧؛ ابن طائوس في اللهوف، ص ٣٦.

(٢) نوادر علي بن اسباط، ص ١٢٣؛ وفي بحار الانوار، ١٠١، ص ٧٥؛ مستدرک الوسائل، ج ١٠، ص ٢٢٨.

٢٢٩ نقلاً عن اسرار زيارة الاربعين، الشيخ محمد السند، ص ٨٠-٨١.

على التضحية والجهاد مع الحق واهله والشهادة عنواناً مشهوداً. حقاً ما جاء في الحديث الشريف: "ان لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد ابداً"^(١).

يمكن القول ان حادثة الطف في ١٠ محرم عام ٦١هـ، مدرسة للعظماء ومركز تربوي وإيمان تتجلى بالمعركة من انتصار الدم على الباطل واعلاء كلمة الشهادة في سبيل نصره المظلوم على الظالم، وطريق للمناضلين ضد الكفر والضلالة، وعنوان للأبطال، كما قال المفكر السياسي غاندي حكيمته: "تعلمت من الحسين ان اكون مظلوماً فانتصر" والحق يعلو ولا يعلى عليه، والامام كان مع انصاره لاعلاء كلمة الله اكبر ومحمد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وعلي وابنائهم اولياء الله.

ان العطش الروحي والايماي عند انصار الحسين (عليه السلام) معجزة ربانية وحكمة إلهية ومقدرة قلبية وعبرة للمسيرة لطريق الحق، وبيرق في عيون الزوار يرفرف باللون الاسود حزناً والراية الحمراء للدماء في واقعة الطف في ١٠ محرم ٦١هـ، باقية خالدة تجدد مع كل عاشوراء "لايوم كيومك يا ابا عبد الله"، كما قال الامام الحسن بن فاطمة (عليهما السلام).

تنوعت الفتاوى الشرعية في وجوب واستحباب زيارة الاربعين لقبر سيد الشهداء (عليه السلام) وما لها من منافع ومقاصد طاهرة، وهي تجمع عالمي وحضاري ونضامني مع ثورة الحق على الباطل، يرى العلامة المجلسي إن علي بن الحسين (عليه السلام) عند رجوعهم من الشام الحاق الرؤوس بالأجساد، وقيل في مثل ذلك اليوم رجعوا الى المدينة، وان جابر بن عبد الله الانصاري في يوم الاربعينية وصل من المدينة المنورة الى كربلاء لزيارة قبر الحسين (عليه السلام) وهو اول فقيه تابعي زاره ظاهراً واصبحت سنة متبعة عند انصار ومحبي الامام الشهيد لتجديد البيعة والتأسي لمقتله المؤلم.

(١) مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ٣١٨.

الحادثة المؤلمة لقطع رأس الحسين الشريف (عليه السلام) بطلب من الطاغية يزيد بن معاوية من ابن مرجانه شارب الخمر وردت فيه فتاوي واخبار عند اهل كتب ائمة الجماعة فهم المؤرخ البغدادي ابن الجوزي فانه ذكر في تذكرة الخواص ما هذا لفظه: "واختلفوا في الرأس على اقوال: الاول: اشهرها انه رد الى المدينة مع السبايا، ثم رد الى الجسد بكربلاد فدفن معه، قاله هشام وغيره. والثاني: انه دفن بالمدينة عند قبر امه فاطمة بنت الرسول (عليهما السلام)، قاله ابن سعد. قال: لما وصل الى المدينة كان عمرو بن سعيد بن العاص والياً عليها، فوضعه بين يديه، وأخذ بأرنبه أنفه، ثم امر به فكفن ودفن عند أمه فاطمة (عليها السلام)^(١).

ويذكر الشعبي: أن مروان بن الحكم كان بالمدينة فأخذه وتركه بين يديه وتناول ارنبة أنفه وقال:

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين

يقال ان رأس الحسين الطاهر بدمشق، فحكى ابن ابي الدنيا قال: وجد رأس الحسين في خزانة يزيد بدمشق فكفونه ودفنوه بباب الفراديس^(٢).

(١) ينظر: مقتل الحسين لابي مخنف، ص ٢٢٠-٢٢١؛ طبقات ابن سعد، ج ٥، ص ٢٣٨؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٥٤-٣٥٦؛ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، ج ٤، ص ٧٢؛ اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٩٩؛ بحار الانوار، ج ٤٥، ص ١٢١؛ لواعج الاشجان، ٢٥٦ نقلاً عن كتاب جلاء القلب وقرّة العين في الاوقات المخصوصة بزيارة الحسين (عليه السلام) السيد حسون البراقي النجفي، ص ٩٨-٩٩. (الامانة العلمية ومنهجية التاريخ).

(٢) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٤٠٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٤٢، باب من ابواب دمشق واهل الشام يسمون الكروم والبساتين الفراديس؛ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٢٢؛ البلاذري، انساب الاشراف، دار الیقظة العربية، ج ٢، ص ٥٠٩.

يؤكد الامام جعفر بن محمد الصادق (عليهم السلام) على اهمية مواصلة زيارة الامام الحسين وانصاره وهذه الكثرة والسعة من الأجر والثواب للزائر، "من زار قبر الحسين (عليه السلام) وهو يعلم انه امام من قبل الله، مفترض الطاعة على العباد، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وقيل شفاعته في خمسين مذنباً، ولم يسأل الله عز وجل حاجة عند قبره الا قضاها له"^(١).

عن اهمية زيارة الحسين (عليه السلام) ما ورد عن ابي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) انه قال: "علامات المؤمن خمس، صلاة الخمسين وزيارة الاربعين والتختم في اليمين وتعفير الجبين والجهر بسم الله الرحمن الرحيم.

السلام على ولي الله وحببيه، السلام على خليل الله ونجييه، السلام على صفي الله وابن صفيه، السلام على الحسين المظلوم الشهيد، السلام على اسير الكربات، وقتيل العبرات، اللهم اني اشهد انه وليك وابن وليك ووصفيك وابن صفيك، الفائز بكرامتك، اكرمه بالشهادة، وحبوته بالسعادة، واجتبيته بطيب الولادة، وجعلته سيداً من السادة وقائداً من القادة، وذائداً من الذادة واعطيته موارث الانبياء، وجعلته حجة على خلقك من الاوصياء، فاعذر في الدعاء، ومنح النصح، وبذل مهجته فيك، ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة، وقد توازر عليه من غرته الدنيا، وباع حظه بالأرذل الادنى وشرى اخرته بالثمن الاوكس، وتغطرس وتردى في هواه، واسخطك واسخط نبيك، وأطاع من عبادك اهل الشقاق والنفاق، وحمله الاوزار المستوجين النار، فجاهدهم فيك صابراً محتسباً، حتى سفك في طاعتك دمه، واستبيح حريمه، اللهم فالعنهم لعناً وبيلاً، وعذبهم عذاباً أليماً، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا ابن سيد الاوصياء اشهد انك امين الله وابن امينه، عشت سعيداً ومضيت حميداً ومت فقيداً مظلوماً شهيداً، وأشهد ان الله منجز ما وعدك، ومهلك من خذلك ومعذب من قتلك، واشهد انك

(١) وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٣٧، تأكيد استحباب زيارة الحسين (عليه السلام).

وفيت بعهد الله، وجاهدت في سبيله حتى اتيك اليقين، فلعن الله من قتلك ولعن الله من ظلمك، ولعن الله امة سمعت بذلك فرضيت به، اللهم اني اشهدك اني ولي لمن والاه، وعدو لمن عاداه باي انت وامي يابن رسول الله، اشهد انك كنت نوراً في الاصلاب الشاخنة والارحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك المدهمات من ثيابها، واشهد انك من دعائم الدين واركان المسلمين، ومعقل المؤمنين، واشهد انك الامام البر التقي، الرضي الزكي الهادي المهدي، واشهد ان الائمة من ولدك كلمة التقوى، واعلام الهدى، والعروة الوثقى، والحجة على اهل الدنيا، واشهد اني بكم مؤمن، وبإيابكم موقن، وشرايع ديني وخواتيم عملي، وقلبي لقلبيكم سلم، وامري لأمركم متبع، ونصرتي لكم معدة، حتى يأذن الله لكم، فمعكم معكم لا مع عدوكم، صلوات الله عليكم، وعلى ارواحكم واجسادكم، وشاهدكم وغائبكم، وظاهركم وباطنكم، آمين يارب العلمين.

تضمن الزيارة لمقام سيد الشهداء المعاني الفريدة والالفاظ الروحانية والاماني القلبية ان يحشرنا مع اهل الحق وان يلهمنا محبة الائمة الاطهار، والنصرة للحق.

الزيارة الاربعينية سكة المناضلين على الظلم والجور والقهر والفساد، مسيرة نحو المستقبل الاسلامي، وان الامام الحسين (عليه السلام) ثورة اصلاحية كبرى تستهدف اصلاح الفكر والوعي الاجتماعي والسلوك الوجداني والمواقف الاخلاقية، وهي معركة على الظالم المتهور الفاسد الطاغوي.

يقف الزائر امام ضريح الامام الحسين (عليه السلام) مندهشاً محتاراً للجموع المليونية التي تنشد ان تمسك بشباك الضريح لنيل شرف الزيارة الروحانية مبتهجاً عند تقبيل الضريح المقدس تعبيراً عن ايصال رسالة محبة الامام الشهيد (عليه السلام).

وقف الزمان على ضريحك سائلاً ما السر فيك كل يوم يحظر

والناس تبكي بحرقة القلب والدموع تذرف والجروح بقلب تنزف شوقاً، وتبكي الزوار بالمجالس كلما ورد ذكر الامام الحسين (عليه السلام) على الشفاه، والمجد لا يهوى البقاء بمعزل، هل كان فيك المجد دوماً يفخر، انت الذي ابقيت دين محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في قلوب المؤمنين، ووهبت رب العرش راساً يسخر، قف يازمان الآن فخرأ وانحنى، باق ذكر الحسين الشهيد (عليه السلام) على مر السنين، وكلما ينهار جيل يظهر الف جيل، وهذا الحسين ابو الاحرار يكبر في قلوبنا ويوحدنا بالعهيدة والولاء للاسلام وارساء العدل والمحبة والتسامح والتلاحق وحماية الضعيف والعطف على الفقراء والمساكين والمهجرين المظلومين فرقتهم عصابات الغدر والخيانة، والزيارة مقصد اللاجئين والمشردين في المخيمات والعشوائيات والعراء من المظلومين من ابناء السنة والشيعية وهم ضحية فشل الساسة والمتكبرين واللصوص الذين سرقوا الاصوات غدرأ وغشا ليعتلوا المناصب ويصعدوا السيارات الفاخرة والحمايات المدججة بالسلاح والقصور الرئاسية ملك الشعب العراقي، واستبعدوا الناس باقوالهم وافعالهم المزيفة وتصرفاتهم العدوانية تجاه طوائف المجتمع ومكوناته، سلبوا الاموال وافقرروا العباد وزرعوا الفتنة الطائفية العمياء والتي احرقت الاخضر واليابس بعد سقوط النظام الصدامي.

الزيارة الاربعينية تجدد البيعة للامام الحسين واهل بيته في كربلاء المقدسة خطابات الامام الحسين (عليه السلام) قبل استشهاده تحمل معالي البلاغة ومفاهيم اخلاقية، وروائع وجدانية نذكر منها: "اني قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن الا استعبر" (١).

مهما شيعتي شربتم عذب ماء فاذكروني، فأنا السبط الشهيد من دون ذنب قتلوني" صرخات تدعو البشرية للتضامن مع المسيرة الحسينية والزيارة الاربعينية المليونية على المسالك والممالك الروحانية لتجديد العهد والولاية.

(١) كامل الزيارات، ٢١٥.

شارك الامام الحسين واحفاده عليهم السلام بتقديم التوجيهات والنصائح الشرعية، وبت القيم والاخلاق السامية في المجتمع الاسلامي، ومن اقواله الماثورة: " اذا مات المؤمن فحضر جنازته اربعون رجلاً من المؤمنين فقالوا اللهم انا لا نعلم منه الا خيراً وانت اعلم به منا، قال تبارك وتعالى: " قد أجزت شهادتكم وغفرت لكم ما علمت مما لاتعلمون"^(١).

ورواية اخرى يقول الامام السبط الشهيد (عليه السلام): " ما من رهط اربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله عز وجل في أمر الا استجاب لهم "^(٢).

واستحباب اسقاء الماء للعطاشى ورش القبور بالماء بعد الدفن اربعين شهراً أو اربعين يوماً، وفي كل يوم مرة واحدة، عن محمد بن الوليد ان صاحب المقبرة سأله عن قبر يونس بن يعقوب وقال: " من صاحب هذا القبر فان ابا الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) امرني ان ارش قبره اربعين شهراً او اربعين يوماً في كل يوم مرة "^(٣).

وعن ابي جعفر (عليه السلام) قال: " ما أخلص عبد الايمان بالله اربعين يوماً او قال ما أجمل عبد ذكر الله اربعين يوماً الا زهده الله في الدنيا، وبصره داءها ودواءها، واثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه "^(٤).

اختلفت مقاصد الاربعينية عند الفقهاء والاتباع الشيعة، فمنهم فريق يعزو الاربعين الى ما ورد في القرآن الكريم: " واذا واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون "^(٥). عندما تحدث القرآن الكريم عن قوم موسى (عليه السلام)

(١) وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٩٢٥، الباب ٩٠ من ابواب الدفن.

(٢) وسائل الشيعة، ج ٤، ص ١١٤٣، باب ٣٨ ابواب الدعاء.

(٣) وسائل الشيعة، ج ١٠، باب ٥٦.

(٤) بحار الانوار، ج ٧، ص ٣٤، الحديث ٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٥١.

وتقهقرهم على ما ظنوا عليه من الكفر والضلال عندما تأخر عنهم موسى (عليه السلام) اربعين ليلة.

ثم جاء بالقرآن الكريم على ذكر قوم موسى (عليه السلام) وما تلقوا من العذاب في الدنيا بعد أن رفضوا الانصياع له (عليه الصلاة والسلام) / تحدثاً: "قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين" (١).

تنوعت الفاظ الزيارة الاربعينية واجتمعت البلاغة واناقة الكلام في السجع تخشع القلوب وتهذب النفوس وتدمع العيون وتزرف الروح حشرات على استشهاد الحسين (عليه السلام)، وقد رواها الشيخ في التهذيب والمصباح عن صفوان الجمال قال، قال لي مولاي الصادق (عليه السلام) في زيارة الاربعين، وتزول عند ارتفاع النهار وتقول: السلام على ولي الله وحببيه، السلام على خليل الله ونجيبه، السلام على صفي الله وابن صفيه، السلام على الحسين المظلوم الشهيد، السلام على اسير الكربات، وقتيل العبرات اللهم اني اشهد انه وليك وابن وليك، وصفيك وابن صفيك، الفائز بكرامتك. اكرمه الشهادة، وحبوته بالسعادة، واجتبيته بطيب الولادة، وجعلته سيداً من السادة وقائداً من القادة، وذائداً من الذادة، واعطيته موارث الانبياء وجعلته حجة على خلقك من الاوصياء، فاعذر في الدعاء، ومنح النصح..

ومن دعاء عرفة عن الامام الحسين (عليه السلام): "انت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا الى غيرك. وقال يا من اذاق احبائه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين".

وفي المناجاة الانجيلية المنسوبة الى السجاد (عليه السلام) زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: "وعزت لك لقد احببتك محبة استقرت في قلبي حلاوتها

١ سورة المائدة، الآية: ٢٦.

وانست بشارتها، ومحال في عدل اقصيتك ان يسد اسباب رحمتك عن معتقدي محبتك"
وفي المناجاة الثانية عشر للسجاد (عليه السلام): "الهي فاجعيني من الذين ترسخت
اشجار الشوق اليك في حدائق صدورهم، واخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم"^(١).

وعن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: من نادى يا حسين في الدنيا، نادى
في الآخرة يا حسين، فيأتي النداء: عبدي يا حسين هل تعرف صاحب هذا النداء؟
فيقول الامام الحسين (عليه السلام): نعم يا ربي انه من البكائيين علي، فيأتي النداء:
حبيبي يا حسين؟

وقال الصادق (عليه السلام) ان المصلي على محمد وآله ليلة الجمعة يتلأأ نوره في
السموات الى ان تقوم الساعة.

(١) النور المبين في شرح زيارة الاربعين، مهدي تاج الدين، ص ٦٤.

المبحث الثالث: المفاهيم والمعاني الروحانية للزيارة.

الزيارة الاربعينية الى كربلاء زحفا على الاقدام لكافة الطوائف والاجناس والاعمار لا بد ان تكون لها مفاهيم ونوايا ومنافع دينية ودينية، والزائر يحمل المعاني والاهداف والمعتقد في التوجه لزيارة الامام الحسين (عليه السلام) لما لهذه الرحلة الروحانية من عناوين ومعتقدات ويمكن ايجاز ملامح الزيارة الاربعينية من الاصطفاء الالهي على اربعة مراحل هي:

- ١ - اصطفاء في مرحلة الروح، فارواحهم عليهم السلام نورانية" واجتباكم بنوره".
- ٢ - اصطفاء في مرحلة الابدان، فمثلا لا يغسل المعصوم الا معصوم وفي الزيارة: "اشهد انك طهر طاهر، من طهر طاهر، وطهرت بك البلاد".
- ٣ - اصطفاء في مرحلة الافعال فأفعالهم وسلوكهم عبارة عن تحرك الصفات الحسنة فان اعمالهم وافعالهم على وفق ارادته تعالى لا ارادتهم، بل ليس لهم ارادة الا ارادته تعالى وارادتم ارادته تعالى، كما ورد في زيارة الجامعة" العاملون بارادته" (١).

الزوار للاربعينية على اليقين والثقة التامة من المشي الى كربلاء علاج للنفوس والاجساد وزكاة الابدان، " وعلى النيات ترزقون" والرحلة الايمانية لزيارة قبر الحسين سيد الشهداء (عليه السلام) هي بمثابة وصفة طبية لمعالجة امراض الحياة والشفاء للامراض في اعتقاد مجيء الامام الحسين (عليه السلام) مهما كلفت المتاعب والمخاطر، لانهم عزموا العهد والايمان في تجهيز حالهم، وما سمعوه من المنابر الحسينية يشجعهم ويدفعهم بالقوة والاصرار والثبات وما ورد من احاديث واقوال وحكم عن مفاهيم الزيارة والمنافع والثواب يساعد على النجاح في الخيرة بالسفر، وقد اشار الامام جعفر الصادق (عليه

(١) الانوار اللامعة في شرح الجامعة للعلامة سيد عبد الله شبر عن النور المبين في شرح زيارة الاربعين، مهدي تاج الدين، ص ٦٨-٦٩.

السلام) في هذه الزيارة "السلام على صفيّ الله وابن صفيه" وكثير من زوار قبر الامام الحسين (عليه السلام) هم من اهل الحاجات وقد اصابتهم الويلات والحن والموت وطالبي الرزق والنجاح والعاطلين عن العمل وطالبي الزواج والمرضى والاحتاجين من ذوي الاحتياجات والفقراء فضلا عن الميسورين للتبرك وانفاق الاموال للتصدق في خدمة الزوار وتقديم الطعام او توصيل الزوار وعودتهم والحقيقة ان الزيارة الاربعينية ثورة ايمانية اجتماعية متمثلة المعاني والقيم الاخلاقية وتهذيب النفوس والتوحد والتسامح ومحاربة الارهاب.

الامام الحسين الشهيد المظلوم انموذج للبشرية، وهو اشرف انسان في الدنيا من حيث النسب والانتماء الى جده الرسول الاعظم (صلى الله عليه واله وسلم) وامه فاطمة الزهراء ووالده امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) واخيه الحسن وهو ثالث ائمة اهل البيت الاثني عشري الذين عناهم الله تعالى بقوله: " وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقامه الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين" (١).

وهو احد العترة الذين قرئهم رسول الله بكتاب الله العزيز واحد الثقلين حيث بالحديث الشريف: اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي. كما ان الامام الحسين (عليه السلام) هو احد الاربعة الذين باهل بهم النبي الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) نصارى نجران وهو احد المعنيين (٢).

أفرد الأديب عباس العقاد في كتابه " ابو الشهداء" فقرات مفيدة ومهمة عن فضائل الامام الحسين (عليه السلام) ومناقبه منها:

(١) سورة الانبياء: ٧٣.

(٢) النور المبين في شرح زيارة الاربعة، مهدي تاج الدين، ص ٧٠-٧١.

وقد عاش الحسين (عليه السلام) سبعا وخمسين سنة وله من الاعداء من يصدقون ويكذبون فلم يعبه احد منهم بمعباة ولم يملك احد منهم ان ينكر ما ذاع من فضله.

وكان الامام الحسين (عليه السلام) ملء العين والقلب في خَلْق و خُلُق وفي ادب وسيرة، وكانت فيه مشاهمة من جده وابيه.

إن اخوة الامام الحسين (عليه السلام) كثيرون غير ان الذين كانوا معه في كربلاء هم ستة فقط وهم العباس بن علي (عليه السلام) واشقاؤه الثلاثة: جعفر وعبد الله وعثمان وامهم فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية المكناة بأُم البنين (عليها السلام)، واما الاناث فهن اربعة ايضا وهن: سكينه وفاطمة الكبرى وفاطمة الصغرى ورقية، وكلهن كن مع الحسين (عليه السلام) في كربلاء، ماعدا فاطمة الكبرى فان الامام الحسين (عليه السلام) تركها في المدينة المنورة لمرضها. فهؤلاء ستة او سبعة من اخوة الامام الحسين (عليه السلام) استشهدوا بين يديه يوم الطف في ١٠ محرم، وكان افضلهم واجلهم ابا الفضل العباس (عليه السلام) وهو اكبر الهاشميين سنًا يوم كربلاء ما عدا الامام الحسين (عليه السلام) حيث كان عمره ٣٤ سنة، لذا اختاره الامام الحسين (عليه السلام) حاملا لرايته العظمى و عبر عنه بكبش الكتبية، وكان وسيما جسيما طويل القامة، وجهه كفلعة قمر، ومن هنا كان يلقب بقمر الهاشميين، وهو اخر من قتل قبل الامام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء في العاشر من المحرم عام ٦١ هـ، وكان لقتله صدمة عنيفة في نفس وقلب الامام الحسين (عليه السلام) وعبر عنها بقوله حين وقف على مصرعه: " الان انكسر ظهري وقلت حيلتي وشميت بي عدوي " وبان الانكسار على وجهه الامام وبكى عليه (عليهما السلام)^(١).

(١) النور المبين في شرح زيارة الاربعين، مهدي تاج الدين، ص ٧٢.

نستذكر من القيم الروحانية للزيارة الاربعية المعاني الحضارية في محاربة الظلم
بانواعه:

١ - ظلم الانسان لنفسه والاعتداء على الغير قولاً وفعلاً وعملاً كالشتم والسباب
واللعن والقذف بالمحارم، ومصادرة المال للغير، والتهور في الاعتداء والضرب في
حالات الغضب، وترك طاعة واجبات الله، والانحراف نحو السلوك المنبوذ
اجتماعياً، فالزائر المتوجه الى كربلاء لزيارة قبر الحسين (عليه السلام) لا بد منه
للتوبة والاعتذار لله سبحانه وتعالى ولرسوله وأهل بيته (صلى الله عليه واله وسلم)
والمغفرة ودفع الكفارة.

٢ - ظلم رب الاسرة لعائلته وذوي القربى بكل اشكاله وانواعه ودوافعه وآثاره عليه
كذلك الاستغفار والتوبة والاعتذار والاصلاح والترضية للزوجة والابناء والوالدين
وارضائهم بالمعروف كي تقبل منه الزيارة الاربعية بروح إيمانية.

٣ - ظلم الحكام المتسلطين على الرعية، لا بد من القيم بالثورة الاصلاحية، لأن ثورة
الامام الحسين (عليه السلام) جاءت للاصلاح ".... لم اخرج اشراً ولا بطراً وانما
خرجت لاصلاح امتي جدي رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فالزائر قصد
الامام الحسين (عليه السلام) لتقديم البيعة والولاء والانضمام الى معسكر الحق
والعدل والانصاف الانساني وفي هذا الخصوص قال الامام الصادق (عليه
السلام): "ان الله تعالى أوحى الى نبي من الانبياء، في مملكة جبار من الجبابرة، أن
جئت هذا الجبار فقل له: اني لم استعملك على سفك الدماء، واتخاذ الاموال، وانما
استعملتك لتكف عني اصوات المظلومين، فاني لن ادع ظلامتهم وان كانوا
كفاراً"^(١).

١ الوافي عن الكافي، ج٣، ص١٦٢.

من اهم اهداف شعارات الثورة الحسينية رفع الظلم عن المظلومين ونصرتهم، وحمائتهم من جبروت الجائرين، ونحن نسعى الى حماية المهجرين من ديارهم ظلماً وعدواناً وسلب ممتلكاتهم من الدور والاراضي التي اصبحت تحت سيطرة دواعش الذي خرب البلاد والعباد وقتل الابرياء واعتدى على الشرف والمال والحضارة مثلما حدث لأتباع الحسين (عليه السلام) في واقعة الطف في ١٠ محرم عام ٦١هـ.

الشهادة عنوان الزيارة الاربعينية واحياء شعائر حادثة كربلاء كما جاء في الحديث الشريف " لا يوم كيومك يا ابا عبد الله " تعظيماً للبطولة والفداء في سبيل الله " ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله امواتاً بل احياء ولكن لا تشعرون" ^(١).

والحديث الشريف: " اشرف الموت قتل الشهادة " و " الذي نفسي بيده لو ددت ابي اقتل في سبيل الله ثم احيا، ثم اقتل، ثم احيا، ثم اقتل " و " الشهادة تكفر كل شيء الا الدين ".

قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): " ما من احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا وان له ما على الارض من شي غير الشهيد، فانه يتمنى ان يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفضل الشهادة ".

وقال امير المؤمنين (عليه السلام): " انكم ان لا تقتلوا تموتوا، والذي نفس علي بيده لألف ضربة بالسيف على الرأس في سبيل الله أيسر من موت على فراش "، وعن الامام علي بن الحسين بن زين العابدين السجاد (عليه السلام): " مامن قطرة احب الى الله عز وجل من قطرتين، قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمعة في سواد الليل، الله لا يريد العبد الا الله عز وجل ".

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٤.

وقال الامام الحسين الشهيد (عليه السلام): "اني لا أرى الموت الا سعادة ولا الحياة مع الظالمين الا برما".

وأورد الحديث الشريف: "كم ممن اصابه السلاح ليس بشهيد ولا حميد، وكم ممن مات على فراشه حتف انفه عند الله صديق شهيد" (١).

الروايات عند الامام الحسين (عليه السلام) سيد الشهداء المظلوم، منها رواية ان الرسول الكريم توقع استشهاده وبكى عليه في يوم ولادة الامام الحسين (عليه السلام)، وعن ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: كان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في بيت ام سلمة، فقال لها: لا يدخل عليّ احد، فجاء الحسين (عليه السلام) وهو طفل فمنعته فوثب حتى دخل الدار على النبي (صلى الله عليه واله وسلم) فدخلت ام سلمة على اثره، فاذا الحسين (عليه السلام) على صدره، وإذا النبي (صلى الله عليه واله وسلم) يبكي ويديه شيء يقبله، فقال النبي (صلى الله عليه واله وسلم): يا ام سلمة ان جبرائيل يخبرني ان هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها، فضعيه عندك فاذا صارت دماً فقد قتل حبيبي، فقالت ام سلمة: يا رسول الله لن يدفع ذلك عنه، قال: قد فعلت فأوحى الله تعالى اليّ ان له درجة لا يناها احد من المخلوقين وان له شيعة يشفعون فيشفعون، وأن المهدي (عج) من ولده فطوبى لمن كان من الحسين (عليه السلام) وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة" (٢).

وفي رواية عن ابي جعفر الصادق (عليه السلام) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) اذا دخل الحسين (عليه السلام) اجتذبه اليه ثم يقول لأمر المؤمنين (عليه السلام) امسكه فيمسكه فيقبله ويبكي فيقول: يا ابة لم تبكي؟ فقال: يا بني اقبل مواضع السيوف منك وابكي. قال: يا ابة وانا قتيل؟ قال: اي والله وأبوك وأخوك، قال يا ابة؟

(١) ميزان الحكمة، باب الشهادة، ج ٥.

(٢) معالي السبطين، ص ١٧٤. نقلاً عن النور المبين في شرح زيارة الاربعين؛ مهدي تاج الدين، ص ٧٦-٧٧.

فمصارعنا شتى ؟ قال نعم يابني ، قال: فمن يزورنا من أمتك ؟ قال: لا يزورني ولا يزور
أباك وأخاك وانت الا الصديقون من امتي^(١).

والمعاني الروحانية من البكاء وذرف الدموع في المواكب والمنبر الحسينية حيث
الخطابات التي توجع المشاعر فهي دليل الحنان والولاء والحسرة والالم على شهادة
الحسين (عليه السلام):

وعن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: كل الجزع والبكاء مكروه سوى
الجزع والبكاء على الحسين (عليه السلام)^(٢).

الامام جعفر الصادق (عليه السلام): اقام مجلس عزاء للحسين (عليه السلام)
والبكاء عليه وذلك كلما دخل عليه احد من الرائيين على الحسين (عليه السلام) فيأمره
بالرثاء فيرثي، قال: ابو هارون المكفوف: دخلت على ابي عبد الله الصادق (عليه السلام)
فقال لي انشدني في الحسين (عليه السلام) فانشدته:

امرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية

قال فلما بكى امسكت انا قال: مر فمررت:

يا أعظماً لازلت من وطفاء ساكبة روية
واذا مررت بقبره فاطل به وقف المطية
فابك المطهر للمطهر والمطهرة التقيّة
كبكاء معولة أتت يوماً لواحدھا المنية

(١) معالي السبطين، ص ١٧٤. نقلاً عن النور المبين في شرح زيارة الاربعين ؛ مهدي تاج الدين، ص ٧٧.

(٢) معالي السبطين، للشيخ محمد مهدي المازندراني.

ثم قال، زدني فانشدته:

يا مريم قومي واندي مولاك وعلى الحسين فاسعدي ببيكاك

قال فبكى وتهاجج النساء فلما ان سكتن قال: يا أبا هارون من انشد في الحسين (عليه السلام) فأبكى عشرة فله الجنة، ثم جعل ينتقص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد فقال: من انشد في الحسين (عليه السلام) وابكى واحداً فله الجنة، ثم قال: من ذكره فبكى فله الجنة.

وكان يقول (عليه السلام): الحسين عبرة كل مؤمن ومؤمنة، وقال الحسين (عليه السلام): "انا يا ابتاه؟ يقول: نعم يا بني وما قال الحسين (عليه السلام) انا قتيل العبرة ما ذكرت عند مؤمن ولا مؤمنة الا بكيا واغتما لمصابي" (١).

جموع الزوار بالأربعينية تسير مشياً وتنادي يا حسين يا مظلوم يا شهيد، والدموع تتساقط من العيون كأفهار لتروي ارض كربلاء حباً واستذكراً ولوعة وحسرة من عشق الثورة الحسينية واصحابها الذين ضحوا من اجل احقاق العدل والقانون والمساواة، لا ييغون سوى الجوانب الروحانية والمعاني الايمانية والاهداف السماوية لمقتل الشهيد ابن فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) ووالده امير المؤمنين علي (عليه السلام).

ومن خلال الرسائل والخطابات بين أهل الكوفة والإمام الحسين بن علي في المدينة المنورة تؤكد لنا مدى الالتزام بالمسؤولية واحترام الرعية وحماية المظلومين وتنفيذ مطالب الدعوة لقيادة أهل العراق بعد أن تيقنوا على " أن العدل أساس الملك" وتوافدت الرسل والتوسلات لقدم الحسين لقيادة الحكم بعد أبيه أمير المؤمنين علي وأخيه الحسن

(١) معالي السبطين، ص ١٤٧.

(عليهما السلام) ونص الرسالة " بسم الله الرحمن الرحيم، لحسين بن علي من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجية، ورفاعة بن شداد، وحبیب بن مظاهر، وشيعته من المؤمنین والمسلمین من أهل الكوفة.

سلام عليك، فإننا نحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة، فابتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتآمر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبارتها وأغنياها، فبعداً له كما بعدت ثمود إنه ليس علينا إمام فاقدم علينا لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة، لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه من الكوفة حتى نلحقه بالشام والسلام ورحمة الله عليك" (١)

المراسلة تؤكد على أن الإمام الحسين خرج لتنفيذ مطالب الرعية ورغبتهم وقناعتهم بجدارة حكم أهل البيت (عليهم السلام) وقد اجاب الامام الحسين (عليه السلام) بخطابة.

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملائمة من المؤمنین والمسلمین، أما بعد، فإن هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم على من رسلكم، وقد فهمت كل الذي قصصتم وذكرتم ومقالة جلکم: "إنه ليس علينا إمام فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق" وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي، وثقتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليّ قد أجمع رأي ملتكم، وذوي الفضل والحجا منكم على مثل ما قدمت علي به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم

١ بنظر: تاريخ الطبري، ج ٦، ص ١٩٧، الامامة والسياسة، لأبن قتيبة، ج ٢، ص ٣ الكامل في التاريخ، لأبن الأثير، ج ٤، ص ٨، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، احمد زكي صفوت، المجلد الثاني، المكتبة العلمية، بيروت ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م، ج ٢، ص ٧١-٧٢.

وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله، والسلام"^(١).

سعى الامام الحسين (عليه السلام) الى توفير الامن والطمأنينة الى اهل البصرة وكتب لهم رسالة إيمانية تؤكد على اهتمام الامام على متابعة الامور وزرع الثقة في نفوس الرعية في البصرة بقوله: "اما بعد: فان الله اصطفى محمداً (صلى الله عليه واله وسلم) على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله اليه، وقد نصح لعباده، وبلغ ما أرسل به (صلى الله عليه واله وسلم)، وكنا أهله واولياؤه وأوصياؤه ورثته، وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا، وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا فيمن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحق فرحمهم الله، وغفر لنا ولهم.

وقد بعثت رسولي اليكم بهذا الكتاب، وأنا ادعوكم الى كتاب الله، وسنة نبيه (صلى الله عليه واله وسلم)، فان السنة قد اميتت، وان البدعة قد احييت، وأن تسمعوا قولي وتطيعوا امري اهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله"^(٢).

اهتم الامام الحسين (عليه السلام) في توجيه خطاباته الى اهل الكوفة موضحاً لهم سياسته بعد ان ارسل السفير مسلم بن عقيل لمتابعة شؤون الكوفة وزرع الثقة في نفوس الاهالي، وكسب تأييدهم وتلبية مطالبهم، وواجه الامام الحسين (عليه السلام) قهور قادة بني امية منهم عمرو بن سعيد واستهتاره، برسالة جديرة من الامام الحسين (عليه السلام) جاء فيها: "اما بعد: فانه لم يشاقق الله ورسوله من دعا الى الله عز وجل: وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين، وقد دعوت الى الامان والبر والصلوة، فخير الامان أمان

(١) تاريخ الرسل والملوك، للطبري، ج٦، ص١٩٧، الكامل في التاريخ، لأبن الأثير، ج٤، ص٨، في جمهرة رسائل

العرب، احمد زكي صفوت، ج٢، ص٧٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٢٠٠.

الله ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا امانه يوم القيامة، فان كنت نويت بالكتاب صليتي وبري فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة والسلام"^(١).

وقد واجه الامام الحسين (عليه السلام) اهل الكوفة بثقة موالاتهم وحرصهم على الاسلام، وخطبهم: "بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي الى اخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو. أما بعد:" فان كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملتكم على نصرنا، والطلب بحقنا، فسألت الله ان يحسن لنا الصنع، وان يثبتكم على ذلك أعظم الاجر، وقد شخصت اليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضي من ذي الحجة يوم التروية، فاذا قدم عليكم رسولي فامشوا في امركم وجدوا، فاني قادم عليكم في ايامي هذه ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"^(٢).

يستذكر زوار الاربعين المصائب التي شهدها الامام الحسين (عليه السلام) وعياله وهي من ابشع المصائب وبعد ان واجهه كثرة اعداد العدو وعدته، ومع ان النصر رفرق على راسه مع بقاء منزلته من الشهادة، ولكن رجح لقاء ربه، كما ورد في اسرار الشهادة: لما رأى الحسين (عليه السلام) وحدته وقتل انصاره، ودّع عياله واطفاله، وخرج الى الميدان، وبقي واقفاً متحيراً ينظر الى إخوانه وأولاده وبني أخيه وبني عمه، صرعى مقتولين مجدلين ومرة ينظر الى غربته ووحده وانفراده، ومرة ينظر الى النساء وغربتهن ووحدهن وعطشهن، وما يرجعن اليه من الاسر والذل، ومرة ينظر الى شماتة الاعداء وتصميمهم لقتله، فنادى بصوت عالٍ حزين: أما من ناصر ينصرنا، أما من مغيث يغثنا، هل من موحد يخاف الله فينا، أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله (صلى الله

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٢١٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٣؛ جمهرة رسائل العرب، ج٢، ص٨٠-٨١.

عليه واله وسلم)، فلما نادى هذا النداء تزلزلت اركان العرش وقوائمه، وبكت
السموات وضجت الملائكة، واضطربت الارض فقالوا بأجمعهم: يا ربنا هذا حبيبيك
وقرة عين حبيبيك، فأذن لنا بالنصرة، وهو في هذه الحالة اذ وقعت صحيفة قد نزلت من
السماء في يده الشريفة، فلما فتحها ونظر فيها اذا هي العهد المأخوذ عليه بالشهادة قبل
خلق الخلق في هذه الدنيا، فلما نظر (عليه السلام) الى ظهر تلك الصحيفة، فاذا هو
مكتوب فيه بخط واضح جلي، " يا حسين نحن ما حتمنا عليك الموت، وما الزمنا عليك
الشهادة، فلك الخيار ولا ينقص حظك عندنا، فان شئت ان نصرف عنك هذه البلية،
فاعلم انا قد جعلنا السموات والارضين والملائكة كلهم في حكمك فأمر فيهم بما تريد
من اهلاك هؤلاء الكفرة الفجرة لعنهم الله"، فاذا بالملائكة قد ملؤوا ما بين السموات
والارض بأيديهم حراب من النار، ينتظرون لحكم الحسين (عليه السلام) وامره فيما
يأمرهم به من اعدام هؤلاء الفسقة، فلما عرف (عليه السلام) مضمون الكتاب وما في
تلك الصحيفة رفعها الى السماء ورمى بها اليها وقال: إلهي وسيدي وددت ان اقتل
وأحى سبعين الف مرة في طاعتك ومحبتك سيما اذا كان في قتلي نصره دينك واحياء
امرك وحفظ ناموس شرعك، ثم اني قد سئمت الحياة بعد قتل الاحبة، وقتل هؤلاء الفتية
من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يأذن للملائكة بشيء وياشر الحرب بنفسه
الشريفة وزلف نحو القوم، والامام الحسين (عليه السلام) فدى نفسه وتحمل المشاق
والأذى في سبيل مرضاة الله.

ملحق: الطف والاربعينية من كتاب مقاتل الطالبين، لابي

الفرج علي بن الحسين^(١)

الامام الحسين بن علي بن ابي طالب ومقتله ومن قتل معه من اهله ويكنى ابا عبد الله، وامه فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وكان مولده لخمسة سنوات خلون من شعبان سنة ٤ هـ، وقتل يوم الجمعة ١٠ محرم ٦١ هـ، وكانت سنه يوم قتل ٥٦ سنة وشهوراً، وان مقتله كان يوم السبت، وكان اول المحرم الذي قتل فيه يوم الاربعاء، اخرجنا ذلك بالحساب الهندي من سائر الزيجات، مسلم بن عقيل بن ابي طالب (عليه السلام)، هو اول من قتل من اصحاب الحسين بن علي (عليه السلام)، كما قتل علي بن الحسين وهو علي الاكبر ويكنى ابا الحسن، وامه ليلى بنت ابي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، اشاد معاوية بن ابي سفيان بالامام علي بن الحسين بن علي وعلى جده رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وفيه شجاعة بني هاشم، وسخاء بني امية، وزهد ثقيف.

انشدت الابيات الشعرية تمجد الامام زين العابدين السجاد (عليه السلام):

لم تر عين نظرت قبله	من محتف يمشي ومن ناعل
يغلي نئي اللحم حتى اذا	انضح لم يغل على الأكل
كان اذا شبت له ناره	اوقدها بالشرف القابل
كيما يراها بائس مرملة	او فرد حي ليس بالأهل
اعني ابن ليلى ذا الهدى والندى	اعني ابن بنت الحسب
لايؤثر الدنيا على دينه	الفاضل
	ولا يبيع الحق بالباطل

(١) الاغاني، الاصفهاني، نصوص مختارة واحصائية عن الشهداء معركة الطف ١٠ محرم ٦١ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧/٢٨٤٢٨ هـ، ص ٤٤.

أورد ابو الفرج الاصفهاني اسماء الشهداء في واقعة الطف في ١٠ محرم ٦١ ونبذة
 للسيرة الذاتية والروايات المتنوعة وهم: عبد الله بن علي بن ابي طالب، جعفر بن علي
 بن ابي طالب، عثمان بن علي بن ابي طالب، العباس بن علي بن ابي طالب، محمد
 الاصغر بن علي بن ابي طالب، ابو بكر بن علي بن ابي طالب، ابو بكر بن الحسن بن
 علي بن ابي طالب، القاسم بن الحسن بن علي بن ابي طالب، عبد الله بن الحسن بن علي
 بن ابي طالب، عبد الله بن الحسين بن علي بن ابي طالب، عون بن عبد الله بن جعفر بن
 ابي طالب الاكبر، محمد بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب، عبيد الله بن عبد الله بن
 جعفر بن ابي طالب، عبد الرحمن بن عقيل بن ابي طالب، جعفر بن عقيل بن ابي طالب،
 عبد الله بن عقيل بن ابي طالب، محمد بن مسلم بن عقيل بن ابي طالب، عبد الله بن
 مسلم بن عقيل بن ابي طالب، محمد بن ابي سعيد الاحول بن عقيل بن ابي طالب، ويذكر
 ان جميع من قتل يوم الطف من ولد ابي طالب سوى من يختلف في امره اثنان وعشرون
 رجلاً.

يذكر الامام علي بن الحسين زين العابدين شعراً لوالده الحسين (عليه السلام)
 وقال: "اني والله لجالس مع ابي في تلك الليلة، وأنا عليل وهو يعالج سهماً له، وبين يديه

يا دهر اف لك من خليل	كم لك في الاشرار والاصيل
من صاحب وماجد قتيل	والدهر لا يقنع بالبدليل
والأمر في ذاك إلى الجليل	وكل حي سالك السبيل

جون مولى ابي ذر الغفار، اذ ارتجز الحسين:

قال زين العابدين بن علي: وأما أنا فسمعتة ورددت عبرتي: وأما عمتي فسمعتة دون النساء فلزمتها الرقة والجزع، فشقت ثوبها، ولطمت وجهها، وخرجت حاسرة تنادي واثكلاه!! واحزنه!! ليت الموت اعدمني الحياة، يا حسيناه يا سيداه، يا بقية أهل بيتاه، استقلت ويئت من الحياة! اليوم مات جدي رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وامي فاطمة الزهراء، وابي علي واخي الحسن يابقية الماضين، وثمال الباقيين.

فقال لها الحسين (عليه السلام): يا اختي " لو ترك القط لنام"، قالت: فإئما تغتصب نفسك اغتصاباً، فذاك أطول لحزني واشجى لقلبي، وخرت مغشياً عليها، فلم يزل يناشدها واحتملها حتى ادخلها الخباء.

الخاتمة والاستنتاجات

المعاني الروحانية لزيارة الاربعين في نفوس احباب وانصار الحسين (عليه السلام) توصلنا الى ملاحظات وتوصيات روحانية عن الزيارة الاربعينية هي:

١- زوار الاربعينية القاصدين لزيارة مرقد الامام الحسين واخيه العباس (عليهما السلام) يهدفون الى تجديد العهد والولاء والمحبة والبركة والشفاء والسلامة للعراق والنصر للجيش العراقي والشرطة الوطنية والحشد الشعبي والعشائري على الاعداء.

٢- تقرر الزيارة الاربعينية كل المعاني والقيم الانسانية والقدرة على السير مشياً الى كربلاء من الكبار والصغار من كل الاجناس على ان اتباع العترة العلوية اوفياء ونجباء لايبغون سوى التوسل الى الله تعالى ورسوله الاعظم والائمة المعصومين كل الخير والامان والسعادة البشرية.

٣- تبرهن الزيارة الاربعينية على التوحد والتآخي بين الاديان والطوائف والاعراق بتوحدهم خلف راية الحسين (عليه السلام) السوداء والحمراء التي لطخت بالدماء من اعداء الحضارة والانسانية.

٤- الزيارة الاربعينية تؤكد على ان الاخيار والعظماء والشرفاء هم النموذج لمحاربة الظلم والجهل والفقر في التآسي والحزن وذرف الدموع وتقديم النذور من الطعام والشراب والضيافة لكل الضيوف والزوار لابي عبد الله الحسين في كربلاء.

٥- الاربعينية ملحمة دينية واجتماعية في اكبر تجمع روحاني من مختلف الجنسيات والاعراق تزحف من خلف حدود العراق مشياً على الاقدام يعززون اهل البيت باستشهاد ابي الاحرار المظلوم.

٦- بالرغم من الزمن البعيد الذي استشهد فيه الامام الحسين وعياله واصحابه واتباعه في العاشر من المحرم سنة ٦١هـ، اي اربعة عشر قرناً، لكن احياء الشعائر الحسينية

تتجدد بحماسة وحرارة القلوب افضل من السنوات السابقة، وذلك لان الظلم والفساد ظهر في الارض وطغى في القلوب ودمر الحجر والعباد والمال من الدواعش الوهابية.

٧- يفخر الامام الحسين واهله واصحابه (عليهم السلام) امام ربهم الله تعالى ورسوله محمد خاتم الرسل (صلى الله عليه واله وسلم) بان البشرية تعلموا من ثورة الطف دروساً وعبراً ومعاني ومفاهيم خالدة.

٨- الاحاديث الشريفة والاقوال والخطب على المنابر وتصريحات القادة مثل قول غاندي: "تعلمت من الامام الحسين (عليه السلام) ان اكون مظلوماً فاتتصر" دليل ان الظلم لا يسود الارض.

٩- الاربعية اكر تجمع ديني روحاني تتحد القلوب فيه والعيون والاصوات تنادي: يا حسين (عليه السلام) حيدر ويمكن ان تعد المناسبة عالمية واكاديمية لا تشاهد الانسانية مثيلاً لها بالتاريخ وتستحق جائزة نوبل للتسامح والمحبة والاحترام للقيم والمبادئ الاسلامية.

١٠- الاربعية تجمع للرايات والبيارق والكلمة والنخوة والكرم في الخدمات، وتوحد الثقافات والاقلام بحق الحسين هدفها كسب رضى القلوب المحبة للعدل والمساوات والحرية وحماية المظلوم من الظالمين.

ملحق رقم (٢)

من كتاب مفاتيح الجنان / للشيخ عباس القمي، مؤسسة الاعلمي، بيروت،
١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٥٤١-٥٤٢.

أي اليوم العشرين من صفر. روى الشيخ في التهذيب والمصباح عن الامام الحسن العسكري (عليه السلام) قال: علامات المؤمن خمس: صلاة احدى وخمسين، أي الفرائض اليومية وهي سبع عشرة ركعة والنوافل اليومية وهي اربع وثلاثون ركعة، وزيارة الاربعين والتختم باليمين وتعفير الجبين بالسجود والجهر بيسم الله الرحمن الرحيم. وقد رويت زيارته في هذا اليوم على نحوين:

أحدهما: ما رواه الشيخ في التهذيب والمصباح عن صفوان الجمال قال: قال لي مولاي الصادق صلوات الله عليه في زيارة الاربعين: تزور عند ارتفاع النهار وتقول

السلام على ولي الله وحببيه السلام على خليل الله ونجيبه السلام على صفي الله وابن صفيه السلام على الحسين المظلوم الشهيد السلام على أسير الكربات وقتيل العبرات اللهم اني اشهد انه وليك وابن وليك وصفيك وابن صفيك الفائز بكرامتك اكرمه بالشهادة وحبوته بالسعادة واجتبيته بطيب الولادة وجعلته سيداً من السادة وقائداً من القادة وذائداً من الذادة واعطيته موارث الانبياء وجعلته حجة على خلقك من الاوصياء فاعذر في الدعاء ومنح النصح وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة وقد توازر عليه من غرته الدنيا وباع حظه بالأرذل الادنى وشرى اخرته بالثمن الأوكس وتغطرس وتردى في هواه واسخطك واسخط نبيك واطاع من عبادك اهل الشقاق والنفاق وحملة الاوزار المستوجبين النار فجاهدهم فيك صابراً محتسباً حتى سفك في طاعتك دمه واستبيح حريمه اللهم فالعنهم لعنا وبيلاً وعذبهم عذاباً اليماً السلام عليك يا بن رسول الله السلام عليك يا بن سيد الاوصياء اشهد انك امين الله وابن امينه عشت سعيداً ومضيت حميداً ومت فقيداً مظلوماً شهيداً واشهد ان الله منجز

ما وعدك ومهلك من خذلك ومعذب من قتلك واشهد انك وفيت بعهد الله وجاهدت في سبيله حتى اتاك اليقين فلعن الله من قتلك ولعن الله من ظلمك ولعن الله امة سمعت بذلك فرضيت به اللهم اني اشهدك اني ولي لمن والاه وعدو لمن عاداه باي انت وامي يا بن رسول الله اشهد انك كنت نوراً في الاصلاب الشاخنة والارحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأجاسها ولم تلبسك المدهمات من ثيابها واشهد انك من دعائم الدين واركان المسلمين ومعقل المؤمنين واشهد انك الامام البر التقي الرضي الزكي الهادي المهدي واشهد ان الائمة من ولدك كلمة التقوى واعلام الهدى والعروة الوثقى والحجة على اهل الدنيا واشهد اني بكم مؤمن وبإيابكم موقن بشرائع ديني وخواتيم عملي وقلبي لقلبيكم سلم وامري لأمركم متبع ونصرتي لكم معدة حتى يأذن الله لكم فمعكم معكم لا مع عدوكم صلوات الله عليكم وعلى ارواحكم واجسادكم وشاهدكم وغائبكم وظاهركم وباطنكم.

آمين يا رب العالمين.. ثم تصلي ركعتين وتدعو بما احببت وترجع.

ملحق رقم (٣)

زيارة الاربعية في كامل الزيارات لابن قولويه القمي (ت٣٦٨هـ).

السلام عليك ورحمة الله وبركاته.. استودعك الله واقرأ عليك السلام، امنا بالله وبالرسول وبما جئت به ودلت عليه، واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، اللهم لا تجعله اخر العهد منا ومنه.

اللهم انا نسألك ان تنفعا بجه، اللهم ابعثه مقاماً محموداً، تنصر به دينك وتقتل به عدوك، وتببر به من نصب حرباً لآل محمد، فانك وعدته ذلك، وانت لا تخلف الميعاد، السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

اشهد انكم شهداء نجباء، جاهدتم في سبيل الله، وقتلتم على منهاج رسول الله (صلى الله عليه واله) وابن رسوله، انتم السابقون والمهاجرون والانصار.

اشهد انكم انصار الله وانصار رسوله، فالحمد لله الذي صدقكم وعده، واراكم ما تحبون، وصلى الله على محمد وآل محمد ورحمة الله وبركاته.

اللهم لا تشغلني في الدنيا عن شكر نعمتك، لا بإكثار تلهيني عجائب مجتهدتها، وتفتني زهرات زينتها، ولا بإقلال يضر بعلمي كده، وبمأ صدري همه، اعطني من ذلك غنى عن شرار خلقك، وبلاغاً أنال به رضاك، يا ارحم الراحمين، وصلى الله على رسوله محمد بن عبد الله وعلى اهل بيته الطيبين الاخيار ورحمة الله وبركاته.

حدثني ابو عبد الرحمن محمد بن احمد بن الحسين العسكري بعسكر مكرم، عن الحسن بن علي بن مهزيار، عن ابيه، عن محمد بن ابي عمير، عن محمد بن مروان، عن ابي حمزة الثمالي، عن ابي عبد الله (عليه السلام)، قال:

إذا اردت الوداع بعد فراغك من الزيارات فاكثر منها ما استطعت وليكن مقامك
بالنينوي او الغاضرية، ومتى اردت الزيارة فاغتسل وزر زورة الوداع، فاذا فرغت من
زيارتك فاستقبل بوجهك وجهه والتمس القبر وقل:

"السلام عليك يا ولي الله، السلام عليك يا ابا عبد الله، انت لي جنة من العذاب،
وهذا أوان انصرافي عنك، غير راغب عنك، ولا مستبدل بك سواك، ولا مؤثر عليك
غيرك، ولا زاهد في قربك، وجدت بنفسي للحدثان، وتركت الاهل والاطوان، فكن لي
يوم حاجتي وفقري وفاقتي، ويوم لا يغني عني والدي ولا ولدي، ولا حميمي ولا قريبي."^(١)

(١) كامل الزيارات: ابي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي، (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: نشر الفقاهة، دار
السرور، بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص ٤٣٦-٤٣٧.

قائمة المصادر والمراجع

١. اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاوس، علي بن موسى بن جعفر، (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان، دار الاسرة للنشر.
٢. تاريخ دمشق، ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن، (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة، دار الفكر، (دمشق، ١٩٩٥).
٣. البداية والنهاية، ابن كثير: اسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ)، دار الفكر، (دمشق، ١٩٨٥م).
٤. اسرار الزيارة الاربعين، اية الله الشيخ محمد الند، بقلم: ابراهيم حسين البغدادي، دار الاميرة، بيروت، ٢٠١٣م.
٥. الاغاني، الاصفهاني، نصوص مختارة واحصائية عن الشهداء معركة الطف ١٠ محرم ٦١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧/٤٢٨هـ.
٦. امالي الصدوق، المجلس ٢٧ نقلا عن: اسرار زيارة الاربعين، الشيخ محمد السندي.
٧. الامامة والسياسة، لأبن قتيبة ابي محمد عبد الله بن مسلم، (ت ٢٦٧هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الاضواء، ١٩٩٠.
٨. الانوار اللامعة في شرح الجامعة للعلامة سيد عبدالله شبر عن النور المبين في شرح زيارة الاربعين، مهدي تاج الدين تقي الدين بن علي بن عبد الكافي بن علي.
٩. بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، احياء الكتب العلمية، بيروت.
١٠. انساب الاشراف، البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٦).
١١. تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ، تحقيق: محمد ابو الفضل، دار الكتب العلمية، (لبنان، بيروت، ٢٠٠٨م).

١٢. ثواب الاعمال وعقاب الاعمال، للصدوق، ابي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: السيد محمد مهدي.
١٣. جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، احمد زكي صفوت، المجلد الثاني، المكتبة العلمية، بيروت ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م.
١٤. شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي، (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد ابراهيم، دار الكتاب العربي، دار الاميرة للطباعة، ٢٠٠٧.
١٥. الطبقات الكبرى، ابن سعد محمد بن سعد بن منيع، (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٨٦م).
١٦. كامل الزيارات: ابي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي، (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: نشر الفقاهة، دار السرور، بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص ٤٣٦-٤٣٧.
١٧. الكامل في التاريخ، لأبن الأثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد، (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.
١٨. المستدرک، محمد بن عبد الله ابو عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.
١٩. معالي السبطين. نقلاً عن النور المبين في شرح زيارة الاربعين؛ مهدي تاج الدين.
٢٠. مقتل الحسين لابي مخنف الازدي، (ت ١٥٧هـ)، مكتبة الالفين، الكويت، ١٩٨٧.
٢١. ميزان الحكمة، باب الشهادة.
٢٢. نوادر علي بن اسباط.
٢٣. النور المبين في شرح زيارة الاربعين، مهدي تاج الدين.
٢٤. الواعج الاشجان، ٢٥٦ نقلاً عن كتاب جلاء القلب وقررة العين في الاوقات المخصوصة بزيارة الحسين (عليه السلام) السيد حسون البراقي النجفي، (الامانة العلمية ومنهجية التاريخ).
٢٥. الوافي عن الكافي، مصطفى سعيد الخن، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠.

- ٢٦ . وسائل الشيعة، تأكيد استحباب زيارة الحسين (عليه السلام).
- ٢٧ . معجم البلدان، ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (٦٢٦هـ)، تصحيح: محمد امين الخانجي، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٥).

زيارة الأربعين وأثرها في التكامل الإنساني

الباحثة فاطمة صادق عباس

الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

المقدمة

علامات المؤمن خَمَس: [صلاة إحدى وخمسين]: ورد عن مولانا الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) انه قال: [وزيارة الأربعين والجهر بسم الله الرحمن الرحيم والتختم باليمين وتعفير الجبين]^(١).

الثابت عند الإمامية بأن المراد من الفقرة المذكورة في الحديث "زيارة الأربعين" هو زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر، إلا أن بعض الذين لا يعجبهم زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم العشرين من صفر قالوا:

إن المراد من الفقرة هو زيارة أربعين مؤمناً، فجعلوا زيارة أربعين مؤمناً مستحباً دون زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) بل إن زيارة أربعين مؤمناً أهم من زيارة الإمام الحسين (عليه السلام): وقبل الاستدلال على مرادنا ينبغي أن نبحث في بيان دعوى هؤلاء المشككين ونقضها: الأولى، الغاية من زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم الأربعين أي في العشرين من صفر الثانية.

نقض دعوى الخصم: النقطة الأولى خلال تتبعي لكلام أصحاب الدعوى المذكورة لم أعثر على دليل واحد قد يكون مستنداً للإثبات وذلك لأن الإمام العسكري^(٢) "دعواكم بل غاية ما عثرت عليه أهم فسّروا زيارة الأربعين بـ"أربعين مؤمناً (عليه السلام) لم يتعرض للأثار الأخروية المترتبة على الزيارة الأربعينية، مع ان أهل البيت (عليه السلام) عند الحث على زيارة الإمام المظلوم وغيره من أئمة الهدى يذكرون ما يترتب عليها من الثواب. هذا غاية ما وجدناه من دعاوى هؤلاء: الإيراد على الدعوى المذكورة: أولاً: إن الإمام العسكري (عليه السلام) في هذا الحديث إنما هو بصدد بيان علائم المؤمن التي يمتاز بها عن غيره وجعل منها زيارة الأربعين الحسينية على صاحبها

(١) بحار الأنوار، ج ٩٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩٨.

آلاف التحية والسلام، ولم يكن الإمام العسكري (عليه السلام) بصدد بيان الآثار الدنيوية الظاهرة على المؤمن، بل بيان ما يترتب على الزيارة من الآثار الأخروية أو هو في مقام بيان الصفات التي يتصف بها المؤمن وإن كان يظهر عندي أن الأئمة (عليه السلام) قد بينوا ووضحوا الآثار الأخروية لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) مطلقاً سواء أكانت في زيارة الأربعين أم في غيرها فلا داعي للإمام العسكري (عليه السلام) أن يكررها في هذا الحديث فإن آباءه الكرام بينوها في أحاديثهم الشريفة فبيانه لها قد يدخل في تحصيل الحاصل لأن الشيعة كانوا ولا يزالون يعرفون فوائد زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) الأخروية بشكل واضح.

ثانياً: إن استنتاج هؤلاء على دعواهم يأباه الذوق السليم مع خلوه من القرينة الدالة عليه ولو كان الغرض هو "الإرشاد إلى زيارة أربعين مؤمناً لقال الإمام (عليه السلام) "وزيارة أربعين مؤمناً فمع عدم تقدم الإشارة إلى أربعين مؤمناً وعدم وجود قرينة تساعد عليه لا يصح حينئذ صرف "الأربعين" إلى أربعين مؤمناً.

ثالثاً: إن زيارة أربعين مؤمناً مما حثَّ عليه الإسلام بل أكثر من أربعين على فترات متقطعة فهي من علائم الإيمان عند الخاصة والعامّة ولم يخص بها المؤمنون الموالمون ليمتازوا عن غيرهم نعم زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم الأربعين من صفر مما يدعو إليها الإيمان الخالص لأهل البيت (عليه السلام) ويؤكدّها الشوق لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ومعلوم أن الذين يحضرون في الحائر الأطهر بعد مرور أربعين يوماً من مقتل سيد شباب أهل الجنة هم خصوص المشايخين له السائرين على أثره ومنهجه.

ويشهد له اتفاق سائر علماء الإمامية (مذ استشهد الإمام الحسين (عليه السلام) إلى يومنا هذا) وعدم تباعدهم عن فهم زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر من هذا الحديث المبارك حيث فهموا منه (عليه السلام) زيارة الإمام: من وليس زيارة أربعين من هؤلاء المحققين مؤمناً الشيخ أبو جعفر الطوسي في التهذيب ج ٦،

ص ٤٧ فإنه رحمه الله بعد أن روى الأحاديث في فضل زيارته المطلقة ذكر بعدها الزيارات المقيدة بأوقات خاصة ومنها يوم عاشوراء وبعده روى هذا الحديث (علامات المؤمن خمس) وفي مصباح المتهجد ذكر رحمه الله تعالى، شهر صفر وما فيه من الحوادث ثم قال: وفي يوم العشرين منه رجوع حرم أبي عبد الله (عليه السلام) من الشام إلى المدينة وورود جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) إلى كربلاء لزيارة الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) وعقيلة الهاشميين والسبايا زاروا الإمام المظلوم: أقول يوم الأربعين فزيارة الإمام السّجاد (عليه السلام) يوم الأربعين دليل على الاستحباب لأن الإمام معصوم عن الخطأ فكل تصرفاته وما يصدر عنه حكمة وصواب ففعله وقوله وتقريره حجة ولو لم يكن يوم الأربعين مستحباً لما فعله الإمام السّجاد وعقائل الوحي والطهارة صلوات الله عليهم أجمعين؟ وقال العلامة الحلبي في المنتهى كتاب الزيارات بعد الحجّ: يستحب زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر.. ثم قال: روى الشيخ عن الإمام أبي محمد العسكري أنه قال علامات المؤمن خمس وقال السيد ابن طووس في الإقبال عند ذكر زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر قال: روينا بالإسناد إلى جدّي أبي جعفر الطوسي فيما رواه بالإسناد إلى مولانا الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) قال علامات المؤمن خمس ونقل العلامة المجلسي في مزار البحار هذا الحديث عن ذكر فضل زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم الأربعين ووافقهم صاحب الحدائق في باب الزيارات بعد الحج فقال: وزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر من علامات المؤمن وحكى الشيخ القمي في المفاتيح هذه الرواية عن التهذيب ومصباح المتهجد في الدليل على رجحان الزيارة في الأربعين من دون تعقيب باحتمال إرادة أربعين مؤمناً والشيخ المفيد قال باستحباب الزيارة في العشرين من صفر في كتابه مسار الشيعة.

المحور الأول

نظرة تاريخية

يعتبر البعض أن أول من زار قبر الإمام الحسين (عليه السلام) بعد استشهاده، هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري، وأنّ زيارته هذه صادفت يوم العشرين من صفر، قادماً من المدينة المنورة جاء في "بحار الأنوار" وقال عطاء، والصحيح عطية العوفي، احد رجال العلم والحديث، روي عنه أخبار كثيرة في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام). وهو الذي تشرف بزيارة الحسين (عليه السلام) مع جابر، كما ذكر ذلك الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب.

يقول عطية: "كنت مع جابر بن عبد الله يوم العشرين من صفر، فلما وصلنا الغاضرية المقصود أرض كربلاء. اغتسل في شريعته، ولبس قميصاً.. ثم ذكر الزيارة التي زار فيها الإمام الحسين (عليه السلام)"^(١). ونقل المجلسي في "بحار الأنوار" عن مصباح الكفعمي قوله: "وإنما سميت بزيارة الأربعين، ولأن وقتها يوم العشرين من صفر وذلك لأربعين يوماً من مقتل الحسين (عليه السلام)، وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله الأنصاري من المدينة إلى كربلاء فكان أول من زاره من الناس"^(٢).

وصول السبایا:

ينقل المجلسي في البحار أيضاً أن حرم الحسين (عليه السلام) وصلوا كربلاء أيضاً في عودتهم من الشام يوم العشرين من صفر^(٣). مع انه نقل رواية أخرى تقول أن موكب السبایا وصل مع الإمام علي بن الحسين زين العابدين إلى المدينة يوم العشرين من صفر.

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٩٨، ٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ٩٨، ص ٣٣٤.

(٣) ج ٩٨، ص ٣٣٥.

إذا نحن أمام عدة روايات حول يوم الأربعين، وزيارة جابر، ووصول موكب السبايا مع الإمام زين العابدين (عليه السلام). خلاصة هذه الروايات أن موكب السبايا برفقة الإمام زين العابدين وصل إلى كربلاء بعد عودتهم من الشام يوم العشرين من صفر، الذي يصادف ذكرى أربعين استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وهو اليوم نفسه الذي وصل فيه جابر بن عبد الله الأنصاري، وقام بزيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) وهذا يعني حصول اللقاء بين جابر وموكب السبايا في كربلاء في هذا اليوم.

نظرة نقدية:

لا يبدو أن الوقائع التاريخية تساعد على هذا الأمر فإن موكب السبايا كما هو معروف قبل ذهابه إلى الشام عُرج به إلى الكوفة ثم ساروا به إلى الشام وإذا كانت الفترة الزمنية الفاصلة بين استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) ويوم العشرين صفر، هي أربعين يوماً وخصوصاً إذا افترضنا أن موكب السبايا بقي في الشام حوالي شهر وهذا ما يؤكده السيد ابن طاووس كما نقل عنه المجلسي في البحار وكلاهما مستبعد أي وصول جابر ووصول موكب السبايا في العشرين من صفر لأن عبید الله بن زياد كتب إلى يزيد يعرفه ما جرى، ويستأذنه في حملهم حتى عاد الجواب إليه، وهذا يحتاج إلى نحو عشرين يوماً أو أكثر ولأنه لما حملهم إلى الشام روي أنهم أقاموا فيها شهراً... وصورة الحال تقتضي أنهم تأخروا أكثر من أربعين يوماً..^(١).

وهذا يعني أن موكب السبايا احتاج إلى عشرين يوماً أو أكثر للوصول إلى الشام بعد انتظار الإذن بالسّير بهم إلى الشام وبقوا في الشام حوالي شهر ثم عادوا إلى المدينة، وعلى فرض أنهم مروا على كربلاء فهم قطعاً وصلوا بعد العشرين من صفر فإن مسيرهم من كربلاء إلى الكوفة ثم إلى الشام وبقاؤهم هناك شهراً بكامله ثم عودتهم كل هذا المسير

(١) ج ٩٨، ص ٣٣٦.

يحتاج من الوقت في الحد الأدنى ستين يوماً أو سبعين يوماً وهذا قطعاً تجاوز يوم العشرين من صفر.

هذا بالنسبة إلى موكب السبايا أما جابر بن عبد الله الذي أتى مباشرة من المدينة بعد سماعه الخبر فإنه أيضاً يحتاج إلى أكثر من أربعين يوماً للوصول إلى كربلاء يقول السيد ابن طاووس كما نقل عنه في البحار: "وأما جوازهم في عودهم على كربلاء فيمكن ذلك، ولكنه ما يكون وصولهم إليها يوم العشرين من صفر لأنهم اجتمعوا على ما روي مع جابر بن عبد الله فإن كان جابر وصل زائراً من الحجاز فيحتاج وصول الخبر إليه ومجيئه أكثر من أربعين يوماً"^(١). فاحتمال لقاء موكب السبايا مع جابر في كربلاء غير مستبعد، وهو احتمال قائم لكنه لم يحصل يوم العشرين من صفر أما لماذا لا يصل موكب السبايا يوم العشرين من صفر فقد تقدم الكلام عنه.

(١) بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٢٣٦.

الخلاصة:

يتبين لنا من هذه النظرة التاريخية المختصرة أن يوم العشرين من صفر لم يكن يوماً زار به أحد قبر الإمام الحسين (عليه السلام) لا موكب السبايا ولا جابر بن عبد الله الأنصاري فلا دلالة إذاً على خصوصية زيارة هذا اليوم بعنوان "زيارة الأربعين". وأختتم هذه النظرة التاريخية بما أورده الطبري في تاريخه من أن عبید الله بن الحر قد زار كربلاء فنظر إلى مصارع القوم فاستغفر لهم هو وأصحابه^(١). وعبید الله هذا هو الذي كان قد استنصره الإمام الحسين (عليه السلام) وهو في طريقه إلى كربلاء إلا أنه رفض اللحاق به وعرض على الإمام (عليه السلام) أن يعطيه فرسه وسلاحه.. إلا أن الطبري لم يحدّد لنا اليوم الذي جاء فيه عبید الله إلى كربلاء بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وهل تعني كلمة "مصارع القوم" قبل دفن الأجساد أو المراد هو مكان مصارعهم الذي قد يعني أنه وصل إلى كربلاء بعد دفنهم؟

(١) ج٤، ص٣٦٠.

المحور الثاني: النصوص الشرعية

يبقى الكلام في وجود نصوص شرعية تدل على خصوصية زيارة "يوم الأربعاء".

يوجد هنا نصان:

الأول: ما رواه الشيخ الطوسي في "تهذيب الأحكام" بإسناده عن صفوان بن يحيى قال لي مولاي الصادق (عليه السلام) في زيارة الأربعاء: "تزور عند ارتفاع النهار... وذكر الزيارة"^(١). وذكرها الطوسي أيضاً في كتابه "مصباح المتهدج" عن صفوان بالإسناد نفسه وذكرها ابن طاووس بالإسناد نفسه في كتابه "إقبال الأعمال"^(٢). الثاني: ما رواه الشيخ الطوسي أيضاً في التهذيب روى عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) أنه قال "علامات المؤمن خمس: صلاة الخمسين، وزيارة الأربعاء"...^(٣). ورواه الشيخ المفيد في كتابه "المزار" بالتعبير نفسه "روي"^(٤). ورواه الشيخ الطوسي في كتابه "مصباح المتهدج" ويستحبّ زيارته (عليه السلام) فيه أي في يوم العشرين من صفر وهي زيارة الأربعاء فروي عن أبي محمد العسكري (عليه السلام) أنه قال: علامات المؤمن:...، وذكر من جملتها زيارة الأربعاء"^(٥).

لا يوجد لا من الناحية التاريخية ولا من ناحية النصوص الشرعية ما يدل على زيارة الحسين (عليه السلام) فيما يعرف بـ "زيارة الأربعاء".

إلا أنه بحسب المقاييس العلمية لمحاكمة الروايات وإمكانية الاعتماد عليها فإن رواية هذه الرواية بهذه الطريقة "روي" تسمى رواية "مرسلة" بمعنى أن الذين ذكروها لم يذكروا

(١) ج ٦، ص ١١٣.

(٢) ج ٣، ص ١٠١ وما بعدها.

(٣) ج ٦، ص ٥٢.

(٤) ص ٥٣ باب فضل زيارة الأربعاء.

(٥) ص ٧٨٧، ٧٨٨.

كيفية وصولها إليهم فهم لم يذكروا سلسلة الرواة التي توصل بينهم وبين الإمام العسكري الذي نسب هذا القول إليه لأن الفترة الزمنية الفاصلة بين الشيخ الطوسي والشيخ المفيد لا تسمح لهم بالرواية عن الإمام العسكري (عليه السلام) مباشرة بل لا بد من سلسلة رواة توصل بينهم وبين الإمام (عليه السلام) فإن الشيخ الطوسي والشيخ المفيد من علماء القرن الرابع والإمام العسكري توفي أواسط القرن الثالث وعليه فلا يمكن الاعتماد على هذه الرواية لإثبات خصوصية "زيارة الأربعين" في يوم العشرين من صفر.

بقي الكلام في النص الأول الذي يذكر نص الزيارة في هذا اليوم بالخصوص من حيث معرفة حال الرواة المذكورين في سلسلة رواة هذا الحديث.

أكتفي بالإشارة إلى اسمين من رواة هذه الرواية، وهما محمد بن علي بن معمر وعلي بن محمد بن مسعدة. وهما غير معروفين من حيث الوثائق فوجودهما في سند الرواية يجعل الرواية غير معتبرة وغير معتمدة فلا يمكن الاستدلال بها على خصوصية "زيارة الأربعين". وخلاصة ما تقدم، أنه لا يوجد لا من الناحية التاريخية ولا من ناحية النصوص الشرعية ما يدل على زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) فيما يُعرف بـ "زيارة الأربعين" في هذا اليوم بالخصوص فالمراسم التي تقام في هذا اليوم يمكن أن تقام في أي يوم آخر وهي مجرد أعراف وتقاليد ليس لها مصدر تشريعي خاص يمكن الاعتماد عليه ولم تكن معروفة لا في زمن أهل البيت (عليه السلام) ولا في الأزمنة الأخرى التي كان فيها كبار العلماء من الطائفة الشيعية الكريمة نعم استحباب زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في أي يوم من أيام السنة مما لا إشكال فيه والنصوص الشرعية حول ذلك متظافرة ولا مجال لذكرها هنا.

إذا لم يقدّم الدليل الخاص على استحباب زيارة الأربعين فلا يعني ذلك منافاة استحباب الزيارة، ولكن بعنوان آخر.

رأي المرجع فضل الله (رض):

ونختتم هذه الدراسة برأي سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (رض) حول زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في خصوص "يوم الأربعاء" إذ يرى سماحته أن الحديث المروي عن الإمام العسكري حول علامات المؤمن وأن من حملتها "زيارة الأربعاء" يرى أن الحديث المذكور ضعيف السند.

وحول مرور موكب السبايا بكربلاء "يوم الأربعاء"، يقول: "إن للمؤرخين نقاشاً مهماً في صحة ما يروى من مرور الإمام زين العابدين (عليه السلام) والسيدة زينب (عليه السلام) مع ركب السبايا على كربلاء بعد خروجهم من الشام في طريقهم إلى المدينة المنورة". ويقول أيضاً: "إن نفي الدليل الخاص وهذا العنوان، لا ينافي ثبوت الاستحباب بعنوان آخر" ويقصد بذلك أنه إذا لم يقم الدليل الخاص على استحباب زيارة الأربعاء فلا يعني ذلك منافاة استحباب الزيارة ولكن بعنوان آخر.

المحور الثالث

زيارة أربعين الإمام الحسين (عليه السلام)

أدلتها.. أسرارها.. أهدافها

ماهي الدروس والعبر الروحية والعلمية والدينية؟؟

ماهي الأدلة على استحبابها؟؟

ماهي الردود على الشبهات التي تثار أمام هذه الزيارة وشعائرها؟؟

والجواب على هذه التساؤلات سيكون كالآتي:

التساؤل الأول: ماهي الدروس والعبر الروحية والعلمية والدينية؟؟

١. تجديد العهد وتذكير النفوس بالتعاليم الإلهية.
٢. تجديد العهد مع الأخلاق السامية والقيم النبيلة.
٣. تجديد العهد مع معاني التضحية والفداء .
٤. تجديد العهد مع مبادئ الثوار الشرفاء .
٥. إنها محطة مراجعة الحسابات لثلاث تسرق الدنيا الإنسان وتنسيه نفسه.
٦. ثورة الحسين تذكّر الإنسان بالواجب والتكاليف الإلهية مقابل السهو والنسيان والطغيان.
٧. هزيمة الحسين تذكّر الإنسان بمشاهد الآخرة لتقف أمام الدنيا في رغباتها وشهواتها المحرمة.
٨. هزيمة الحسين انتصار مبادئ العدل والاستقامة ونكسة للطغاة والعصاة.
٩. هزيمة الحسين الإصلاحية ثورة على النفاق.. ثورة على التملق للحكام الظالمين المستترين باسم الدين.

التساؤل الثاني: ما هي أدلتها؟

ورد عن مولانا الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أنه قال: [علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين وزيارة الأربعين والجهر بسم الله الرحمن الرحيم والتختم باليمين وتعفير الجبين الثابت عند الإمامية بأن المراد من الفقرة المذكورة في الحديث "زيارة الأربعين" هو زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر ولكن هناك عالم دين يقول: إن المراد من الفقرة هو زيارة أربعين مؤمناً.

أنا أعالج هاتين المسألتين باختصار من خلال بعض استدلالاتي الخاصة ومن خلال رد أحد العلماء المنشور على أحد المواقع ولم يتسن لي معرفة اسم صاحب هذا الردود ولكنها ردود علمية واصولية محكمة وصحيحة بحسب مراجعتي لإسنادها ومصادرها الشرعية. رأيت من الفائدة أن استنتج بعضها بحسب حاجتي في هذه المقالة المختصرة وسأضع الردود المقتبسة ضمن: قوسين.

الجواب الأول: الأحاديث النبوية والإمامية المعصومة كثيرة في الحث على زيارة الإخوان وبدون تخصيص عدد فليس هناك من حديث يقول: يكفي زيارة أربعين أخ في الله تعالى. ولا يطلب الله منك أن تزور الأخ عدد واحد وأربعين. وكنت قد قرأت حديثاً حول أحد أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام) يقول: إن صاحب الإمام الكاظم (عليه السلام) كان يزور أربعين مؤمناً من الأصدقاء في كل يوم يسلم عليهم ويتفقدهم أحوالهم ويطلب القربى إلى الله تعالى لاحظ أربعين مؤمناً وأخاً في الله يومياً يعني هذا المؤمن قد زار الآلاف من الإخوان في الله طيلة حياته الشاهد ليس هناك من قرينة تبين أن عدد أربعين هو المطلوب فقط في زيارة المؤمنين.

الجواب الثاني: الرد الآخر هو عدم وجود قرينة تبين المعنى الذي ينصرف إليه إلى أن الحديث يدل على زيارة أربعين مؤمناً.

الجواب الثالث: ((إن دخول الألف واللام العهدية على كلمة "أربعين" إشارة للتنبيه على أن زيارة الأربعين من نسخ الأمثلة التي نص عليها الحديث بأنها من علائم الإيمان والموالاتة للأئمة الإثني عشر، واللام العهدية تدخل على المسند إليه للإشارة إلى فرد معهود خارجاً بين المتخاطبين وهذا نظير قوله تعالى: ((إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبَيًّا (١٦))، فالرسول محلى باللام العهدية التي دخلت على الاسم المسند إليه فالرسول في الآية كان معهوداً في زمن فرعون وهو موسى النبي والفرعون هو الزنديق عصى موسى الرسول المعهود يومذاك.

وهنا هكذا: فإن الأربعين اسم أسند إليه الألف واللام العهدية حيث إن زيارة الإمام يوم الأربعين من يوم شهادته أمر معهود بين الشيعة لذا لم تقتض الضرورة ذكر قيد لفظي أو قرينة لفظية تحدد أو تقيّد اللفظ المذكور باليوم المعهود وهو العشرون من صفر فثمة قرينة حالية أوجب فهم العلماء الأعلام من هذه الجملة خصوص زيارة الإمام الحسين (عليه السلام).

والقرينة الحالية هي السيرة القائمة على زيارة الإمام (عليه السلام) في العشرين من صفر.

الجواب الخامس: إجماع فقهاء الإمامية على استحباب زيارته يوم العشرين من صفر ونقلنا قسماً من كلمات بعض فقهاء الإمامية على ذلك، ولم يعترض أحد على الاستحباب وهذا الفرد أو ذاك لا يضر خروجه من الإجماع المنعقد في المسألة. "الجواب الخامس: بعض الروايات التي تدل على هذا المعنى".

عن محمد بن عبد الله الحمري، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حماد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الاصم، عن أبي

يعقوب، عن أبان بن عثمان، عن زرارة قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) يا زرارة إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم وإن الأرض بكت أربعين يوماً بالسواد وإن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة وإن الجبال تقطعت وانتشرت وإن البحار تفجرت وإن الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين (عليه السلام) الخ.^(١)

(١) مستدرک الوسائل ج- ١٠ ص ٣١٣، بحار الانوار ج- ١٤ ص ١٨٣ و ج- ٤٥ ص ٢٠٦ - ٢١٥، مناقب - ابن شهر آشوب ص ٢١٢، العوالم ص ٤٧١، تفسير الصافي ج- ٤ ص ٤٠٧، تفسير الأصفى ج- ٢ ص ١١٥٤، تفسير نور الثقلين ج- ٤ ص ٦٢٨.

التساؤل الثالث: ماهي الردود على الشبهات التي تثار بخصوص زيارة الأربعين ؟؟

هناك عالم دين قال إن أصل هذه الزيارة يهودية ؟

ولكن هذا العالم لم يذكر مصدراً واحداً على هذا المدعى.. فقد ألقى الكلام بدون حجة ولا مصدر رغم أن هذا ليس اعتراضاً علمياً ولكن مع هذا أجاب الكثير من العلماء والفضلاء على هذه الدعوى.

الجدير بالذكر لا يوجد عند اليهود زيارة الأربعين مع العلم إن كانت هناك سنة حسنة عند اليهود أو النصرارى وعملها المسلمون فليس بالضرورة تحريمها بل حتى عند الجاهلية الذين لا يملكون كتاباً ولا رسالة سماوية إن كانت سنة حسنة فليس بالضرورة تحريمها.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متحدثاً عن حلف الفضول في زمن الجاهلية: لو دعيت إلى مثله (حلف الفضول) لأجبت وقصة هذا الفضول هذه الوثيقة في الجاهلية تطرح قضية الحقوق على الملأ قبل مئات السنين من صدور الوثيقة الانكليزية والفرنسية.

حول القانون وحقوق الإنسان ورغم أنها وثيقة غير دينية فقد باركها وأثنى عليها الرسول الكريم (عليه أفضل الصلاة والسلام) وحلف الفضول وكما أجمعت كتب التراث الأدبي إثر التظلم الذي رفعه أحد التجار على أحد رجالات مكة الذي ماطله بثمان بضاعة قد اشتراها منه فتداعى إثر ذلك نفر من فضلاء مكة وأعانوه على استعادة حقه بعد هذه الحادثة اجتمع بعض وجهاء قريش في دار (عبد الله بن جدعان) وتعاهدوا على أن لا يدعوا ببطن مكة مظلوماً من أهلها أو ممن دخلها من الأعراب إلا كانوا معه

على ظالمه حتى تُرد إليه مظلمته. وفوق هذا وذاك لا يوجد عند اليهود زيارة أربعين للميت أو للشهيد بحسب دينهم.

الدليل الثاني:

سيرة المتشركة منذ ألف واربعمائة عام على وجود تشريع هذه الزيارة. الأحاديث العديدة التي تذكر هذا المعنى منها الحديث الذي مرّ ذكره: إن السماء بكت على الحسين (عليه السلام) أربعين صباحاً بالدم وإن الأرض بكت أربعين يوماً بالسواد وإن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة وإن الجبال تقطعت وانتشرت وإن البحار تفجرت وإن الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين (عليه السلام).

اتفاق سائر علماء الإمامية (منذ استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) إلى يومنا هذا) وعدم تباعدهم عن فهم زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر من هذا الحديث المبارك حيث فهموا منه: زيارة الإمام عليه السلام وليس زيارة أربعين مؤمناً من هؤلاء المحققين.

الشيخ أبو جعفر الطوسي في التهذيب ج ٦ ص ٤٧ فإنه رحمه الله بعد أن روى الأحاديث في فضل زيارته المطلقة ذكر بعدها الزيارات المقيدة بأوقات خاصة ومنها يوم عاشوراء وبعده روى هذا الحديث (علامات المؤمن خمس) وفي مصباح المتعجب ذكر - رحمه الله - شهر صفر وما فيه من الحوادث ثم قال: وفي يوم العشرين منه رجوع حرم أبي عبد الله (عليه السلام) من الشام إلى المدينة وورود جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله تعالى عنه) إلى كربلاء لزيارة الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) فكان أول من زاره من الناس وهي زيارة الأربعين.

أقول: إن جابر زار الإمام يوم الأربعين والإمام السجاد (عليه السلام) وعقيلة الهاشميين والسبايا زاروا الإمام المظلوم يوم الأربعين فزيارة الإمام السجاد (عليه السلام)

يوم الأربعاء دليل على الاستحباب لأن الإمام معصوم عن الخطأ فكل تصرفاته وما يصدر عنه حكمة وصواب ففعله وقوله وتقريره حجة ولو لم يكن يوم الأربعاء مستحباً لما فعله الإمام السجاد وعقائل الوحي والطهارة صلوات الله عليهم أجمعين؟.

وقال العلامة الحلي في المنتهى كتاب الزيارات بعد الحج يستحب زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر.. ثم قال: روى الشيخ عن الإمام أبي محمد العسكري (عليه السلام) أنه قال: علامات المؤمن خمس.

ونقل العلامة المجلسي في مزار البحار هذا الحديث عن ذكر فضل زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم الأربعاء ووافقهم صاحب الحدائق في باب الزيارات بعد الحج فقال: وزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر من علامات المؤمن.

وحكى الشيخ القمي في المفاتيح هذه الرواية عن التهذيب ومصباح المتهجد في الدليل على رجحان الزيارة في الأربعاء من دون تعقيب باحتمال إرادة أربعين مؤمناً.

والشيخ المفيد قال باستحباب الزيارة في العشرين من صفر في كتابه مسار الشيعة والعلامة الحلي في التذكرة والتحرير وملا محسن الفيض في تقويم الحسنين نقلاً عن مواقع أحد العلماء على الانترنت.

خلاصة البحث

يتكون البحث الحالي من ثلاثة محاور، ففي المحور الأول تناولت الباحثة النظرية التاريخية لزيارة سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) وذكر الروايات حول أول من قام بزيارة الضريح الشريف في كربلاء بعد واقعة الطف، وسبب تسميتها بـ(الأربعين) لأن وقتها يوم العشرين من صفر. وهذا اليوم يصادف عودتهم من الشام إلى أرض كربلاء، ويتناول هذا المحور أيضاً كيف عُرج بموكب السبايا إلى الكوفة قبل تحرك القافلة إلى الشام، وكم يستغرق وصول الموكب إلى الشام بعد أن كتب اللعين (عبيد الله بن زياد) إلى (يزيد بن معاوية) ليستأذنه بما جرى.

وفي المحور الثاني تناولت الباحثة النصوص الشرعية، التي تتضمن خصوصية زيارة الأربعين، وهل ان هذه النصوص تدل على زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) فيما يعرف بـ(زيارة الأربعين)؟ وهل لهذه الزيارة نصوص والمراسيم التي تقام في أي يوم آخر أم هي مجرد أعراف وتقاليد ليس لها مصدر شرعي. كما تناولت الباحثة رأي المرجع فضل الله (رض) وما دار من نقاش بين المؤرخين في صحة ما يروى من مرور الإمام (علي بن الحسين) (عليه السلام) والسيدة (زينب) (عليها السلام) مع ركب السبايا على كربلاء.

وفي المحور الثالث تناولت الباحثة الأدلة الثابتة لزيارة (يوم الأربعين) والأدلة التي تثبت استحبابها، كما تناولت الباحثة الدروس والعبر الروحية والعلمية والدينية وأثر هذه الزيارة في بناء الإنسان وتكامله من الناحية الأخلاقية وترسيخ روح الفداء والتضحية، فعليه أن يراجع كل فرد في المجتمع الإسلامي حساباته في هذه الحياة ومدى تأثير النهضة الحسينية في مسيرته لكي يرى الآخرة ويقف أمام شهوات الدنيا المحرمة، وكذلك يرى انتصار الحق وانتصار الدم على السيف.

الباحثة

Research Summary

The current research consists of the three axes. In the first axis, the researcher addresses the historical theory of visiting the master of martyrs Imam Hussein (peace be upon him), citing narrations about the first who visited the holy Shrine in Kerbala after the incident of Al-Tuff, and the reason for calling it (the Forty) because its time was on the twentieth of Sufar. This day marks their return from Syria to the land of Kerbala. Also, this axis addresses how the parade of captives was halted to Kufa before the convoy moved to Syria, and how long the parade took to reach Syria after the damned (Obeidullah Ibn Ziyad) wrote to (Yazid bin Muawiya) for permission to what would happen.

In the second axis, the researcher deals with religious texts, which include the privacy of the Forty visit, and whether these texts indicate the visit of Imam Hussein (peace be upon him) in what is known as (the Forty Visit)? Does this visit have texts and decrees that are held on any other day or is it just the customs and traditions that do not have a legitimate source. The researcher also addresses the reference Fadlallah's opinion (May Allah be pleased with him) and the debate occurred among historians in the validation of what is narrated about the passage of Imam (Ali bin Al-Hussein) (peace be upon him) and Ms. (Zainab) (peace be upon her) with the parade of captives to Kerbala.

In the third axis, the researcher covers the fixed evidences of the visit of (the fortieth day) and the evidences that prove its preference. Also, the researcher deals with the spiritual, scientific, and religious lessons and morals and the impact of this visit on human construction

and his integration morally as well as consolidating the spirit of redemption and sacrifice. Thus, each individual in the Islamic society must review his accounts in this life and the impact of the Husseini awakening on his career to see the Hereafter, and standing in front of the Forbidden lower appetites, as well as to see the victory of the right on vanity and the triumph of blood over the sword.

The Researcher

المصادر

- ١- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٩٨، ص ٩٨-٩٩، ص ٣٣٤-٣٣٥.
- ٢- تأريخ الطبري، جرير الطبري، ج ٤، ص ٣٦٠.
- ٣- كامل الزيارات، ج ١، ص ٢٨٤.
- ٤- المقتل، المغرم، ص ٤٧٣، عن نهر الذهب في تأريخ حلب، ص ٢٦٧.
- ٥- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٢٩٠.
- ٦- جواهر البلاغة، أحمد هاشم، ص ١٣٢.
- ٧- الخطبة العاشرة للسيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر.
- ٨- تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٦، ص ١١٣.
- ٩- مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ص ٧٨٧-٧٨٨.
- ١٠- تفسير الأصفى، ج ٢، ص ١١٥٤.

المسيرة الاربعية ودلالاتها التاريخية

الأستاذ المساعد الدكتور هناء كاظم خليفة

الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أهداف البحث

ان من بين ابرز اهداف بحثنا الموسوم بـ(المسيرة الاربعينية ودلالاتها التاريخية)

اولا: ان التراث الفكري الذي يدور حول موضوع بحثنا لا يزال الغموض والنسيان والاهمال يكتنفه من نواح عدة، بل لا تزال الكثير من الشعائر مركونة في الزوايا والرفوف لم تبدأ يد التنقيب بالبحث والتمحيص والدراسة والتحقيق لتتأله.

ثانيا: اهمية الموضوع وتأثيره على المجتمع بصورة عامة فما وقع على ال البيت(عليهم السلام) ومحبيهم كانت قد ألقته المقادير على كواهلهم إلقاء، فحملوا الأمانة وأدوا الرسالة، صابرين في الحمل محسنين في الأداء، قنعوا من الدنيا بما تجود به نفوسهم الابية وما تبعته الظروف المناخية من الأمطار والسيول والحر وغير ذلك. وهم مع الحالة هذه يتوجهون الى قبلة محبيهم تحثم خطاهم جامعين ما يمكنهم من رغبة ذاتية في حفظ كيانهم بمواصلة معشوقهم.

ثالثا: التأكيد على حرص هؤلاء الحيين على تسجيلهم وتدوينهم لهذا العشق بأفعال يعجز القلم من تدوينها وتعجز النفس من الوقوف صامدة امامها. لا سيما بعد ان نهض أوئك المتيمين برسالة اداء الشعائر ومنها شعيرة المشي على الاقدام، ووثبوا بها وثبة كبرى حتى أصبحت في الجملة شعيرة معبرة عن تفاني النفس من اجل المعشوق غير مباليين بما يواجهونه من الم او معوقات فلا هم لهم ولا غاية متوخاة من وراء ذلك إلا خدمة هذا محبوبهم. اذ لم يكن في حسابهم من ألم ونصب ومشقة وعناء بما يقومون به سوى التقرب لله بما يؤدونه.

منهج البحث

لقد حاولنا قدر المستطاع ان نقف بالتحليل والتعليق على الروايات الواردة في صفحات البحث كلما استدعت الحاجة الى ذلك، وكنا قد برزناها بخط غامق للتمييز ولفت الانتباه اليها، عاملين قدر المستطاع الى استنطاق الرواية التاريخية التي بحث هذا الموضوع من قريب او بعيد.

خطة البحث:

اقتضت خطة البحث ان يكون بمقدمة وفصلين: الفصل الاول (اضاءات حول المشي على الاقدام بين النص المقدس والواقع الملموس) وبحث هذا الفصل الفقرات التالية: اولاً: المشي في القرآن الكريم. ثانياً: المشي عند المسيح. ثالثاً: اداء فريضة الحج مشياً على الاقدام. رابعاً: المشي على الاقدام لاداء فريضة الصلاة. خامساً: اتباع الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) مشياً على الاقدام.

اما الفصل الثاني فقد حمل عنوان (ايقونات سلام لاحياء شعيرة المشي على الاقدام في زيارة الامام عليه السلام) وسلط الضوء على الفقرات التالية اولاً: المشي على الاقدام لزيارة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام). ثانياً: زيارة الامام الحسين بن علي (عليهما السلام) مشياً على الاقدام. ثالثاً: المشي لزيارة الامام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) (٥٨هـ - ١١٤هـ). رابعاً: مشي الامام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) (١٢٨هـ - ١٨٣هـ). خامساً: زيارة الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) (١٤٨هـ - ٢٠٢هـ او ٢٠٣هـ). وانتهينا بخاتمة احتوت ابرز النتائج التي توصلنا اليها. والحقنا البحث بقائمة المصادر الاولية والمراجع.

قد يتبادر الى ذهن القارئ الكريم وللوهلة الاولى بان الموضوع يبحث في اداء شعيرة المشي في الوقت الحالي وايماننا هذه التي نعاصرها، الا ان الحقيقة غير ذلك تماماً. لاننا

اردنا ان نبحت هذا الموضوع في عصور مبكرة من الاسلام متمثلين بما كان يقوم به الرسول الاكرم(صلى الله عليه واله وسلم) وما قام به ال بيته الطيبين الاخيار (سلام الله عليهم)من اتباع لسنته، وبالتالي فليس عجيبا ان ما يقوم به اتباعهم ومحبيهم من اداء شعيرة المشي واحياؤها كان قد صدر وما زال يصدر من اهل بيت ورثوا المكارم ابا عن جد. لذا فان مسالة المشي على الاقدام مسالة معروفة وليست طارئة على المجتمع الاسلامي، لكن الملفت هو استغراب البعض لإحياء هذا الشعيرة لا سيما عند محبي وعشاق اهل بيت النبوة (عليهم السلام). وبالتحديد في مناسبات احياء ذكرى وفاتهم او في اربعينية سيد الشهداء (عليه السلام). والله تعالى هو الموفق لما يحب ويرضى.

الفصل الاول

(اضاءات حول المشي على الاقدام بين النص المقدس والواقع الملموس)

اولا: المشي في القرآن الكريم:

إن مسألة المشي على الاقدام مسألة معروفة وليست طارئة على المجتمع الاسلامي، لكن الملفت هو استغراب البعض لإحياء هذا الشعيرة لا سيما عند محبي وعشاق اهل بيت النبوة (عليهم السلام).

ففي القرآن الكريم الكثير من الآيات البينات التي ورد فيها لفظ المشي ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ((أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زِينٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))^(١). وقال تعالى: ((أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))^(٢). كما قال جل من قال: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))^(٣) و((أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّن لَّدُنِّي يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَمُنشِدِينَ بِحَقِّ طَوْلَانٍ مِّمَّنْ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))^(٤). وقوله تعالى: ((قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِم مِّن السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا))^(٥). وجاء كذلك في الذكر الحكيم: ((أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى))^(٦). ((وَعِبَادَ الرَّحْمَنِ

(١) الأنعام: الآية ١٢٢.

(٢) الملك: الآية ٢٢.

(٣) الحديد: ٢٨.

(٤) الاعراف: ١٩٥.

(٥) الاسراء: ٩٥.

(٦) طه: ١٢٨.

الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا^(١) و: ((وَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ))^(٢).

ثانيا: المشي عند المسيح:

ولعل المسألة لا تنحصر عند فئة بعينها دون اخرى، او ديانة او طائفة دون سواها، فقد ورد ان هناك من علم بالسيد المسيح(عليه السلام)بانه اختار مكانا قفر يريد ان يعتزل فيه، فما ان علموا بمكانه حتى هرعوا اليه يتبعونه من المدن سيرا على الأقدام. اذ جاء ان عيسى(عليه السلام) " انصرف من هناك في سفينة إلى مكان قفر يعتزل فيه. فعرف الجموع ذلك فتبعوه من المدن سيرا على الأقدام. فلما نزل إلى البر رأى جمعا كثيرا، فأخذته الشفقة عليهم، فشفى مرضاهم. ولما كان المساء، دنا إليه تلاميذه وقالوا له: " المكان قفر وقد فات الوقت، فاصرف الجموع ليذهبوا إلى القرى فيشتروا لهم طعاما ". فقال لهم يسوع: " لا حاجة بهم إلى....."^(٣)، ويتعدى الموضع الى غير ذلك فمثلا ان هرقل الشام، لما قاتل ملك الفرس كان قد نذر ان يظهر عليهم وأخرجهم من بلاده أن يأتي بيت المقدس ماشيا شكرا لله تعالى^(٤).

(١) الفرقان: ٦٣.

(٢) السجدة: ٢٦.

(٣) الكنيسة، الكتاب المقدس (العهد الجديد)، (دار الكتاب المقدس - ١٩٨٠)، ص ٧٧.

(٤) المياحي: الشيخ علي الأحدي(ت، ١٤١٦هـ)، مكاتيب الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)، (دار الحديث-

١٩٩٨)، ج ٢، ص ٤٠٩.

فمن المدهش ان نرى بان المشي على الاقدام من باب الشكر والعرفان بالجميل لله تعالى كانت مسألة معروفة ومطروقة لاثثير الاستغراب او الحفيظة. ومما لا شك فيه ان مسألة المشي على الاقدام كانت مألوفة ومعروفة بشكل لا يلفت النظر على انها حالة غريبة او مستهجنة، بل على العكس من ذلك تماما .

ثالثا: أداء فريضة الحج مشياً على الأقدام:

لا غرو أن العبد المؤمن المحب للتقرب لله يسعى جاهدا ان يبحث عن كل ما من شأنه ان يقربه للرب جل جلاله، ومن ذلك الاقبال لحج بيت الله تعالى مشيا على الاقدام. فعن يزيد بن نعيم قال سمعت أبا ذر الغفاري (رضوان الله عليه) وهو على المنبر بالفسطاط يقول سمعت النبي (صلى الله عليه واله وسلم) يقول من تقرب إلى الله عز وجل شبرا تقرب إليه ذراعا ومن تقرب إليه ذراعا تقرب إليه باعا ومن أقبل إلى الله عز وجل ماشيا أقبل إليه مهرولا والله أعلى وأجل والله أعلى وأجل (١).

ونود ان ننوه الى ان المشي على الاقدام للحج كانت مسألة متبعة منذ عهد سيدنا ادم (عليه وعلى نبينا افضل الصلاة واتم السلام) فقد حج آدم (عليه السلام) سبعين حجة ماشيا على قدميه (٢).

ومن الواضح أن من الفوائد المنظورة للحج، والتي صرحت بها الآيات الكريمة، وأصبحت لذلك أفئدة المؤمنين تهوي إليه هو دلالاته الواضحة على خلوص النية، والتركيز على وحدة الصف الإسلامي، وتوحيد الأهداف الإسلامية، التي تركزت عند

(١) الهيثمي: علي بن ابي بكر (ت، ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٩٨٨)، ج ١٠، ص ١٩٧.

(٢) عطاردى: الشيخ عزيز الله الخبوشاني، مسند الإمام الرضا ابي الحسن علي بن موسى (عليهما السلام)، تحقيق: الشيخ عزيز الله الخبوشاني، طبع ونشر آستان قدس الرضوي، ١٤٠٦هـ، ج ٢، ص ٤٨٥؛ الشاهرودي: الحاج الشيخ علي النمازي قدس سره (ت ١٤٠٥هـ)، مستدرک سفينة البحار، تحقيق: الحاج الشيخ حسن بن علي النمازي، (قم المقدسة- ١٤١٨هـ)، ج ٢، ص ١٨٥.

الكعبة، وتمحورت حولها. وأهل البيت (عليهم السلام) كانوا في هذا التكريم العظيم جادين أقوالا وأفعالا، فالنصوص الواردة لذلك مستفيضة بل متواترة، وقد أقدموا على ذلك عمليا بأساليب شتى^(١). اذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ما عبد الله بشيء أفضل من المشي إلى بيته^(٢)، ولقد كان أكثر من حج مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مشاة^(٣).

فلا يخفى ان شرف المشي ومع الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ما فيه من السعادة وما يحتويه من جوانب عبادية في غاية سمو، ولعل التاريخ بمؤرخيه و الزمن و يد التنقيب والتحقيق لم تسلط الضوء على مثل هذه الامور لتكشف لنا وتستخرج اثار السعي للمعشوق وهو الله تعالى مشيا على الاقدام لما توضحه هذه الحالة من الحالات المعبرة عن حب الاله وظاهرة تدل على مدى التفاني في صفاء النفس، وصدقها بحبها.

فالحج مشيا مع القدرة ونشاط النفس فإن ذلك أفضل وأدخل للنفس في الإذعان لعبودية الله، فقد قال بعض العلماء: الركوب أفضل لما فيه من مثونة الإنفاق، ولأنه أبعد من الملل وأقل للأذى وأقرب إلى السلامة وأداء الحج، وهذا التحقيق غير مخالف لما قلناه، والحق التفصيل، فيقال: من سهل عليه المشي فهو أفضل فإن أضعف وأدى إلى سوء خلق وقصور عن العمل فالركوب أفضل لأن المقصود توفر القوى على ذكر الله تعالى وعدم المشتغلات عنه^(٤).

(١) الجلاي: محمد رضا الحسيني، الإمام الحسين (ع) سماته وسيرته، دار المعروف، (قم المقدسة- ١٤١٥هـ)، ص ٩١ - ٩٣.

(٢) الشاهرودي، مستدرک سفينة البحار، ج ٢، ص ١٩٣ - ١٩٨؛ البروجردي: آقا حسين الطباطبائي (ت)، ١٣٨٣هـ، جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية، (قم المقدسة- ١٣٩٩هـ)، ج ١٠، ص ١٨٢ - ١٨٦.

(٣) البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج ١٠، ص ١٨٢ - ١٨٦.

(٤) ابن ميثم البحراني: كمال الدين بن علي بن ميثم البحراني (ت)، ٦٧٩هـ، شرح نهج البلاغة، (قم المقدسة- ١٣٦٢هـ)، ج ١، ص ٢٢٥.

حتى ان الحجة الواحدة ماشيا " تعدل سبعين حجة راكبا فعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال ابن عباس ما ندمت على شيء ندمي على أن لم أحج ماشيا " لأني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول من حج بيت الله ماشيا " كتب الله له سبعة ألف حسنة من حسنات الحرم قيل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما حسنات الحرم، قال: حسنة ألف ألف حسنة وقال فضل المشاة في الحج كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم. وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ((إن الملائكة يقفون على طريق مكة يتلقون الحاج فيسلمون على اهل الخامل ويصافحون أصحاب الرواحل ويعتقون المشاة اعتناقاً))^(١).

إذن ما اعظمها من مكانة وارتفاعها من منزلة لهذا الشخص الذي عمل على التقرب لله تعالى بأداء الفريضة مشيا على الاقدام.

أما الامام الحسن بن علي (عليهما السلام) الذي كان له سيماء الأنبياء وبهاء الملوك ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل ما بلغه (عليه السلام)^(٢). فقد كانت هيئته (عليه السلام) حتى انه كان في طريق الحج ماشيا فكل من رآه نزل^(٣).

لقد ورث أهل البيت (صلوات الله عليهم) من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علمهم، وأخلاقهم، وحيث هم وارثوه في ذلك لا ينازعهم أحد، فهم أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومهبط الوحي. ولما كانت السنة الشريفة وما فيها من اعمال واقوال هم اول من سعى الى ان يجعلوها قيد التطبيق. فهي اذن من أجل علوم الشريعة

(١) البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج ١٠، ص ٤٧٩ - ٤٨٣.

(٢) الحائري: الشيخ محمد مهدي، شجرة طوبى، ط ٥، المكتبة الحيدرية، (النجف الاشرف - ١٣٨٥هـ)، ج ٢، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٣) الشاهرودي، مستدرک سفينة البحار، ج ١٠، ص ٥٧٤ - ٥٧٥.

وأرفعها قدرا، وكان على المسلم أن يتخذ من أقوال وأفعال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) نورا وضياء ينير له الطريق لفهم دينه وأحكامه، ومحركا لسلكه في عاجلته وذخرا لآخرته^(١).

لذا فإننا نقرأ انه عندما حج الحسان (عليهما السلام) ماشيين فما يرا برجل راكب الا نزل يمشى. فقال بعضهم لسعد بن ابي وقاص قد ثقل علينا المشي ولا نستحسن ان نركب وهذان السيدان يمشيان فرغب إليهما سعد في أن يركبا فقال الحسن (عليه السلام): لا نركب قد جعلنا على أنفسنا المشي إلى بيت الله الحرام على اقدامنا ولكننا نتنكب عن الطريق، فأخذنا جانبا من الناس^(٢).

فإذا كانت للأخلاق معنى ، وللأفعال اثرا بحيث تستحق المدح والوقوف عندها، فإننا نجدها في مثل هذه المواقف منهما (عليهما السلام) الذي تجسد فيه التطبيق الفعلي للتواضع منهما لله سبحانه وتعالى بان يأياه مشيا على الأقدام، ومن جانب اخر الرحمة بالأفراد ممن لا يطيقون المشي على الاقدام، وقمة الاحترام في الاستجابة لطلبهم لتمكينهم واعانتهم وعدم تكليفهم مشقة قد لا يطيقها البعض. وهذا ليس ببعيد على تربية وتهذيب الامامان (عليهما السلام).

ما اعظم خلق الامام (عليه السلام) وما ازكى نفسه البهية المعطاء بحيث استمر على عادته في اداء الفريضة مشيا على الاقدام ولم يكلف الاخرين - الذين تطوعوا من تلقاء انفسهم - عناء المشي.

(١) البيهقي: جعفر ، الأخلاق الحسينية ، مطبعة مهر ، (قم المقدسة - ١٤١٨هـ) ، ص ٨.
(٢) القاضي النعمان المغربي: ابو حنيفة النعمان بن محمد التميمي (ت، ٣٦٣هـ) ، شرح الأخبار في فضائل الائمة الطهار ، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلاي ، (قم المقدسة - ١٤١٤هـ) ، ج ٣ ، ص ١١١ - ١١٥ ؛ الأمين: السيد محسن العاملي (ت، ١٣٧١هـ) ، لواعج الأشجان في قتل الحسين ، مطبعة العرفان ، (صيدا - ١٣٣١هـ) ، ص ١٢ - ١٤ .

ولعل الامام الحسن (عليه السلام) لم يكتف بالمشي سيرا على الاقدام وانما تجاوز ذلك الى المشي حافيا. لان الحسن (عليه السلام) كان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم و كان إذا حج حج ماشيا وربما مشى حافيا^(١).

ولعلنا نلمس وبوضوح لما كان يقوم به (عليه السلام) من التحفي في المشي لأداء فريضة الحج بانه انما كان يمتلك فهما معنويا لأداء شعائره بهذه الكيفية و اراد بفعله هذا ان يبلغ من الشرف والفضل الشيء الكثير. حتى انه (عليه السلام) خرج إلى مكة سنة من السنين ماشيا من المدينة، فتورمت قدماه فقال له بعض مواليه: لو ركبت سكن عنك هذا الورم الذي برجلك، قال كلا إذا أتيت المنزل سيلقاك شخص معه دهن لهذا الورم فاشتره ولا تماسكه فقال مولاه بابي أنت وأمي أتيت منزلا ليس فيه أحد يبيع هذا الدواء قال بلى انه امامك دون المنزل فسار مليا فإذا هذا الشخص قد قابله. قال الحسن لمولاه دونك الرجل فخذ منه الدهن واعطه الثمن فقال هذا الشخص ويحك يا غلام لمن أردت هذا الدهن؟ قال: للحسن بن علي (عليهما السلام) فقال انطلق بي إليه فأخذ بيده حتى ادخله عليه فقال: بأبي أنت وأمي لم أعلم انك محتاج إلى الدهن فلست آخذ له ثمنا انا مولاك^(٢).

من هنا نفهم ان الامام (عليه السلام) كان مشتاق الى ضيافة محبوبة غير مهتم بما يتعرض له من الم بدني وصل به الى ان تتورم قدماه الطاهرة، ومع الحال هذه فانه (عليه السلام) إنما اراد ان يدخل بالبركة من جراء عمله هذا، ويخرج بالمغفرة والحظوة ليتشرف بالوقوف بين يدي ربه جل جلاله وهو بهذه الحالة.

(١) المجلسي: الشيخ محمد باقر(ت)، ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، ط٢، مؤسسة الوفاء، (بيروت- ١٩٨٣)، ج ٤٣، ص ٣٣١.

(٢) الخصبي: الحسين بن حمدان(ت، ٣٣٤هـ)، الهداية الكبرى، ط٤، مؤسسة البلاغ، (بيروت- ١٩٩١)، ص ١٩٤ - ١٩٥.

وبالرغم من تقديم النصح من مواليه بان يركب ويترك المشي حتى يخف الالم او يختفي الا انه (عليه السلام) يأبى ذلك مقررا بان يكمل ما قد بدأ به من عمل الذي انما كان يريد به وجه الله تعالى، ولعل الملفت هو مقدار الالم والحالة الصعبة التي كان بها الامام(عليه السلام) بحيث اثارت من حوله، إلا انه من الواضح أنه (عليه السلام) كان يعرف ما يريد بالضبط، متقلدا بالصبر الذي كان على ادراك كامل بانه سيصل به الى مبتغاه وهو اللقاء بمعشوقه بالرغم من الالم.

ولم يفعل الامام الحسن(عليه السلام) ذلك مرة او عشرة حتى، وإنما حجج (عليه السلام) خمس عشر حجة ماشيا، وإن النجائب لتقاد بين يديه^(١)، فقد يتبادر الى الاذهان بانه(عليه السلام) قد يكتفي بكرة او مرتين او حتى عشر مرات بالذهاب ماشيا، لكن لماذا هذا التكرار المستمر بالرغم من وجود وسائل نقل كان بإمكانه ان يستقلها بكل سهوله وسينتهي به المطاف الى ما قام به غيره من المسلمين المؤمنين؟

لعل لسان الحال بإمكانه ان يجيب على مثل هذه التساؤلات بانه(عليه السلام) كان يمتلك من الاحساس الايجابي الذي جعله يتجاوز الظروف والتحديات، لأنه (عليه السلام) اراد ان يغتنم كل الفرص التي تقربه لله تعالى وكأن صوتاً في داخله يخاطبه ان عليه أن يصل إلى اعلى الدرجات رفعة كي يكون من بين اولئك القريبين منه تعالى. وقد حجج الامام الحسين (عليه السلام) خمسا وعشرين حجة ماشيا وان النجائب لتقاد معه وأقام بعد استشهاد أخيه الحسن (عليه السلام) يحج في كل عام من المدينة إلى مكة ماشيا^(٢).

(١) الطبرسي: الحاج ميرزا حسين النوري (ت، ١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (بيروت- ١٩٨٧)، ج ٨، ص ٢٩-٣٠.

(٢) ابن المغازلي: علي بن محمد بن محمد الواسطي الجلابي الشافعي(ت، ٤٨٣هـ)، مناقب علي بن أبي طالب(ع)، مطبعة سبجان، ١٤٢٦هـ، ص ٣١٦؛ الأمين، لواعج الأشجان، ص ١٢-١٤.

فليس عجبيا ان يصدر هذا الفعل من رجال ورثوا مكارم الاخلاق ابا عن جد، ووصل بهم السمو من ان ينسوا انفسهم من اجل التقرب الى محبوبهم، ولا ريب في ان غايتهم من وراء ذلك هي سوق الناس واىصالحهم الى روضات العليين، لان مثل هذه الاعمال من شأنها ان تقدم فسحة الاجر " وفي ذلك فليتنافس المتنافسون"^(١). إنها الغاية في تعظيم الحج، بالسعي إلى الكعبة على الأقدام، لا عن قلة راحلة، بل إمعانا في تجليل المقصد والتأكيد على احترامه. وعلى الرغم من ازدحام سني حياته بالأعمال، فلو عددنا سني إمامته العشر، وسنوات إمامة أخيه الحسن (عليه السلام) العشر كذلك، وسنوات إمامة أبيه (عليه السلام) الخمس، لاستغرقت خمسا وعشرين حجة^(٢). وحج الامام علي بن الحسين (عليهما السلام) (٣٨هـ - ٩٤هـ) ماشيا فسار عشرين يوما من المدينة إلى مكة^(٣). وكان (صلوات الله عليه) يمشى مشية كأن على رأسه الطير، لا يسبق يمينه شماله^(٤).

ولعلنا نستلهم المواقف الأخلاقية والمثل الإنسانية والدينية التي تمتلك فهما معنويا على اشد درجات الرقي للحياة، وتؤمن بالقيم والفضائل، كل هذا وغيره نجده عند الامام السجاد(عليه السلام)

(١) المطففين: الآية ٢٦.

(٢) الجلاي، الإمام الحسين (عليه السلام)، سماته وسيرته، ص ٩١ - ٩٣.

(٣) الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت، ٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج على العباد، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام، ط٢، (بيروت- ١٩٩٣)، ج ٢، ص ١٤٤. الحر العاملي: الشيخ محمد بن الحسن (ت، ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام، ط٢، (قم المقدسة- ١٤١٤هـ)، ج ٨، ص ٥٦ - ٦٢. القمي: الشيخ عباس(ت، ١٣٥٩هـ)، الأنوار البهية في تواريخ الحجج الالهية، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، (قم المقدسة- ١٤١٧هـ)، ص ١٠٨ - ١٠٩؛ الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ج ٧، ص ٣٨٩.

(٤) البرقي: احمد بن محمد بن خالد(ت، ٢٧٤هـ)، المحاسن، تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الاسلامية، (طهران- ١٣٧٠هـ)، ج ١، ص ١٢٥.

فالهدوء الذي كان يسير به (عليه السلام) كان مؤشراً على ما في نفسه الشريفة من قيم معنوية وإنسانية رفيعة. وكأن لسان حاله (عليه السلام) يقول بأنه يجب ان تكون هناك تهئية معنوية لاتصال العبد بربه، لأن من شأن الحب ان يظهر للخالق عز وجل مكنونات نفسه وتتسامى روحه بحيث لا يرى الا الطريق المؤدي الى معشوقه. فقد كان (عليه السلام) بهذه الروح المعنوية العالية بحيث لا يسبق يمينه شماله، ولعل لسان الحال كذلك ينطق بان حقيقة هذه السكينة إنما مفادها هو تسخير البدن والنفس والجوارح بأجمعها تحت راية حب الله تعالى وهذا ما كان يعرف عنه (عليه السلام) من عبادة، كيف لا وهو السجاد زين العابدين.

حتى ان سعيد بن المسيب قال: كان الناس لا يخرجون من مكة حتى يخرج علي بن الحسين وكان القراء لا يخرجون حتى يخرج زين العابدين (عليه السلام)^(١).

لنتيقظ ولو قليلا لهذه الرواية التي تشير الى حقيقة مدهشة حقا تجعلنا نشير الكثير من الاسئلة لعل من بينها: لماذا لا يخرج الناس للحج الا عند خروج الامام (عليه السلام)؟ والحج ايام معدودات. وما هو المقصد الاعلى الذي كان الناس ترجوه من عدم الخروج إلا معه (عليه السلام)؟

إلا يشير ذلك الى انه (عليه السلام) مصب رحمة الرب للعباد، وإفهم بمرافقته وادائهم الشعائر انما يخرجون بالمغفرة والخطوة، وانه (عليه السلام) يمتلك من صفاء النفس وعلو الهمة ما يجعله مركز استقطاب للالتفاف حوله.

(١) ابن شهر آشوب: محمد بن علي السروي المازندراني (ت، ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، (النجف الاشرف- ١٩٥٦)، ج ٣، ص ٢٧٩ - ٢٨٢.

كما كان الامام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) يمشي بعد يوم النحر حتى يرمي الجمرة، ثم ينصرف راكباً ويمشي بعد ما يجازي المسجد بمنى^(١)، أما علي بن جعفر فقد لزم أخاه الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، وروى عنه شيئاً كثيراً من الاخبار. وقد خرج مع موسى بن جعفر (عليه السلام) في أربع عمر، يمشي فيها إلى مكة بعياله وأهله، واحدة منهمن مشى فيها ستة وعشرين يوماً، وأخرى خمسة وعشرين يوماً، وأخرى أربعة وعشرين يوماً، وأخرى واحداً وعشرين يوماً^(٢)، من هذا النص يتبين لنا ان ال البيت (عليهم السلام) كان من آدابهم المشي بعيالهم لاداء فريضة الحج لذا فقد عمدوا الى اصطحابهم لما فيه من حالة معبرة عن حب اداء واجباتهم لربهم بهذه الكيفية وظاهرة تدل على تفانيهم في غرس هذه المبادئ في عيالهم اولاً فاي اخلاق هذه التي تقدم لمحبيهم سلوكيات التعامل بصدق واخلاص نية للتقرب من الله تعالى. وهكذا استمرت عملية الذهاب لاداء فريضة الحج مشياً على الاقدام.

فقد حج الشيخ زين الدين عبد القادر بن محمد الشيخ الصالح المعمر الدشطوطي، نسبة إلى دشطوط من قرى الصعيد. حج ماشياً حافياً^(٣). القاضي الحافظ محمد بن يحيى العدني قاضي عدن ونزيل مكة حج ستين حجة ماشياً على الاقدام^(٤). والشيخ محمد فولاد بن عبد الله الذي قدم إلى بيت المقدس في حدود التسعين والسبعمئة وانقطع

(١) الطبرسي، مستدرک الوسائل، ج ١٢، ص ٢١٩ - ٢٢٠؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج ١٦، ص ٢٠٩ - ٢١٠؛ القزويني: السيد الحسيني، موسوعة الإمام الجواد (ع)، اشراف: ابي القاسم الخزعلي، مطبعة امير، (قم المقدسة- ١٤١٩هـ)، ج ١، ص ٣٨٩.

(٢) الصادق: علي بن الامام جعفر الصادق عليه السلام (ت، ق ٢هـ) مسائل علي بن جعفر ومستدرکنا، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (قم المقدسة- ١٤٠٩هـ)، ص ١٨؛ الحميري: عبد الله بن جعفر القمي (ت، ٣٠٤هـ)، قرب الاسناد تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (قم المقدسة- ١٤١٣هـ)، ص ٢٩٩.

(٣) ابن العماد الحنبلي: ابي الفلاح عبد الحي (ت، ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار احياء التراث العربي، (بيروت - بلاتا)، ج ٨، ص ١٣٠.

(٤) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٢، ص ٢٨٦.

بالمسجد الأقصى للعبادة فقط، حج ستين حجة غالبها ماشيا على قدميه^(١). ويونس بن فارس الشرف أبو البر القادري القاهري الحنفي الذي قد حج كثيرا ماشيا وراكبا^(٢)، وفخر الدين حمزة، ويقال نور الدين محمد بن عبد الملك (ت ٨٦٦هـ) من عرفاء عصره وفحول شعراء الشيعة مؤلف محقق من أهل الفضل والتدقيق له نظم كثير في مختلف المناسبات وخاصة في مدائح أهل البيت (عليهم السلام). سافر مع الشيخ محيي الدين الطوسي الغزالي إلى الحج ماشيا على قدميه^(٣). وغير ذلك الكثير الكثير الكثير.

رابعاً: المشي على الاقدام لأداء فريضة الصلاة:

مما لا شك فيه ان الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد وثب وثبة كبرى لإحياء شعائر الدين الحنيف ومنها الذهاب لأداء فريضة الصلاة مشيا على الاقدام.

حتى انه (صلى الله عليه وآله) كان يخرج يوم الفطر ويوم الأضحى إلى المصلى ماشيا، وانه ما ركب في عيد، ولا جنازة قط. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) من السنة ان يأتي إلى العيد ماشيا ثم يركب إذا رجع^(٤). وكان كل أهل المدينة يأتون إلى المسجد للصلاة خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صباحا، وظهرا ومساء. بل كان الناس يأتون للصلاة من خارج المدينة، من مسافة أميال مشيا على الاقدام^(٥).

(١) مجير الدين الحنبلي: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد المقدسي (ت، ٩٢٧هـ)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المطبعة الحيدرية، (النجف الاشرف - ١٩٦٨)، ج ٢، ص ١٧٣.

(٢) السخاوي: محمد بن عبد الرحمن (ت، ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجليل، (بيروت - ١٩٩٢)، ج ١٠، ص ٣٤٤.

(٣) الامين: حسن (ت، ١٣٩٩هـ)، مستدرک اعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت - ١٩٨٧)، ج ٣، ص ٦٨.

(٤) البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج ٦، ص ٢٥٢.

(٥) العاملي: السيد مرتضى، مأساة الزهراء (عليها السلام) شبهات وردود، ط ٢، دار السيرة، (بيروت - ١٩٩٧)، ج ١، ص ٣٣٩.

إن المقصد الأعلى لهؤلاء الناس الذين يقطعون اميالاً مشياً على الأقدام ماذا يريدون بعملهم هذا ؟ انهم الا يريدون به الا التقرب من الله تعالى معبرين بفعلهم هذا عن حب ظاهر وصدق لرهم. واضعين في رغبتهم للتقرب من رهم بحبيهم محمد(صلى الله عليه واله وسلم) والا فيامكاهم ان يؤدوا صلواتهم في اماكنهم ولم يتكبدوا كل هذه المشقة والعناء، لكن هو الاشتياق للقاء الرب برفقة الحبيب المصطفى(صلى الله عليه واله وسلم)مصعب الرحمة فأرادوا ان يدخلوا على الرب تعالى ببركة الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)،ويخرجوا بالمغفرة. الا يستحق كل ذلك ان يقطعوا كل هذه المسافات سيراً على الأقدام.

فعن الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام)أنه سئل عن قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) قال: ليس السعي الاشدتاد ولكن يمشون إليها مشياً. وعنه (عليه السلام)أنه كان يمشي إلى الجمعة حافياً تعظيماً لها ويعلق نعليه بيده اليسرى ويقول: إنه موطن لله وهذا منه (عليه السلام)تواضع لله عز وجل^(١).

مما يجدر معرفته من هذه الرواية انه (عليه السلام)كان من آدابه ان يراعي الآداب الشرعية، متجملاً بكل مآمن شأنه ان يقربه لله تعالى. كيف لا وهو الذي نزل بحجة وبأهله: ((ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون))^(٢).

واقعا ان مثل هذه الافعال تستحق ليس المدح فحسب لأنها تكاد تكون طبيعية بالنسبة لأمر المؤمنين (عليه السلام) وهو العابد الزاهد، لكن من واجبتنا نحن ان لا

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨٦، ص ٢٥٥.

(٢) الحشر: الآية ٩.

تفوتنا مثل هذا الأدب لتسليط الضوء عليها لتتعلم منها دروس الاخلاص وما تثمره من حيازة العبد الفضل الكبير من وراء ذلك.

لهذا فان اخلاقه (عليه السلام) من السمو والرفعة بان تجعله دائما يتيقظ لحقيقة العبودية لله تعالى بحيث يسعى لأداء الجمعة مشيا على الاقدام، وفوق هذا فانه (عليه السلام) تعظيما لها كان يمشي حافيا. وليس هذا بغريب ان يصدر من رجل ورث اكرم الاخلاق وارفعتها في بيت النبوة.

وأن الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) (١٤٨هـ - ٢٠٢ او ٢٠٣هـ) كان قد خرج يوم العيد حافيا ماشيا^(١). لأنه مما تلقته الاسماع ونقلته الألسن في بقاع الأصقاع أن الخليفة المأمون وجد في يوم عيد انحراف مزاج أحدث عنده ثقلا عن الخروج إلى الصلاة بالناس، فقال لأبي الحسن علي الرضا (عليه السلام): يا أبا الحسن! قم وصل بالناس، فخرج الرضا (عليه السلام) وعليه قميص أبيض، وعمامة بيضاء، وفي يده قضيب، فأقبل ماشيا يؤم المصلى وهو يقول: السلام على آدم ونوح السلام على أبوي إبراهيم وإسماعيل السلام على أبوي محمد وعلي السلام على عباد الله الصالحين فلما رآه الناس أهرعوا إليه واثالوا عليه لتقبييل يديه^(٢).

ويبدو انه عندما اراد (عليه السلام) الخروج كان خروجه كنخروج رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) " بحيث لما طلعت الشمس قام فاغتسل وتعمم بعمامة بيضاء من قطن - كما ذكرنا سابقا- ألقى طرفا منها على صدره وطرفا بين كتفيه وتشمم، ثم قال لجميع مواليه: افعلوا مثل ما فعلت، ثم أخذ بيده عكازا ثم

(١) الأحسائي: محمد بن علي بن ابراهيم المعروف بابن ابي جمهور(ت، نحو ٨٨٠هـ)، عوالي اللئالي العزيزية في الاحاديث الدينية، تحقيق: الحاج آقا مجتبي العراقي، تقدم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، مطبعة سيد الشهداء، (قم المقدسة- ١٩٨٣)، ج ٢، ص ٢٢١.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١٧١ - ١٧٢.

خرج وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمرة، فلما مشى ومشينا بين يديه وكبر أربع تكبيرات فخيل لنا أن السماء والحيطان تجاوبه، والقواد والناس على الباب قد قهأوا ولبسوا السلاح وتزينوا بأحسن الزينة، فلما طلعتنا عليهم بهذه الصورة وطلع الرضا (عليه السلام) وقف على الباب وقفة ثم قال: الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من ميمة الأنعام، والحمد لله على ما أبلانا نرفع بها أصواتنا قال ياسر: فترعرت مرو بالبكاء والضجيج والصياح لما نظروا إلى أبي الحسن (عليه السلام)، وسقط القواد عن دواهم ورموا بخفافهم لما رأوا أبا الحسن (عليه السلام) حافيا وكان يمشي ويقف في كل عشر خطوات ويكبر ثلاث مرات"^(١).

يبدو انه (عليه السلام) كان قد بلغ من الرفعة والشرف والفضل، ومن هنا يفهم ما قام به الجميع من الموالي ومن شاهده ان يفعلوا ما كان يفعله (عليه السلام) كرامة وعزة وشرف للمناسبة وله (عليه السلام) رغبة في الاستزادة من الاجر.

خامسا: اتباع الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) مشيا على الأقدام:

لقد ظفر التراث الفكري العربي الإسلامي في تاريخه الطويل المديد، برجال وقفوا أنفسهم وما لديهم من الامكانيات والطاقات لخدمة الدين وحفظه وصيانتة من التلف والعبث والدمار، واضافوا بجهودهم وراحتهم في سبيله ما امكنهم من تقديم ما توفر باستطاعتهم واخذوا يتسابقون في خدمة الدين والرسول (صلى الله عليه واله وسلم) رغم الظروف والأحوال القاسية التي كانت تجتازهم.

(١) الشيخ الجواهري: محمد حسن النجفي (ت، ١٢٦٦هـ)، جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام، تحقيق: الشيخ عباس القوجاني، ط٢، دار الكتب الاسلامية، (طهر ان- ١٣٦٥)، ج ١١، ص ٣٧٥-٣٧٦.

فقد روي عن الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: كنت مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فسار مليا وهو راكب وسائرتة ماشيا، فالتفت إلي وقال: يا علي اركب كما ركبت، وأمشي كما مشيت فقلت: بل تركب وأنا أمشي.. فسار ثم التفت إلي وقال: يا علي اركب كما ركبت حتى أمشي كما مشيت، فأنت أخي، وابن عمي، وزوج ابنتي، وأبو سبطي. فقلت: بل تركب وأمشي. فسار مليا حتى بلغنا إلى غدیر ماء، فثنى رجله من الركاب ونزل، وأسبغ الوضوء، وأسبغت الوضوء معه، ثم صف قدميه وصلى، وصففت قدمي وصليت حذاءه، فبينما أنا ساجد، إذ قال: يا علي ارفع رأسك، فانظر إلى هدية الله إليك. فرفعت رأسي فإذا أنا بنشز من الأرض، وإذا عليه فرس بسرجه ولجامه، فقال (صلى الله عليه وآله): هذا هدية الله إليك اركبه. فركبته وسرت مع النبي صلى الله عليه وآله^(١).

يبدو لنا من خلال هذه الرواية ان الامام علياً (عليه السلام) الذي كان شغوفاً بمصاحبة الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) ابدى وبصورة جليلة الى سعادته بهذه الرفقة، ولعل هذا يعطي مبرراً لاستمراره بالمشي سيرا على الاقدام بالرغم من طلب الرسول (صلى الله عليه وآله) المتكرر له، وجوابه المتكرر بإظهار رغبته بان يبقى على حاله من المشي.

في الواقع كان بإمكانه (عليه السلام) ان تكون مصاحبته الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) راكبا، لكن هو التفتاني في اظهار الحب للمحبوب، ومن هنا يفهم جوابه بان يبقى على ما هو عليه لما فيه من كرامة وعزة وشرف، وبهذا فإننا شاهدنا كيف أثمرت هذه المشاعر الحقيقية من مكافأة منه جل جلاله. فالحقيقة التي كان يعيشها الامام (عليه

(١) قطب الدين الراوندي: سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله بن الحسن (ت، ٥٧٣هـ)، الخرائج والجرائح، تحقيق: مؤسسة الامام المهدي (ع)، باشراف: السيد محمد باقر الموحد الاطحي، (قم المقدسة - ١٤٠٩ هـ)، ج ٢، ص ٥٤١ - ٥٤٣.

السلام) انه اراد السعادة التي تكمن بحب الله سبحانه وتعالى وحب حبيبه الرسول
المصطفى (صلى الله عليه وآله).

وصورة اخرى في غزوة تبوك تخلف أبو ذر وأبطاء به بعيره، فحمل متاعه على ظهره
وتبع أثر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ماشيا حتى لحق به، فلما رآه رسول الله
قال: " رحم الله أبا ذر! يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده "^(١). حتى انه
كان (رضوان الله عليه) يذهب من المدائن إلى الشام ماشيا وعليه كساء سراويل مشمرا^(٢).

المثير في موقف ابي ذر ان حالة الاحباط لم تعرف طريقها اليه بالرغم من تخلفه عن
ركب الرسول (صلى الله عليه وآله) بعد ان ابطأت به دابته، فمعرفة ابي ذر بما كان يريد
حقا كان قد دفعه الى ان يواصل الالتحاق بركب الرسول (صلى الله عليه وآله)، لكن
السؤال هو كيف وصل؟ لقد وصل رضوان الله تعالى عليه مشيا على الاقدام بعد
الاستعانة والتوكل على الله سبحانه وتعالى. دفعته الرغبة الحقيقية في نفسه للالتحاق
بالرسول (صلى الله عليه وآله)، ولعل في موقفه هذا تجسدت لنا صورة اخرى من صور
قوة الايمان وقوة اليقين، وعدم حرمان نفسه من مصاحبة الرسول (صلى الله عليه
وآله) وما فيها من طمأنينة والطمع بالحصول على الاجر بالتقرب لله تعالى.

ولا باس ان نذكر هنا بانه عندما كان الامام علي (عليه السلام) يجهز النبي صلى الله
عليه وآله وسلم حين كان في الغار ويأتيه بالطعام، استأجر له ثلاث رواحل للنبي (صلى
الله عليه وآله وسلم) ولأبي بكر ولدليلهم قلوفا، وخلفه النبي (صلى الله عليه وآله
وسلم) يخرج إليه أهله فأخرجهم وأمره أن يؤدي عنه أمانته ووصايا كان يؤتمن عليه من
مال فادى علي (عليه السلام) عنه أمانته كلها وأمره أن يضطجع على فراشه ليلة خرج

(١) العسكري: السيد مرتضى، أحاديث أم المؤمنين عائشة، ط ٥، مطبعة صدر، ١٩٩٤، ج ١، ص ٣٠١.
(٢) ابن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد بن عبيد (ت، ٢٨١هـ)، التواضع والحمول، تحقيق: محمد عبد القادر احمد
عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٩٨٩)، ص ١٨٨ - ١٨٩.

وسلم) في كل سنة من مكة حافيا ذاهبا وراجعا^(١)، وغير ذلك من الامثلة الشيء الكثير.

(١) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٣، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

الفصل الثاني

ايقونات سلام لإحياء شعيرة المشي على الأقدام في

زيارة الامام (عليه السلام)

أولاً: المشي على الاقدام لزيارة الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام):

كثيراً ما كان الموالمون يبحثون المزيد من مظاهر ابداء حبههم لآل بيت الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لما في ذلك من ابعاد تحقق في معناها السعادة لهم، ولعل من بينها زيارة امير المؤمنين (عليه السلام). فقد قال ابن مارد لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام): ما لمن زار جدك أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: يا ابن مارد من زار جدي عارفا بحقه كتب الله له بكل خطوة حجة مقبولة وعمرة مبرورة، والله يا ابن مارد ما تطعم النار قدما تغيرت في زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) ماشياً كان أو راكباً^(١)، ومما ورد لزيارته (عليه السلام) ان يرد اليه ماشياً من حيث أمكن السعي^(٢).

فعن الحسين بن إسماعيل الصيرفي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من زار أمير المؤمنين (عليه السلام) ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجة وعمرة، فإذا رجع ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجتين وعمرتين. وعن الصادق (عليه السلام): من زار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عارفاً بحقه كتب له بكل خطوة حجة مقبولة

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، ج ١٤، ص ٣٧٦ - ٣٧٨.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

وعمره مبرورة، والله ما يطعم الله النار قدما تغبرت في زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) ماشيا كان أو راكبا^(١).

فقد زار جلال الدولة البويهى (ت، ٤٣٥ هـ) مشهد الامام علي وولده الحسين (عليهما السلام)، وكان يمشي حافيا قبل أن يصل إلى كل مشهد منهما نحو فرسخ، وكان يفعل ذلك تدينا منه^(٢).

واقعا ان هذه الرواية تشير الى قصة ذلك الموالي التي ستبقى تسير مع خطوات الزمن، حتى ان جلال الدولة كان يبدو واثقا مما يقوم به راضاً عن عمله، بحيث انه كان يجمع مع المشي التحفي ويمشي من على بعد فرسخ، ويكرر هذا العمل عند زيارته لأمر المؤمنين (عليه السلام) وسيد الشهداء (عليه السلام)، وعلى ذلك فان حالة المشي على هذه الكيفية كانت عادة لديه، غايتها تناسي ذاته وسلاحه في ذلك هو الاخلاص في النية قبل العمل بثبات القدم، وقوة القلب.

كما أن سلطان الروم سلطان سليمان الذي أجرى الماء من الفرات إلى مشهد الامام أبي عبد الله (عليه السلام)، وهو النهر الموسوم بالحسينية لما أتى إلى زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وصار بالقرب من المشهد الشريف نزل عن فرسه وقصد زيارته ماشيا، فغضب المفتي وهو قاضي العسكر، لأنه كان ناصبيا، وقال: أنت سلطان في الحياة وعلي بن أبي طالب خليفة مات فكيف تمشي لزيارته؟ وكيف لم تبق راكبا؟ فتجادبا الكلام.

فقال له المفتي: إن كنت شاكا في كلامي فتفائل بالقرآن يتضح لك حقيقة الحال، فلما فتح القرآن كانت الآية هكذا: (فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى). فالتفت

(١) الكوفي: إبراهيم بن محمد الثقفي (ت، ٢٨٣ هـ)، الغارات، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الارموي، مطبعة بهممن، ج ٢، ص ٨٥٤ - ٨٥٦، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٢٦٠.

(٢) مغنية: محمد جواد، الشيعة في الميزان، دار التعارف، ط ٤، (بيروت - ١٩٧٩)، ص ١٤٦؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج ٤، ص ١٩٧.

إلى المفتي وقال: ما زادنا كلامك إلا زيادة نزع النعل والمشي حافيا إلى الروضة، وقد أصابت الأرض قدميه بجراح^(١).

لا يفوتنا الوقوف عند هذه الرواية لما فيها من اشارات لأكثر من مسألة، لعل منها "علي" هذه الاسطورة التي كانت وما زالت وستبقى تقض مضجع المخالفين لمنهجه. والملفت في الرواية مصاحبة الاضداد(الموالي والمخالف) في موقف واحد،(السلطان الموالي) و(المفتي المخالف).

وكأن لسان حال السلطان ييثر دعوة استلهمها من ال البيت(عليهم السلام)مفادها: ليتكاتف الفرد مع نفسه اولا ومع الاخر ونصبح جميعا ملكاً لله تعالى. والخلق الرفيع لدى السلطان بحيث لم يبد أي استياء او احتقار لمخالفة المفتي له، بل بالعكس من ذلك تماما تقبل ما بدر منه برحابة صدر، ولعله كان على ثقة بان نتيجة التفائل بالقرآن الكريم ستكون حاسمة لصالحه، لأن ما يقوم به كان مرتبطاً بالتوكل والاطمئنان لله تعالى ورسوله وال بيته(عليه وعليهم الصلاة والسلام). ومن جهة اخرى فان النقاء وصفاء النية والايمان الحقيقي لدى السلطان جعله يحقق ما اراد من انتصار حقيقي وبدون جهد او تعب لقيامه بممارسة شعيرة المشي. وما زاده هذا الموقف الا يقينا بعمله وزاد على ذلك المشي حافيا، حتى اصيب بجروح، يدفعه نسيان الذات للوصول إلى معشوقه وفناء نفسه من أجل ذلك.

ولا يخفى على احد ان النجف بدت وضاعة وسط البادية في رواء وبريق يراه المشاة من الحجاج محط آمالهم وموضع عقيدتهم وفخارهم وكثير منهم يقوم من بغداد يمشون على الأقدام وكم أجهد منهم الإعياء والجوع فماتوا في الطريق. فقد يراه المشاة والركبان من الزوار محط آمالهم وموضع عقيدتهم وفخارهم من جميع المسلمين ولا غرو أن يروه

(١) المياحي، مواقف الشيعة، (قم المقدسة- ١٤١٦هـ)، ج ٣، ص ٢٦٨ - ٢٧٠.

كذلك وهو مرقد صنو الرسول وزوج البتول ومن قام الاسلام بسيفه ومن هو مجمع الفضائل والمناقب فحق له أن يكون محط الآمال وموضع العز والفخر لكل مسلم^(١).

ثانياً: زيارة الامام الحسين بن علي (عليهما السلام) مشياً على الأقدام:

إن مراسم عاشوراء تشمل أنواعاً متعددة من الأعمال.. وقبل أن يحكم عليها الأخوة المنتقدون ينبغي أن يتعرفوا عليها، ويتفهموا عمقها في الجماهير الشيعية، وتأثيرها الإيجابي فيهم. ولا نجد فيها ما يبرر غيظ المغتاضين منها، ولا وقوفهم ضدها، لأنها من ثروات الشعوب الإسلامية في الالتفاف حول مقدساتها، بالشكل الذي تعتقد به وتتقرب فيه إلى الله تعالى. وقد تبلغ هذه المراسم عشرين نوعاً، ومنها الذهاب مشياً على الأقدام إلى زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، وهذه عادة أوسع ما تكون في زيارة الأربعين في العراق، حيث تتجه ملايين الشيعة وبعض السنة، من محافظات العراق المختلفة مشياً على الأقدام إلى كربلاء المقدسة، وتصل بعض المسافات إلى ٥٠٠ كيلومتر^(٢).

وهي من أعظم السنن التي نطقت بها الروايات المروية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) ففي رواية أبي الصامت قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) وهو يقول: " مَنْ أتى قبر الحسين (عليه السلام) ماشياً كتب الله له بكل خطوة الف حسنة، ومحا عنه الف سيئة، ورفع له الف درجة، فإذا أتيت الفرات فاغتسل وعلّق نعليك، وامش حافياً، وامش مشي العبد الذليل، فإذا أتيت باب الحائر فكبر اربعاً " .

وفي رواية أبي سعيد القاضي قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) في غرفة له فسمعتة يقول: " مَنْ أتى قبر الحسين ماشياً كتب الله له بكل خطوة وبكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل " .

(١) الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، بلاتا، ج ١، ص ٦٩.

(٢) العاملي، الانتصار، دار السيرة، بيروت- (٢٠٠٠)، ج ٩، ص ١٨١ - ١٨٤.

وفي رواية علي بن ميمون الصائغ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: " يا علي زر الحسين ولا تدعه. قلت: ما لمن زاره من الثواب؟ قال: مَنْ أتاه ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحا عنه سيئة، وترفع له درجة"^(١).

فمن المفضل بن عمر، عن جابر الجعفي قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) للمفضل: كم بينك وبين قبر الحسين عليه السلام؟ قال: قلت: بأبي أنت وأمي يوم وبعض يوم آخر. قال: فتزوره؟ فقال: نعم. قال: فقال: ألا أبشرك ألا أفرحك ببعض ثوابه؟ قلت: بلى جعلت فداك، قال: فقال لي: إن الرجل منكم ليأخذ في جهازه ويتهيأ لزيارته فيتبأشر به أهل السماء، فإذا خرج من باب منزله راكباً " أو ماشياً " وكل الله به أربعة آلاف ملك من الملائكة يصلون عليه حتى يوافي الحسين (عليه السلام)^(٢). وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من أتى الحسين (عليه السلام) ماشياً " كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة، فإذا أتيت الفرات فاغتسل وعلق نعليك وامش حافياً "، وامش مشي العبد الذليل فإذا أتيت باب الحير فكبر الله أربعاً " وصل عنده واسئله حاجتك"^(٣). وعن علي بن ميمون الصائغ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: يا علي زر الحسين ولا تدعه قال: قلت: ما لمن أتاه من الثواب؟ قال: من أتاه ماشياً " كتب الله له بكل خطوة حسنة و محا عنه سيئة ورفع له درجة فإذا أتاه وكل الله به ملكين يكتبان ما خرج من فيه من خير، ولا يكتبان ما يخرج من فيه من سيئ ولا غير ذلك، فإذا انصرف ودعوه وقالوا: يا ولي الله مغفور لك أنت

(١) الطبرسي، النجم الثاقب في احوال الحجة الغائب "عجل الله فرجه"، تحقيق: السيد ياسين الموسوي، مطبعة مهر، (قم المقدسة- ١٤١٥هـ)، ج ١، ص ١٦ - ٢٠.

(٢) المشهدي: الشيخ محمد بن جعفر (ت، ق٦هـ)، المزار، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، (قم المقدسة-

١٤١٩هـ)، ص ٤٣٤ - ٤٣٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ١٦٣ - ١٦٥.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ١٧٢.

من حزب الله وحزب رسوله وحزب أهل بيت رسوله والله لا ترى النار بعينك أبدا " ولا تراك ولا تطعمك أبدا" (١).

وعن أحمد بن بشير السراج عن أبي سعيد القاضي قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) في غريفة له وعنده مرازم فسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من أتى قبر الحسين ماشيا كتب الله له بكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل، ومن أتاه في سفينة فكفئت بهم سفينتهم نادى مناد من السماء: طبتم وطابت لكم الجنة (٢).

كل هذه الروايات وغيرها الكثير الكثير الذي يشيد بفضل وثواب زيارة المولى ابي عبد الله الحسين (عليه السلام) انما تشير الى ان عشاق الامام (عليه السلام) مختلفون عن غيرهم بالتميز من خلال ارتباطهم به (عليه السلام). وان الاحساس الذي ينبعث فيهم انما وقوده من جذوة ذلك الامام الذي وهب روحه وكل ما يملك، فترتب على ذلك فيض من الحب الالهي له (عليه السلام) مما خلق نتائج ايجابية في شعور وسلوك الافراد. اذ وجد اولئك المحبين فيه غايتهم المنشودة فشدوا رحالهم اليه مشيا على الاقدام.

فقد كان السلطان جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه الديلمي (ت، ٤٣٥ هـ) يزور الصالحين، وزار مرة مشهد الامام علي وولده الحسين (عليهما السلام)، وكان يمشي حافيا قبل أن يصل إلى كل مشهد منهما نحو فرسخ، يفعل ذلك تدينا " - كما ذكرنا سابقا- (٣).

لقد ورد في الرواية السابقة عبارة "يفعل ذلك تدينا" ما اروعها من عبارة تشد الاذهان والقلوب معا الى هذا الركن الروحي للحياة المتزنة من خلا تجسيد العلاقة مع

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٢٤ - ٢٥.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٣٦.

(٣) الأمين، أعيان الشيعة، ج ٤ - ص ١٩٧؛ مغنية، الشيعة في الميزان، ص ١٤٦.

الرب جل جلاله. بحيث ان العلاقة مع الرب تعالى تعطيه هذه الطمأنينة بالسير بخطى
إيمانية والتحرر من قيود الحياة للانطلاق نحو المعشوق.

والروايات الواردة في المشي إلى زيارة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (عليه
السّلام) كثيرة جداً، وورد في صحيحة الحسن بن علي الوشاء التي رواها الصدوق
(قدّس سرّه) في ثواب الأعمال ورواها أيضاً ابن قولويه (قدّس سرّه) في كتاب المزار بسند
صحيح، قال: قلت للرضا (عليه السّلام): ما لمن أتى قبر أحد من الأئمة؟ قال (عليه
السّلام): له مثل ما لمن أتى قبر أبي عبد الله (عليه السّلام). قلت: ما لمن زار قبر أبي
الحسن (عليه السّلام)؟ قال: مثل ما لمن زار قبر أبي عبد الله (عليه السّلام). وظاهر هذه
الرواية القريب من التصريح أن السؤال الأول راجع إلى ثواب الإتيان، فإذا كان المشي في
الإتيان لزيارة أبي عبد الله (عليه السّلام) أفضل من الركوب لزيارته، كما أشرنا إلى
الروايات فيه، فيكون الثواب في الإتيان لزيارة سائر الأئمة (عليهم السّلام) مشياً وركوباً
كالإتيان لزيارة أبي عبد الله (عليه السّلام).

وعن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): يا
حسين من خرج من منزله يريد زيارة الحسين بن علي (صلوات الله عليهما) إن كان
ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة وحط بها عنه سيئة، وإن كان راكباً كتب الله له
بكل خطوة حسنة وحط بها عنه سيئة حتى صار في الحائر كتبه الله من المفلحين
المنجحين. فإذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملك
فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرئك السلام ويقول لك: استأنف
العمل فقد غفر الله لك ما مضى^(١). وكان المتوكل العباسي كثير العداوة، وشديد
البغض لأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو الذي أمر الحارثين بحرث قبر

(١) الشيخ المفيد، المزار، ص ٣٠ - ٣١؛ المشهدي، المزار، ص ٣٣٩ - ٣٤٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج

الحسين (عليه السلام)، وإن يخبروا بنيانه ويخفوا آثاره، وأن يجروا عليه الماء من النهر العلقمي بحيث لا تبقى له أثر ولا أحد يقف له على خير وتوعد الناس بالقتل لمن زار قبره، وجعل رسدا من أجناده، وأوصاهم كل من وجدتموه يريد زيارة الحسين (عليه السلام) فاقتلوه، يريد بذلك إطفاء نور الله وإخفاء آثار ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فبلغ الخبر إلى رجل من أهل الخير يقال له: زيد المجنون، ولكنه ذو عقل سديد، ورأي رشيد، وإنما لقب بالمجنون لأنه أفحم كل لبيب وقطع حجة كل أديب، وكان لا يعي من الجواب ولا يمل من الخطاب. فسمع بخراب بنيان قبر الحسين (عليه السلام) وحرث مكانه، فعظم ذلك عليه واشتد حزنه وتجدد مصابه لسيدة الحسين (عليه السلام)، وكان مسكنه يومئذ بمصر، فلما غلب عليه الوجد والغرام لحرث قبر الإمام (عليه السلام) خرج من مصر ماشيا هاتما على وجهه شاكيا وجده إلى ربه، وبقي حزينا كئيبا حتى بلغ الكوفة، وكان البهلول يومئذ بالكوفة، فلقى زيد المجنون وسلم عليه فرد عليه السلام، فقال له البهلول: من أين لك معرفتي ولم ترني قط؟

فقال زيد: يا هذا اعلم أن قلوب المؤمنين جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، فقال له البهلول: يا زيد ما الذي أخرجك من بلادك بغير دابة ولا مركوب؟

فقال: والله ما خرجت إلا من شدة وجدي وحزني وقد بلغني أن هذا اللعين أمر بخراب قبر الحسين (عليه السلام) وخراب بنيانه وقتل زواره، فهذا الذي أخرجني من موطني ونقص عيشتي وأجرى دموعي وأقل هجوعي، فقال البهلول: وأنا والله كذلك فقال له: قم بنا نضمي إلى كربلاء لنشاهد قبور أولاد علي المرتضى (عليه السلام). فأخذ كل بيد صاحبه حتى وصلا إلى قبر الحسين (عليه السلام)، وإذا هو على حاله لم يتغير، وقد هدموا بنيانه، وكلما أجروا عليه الماء غار وحر واستدار بقدرته العزيز الجبار، ولم يصل قطرة واحدة إلى قبر الحسين (عليه السلام)، وكان القبر الشريف إذا جاءه الماء

يرتفع أرضه بإذن الله تعالى فتعجب زيد المجنون مما شاهده وقال: انظر يا هلول يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون^(١).

إنه حب الحسين (عليه السلام) الذي جمع الصحبة الصالحة للأفراد ممن يعشقونه ويفنون وجودهم من أجل ديمومة حبهم وحب زيارته (عليه السلام)، فقد قطعوا المسافات لمجرد تخيلهم ما كان قد يصيب قبره (عليه السلام) من ضرر، مواجهين كل الصعوبات التي قد تواجههم، واضعين نصب أعينهم الوصول إلى كعبة الأحرار، وكان هذا غاية ما يريدونه وفيه سعادتهم وراحتهم. لأنهم كانوا قد أودعوا قلوبهم لدى حبيبهم سيد الشهداء (عليه السلام)، وكم وكم وكم من حبيب وعاشق لك سيدي ومولاي قد ترك قلبه وروحه عندك وعاد لبلاده وكل كيانه تركه عندك.

واستمرت زيارة الحسين (عليه السلام) على مر العصور فعلى سبيل المثال كان علي بن محمد يزور الحسين (عليه السلام) في كل شهر، ثم كبر سنه وضعف جسمه وانقطع عنه مدة، ثم وقع إليه أنها آخر سني عمره، فحمل على نفسه وخرج ماشياً^(٢). وعلي بن الصالح الصفي الحاج ميرزا خليل الطهراني المتوطن في أرض الغري، (ت، ١٢٩٠ هـ) كان فقيهاً رجالياً، وقد بلغ من الزهد والإعراض عن زخارف الدنيا مقاماً لا يحوم حوله الخيال. كان يزور أبا عبد الله الحسين (عليه السلام) - في الزيارات المخصوصة - ماشياً إلى أن طعن في السن وفارقتة القوة^(٣). والحاج ملا علي ابن ميرزا خليل الطبيب الطهراني المتوطن بالنجف الأشرف (ت، ١٢٩٦ هـ) كان من زهاد العلماء وعبادهم. كان يزور

(١) البحراني: الشيخ عبد الله، عوالم العلوم والمعارف والأحوال والآيات والأخبار والأقوال، الامام الحسين عليه السلام، تحقيق: مدرسة الامام المهدي عليه السلام، مطبعة امير، (قم المقدسة- ١٤٠٧ هـ)، ج ١٧، ص ٧٢٨ - ٧٢٩.

(٢) السيد ابن طاووس: السد رضي الدين على بن موسى (ت، ٦٦٤ هـ)، الدرر الواقية، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، (قم المقدسة- ١٤١٤ هـ)، ص ٧٥ - ٧٧.

(٣) الطبرسي، خاتمة مستدرک الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، مطبعة ستارة، (قم المقدسة- ١٤١٥ هـ)، ج ٢، ص ١٣٧ - ١٣٩.

الحسين (عليه السلام) في أغلب الزيارات ماشياً^(١)، و الشيخ الحسين بن محمد تقى بن علي محمد النوري الطبرسي قدس سره (ت، ١٣٢٠ هـ).

الروايات مستفيضة - كما وردت سابقاً في استحباب الحج مشياً وكذلك زيارة أمير المؤمنين عليه السلام -، ولذلك كانت السنة المتعارفة عند المشرعين القيام بهذه الشعيرة الإلهية أحسن قيام. ولكن يبدو ان هذه السنة حذفت من الاعمال العامة لكثير من المستحبات التي تركت اهمالاً وتكاسلاً، ولكن الشيخ الحسين بن محمد تقى بن علي محمد النوري الطبرسي كان همه احياء السنن الدائرة والقيام بالشعائر الإلهية المتروكة فكان "مما سنّه في تلك الأعوام: زيارة سيد الشهداء مشياً على الاقدام".

فقد كان ذلك في عصر الشيخ الأنصاري من سنن الأخيار وأعظم الشعائر. لكن ترك في الأخير وصار من علائم الفقر وخصائص الأذنين من الناس، فكان العازم على ذلك يتخفى عن الناس لما في ذلك من الذل والعار، فلماً رأى الشيخ النوري ضعف هذا الامر اهتم له والتزمه فكان في خصوص زيارة عيد الأضحى يكتري بعض الدواب لحمل الأثقال والأمتعة ويمشي هو وصحبه. لكنه لضعف مزاجه لا يستطيع قطع المسافة من النجف إلى كربلاء بمبيت ليلة كما هو المرسوم عند أهله بل يقضي في الطريق ثلاث ليال ببيت الأولى في (المصلى) والثانية في (خان النصف) والثالثة في (خان النخيلة) فيصل كربلاء في الرابعة، ويكون مشيه كل يوم ربع الطريق نصفه صباحاً، ونصفه عصرًا، ويستريح وسط الطريق لأداء الفريضة وتناول الغذاء في ظلال خيمة يحملها معه. وفي السنة الثانية والثالثة زادت رغبة الناس والصلحاء بالأمر، وذهب ما كان في ذلك من الإهانة والذل إلى ان صار عدد الخيم في بعض السنين أزيد من ثلاثين لكل واحدة بين العشرين، والثلاثين نفرًا). وفي الواقع ان هذه الشعيرة الإلهية ترسخت بعد الشيخ النوري قدس سره وتحولت بمرور الزمن إلى ظاهرة سياسية خطيرة على الوجود العلماني

(١) الامين، اعيان الشيعة، ج ٨، ص ٢٤٠.

بالعراق مما دعا بالنظم السياسية العلمانية التي حكمت العراق ان تقف امام هذه الظاهرة بشدة^(١).

يبدو ان سنة الزمن تدور بنفس الحلقة فتعيد الكثير من الامور لكن بشخص ومسميات مختلفة في المظهر، ولكن هي هي في الجوهر. فقد تكررت عملية منع الزوار للذهاب الى مرقد سيد الشهداء(عليه السلام) لكن بأبي الله الا ان يتم نوره. ثم ان الرواية فيها الكثير مما يجب الالتفات اليه والوقوف عنده، ولعل من بين ذلك هو ضرورة حث الناس الى اداء وتفعيل هذه الشعائر حفاظا لها وعليها من يد النسيان والاندثار وازاحة البالي من الافكار اللصيقة بها والدخيلة عليها. والتشديد على اهمية التحرر من تلك الخرافات التي تبعث من هنا وهناك لتشويه الشعائر. وتشحيد الهمم وتأهيل الانفس كما فعل الشيخ النوري .

فلم يستوعب الطغاة في كل العصور الذين حاربهم الحسين(عليه السلام) بانهم لا يستطيعون ان يوقفوا نبض الحسين(عليه السلام) في قلوب عشاقه مهما حاولوا وعلى مر الدهر. لهذا فقد استوجب الظرف ان يظهر في كل وقت من يوقض ومضة العشق وعدم قطع هذه الشعائر.

لذا شاهدنا بان الشيخ الحسين بن محمد تقي بن علي محمد النوري الطبرسي كان قد بعث الحياة لأهداف موجودة الا انها لسبب او لآخر حاول من حاول ان يخفيها. لذا فقد قام بخطواته الذهبية التي اعادت لهذه الشعيرة بقاء وجودها وزرع بذور الامل في النفوس متخطية كل الصعوبات وصولا الى سر السعادة بمواصلة الحبيب متجاوزين العقبات التي تسلب روح العطاء بل جعلها سلماً لاستلها العطاء من منبعه الا وهو المعشوق الازلي (الحسين)، غير مستسلمين لليأس الذي ادى الى ركود ممارسة هذه الشعير

(١) الطبرسي، النجم الثاقب، ج ١، ص ١٦ - ٢٠.

للفهم الخاطيء لها والسيد حسين بن محمد بن علي الميرزا حسين ابن الطيب الميرزا خليل بن الميرزا إبراهيم الطهراني الأصل النجفي المسكن والمدفن المعروف بخليفة سلطان أو سلطان العلماء (ت، ١٣٢٦) كان عالما فقيها مدرسا الا انه لم يدرس غير الفقه زاهدا عابدا كثير التهجد يمشي على قدميه لزيارة الحسين (عليه السلام)^(١).

ثالثا: المشي لزيارة الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) (٥٨هـ - ١١٤هـ)

في عهد الامام الباقر (عليه السلام) دخل قادم من خراسان عليه (عليه السلام) ماشيا فأخرج رجله وقد تغلفنا وقال: أما والله ما جاء بي من حيث جئت إلا حبيكم أهل البيت، فقال أبو جعفر (عليه السلام): والله لو أحبنا حجر حشره الله معنا، وهل الدين إلا الحب؟ إن الله يقول: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقال: (فيحبون من هاجر إليهم) وهل الدين إلا الحب^(٢).

يبدو لنا من هذا الرواية ان سر هذا الالم الذي يتكبده المشي انما يكمن في الوصول الى غاية سامية في نهاية الطريق حيث حب ال بيت النبوة (عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام)، حيث مجاهدة النفس وتسخير الاقدام بل كل البدن للوصول الى مقام البقاء بفناء الجسم من اجل الحبيب الا وهو الامام (عليه السلام). والا فان المسافة من خراسان الى الامام الباقر (عليه السلام) ليس بهينة اذا كانت سيرا على دابة فكيف الحال اذا كانت مشيا على الاقدام. الان طريق السائرين الى مودة ال البيت (عليهم السلام) كان يستحق ما يبذل من معاناة.

(١) الأيمن، أعيان الشيعة، ج ٦، ص ١٠.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٩٥.

رابعاً: مشي الامام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) ١٢٨ هـ - ١٨٣ هـ)

أما في عهد الامام الكاظم (عليه السلام) ان هناك من يرشد الى الذهاب اليه (عليه السلام)، بان يأتيه ولو ماشيا على الارجل، فإن لم يقدر فحبوا على الركب، فإن لم يقدر فزحفا على الاست، فإن لم يقدر فعلى الوجه - كما سيأتي ذكره-. ولعل في ذلك ارشاد واضح وصريح بان طريق السائرين الى الله تعالى يكمن في معرفة ائمة العصر (عليهم السلام) لذا فهو يحتاج الى اولئك الابرار الذين لا يسألون كيف الوصول بقدر ما كان يهمهم الوصول بحد ذاته.

فعن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم قال: كنت عند أبي الحسن موسى (عليه السلام) إذ أتاه رجل نصراني ونحن معه بالعريض، فقال له النصراني: إني أتيتك من بلد بعيد وسفر شاق وسألت ربي منذ ثلاثين سنة أن يرشدني إلى خير الأديان وإلى خير العباد وأعلمهم، وأتاني آت في النوم فوصف لي رجلا بعليا دمشق فانطلقت حتى أتيتته فكلمته فقال: أنا أعلم أهل ديني وغيري أعلم مني. فقلت: أرشدني إلى من هو أعلم منك فإني لا أستعظم السفر ولا تبعد علي الشقة، ولقد قرأت الإنجيل كلها ومزامير داود، وقرأت أربعة أسفار من التوراة وقرأت ظاهر القرآن حتى استوعبته كله، فقال لي العالم: إن كنت تريد علم النصرانية فأنا أعلم العرب والعجم بها، وإن كنت تريد علم اليهود فباطي بن شراحيل السامري أعلم الناس بها اليوم، وإن كنت تريد علم الاسلام وعلم التوراة وعلم الإنجيل والزبور وكتاب هود وكلما انزل على نبي من الأنبياء في دهرك ودهر غيرك، وما نزل من السماء من خير فعلمه أحد أو لم يعلم به أحد فيه تبيان كل شيء وشفاء للعالمين، وروح لمن استروح إليه، وبصيرة لمن أراد الله به خيرا وأنس إلى الحق فأرشدك إليه، فآته ولو ماشيا على رجلك، فإن لم تقدر فحبوا على ركبتيك، فإن لم تقدر فزحفا على استك، فإن لم تقدر فعلى وجهك. فقلت: لا بل أنا أقدر على المسير في البدن والمال، قال: فانطلق من فورك حتى تأتي يثرب، فقلت: لا أعرف يثرب، فقال: فانطلق حتى تأتي مدينة النبي الذي بعث في العرب، وهو النبي العربي الهاشمي فإذا دخلتها فسل

عن بني غنم بن مالك بن النجار، وهو عند باب مسجدنا وأظهر بزة النصرانية وحليتها، فان واليها يتشدد عليهم والخليفة أشد، ثم تسأل عن بني عمرو بن مبدول، وهو ببيقيع الزبير ثم تسأل عن موسى بن جعفر وأين منزله وأين هو مسافر أم حاضر، فإن كان مسافرا فالحقه فان سفره أقرب مما ضربت إليه، ثم أعلمه أن مطران عليا الغوطة. غوطة دمشق هو الذي أرشدني إليك، وهو يقرئك السلام كثيرا ويقول لك: إني لأكثر مناجاة ربي أن يجعل إسلامي على يديك. فقص هذه القصة وهو قائم معتمد على عصاه، ثم قال: إن أذنت لي يا سيدي كفرت لك وجلست فقال: أذن لك أن تجلس ولا أذن لك أن تكفر، فجلس ثم ألقى عنه برنسه، ثم قال: جعلت فداك تأذن لي في الكلام؟ قال: نعم ما جئت إلا له. فقال له النصراني: أردد على صاحبي السلام أو ما ترد السلام؟ فقال أبو الحسن (عليه السلام): على صاحبك أن هداه الله، فأما التسليم فذاك إذا صار في ديننا. فقال النصراني: إني أسألك أصلحك الله؟ قال: سل، قال: أخبرني عن كتاب الله الذي أنزل على محمد ونطق به ثم وصفه بما وصفه به فقال "حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم" ما تفسرها في الباطن؟ فقال: أما حم فهو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في كتاب هود الذي أنزل عليه وهو منقوص الحروف، وأما الكتاب المبين فهو أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وأما الليلة ففاطمة (صلوات الله عليها) وأما قوله: فيها يفرق كل أمر حكيم يقول: يخرج منها خير كثير فرجل حكيم ورجل حكيم ورجل حكيم. فقال الرجل: صف لي الأول والآخر من هؤلاء الرجال، قال: إن الصفات تشبهه، ولكن الثالث من القوم أصف لك ما يخرج من نسله، وإنه عندكم لفي الكتب التي نزلت عليكم إن لم تغيروا وتحرفوا وتكفروا، وقديما ما فعلتم. فقال له النصراني: إني لا أستر عنك ما علمت ولا أكذبك وأنت تعلم ما أقول وكذبه والله لقد أعطاك الله من فضله، وقسم

عليك من نعمه ما لا يحطره الخطرون، ولا يستره الساترون، ولا يكذب فيه من كذب، فقولي لك في ذلك الحق كلما ذكرت فهو كما ذكرت^(١).

خامسا: زيارة الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) (١٤٨ هـ - ١٢٠٢ و ٢٠٣ هـ):

في غرة جمادى الثانية سنة ١٠٠٩ هـ خرج شاه عباس الصفوي من إصفهان ماشيا لزيارة أبي الحسن الرضا (عليه السلام)^(٢)، وقد حجج الشاه عباس سيرا على الأقدام من أصفهان إلى مشهد زيادة في تقديسه لضريح الإمام علي الرضا (عليه السلام)، وليكون في عمله هذا قدوة للإيرانيين، ومنذ ذلك العهد أصبحت مدينة مشهد مدينة مقدسة عند الشيعة الإيرانيين^(٣)، ولكي يزيدا قدسية حج إليها بنفسه ماشيا على قدميه مسافة تفوق ١٢٠٠ كيلو متر^(٤).

وكان يصحب الشيخ أبو الفضائل محمد بن الحسين بن عبد الصمد بن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح بن إسماعيل الحارثي الهمداني العاملي الجبعي (ت، ١٠١٣ هـ). الفقيه المحقق، والحكيم المتأله، والعارف البارع، والمؤلف المبدع، والباحث المكثر المجيد، والأديب الشاعر، والضليع في الفنون بأسرها، نابغة الأمة الإسلامية في عصره. والذي اختصه الشاه عباس الصفوي حضرا وسفرا حتى صحبه معه في سفره إلى التربة المقدسة، حيث مرقد الإمام الثامن سيرا على الأقدام وفاء لنذر كان نذره^(٥).

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٨٥ - ٨٧.

(٢) الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ج ٥، ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٣) الرضوي: السيد محمد الرضي، كذبوا على الشيعة، (طهران - ١٤٠٣ هـ)، ص ١٦٩.

(٤) الشيخ الأميني: عبد الحسين احمد النجفي (ت، ١٣٩٢ هـ)، الغدير في الكتاب والسنة والادب، ط ٤، دار

الكتاب العربي، (بيروت - ١٩٧٧)، ج ٣، ص ٣١٥ - ٣١٨.

(٥) الشيخ البهائي، الخديقة الهلالية، ص ٢١، ص ٣٥.

يبدو لنا وبصورة جلية من الرواية السابقة ان حقيقة السلوك الذي اظهره الشاه في المشي على الاقدام كان يقصد من وراءها اظهار القدسية للإمام (عليه السلام) ولمسافات طويلة جدا زادت على ١٢٠٠ كيلو متر. فلا يخلو شرف المدينة التي اكتسبت قدسيتها من مرقد الامام الرضا(عليه السلام). لذا فقد عمد الشاه ان يسير على الاقدام ليلبغ هذا الشرف والفضل، وكأنه يقول بان تركها مذموم عائد على الفرد بالحرمان والنقصان من الخير. وهذه الروح المعنوية العالية استطاع ان يقطع المسافات الشاسعة بيسر وسهولة.

وان احياء مثل هذه الشعيرة بنفسه من شأنها ان تقدم اعظم الدروس الاخلاقية في الاثار. وعلى هذا فلا يصغي إلى وسوسة بعض الجهلة الذين ينكرون فضل المشي إلى زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) فإنهم غافلون عن مدارك الأحكام والعبادات المستحبة ومواقع الاستظهار، وكذلك لا يعتنى بأقوالهم ولا عقائدهم في أمور الدين. هداهم الله إلى الرشد والصواب وهو الهادي إلى سواء السبيل^(١). لذا فان مسألة المشي على الاقدام اصبحت سنة متبعة عند الكثير من محبي الامام الرضا(عليه السلام) واخذت هذه الزيارة تتكرر مرارا وتكرارا حتى وصل بعضها إلى أربعين مرة ومن مدن متباعدة كما هو الحال عند محمد بن إسماعيل بن محمد خان بن هاشم بن حاتم النمازي السعد آبادي الشاهرودي (ت، ١٣٨٤هـ). كان ثقة عالما زاهدا متقيا مروجا للأحكام الشرعية ومبلغا للشرعية الأحمدية، أمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، باذلا قوته وقدرته في ذلك أزيد من سبعين سنة. وكان مجتهدا في الأحكام الشرعية مجازا في ذلك عن غير واحد من العلماء الكرام والفقهاء العظام ومراجع الخواص والعوام في الأحكام. صارفا أوقاته في الليل والنهار بالتدريس والتعليم للخواص والعوام، فلم يبرز من قلمه إلا الحواشي على البحار ونهج البلاغة و غيرهما. وخرج إلى زيارة بيت الله والأعتاب المقدسة مرات عديدة

(١) التبريزي: الميرزا جواد(ت، ١٤٢٧هـ)، الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية، (مطبعة زيتون- ١٤٢٢هـ)، ص

بعضها كان ماشيا، ومن الشاهروود إلى خراسان لزيارة الإمام الثامن (عليه السلام) أكثر من أربعين مرة ماشيا كل سنة مرة واحدة^(١).

(١) الشاهروودي، مستدركات علم رجال الحديث، ج ٦، ص ٤٦٦ - ٤٦٧؛ مستدرک سفینه البحار، ج ١، ص

الخاتمة

بعد هذه الجولة السريعة في رحاب شعيرة المشي على الاقدام لايسعنا الا ان نسلط الضوء على ابرز النتائج التي توصل اليه البحث:

ان من اولويات احياء الشعائر هي بعث الحياة فيها على مر الزمن بالرغم من كل الصعوبات والمعوقات التي قد تقف في وجهها،ومنها شعيرة المشي على الاقدام.

وهناك حقيقة تكمن في شعيرة المشي على الاقدام مفادها سباق النفس والاجتهاد في مواصلة الطريق للوصول الى سر السعادة الابدية بلقاء المحبوب بسلك طريق الاخلاص في العمل وسلامة النية.

تكررت الزيارات مشيا على الاقدام حتى بلغت الاربعين مرة عند البعض مما جعلهم يعدون حالة نفسية داخل وجدانهم تناسب المكان المقدس الذي كانوا يقصدونه.

لا بد من التحذير بان هناك الكثير من المغرضين الذين دأبوا في كل عصر على خلق ما يمكنهم من معوقات وعراقيل لكن يأبي الله الا ان يتم نوره. لذا فمن المهم ان ندرك بان الحياة قابلة للتغيير ومن الجميل التحلي بالخلق الرفيع في التعامل مع الاخر لتعزيز بقاء هذه الشعائر التي فيها الشيء غير القليل من هوية الموالي.

إن الطريق الذي يسلكه الماشي لأداء زيارته غير مشكوك في نهايته لما يصل به الى غايه سامية، حيث يغدو في سيره الى عالم الراحة والسرور حيث ينتهي به المطاف الى لقاء معشوقه.

إن تسخير النفس والبدن تحت راية التقرب لله سبحانه وتعالى ولرسوله وال بيته(صلى الله عليه وعليهم وسلم) من شأنها ان ترفع الزائر الى مقام لا يعرف الفناء أبداً، لذا نرى ان الالم الذي يتعرض له الزائر والجراحات التي تلحق به ما هي الا اوسمة شرف

له لا سيما المشي على قدميه، لما في ذلك من مجاهدة النفس، وهذه من اعظم الدروس الاخلاقية.

ان في اداء شعيرة المشي حالة من تفتيش النفس، ومراقبة الحياة، والقاء نظرة على الذات، ليقف المشي على الكثير من الأمور منها التعبير عن تدينه وحبه لربه ولرسوله ولآل بيته (عليه وعليهم الصلاة والسلام)، لذا فإننا وجدنا هذه الفئة الطيبة تلجأ لأداء مناسكها مشيا على الاقدام بالرغم من توفر وسائل النقل التي تقيها الألم. الا انهم يأبون الا الوصول لمحبوبهم بهذه الكيفية تدينا وحبنا و فناء لذاتهم امام معشوقهم.

ان شعيرة المشي على الاقدام امتازت بصفة الديمة بالرغم من حالة الفتور التي قد تكتنفها الا انها بقيت على مر الزمن شعيرة باقية لا يمكن ان تختفي حتى وان كان هناك من يحاول عبثا منعها إلا أنها بقت وستبقى تعبيرا شامخا لأداء الشعائر.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١. القرآن الكريم.
٢. الأحسائي: محمد بن علي بن ابراهيم المعروف بابن ابي جمهور(ت، نحو ٨٨٠هـ).
٣. عوالي اللآلي العزيزية في الاحاديث الدينية، تحقيق: الحاج آقا مجتبي العراقي، تقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، مطبعة سيد الشهداء،(قم المقدسة- ١٩٨٣).
٤. البرقي: احمد بن محمد بن خالد(ت، ٢٧٤هـ).
٥. الخاسن، تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الاسلامية،(طهران- ١٣٧٠هـ).
٦. الشيخ الجواهري: محمد حسن النجفي (ت، ١٢٦٦هـ).
٧. جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام، تحقيق: الشيخ عباس القوجاني، ط٢، دار الكتب الاسلامية،(طهران- ١٣٦٥).
٨. الحر العاملي: الشيخ محمد بن الحسن(ت، ١١٠٤هـ).
٩. وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام، ط٢، (قم المقدسة- ١٤١٤هـ).
١٠. الحميري: عبد الله بن جعفر القمي(ت، ٣٠٤هـ).
١١. قرب الاسناد تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث،(قم المقدسة- ١٤١٣هـ).
١٢. الخصبي: الحسين بن حمدان(ت، ٣٣٤هـ).
١٣. الهداية الكبرى، ط٤، مؤسسة البلاغ،(بيروت- ١٩٩١).
١٤. ابن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد بن عبيد (ت، ٢٨١هـ).

١٥. التواضع والخمول، تحقيق: محمد عبد القادر احمد عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت- ١٩٨٩).

١٦. السخاوي: محمد بن عبد الرحمن (ت، ٩٠٢هـ).

١٧. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، (بيروت- ١٩٩٢).

١٨. ابن شهر آشوب: محمد بن علي السروي المازندراني (ت، ٥٨٨هـ).

١٩. مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، (النجف الاشرف- ١٩٥٦).

٢٠. الصادق: علي بن الامام جعفر الصادق عليه السلام (ت، ٢هـ).

٢١. مسائل علي بن جعفر ومستدركاها، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (قم المقدسة- ١٤٠٩هـ).

٢٢. السيد ابن طاووس: السد رضي الدين على بن موسى (ت، ٦٦٤هـ).

٢٣. الدروع الواقية، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام، (قم المقدسة- ١٤١٤هـ).

٢٤. الطبرسي: الحاج ميرزا حسين النوري (ت، ١٣٢٠هـ).

٢٥. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (بيروت- ١٩٨٧).

٢٦. خاتمة مستدرک الوسائل، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام، مطبعة ستارة، (قم المقدسة- ١٤١٥هـ).

٢٧. النجم الثاقب في احوال الحجة الغائب "عجل الله فرجه"، تحقيق: السيد ياسين الموسوي، مطبعة مهر، (قم المقدسة- ١٤١٥هـ).

٢٨. ابن عقدة: احمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن الجارودي الكوفي (ت، ٣٣٣هـ).

٢٩. فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين فيض الدين، ١٤٢١هـ.

٣٠. ابن العماد الحنبلي: ابي الفلاح عبد الحي (ت، ١٠٨٩هـ).

٣١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار احياء التراث العربي، (بيروت - بلا تا).

٣٢. القاضي النعمان المغربي: ابو حنيفة النعمان بن محمد التميمي (ت، ٣٦٣هـ) ..
٣٣. مشرح الأخبار في فضائل الأئمة الاطهار، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، (قم المقدسة - ١٤١٤هـ).
٣٤. قطب الدين الراوندي: سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله بن الحسن (ت، ٥٧٣هـ)
٣٥. الخرائج والجرائح، تحقيق: مؤسسة الامام المهدي (ع)، بإشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، (قم المقدسة - ١٤٠٩هـ).
٣٦. الكوفي: إبراهيم بن محمد الثقفي (ت، ٢٨٣هـ).
٣٧. الغارات، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الارموي، مطبعة بهممن.
٣٨. الكوفي: محمد بن سليمان (ت، في حدود ٣٠٠هـ).
٣٩. مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، تحقيق: محمد باقر الخمودي، (قم المقدسة - ١٤١٢هـ).
٤٠. الكنيسة.
٤١. الكتاب المقدس (العهد الجديد)، (دار الكتاب المقدس - ١٩٨٠).
٤٢. المجلسي: الشيخ محمد باقر (ت، ١١١١هـ).
٤٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الاطهار، ط٢، مؤسسة الوفاء، (بيروت - ١٩٨٣).
٤٤. مجير الدين الحنبلي: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد المقدسي (ت، ٩٢٧هـ) .
٤٥. الأئمة الجليل بتاريخ القدس والخليل، المطبعة الحيدرية، (النجف الاشرف - ١٩٦٨).
٤٦. المشهدي: الشيخ محمد بن جعفر (ت، ٦هـ).
٤٧. المزار، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، (قم المقدسة - ١٤١٩هـ).
٤٨. ابن المغازلي: علي بن محمد بن محمد الواسطي الجلالي الشافعي (ت، ٤٨٣هـ).

٤٩. مناقب علي بن أبي طالب (ع)، مطبعة سبحان، ٤٢٦هـ، ص ٣١٦ .
٥٠. الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت، ٤١٣هـ).
٥١. الإرشاد في معرفة حجج على العباد، تحقيق: مؤسسة البيت عليهم السلام، ط٢، (بيروت - ١٩٩٣).
٥٢. ابن ميثم البحراني: كمال الدين بن علي بن ميثم البحراني (ت، ٦٧٩هـ).
٥٣. شرح نهج البلاغة، (قم المقدسة - ١٣٦٢هـ).
٥٤. الهيثمي: علي بن ابي بكر (ت، ٨٠٧هـ).
٥٥. مجمع الزوائد، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٩٨٨).

ثانياً: المراجع الحديثة.

١. الأمين: السيد محسن العاملي (ت، ١٣٧١هـ).
٢. لواعج الأشجان في قتل الحسين، مطبعة العرفان، (صيدا - ١٣٣١هـ).
٣. أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الامين، دار التعارف، (بيروت، بلا تا).
٤. الامين: حسن (ت، ١٣٩٩هـ).
٥. مستدرك اعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت - ١٩٨٧).
٦. الشيخ الأميني: عبد الحسين احمد النجفي (ت، ١٣٩٢هـ).
٧. الغدير في الكتاب والسنة والادب، ط٤، دار الكتاب العربي، (بيروت - ١٩٧٧).
٨. البحراني: الشيخ عبد الله.
٩. عوالم العلوم والمعارف والاحوال والآيات والأخبار والاقوال، الامام الحسين عليه السلام، تحقيق: مدرسة الامام المهدي عليه السلام، مطبعة امير، (قم المقدسة - ١٤٠٧هـ).

١٠. البروجردي: آقا حسين الطباطبائي (ت، ١٣٨٣هـ).
١١. جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية، (قم المقدسة - ١٣٩٩هـ).
١٢. البياتي: جعفر.
١٣. الأخلاق الحسينية، مطبعة مهر، (قم المقدسة - ١٤١٨هـ).
١٤. التبريزي: الميرزا جواد(ت، ١٤٢٧هـ).
١٥. الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية، (مطبعة زيتون - ١٤٢٢هـ).
١٦. الجلاي: محمد رضا الحسيني.
١٧. الإمام الحسين (ع) سماته وسيرته، دار المعروف، (قم المقدسة - ١٤١٥هـ).
١٨. الحائري: الشيخ محمد مهدي.
١٩. شجرة طوبى، ط٥، المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف - ١٣٨٥هـ).
٢٠. الرضوي: السيد محمد الرضي.
٢١. كذبوا على الشيعة، (طهران - ١٤٠٣هـ).
٢٢. الشاهرودي: الحاج الشيخ علي النمازي قدس سره (ت ١٤٠٥هـ).
٢٣. مستدرک سفينة البحار، تحقيق: الحاج الشيخ حسن بن علي النمازي، (قم المقدسة - ١٤١٨هـ).
٢٤. العاملي: السيد مرتضى.
٢٥. مأساة الزهراء (عليها السلام) شبّهات وردود، ط٢، دار السيرة، (بيروت - ١٩٩٧).
٢٦. العسكري: السيد مرتضى.
٢٧. أحاديث أم المؤمنين عائشة، ط٥، مطبعة صدر، ١٩٩٤.
٢٨. عطاردی: الشيخ عزيز الله الخبوشاني.
٢٩. مسند الإمام الرضا ابي الحسن علي بن موسى (عليهما السلام)، تحقيق: الشيخ عزيز الله الخبوشاني، طبع ونشر آستان قدس الرضوي، ١٤٠٦هـ.
٣٠. القزويني: السيد الحسيني.

٣١. القمي: الشيخ عباس (ت، ١٣٥٩هـ).
٣٢. الأنوار البهية في تواريخ الحجج الالهية، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، (قم المقدسة - ١٤١٧هـ).
٣٣. مغنية: محمد جواد.
٣٤. الشيعة في الميزان، دار التعارف، ط٤، (بيروت - ١٩٧٩).
٣٥. المياحي: الشيخ علي الأحدي (ت، ١٤١٦هـ).
٣٦. مكاتيب الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، (دار الحديث - ١٩٩٨).
٣٧. مواقف الشيعة، (قم المقدسة - ١٤١٦هـ).

ثالثاً: الموسوعات:

١. موسوعة الإمام الجواد (ع)، اشراف: ابي القاسم الخزعلي، مطبعة امير، (قم المقدسة - ١٤١٩هـ).

كيف ينظر الغرب الى أربعينية الحسين (عليه الصلاة و السلام)

الباحث و المفكر التونسي
محمد صالح المنشير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل على محمد و آل محمد و عجل فرجهم

لئن كانت الحضارة الغربية حضارة متطورة فإنه من الأسباب الجلية و العميقة لهذا التطور إهتمام مفكرها و منظريها و باحثيها بكل ماهر ضارة اجتماعية او ثقافية او تجمع انساني، خاصة اذا ما ارتبط بتاريخ او بشخصية عظيمة مثل شخصية الامام الحسين عليه الصلاة و السلام . خاصة اذا ما ارتبط الامر بإحياء ذكرى متواصلة و ممتدة و ملفتة للانتباه

انهم يعلمون جيدا عبر التاريخ من يكون الامام الحسين عليه الصلاة و السلام، لكن مظاهر الأحياء و ما يتخللها من شعائر هو مدعاة لهم لفهم العقيدة التي تحرك هذه الجموع.

انهم يروون احياء ذكرى الأربعين كيف تحولت الى ثقافة متفتحة و ممتدة تثير اهتمام كل المهتمين بمعاني القضايا الانسانية .

إن في تقاليدنا احياء ذكرى العظماء لإحياء للتاريخ الذي هو منارة الحاضر و مهاد المستقبل، فلا حياة لامة لا تحيي ذكرى عظمائهم، ففي ذلك دفع لتحرير العقول و اعمال للفكر و توطيد للعقيدة و المشاعر .

إنهم ينظرون باحترام شديد لتوافد هذه الجموع الغفيرة القادمة من كل اصقاع العالم للمشاركة في احياء ذكرى استشهاد الامام الحسين و أولاده و اخوانه و أصحابه عليهم الصلاة و السلام . و هم يشاهدون عبر وسائل اعلامهم و الأعمار الصناعية هذا الطوفان البشري الذي يفوق تعداده ال عشرين مليون إنسان كلهم في مسيرة واحدة تمتد الى حدود ستمئة كيلومتر و احيانا اكثر تسير في خشوع كامل رايتهم واحدة (راية الحسين) و شعارهم واحد (لبيك يا حسين) لا شجار فيها و لا نزاحم، مواكب الإطعام لا تنقطع و هو ما يمثل اكبر مطعم في العالم كل انواع المأكّل تعرض على الزائرين مجاناً و كل البيوت مفتوحة للراحة و النوم و الاستجمام و هذا ما لم نشاهده في اي تظاهرة إنسانية في العالم.

إنهم يعلمون أن ما يدفع هذه الجموع للتلاقي و المسير نحو الحسين عليه الصلاة و السلام إنما هو تم برؤية واضحة و عقيدة راسخة . انهم يدركون ان أمة تستلهم من تاريخ رجل عظيم لن تهزم ابدا.

إنهم يعلمون جيدا من حارب الحسين عليه الصلاة و السلام و يعلمون من يناصروه و هم ينظرون الى المسألة باحترام شديد و لكن يعلمون كيف يستفيدون من ذلك في سياساتهم، مادام قسم كبير من هذه الأمة لا يدرك معنى أربعينية الحسين عليه الصلاة و السلام.

إن الغرب بثقافته المتفتحة يدرك أكثر بكثير مما يدرك نظراؤنا من بني جلدتنا حقيقة المعارك الآي لا تحسم بالبنادق و القتل و الذبح و لكن تحسم بتحرير العقول و اعمال الفكر و احياء التاريخ.

إن مثل احياء أربعينية الامام الحسين عليه الصلاة و السلام هو تكوين و نشأة لجيل مختلف يعرف كيف يؤدي رسالته و يخدم أهدافه بأعمال العقل و تطوير العلم، لا باللجوء إلى العنف و الإرهاب لان ذلك سلاح الضعيف و المتوتر و الفاقد للشخصية. الغرب ينظر و يتابع و يدقق و يدرك أنه في كل ذكرى يزداد العدد و تتطور الأساليب لتصبح تقاليدا راسخة و متأصلة تجعل السائل يسأل، و الباحث يسأل، و المحب للاطلاع يأتي ليعاين بنفسه، خاصة و ان الايادي مفتوحة و القلوب مملوءة بحب الحسين و مبادئ الحسين رافعين شعار أبيه أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام "الناس صنفان إما اخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق" تؤمن بتفاعل الحضارات و حوار الأديان.

نعرض لكم بعض آراء و ما كتبه بعض الغربيين و ان كانت شحيحة و ذلك بقصد محاولة طمس و عدم ابراز هذه الثقافة الحسينية للشعوب الغربية.

مقالات بعض الكتاب في الثقافة الحسينية

الكاتبة الانجليزية ليزي ديردن تكتب مقال على الاندبنت بعنوان

"أعظم تجمهر ديني في العالم يحدث الآن، وأنت على الأرجح لم تسمع به حتى الآن"

يستعرض المقال الأدلة التي جعلت من زيارة الأربعين أعظم وأكبر وأرقى تجمهر ديني في العالم حيث يفوق عدد الزائرين عدد الحجاج بمخسة مرات، كما وهو أهم من مهرجان "كوم ميلا" الهندوسي الكبير لأن الأخير يحدث مرة كل ثلاث سنوات.. كما أن زيارة الأربعين تجري في أجواء أمنية خطيرة وفي خلفية التفجيرات، ما يمثل تحدياً

للإرهاب ورسالة الى العالم كله..

ثم يذكر المقال قصة لرجل أسترالي أسلم وتخلّى عن ديانتته الكاثوليكية وقد بدأت رحلته الاستكشافية بعد مشاهدة تقرير عن زيارة الأربعين الأولى بعد سقوط الطاغية في العراق عام ٢٠٠٣. ومن خلال عرض مقارنات بين التجمهر الملون في زيارة الأربعين ومشاريع دولية كبيرة مثل المساعدات التي قدمتها وزارة الدفاع الأمريكية لضحايا زلزال هايتي، حيث تم توزيع ٤ ملايين وجبة طعام، بينما يتم توزيع ما لا يقل عن ٢٠٠ مليون وجبة في العراق خلال فترة الزيارة، كل ذلك من نفقات الفقراء والخيّرين.. فيطالب الكاتب بدرج الزيارة في موسوعات الأرقام القياسية وفي عدة خانات، منها: أكبر تجمع بشري، أطول مائدة طعام في العالم، أكبر عدد للمتطوعين في حدث واحد، الخ .

يوجّه الكاتب انتقادا لاذعا للإعلام الغربي لتعاطيه المسيّس مع القضية الحسينية ويتساءل كيف يتم تغطية مظاهرة صغيرة في لندن او مسيرة لبضع المئات في هونغ كونغ او تجمع محدود في روسيا ويتم غض الطرف عن أعظم تجمهر بشري سلمي في العالم حيث السيل الجارف من النساء والرجال والأطفال؟ ويوعز الكاتب التعميم الإعلامي على زيارة الأربعين الى عدم اكتراث الإعلام الغربي بالقصص الإيجابية الملهمة خصوصا فيما يرتبط بمذهب أهل البيت. كما يشير الى أن الزائر بإمكانه أن يجد في المشاة الى الحسين قصصا من الفداء والصبر والتحمّل والعطاء وكل مفردات الخلق الرفيع ما يحتوي على مادة ثرية لإنتاج أفلام ضخمة، الا أن هوليوود مهتمة بالشخصيات الخرافية أكثر من الأبطال الحقيقيين الذين يرسمون من خلال ظاهرة الأربعين أعظم ملحمة إنسانية .

يختم الكاتب مقاله بالقول: اذا أردت أن تتعرف على الإسلام الحقيقي فعليك بزيارة الأربعين، فإنها مهرجان المثل والقيم التي جاء بها النبي (ص) خلافا لما يقوم به شرذمة التكفيريين الذين يمثلون أولئك الذين قتلوا الحسين في عاشوراء، وإذا أردت أن تتعرف على جذور "داعش" فعليك بمعرفة أعدائه.

كما يتحدث المقال مفصّلا عن قضية الإمام الحسين وآلامه التي ألهمت عشرات

الملايين الى تبني قضيته والنظر الى مصيبتة على أنها مصيبتهم

وقال راديو "اوستن" الأوروبي في تقرير نقلته وكالة "أنباء فارس" وتابعته "السومرية نيوز"، إن "الزيارة المليونية في ذكرى أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) أضخم المسيرات الدينية والسياسية في العالم"، مشيراً الى أن "وسائل الإعلام الغربية ترتكب خطيئة اعلامية بتجاهل هذا الحدث العالمي بمشاركة اكثر من ٢٠ مليون شخص قدموا من أكثر من ٨٠ دولة في العالم."

وأضاف التقرير أن "هذه الخطيئة التي ترتكبها وسائل الإعلام الغربية لم تأت من فراغ بل ثمة عوامل وراء عملية الحظر على تغطية ما يسميه الشيعة بزيارة الأربعين"، موضحاً أنه "ليس مستبعداً ان هناك قوى سياسية ودينية في الغرب تمتلك زمام التأثير في توجيه الرأي العام العالمي من خلال هيمنتها على إدارة ماكينة الإعلام العالمي تقف وراء هذا التجاهل."

وبين التقرير أن "المشاهد التي تابعها فريق الراديو من قنوات فضائية شيعية تبث من العراق على الانترنت بحضور مترجمين عرب أظهرت ان ما يشهده العراق الان هو حدث ديني لا نظير له في العالم يفوق حشود المشاركين فيه بأعداد كبيرة أيام الحج في السعودية."

الزيارةُ الأربعينيةُ

حمايةُ الذاتِ ورسالةُ الانسان

الباحثُ نزار حيدر

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

﴿السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَعَلَى أَوْلَادِ الْحُسَيْنِ وَعَلَى
أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ﴾ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

إذا كانت عاشوراء تعبيراً عن رسالة الدم الذي ينتصر على السيف، فإن الأربعين
تعبير عن رسالة التبليغ الذي ينتصر على الزيف والتضليل.

ولقد تحولت مسيرة الأربعين عبر التاريخ، وتحديدًا خلال السنين القليلة الماضية التي
اعقبت سقوط النظام الديكتاتوري المستبد، إلى لافتة إنسانية عالمية تمتد من الأرض إلى
عنان السماء وتلتف حول الكرة الأرضية مكتوباً عليها كل القيم الإنسانية العظيمة التي
ضحى من أجلها سيد شباب أهل الجنة الحسين السبط (عليه السلام) والثلة المؤمنة من
أهل بيته وأصحابه الميامين في كربلاء في عاشوراء عام ٦١ للهجرة.

هي مشاعر لا توصف، والزمان، مثل المكان، لا يستوعبها، لأنها روحية ومعنوية،
تمتزج بالعقل والفكر، لتنتج وعياً رسالياً علوياً حسيانياً فريداً.

فلمشاركة في الزحف المليوني الهادر في (أربعين) سيد شباب أهل الجنة (عليه
السلام)، له طعم الإيمان والوفاء والكرامة والحرية، وفوق كل ذلك، طعم الإنسانية التي
ضحى من أجلها الشهيد ابن الشهيد، والقتيل ابن القاتل (عليه السلام).

إن الأربعين تمنحنا اليوم طاقة خلاقة، خاصة لجيل الشباب الناشئ الذي يشترك
فيها بعشق حسيني قل نظيره، وبحماسة وابداع مشهودين.

أما طاقة خلاقة تكفي لإعادة صياغة البشرية كلها على أسس العدل والاحسان
والقسط التي قال عنها رب العزة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(١) وقوله تعالى ﴿لَقَدْ

(١) سورة النحل - ٩٠.

أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿١﴾ لو احسنا توظيفها وايصالها الى العالم بلغته وثقافته وفهمه للأشياء.

فكيف يمكننا ان نوظف هذه الطاقة الروحية والعقدية والفكرية والمادية على حد سواء لبناء الانسان وحماية الذات، في مواجهة كل هذه التحديات التي نواجهها في زمن العولمة والتكنولوجيا وفي نفس الوقت في زمن القرية الصغيرة التي صفرت المسافات فجمعت البشرية في اكفنا؟.

خاصة في مواجهة الفكر الارهابي التكفيري المتطرف والمتزمت الذي نجح، وللأسف الشديد، في غسل أدمغة الكثير من الشباب المغرر بهم، ليتحولوا الى دواب وهائم تفجر نفسها وسط الحشود البريئة، حتى من دون ان يسأل نفسه لماذا؟ ولمصلحة من؟.

أن الواجب الشرعي و الوطني و الانساني يفرض علينا ان نحول هذه الطاقة الخلاقة العظيمة التي تمنحها مسيرة الاربعين، لحماية الذات من الانحراف والتضليل والتزوير، ومن كل انواع التلوث العقدي والفكري والثقافي، خاصة ونحن نرى هذه الهجمة الشرسة التي تتعرض لها في عقائدنا و إيماننا وسلوكياتنا من القريب قبل البعيد، ومن الصديق قبل العدو، ليفرضوا علينا هزيمة الروح في حرب نفسية شعواء، الغرض منها اضعاف معنوياتنا وفل عزائمتنا واشغالنا عن تحقيق اهدافنا الحقيقية التي نسعى لإنجازها والوصول اليها على هدى مدرسة اهل البيت ((عليهم السلام)).

إنها مسؤولية الاعلام الرسالي المسؤول الذي يجب عليه ان يتحمل مسؤولية التبليغ على مستويين مهمين:

الاول: هو تبليغ المفاهيم والقيم الالهية التي تحملها هذه المسيرة العظيمة، وتكريسها في نفوس الناس لتتحول الى جزء لا يتجزأ من الشخصية والمشاعر والعقلية وبالتالي لتنعكس في السلوك والتعامل.

الثاني: تبليغ رسالة هذه المسيرة الى العالم، فكلما انتشرت واتسعت تحولت الى سبب مهم وعامل من عوامل الحماية من جانب، وفهم الآخر لرسالتنا وما نحمله من قيم واهداف من هذه المسيرة من جانب آخر.

إن تبليغها للعالم سيساعد على تجسيد المفهوم الحضاري الانساني الراقى لقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١) وانما يتحقق التعارف بالحوار والفهم المتبادل.

لا يكفي ان ينقل الاعلام الصورة فقط بل لا بد له من تثبيت هذه الصورة في العقل والوجدان والضمير والارادة والفهم والوعي، من خلال شرحها وتوثيقها بالكتابة و البحث عن فلسفتها وفحواها وماهيتها وجوهرها.

على المستوى الاول؛ فلقد علمتنا عقيلة الهاشميين السيدة زينب بنت علي عليهما السلام ان للإعلام دوراً في حماية المنجزات والاهداف وجوهر رسالة عاشوراء، فعندما تقف في مجلس الطاغية يزيد بالشام متحدية جبروته قائلة له ﴿فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحيننا، ولا يدحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين﴾ فهذا يعني انها تبشرنا بانتصار الاعلام الرسالي على التضليل والتزييف مهما بذل الطغاة من جهود لقلب الحقائق وتزييفها، شريطة ان يتحلى اعلامنا بما تحلت به العقيلة الشجاعة والبطولة سلام الله عليها.

إن مسؤولية الاعلام اليوم كبيرة جدا وخطيرة في نفس الوقت ازاء هذه الصورة واللوحة العالمية التي تتطور وتتسع كل عام في ذكرى الاربعين.

فمن جانب ينبغي ان يتحمل اعلامنا الرسالي مسؤولية التبليغ لقيم الحدث على الصعيد الوطني والشيعي والاسلامي، ومن جانب آخر ينبغي ان يتحمل تبليغ رسالته العالمية التي باتت تؤثر على الاخر ويتابعها بكل اهتمام وتركيز وشغف.

(١) الحجرات - ١٣.

وكما قال معتمد المرجعية الدينية العليا سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في خطبة صلاة الجمعة في كربلاء المقدسة في (الرابع من تشرين الثاني) المنصرم فإن مسيرة الأربعين اتخذت طابعاً عالمياً ينبغي استثماره لتوعية العالم بالمبادئ الإنسانية وتعزيز الثقافة الإسلامية، ودعوته في خطبة الجمعة (١٨ تشرين الثاني) ٢٠١٥ بشأن تفعيل عالمية القضية الحسينية وإبراز حقيقة مسيرة الاربعين للعالم على انها ليست مهرجاناً شعبياً عاماً، وإنما هي مسيرة اصحاب مبادئ انسانية يريدون المحافظة عليها رغم التحديات، على حد قوله.

اذن؛ نحن امام مسؤولية تحقق العالمية على مستوى الاعلام والتبليغ، من جانب، وامام مسؤولية تحقق الاستثمار الواعي لقيم ومبادئ هذه المناسبة السنوية العظيمة، من جانب ثان.

لقد حددت عقيلة الهاشميين زينب بنت علي عليهما السلام اسس الاعلام الرسالي الهادف، ففي خطابها واسلوبها وطريقتها في التبليغ كثير من الدروس التي ينبغي اثارها لنستفيد منها منهجا رساليا عصريا في تبليغ الرسالات.

ولكي يكون الاعلام مصداقا لقول الله تعالى ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(١)، فان عقيلة الهاشميين تعلمنا الاسس التالية:

أولاً: التحلي بالشجاعة في تبليغ الرسالة وخاصة في المواقف الصعبة، فلا تاخذنا في قول الصدق والحق ونقل الحقيقة لومة لائم.

ثانياً: الحق يؤخذ ولا يعطى ابداً، وقول الحقيقة له ثمن ينبغي ان ندفعه بلا تردد، ولذلك يجب ان لا نسكت عن حقوقنا ولا نتردد في نقل الحقائق التي يريد الظالمون والفاسدون والارهابيون تضييعها والتشويش عليها بالدعايات والاشاعات وسياسة خلط الامور والاوراق.

ثالثاً: ان نكون على يقين عندما نبليغ الرسالة، ونعتقد بما ننقل، ونثق بما نتحدث عنه، فلا نتعامل مع رسالة التبليغ كوظيفة نؤديها لنعشاش عليها، فلا تتردد لكلمة

(١) الأحزاب - ٣٩.

نسمعها او خبر نقرأه، خاصة في زمن الفتنة التي تزداد فيه الدعايات والشائعات والاكاذيب والاقاويل، وكل ذلك من اجل انتزاع الثقة واليقين من نفوسنا لتتلاعب بنا الالهواء فتتقاذفنا الشكوك لتغير او تبدل مسيرتنا وثوابتنا ومعتقداتنا.

رابعا : ان اعظم مكائد الطاغوت يتضاءل خطرهما ويتلاشى وجودها امام ارادة الانسان اذا كان على حق ومتيقناً من انه على حق، اما اذا شك في حقه وتردد في موقفه، فليس بإمكانه ان يحقق شيئا ابدا.

خامسا : ان نعرف قدر منطلقاتنا واهدافنا، ونعرف نقاط القوة عندنا.

سادسا: ان نبادر الى تبليغ الرسالة في كل الظروف والحالات، فلا نتحجج بشيء ابدا، فالتحديات اليوم خطيرة جدا، فاذا لم نبادر لنشر رسالتنا فسيغزونا الآخرون برسائلهم، وهذا امر خطير له عواقب سيئة، خاصة على جيل الشباب والنشء الجديد. اننا اصحاب رسالة علمية ينبغي ان لا نتباطأ في تبليغها، او نتهاون في ايصالها الى اسماع العالم.

تأسيسا على ذلك، فان امام هذه اللوحة العظيمة التي تقدمها مسيرة الاربعة للعالم، ينبغي ان يتحمل اعلامنا مسؤولياته التاريخية وعلى الاصعدة التالية:

أولاً: على صعيد القيم والمبادئ التي تجسدها المسيرة، اذ يجب تسليط الضوء عليها بمختلف الاشكال، بالمقال والبحث والافلام الوثائقية القصيرة والمسلسلات والافلام الوثائقية والمسابقات بمختلف اشكالها والمسرح والمعرض ومختلف فنون الادب، من اجل ان لا تكون هذه القيم والاخلاقيات موسمية في المجتمع ومنحصرة في فترة زمنية معينة، بل لتتكرس في شخصية الانسان يتعامل معها وعلى هداها طوال العام، وعلى مختلف الاصعدة، السياسية والاجتماعية والتربوية والتعليمية والاقتصادية، لنشهد ببركة عاشوراء وتضحيات السبط الشهيد (عليه السلام) انقلابا اجتماعيا حقيقيا وجذريا في الشخصية التي سعى المتجبرون والتضليليون الى مسخها ومسح هويتها.

ففي مسيرة الاربعة تتجلى كثير جدا من هذه القيم والاخلاقيات، ربما لا ينتبه لها الانسان، فيمر عليها مرور الكرام من دون ان تتوطن في شخصيته وتستقر في سلوكياته، وهنا يأتي دور الاعلام الرسالي المسؤول في تسليط الضوء على هذه القيم لتكريسها في

وعى الناس، وبالتالي لتحويلها الى سلوك يومي ليس خلال المسيرة والمناسبة السنوية فحسب وانما على مدار العام والعمر.

على الإعلام ان يتداول هذه الأحداث العاشورية دائما فيشرح اهميتها وفلسفتها وارتباطها بالواقع واهميتها كإرث ورثناه من اهل البيت (عليهم السلام) وتحديدًا من الحسين السبط الشهيد (عليه السلام) وعاشوراء وكربلاء.

ولنعتبر مسيرة الاربعين التي تمتد على مدار ثلاثة اسابيع تقريبا، دورة تدريبية وتأهيلية على قيمها الحضارية الانسانية، وورشة عمل نتدارس فيها هذه القيم، انها فرصة، فكيف يمكنها ان تترك اثرها على الناس في فكرهم وثقافتهم وسلوكهم اليومي؟.

وأخيراً تفعل الحوزة العلمية، وهي السند الشاخص والسد المنبع والقوي في حماية وبناء عقيدة الشخصية الرسالية ودفع الشبهات وبناء القيم والمبادئ وحماية المجتمع خاصة من الآفات الفكرية الخطيرة، خيرا تفعل عندما تنشر على طول طريق المسيرة الخيم والمحطات الثقافية والعلمية المختصة التي تباشر بالأجوبة على مختلف اسئلة واستفسارات الناس بالإضافة الى مباشرتها بتحمل مسؤولية التربية والتعليم والتوعية ونشر الثقافة والكتاب والكراس الهادف فضلا عن اداء الصلوات اليومية جماعاً.

على أمل اهتمام أصحاب المواكب أكثر فأكثر كذلك بهذا الجانب، وهي الوصية التي وردت في الخطاب المرجعي الاسبوع قبل الفاتت، بقوله: (نؤمن عالياً باعتزاز بالغ جهود اصحاب مواكب العزاء والخدمة ونأمل ان نجد منهم في الاعوام القادمة مزيد اهتمام بالجانب التثقيفي وتوفير فرص مناسبة في خيمهم لتعريف الزائرين بمحاسن كلمات اهل البيت (عليه السلام) والتثقيف بنهجهم وتراثهم ليكون تذكرة متواصلة).

إن المرء يتمنى عادة ان يمنح فرصة ليوظفها في تحقيق انجاز ما، كأن يزيد في علمه او يحسن من ادائه او يعيد النظر في حياته ومتبنياته وثوابته، أو حتى يتفكر في عاداته وسلوكياته وعلاقاته الاجتماعية وغير ذلك، خاصة في هذا الزمن الذي اشغلت الحياة الدنيا الانسان بدرجة مذهلة، فلم يعد يمتلك الوقت اللازم للتفكير والتفكر، خاصة في بلداننا العربية والاسلامية، والذي انشغل بها المواطن بهموم وشجون الحياة اليومية جراء

الازمات الخائفة والمتكررة والمتتالية التي ابتلتها بها السلطة الحاكمة والتي عادة ما تكون ظالمة ومستبدة.

كما ان ثقافة استهلاك التكنولوجيا هي الاخرى حولت الانسان الى قطعة تافهة في هذا العالم الذي له بداية وليس له نهاية، فتراه منهمك في العبث بأدوات التكنولوجيا الحديثة ليل نهار يستهلك ما ينتجه الآخرون بلا تفكير او روية او حتى استفادة حقيقية منها.

والعقل هو الذي يستغل الفرصة كلما سنحت له، واذا كان بإمكانه ان يصنعها لنفسه بيده فذلك افضل واحسن، ولقد حدثنا القرآن الكريم عن كيفية اغتنام فرص الخير من اجل تحقيق انجاز يخدم البشرية في اكثر من سورة وآية منها قوله تعالى يحدثنا عن نبي الله يوسف (عليه السلام) وكيف انه استغل فرصة ثقة فرعون مصر به ليتبوأ موقع المسؤولية (وزارة الخزانة) الذي غير من خلال الخدمة فيه وجه مصر، وعلى مختلف الاصعدة، الدينية منها والاجتماعية والادارية والاقتصادية وغير ذلك.

يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ اَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ اِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ اَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْاَرْضِ اِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْاَرْضِ يَتَّبِعُوهُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَلْاَجْرُ الْاٰخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اٰمَنُوْا وَكَانُوْا يَتَّقُوْنَ ﴾^(١).

اما رسول الله (صلى الله عليه وآله) وائمة اهل بيت النبوة والعصمة (عليهم السلام) فقد حثوا كثيرا على اغتنام فرص الخير، بل انهم حذروا من ضياع الفرصة اذا لم يبادر المرء الى اغتنامها في عمل الخير.

ففي الحديث الشريف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ﴿ من فتح له باب من الخير فلينتهزه فانه لا يدري متى يغلق عنه ﴾ وعن امير المؤمنين (عليه السلام) ﴿ الفرصة تمر مر السحاب، فانتهزوا فرص الخير ﴾ وعنه (عليه السلام) ﴿ الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود ﴾ وقوله (عليه السلام) ﴿ أيها الناس، الان الان، من قبل

(١) سورة يوسف (٥٤ - ٥٧).

الندم، ومن قبل ان تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن
الساحرين، او تقول: لو ان الله هداني لكنت من المتقين، او تقول حين ترى العذاب: لو
ان لي كرة فاكون من المحسنين ﴿٤١٩﴾ وقول الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)
﴿من انتظر بمعالجة الفرصة مؤجلة الاستقصاء سلبته الايام فرصته، لان من شأن الايام
السلب، وسبيل الزمن الفوت﴾.

تأسيسا على ذلك، فان مناسبة اربعين الحسين السبط (عليه السلام) والتي تتميز
بشعيرة سير المحبين الى كربلاء المقدسة لزيارة مرقده الشريف، تعد، برائي، واحدة من
اعظم الفرص الذهبية التي ينبغي لعشاق الحسين (عليه السلام) توظيفها من اجل
الاصلاح والتغيير وتحسين الاداء واعادة بناء وصياغة الشخصية، فنحن نعرف بان المشي
الى كربلاء سيرا على الاقدام يتطلب قضاء ايام وليالي طويلة قد تصل احيانا الى اكثر من
اسبوعين اذا كانت المسافة المقطوعة بعيدة، وبما ان من يمشي الى الحسين (عليه السلام)
لا ينشغل عادة بشيء سوى السير وقطع المسافة الى كربلاء المقدسة، ولذلك فان من غير
المنطقي ابدا ان تمر مثل هذه الايام كفرصة على المرء من دون ان يستغلها من اجل تحقيق
شيء ما.

ومن اجل توظيف هذه الفرصة بشكل سليم، ومن اجل ان لا تمر علينا بلا فائدة،
فانا اقترح ما يلي كخارطة طريق لعشاق سيد الشهداء (عليه السلام) ممن يمشي على
قدميه الى كربلاء المقدسة، بالاضافة الى عشاقه ممن لا يمشون اليه بسبب مانع ما.

وقبل أن ادرج المقترحات، اود ان انبه هنا الى نقطة في غاية الاهمية لتكتمل الصورة
في الازهان، وهي:

إن مجرد السير مشيا على الأقدام لزيارة الحسين السبط (عليه السلام) في كربلاء
المقدسة بنية القرية الى الله تعالى، يعد عملا مثابا عليه المرء، حتى اذا قطع المسافة صامتا،
مثلا، فلقد وردت كثير جدا من الروايات عن ائمة اهل البيت (عليهم السلام) تتحدث
عن عظمة هذه الشعيرة واهميتها ومنزلتها عند الله تعالى، منها ما روي عن أبي مُحَمَّدٍ
الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ: ((عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ: صَلَاةُ الْخَمْسِينَ،

وَزِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ، وَالتَّحْتُمُ فِي الْيَمِينِ، وَتَعْفِيرُ الْجَبِينِ، وَالْجَهْرُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)).

إلا ان المنفعة العبادية ستزداد وتتضاعف اكثر فاكثر اذا ما وظفها الانسان بشكل ارقى، ولذلك فان المقترحات التالية انما هدفها مضاعفة المنفعة الدنيوية والأخروية المرجوة من هذه الشعيرة الدينية والحسينية.

أما المقترحات فهي كالآتي:

أولا: الاجتهاد لقطع الطريق بواحدة من أعظم العبادات التي يجبها الله تعالى لعباده المؤمنين، وأهـي التفكير والتفكر، سواء التفكير بالله تعالى وخلقـه، وبالموت والحياة، او التفكير بنهضة سيد الشهداء الحسين (عليه السلام)، ليكون المرء عارفا بحق الامام وعارفا بفلسفة هذه الشعيرة، وبما اراده ائمة اهل البيت (عليهم السلام) عندما ركزوا على زيارة سيد الشهداء (عليه السلام) تحديدا، فاعطوا لها كل هذه الأهمية.

لقد حثنا الله تعالى في كتابه الكريم على التفكير في آيات عديدة منها قوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢) لماذا؟ يجيب أمير المؤمنين ((عليه السلام)) على هذا السؤال بقوله ﴿التفكر يدعو الى البر والعمل به﴾، وكذلك ﴿لا علم كالتفكر﴾، فبالتفكر يزداد المرء علما وبصيرة ومعرفة، كما يقول أمير المؤمنين ((عليه السلام)) في وصيته لولده الامام الحسن السبط (عليه السلام): ﴿وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ﴾، ولذلك قال الامام الحسن بن علي المجتبي (عليه السلام): ﴿أوصيكم بتقوى الله وادامة التفكير، فان التفكير أبو كل خير وأمه﴾، واخيرا وليس آخرا، فانه: ﴿ليست العبادة كثرة الصلاة والصوم، انما العبادة التفكير في امر الله﴾، لما أورده الامام الرضى (عليه السلام)، وقد قال الصادق يصف ابي ذر رضوان الله تعالى عليه ﴿كان اكثر عبادة ابي ذر رحمه الله التفكير

(١) سورة البقرة - ٢١٩.

(٢) الحشر - ٢١.

والاعتبار ﴿﴾، وهو القائل: ﴿﴾ تفكر ساعة خير من عبادة سنة، وذكر الآية المباركة: انما يتذكر اولوا الالباب ﴿﴾.

ولعل من اهم ما يلزم التفكير به ونحن نسير الى الحسين سيد الشهداء (عليه السلام)، هو ان نتفكر بقول الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) بشأن زيارة الحسين (عليه السلام): ﴿﴾ من زار الحسين (عليه السلام) عارفا بحقه كتب الله له ثواب الف حجة مقبولة، والف عمرة مقبولة، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﴿﴾، فإن ذلك سيفتح آفاق عظيمة وواسعة أمام عشاق سيد الشهداء ليتدبروا في معاني ثورته واهداف تضحياته الجسام، كما ان التفكير بقول المعصوم سيدفح بالمرء الى ان يتفكر بمعاني الزيارات التي يقرأها عشاق الامام الشهيد في المناسبات وفي ليالي الجمع بشكل عام، ما يثير عند الانسان فضول السعي لتغيير الذات لتتطابق واهداف الحسين الشهيد (عليه السلام).

كما إن التفكير بأحوالنا وواقعنا المزري يعد امر مهم للغاية بمثل هذا الموقف، لان المرء يكون اقرب الى الله تعالى والى ضميره من الاوقات الاخرى، فيكون اكثر استعدادا لمصارحتها بعيدا عن كل انواع التبرير.

ثانيا: السعي لاصطحاب كتاب نافع لقراءته في الطريق، ويستحسن ان يكون هذا الكتاب عن الحسين السبط (عليه السلام) وثورته واهدافه وخطبه وسيرته الربانية العطرة واخلاقياته ومناقبه الرسالية.

ثالثا: السعي لحفظ ما لا يقل عن خطبة واحدة من خطب الحسين السبط (عليه السلام)، او اية خطبة من خطب الاصحاب في ليلة ويوم عاشوراء، او اية خطبة لاهل البيت (عليهم السلام) في الكوفة او في الشام.

ولا تنس المرأة هنا ان تحفظ على الاقل خطبة واحدة من خطب السيدة زينب عليها السلام، او خطبة لواحدة من نساء العقيدة اللاتي سرن مع الحسين (عليه السلام) الى كربلاء، ومع العقيلة زينب الى الكوفة ومن ثم الى الشام، فيما يستحسن ان يحفظ الاشبال بعضا من خطب شباب كربلاء كعلي الاكبر والقاسم وغيرهما.

رابعا: السعي لتعلم على الاقل خصلة واحدة من خصال سيد الشهداء (عليه السلام)، سواء كانت من خصاله اليمانية والعبادية و الاخلاقية او الاجتماعية او سيرته مع الاخرين او ما الى ذلك.

كل امرئ بحاجة الى نموذج في حياته، وهل هناك افضل من نماذج عاشوراء لتتخذها اسوة وقدوة لنا؟. فليتعلم شباننا خصلة من الخصال الحميدة التي تميز بها القاسم بن الحسن (عليه السلام) او علي الاكبر بن الحسين (عليه السلام)، كقوة الشخصية والتميز ببعده النظر والبطولة والشجاعة بعقل ومنطق، كذلك لتتعلم المرأة المسلمة عاشقة الحسين السبط (عليه السلام) على الاقل خصلة واحدة من خصال عقيلة الهاشميين زينب الكبرى بنت علي (عليهم السلام)، كالاتزام بالحجاب في احلك الظروف واصعب المواقف، والاصحاح بالحق بإيمان وثقة وشجاعة. ولا ينسى كهولنا ان يتعلموا من الاصحاب خصالهم الرسالية العظيمة التي تمثلوا بها في كربلاء في يوم عاشوراء، كالوقار والثبات عند الشدائد والوفاء بالوعود والعهود والرجولة والشهامة.

إن من المخجل امام الحسين الشهيد (عليه السلام) ان يقضي محبوه الليالي والايام سيرا على الاقدام للوصول الى مرقد الشريف ثم يعودون الى بيوتهم من دون ان يتعلموا خصلة من خصاله الحميدة، وهو الذي نعتبره قدوتنا واسوتنا في الحياة، وهو الذي ننتظر ان يتشفع لنا مع جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند الله تعالى يوم القيامة، فكيف ندعي اننا نحب الحسين (عليه السلام) ونواليه ونحن لا نتمثل خصاله واخلاقياته ومناقبه؟ هل يعقل ذلك؟.

خامسا: من لا يرغب في القراءة، فان عليه ان يستمع على الاقل الى محاضرة مسجلة في اليوم الواحد الذي يقضيه في الطريق، وبحمد الله تعالى فان التكنولوجيا وادواتها قد اتاحت لنا مثل هذه الفرصة لنستمع الى المحاضرات ونحن نسير على اقدامنا نقطع المسافات الطويلة لزيارة مرقد السبط الشهيد في كربلاء المقدسة.

وهذا الصدد فان من المهم جدا أن يتخير المرء المحاضرات وينتقيها من بين المجموعات الكبيرة، فيختار المحاضر الافضل والمحاضرة الأفضل، واذا لم يكن بوسعه ان

يتخير الافضل والانسب والاكثر فائدة، فان عليه ان يسأل من يدلّه على ذلك، ليحقق بالاستماع افضل الفائدة وتاليا التغيير المطلوب في شخصيته وفهمه.

سادسا: السعي لاصطحاب المسائل الاسلامية للمرجع الذي اقلده من اجل ان اتعلم ولو بعض المسائل الشرعية المتلى بها، فليس من المعقول ان لا يكون محب الحسين (عليه السلام) وعاشقه لا يعرف ابسط امور دينه، او يجهل ابسط المسائل الاسلامية التي يتلى بها دائما.

إن التفقه بالدين ومعرفة مسائل الحلال والحرام، هي من المسائل المهمة التي يجب ان ينشغل بها المؤمن محب الحسين السبط (عليه السلام)، ولقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: ﴿ اذا اراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين واهمه رشده ﴾، ولذلك حث ائمة اهل البيت (عليهم السلام) على التفقه، كما في قول الامام موسى بن جعفر الصادق (عليه السلام): ﴿ تفقهوا في دين الله فان الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة والسبب الى المنازل الرفيعة والرتب الجليلة في الدين والدنيا، وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملا ﴾، أما رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقول: ﴿ اف لكل مسلم لا يجعل في كل جمعة يوما يتفقه فيه امر دينه ويسأل عن دينه ﴾.

وإن الدعوة إلى التفقه في الدين هنا لا تقتصر على التفقه في القضايا الشخصية فقط، وإنما في القضايا الاجتماعية كذلك، وهي الأهم ربما، فليتم التركيز على المسائل التي تخص العلاقات الاجتماعية وقضايا التعامل داخل الأسرة وبين زملاء العمل وفي المدرسة وفي المعمل وفي الشارع، وفي الشأن العام اذا كنت موظفا في الدولة، وكذلك التفقه في اخلاقيات التعامل مع الاخرين.

ان اغلب مشاكلنا الاجتماعية منشؤها الجهل بالموقف الشرعي، لأننا وبصراحة لا نفقه في امور ديننا كثيرا، صحيح اننا متدينون الا ان تديننا سطحي لا يمس الجذور ولذلك ترانا نرتكب الخطأ تلو الاخر، سواء بحق انفسنا او بحق الاخرين، لأننا نجهل الموقف الشرعي ازاء مثل هذه الامور ولذلك يلزمنا ان نستغل الفرصة لتعلم امور ديننا ونتفقه بالدين، لتنبصر تفاصيل حياتنا اكثر فاكثر.

وهذا الصدد فان من المفيد جدا مطالعة رسالة الحقوق للإمام السجاد علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام).

أها فرصة لاستشارة المتخصصين والعلماء الموجودين في المحطات الفكرية والثقافية على طول الطريق لمن له مشكلة اجتماعية مثلا او ما اشبهه، وكذا الذي يحتاج استشارة المحرب والخبير لمشروعه الجديد الذي يهيم بإنجازه دينيا او اجتماعيا كان او تعليميا او اقتصاديا او ما الى ذلك.

سابعاً: السعي بجد لاصطحاب من يزيدك شيئا ما في الطريق، فالصغير يصطحب كبيرا ليتعلم منه ما ينفعه، وغير المتعلم يصحب عالما في الطريق ليساله ويتعلم منه، وغير المثقف يصحب مثقفا ليتعلم منه شيئا، وهكذا.

إن من غير المناسب، ربما، ان تتكفل مجموعات متشابهة من النساء او الرجال او الشباب للسير سوية في الطريق الى الحسين (عليه السلام)، فان ذلك ربما لا يزيدهم شيئا، وبالتالي ربما سيخسرون الوقت بلا فائدة تذكر.

أما إذا سارت مجموعات مختلفة ومتفاوتة في العلم والمعرفة والخبرة والاطلاع والثقافة والتجربة، فان ذلك سيساعدها على التعلم من بعضها، بالحوار والسؤال والجواب، ما يزيدهم ويضيف لهم شيئا ما، وكما نعرف فان الناس في العلم كالأواني المستطرقة، فكما ان الماء ينتقل من المملوءة الى الفارغة او ذات الماء القليل، فكذلك العلم، فانه ينتقل من المملوء علما الى الفارغ منه او ذات العلم القليل.

لنوظف هذه الفرصة من اجل ان نزيد من علومنا وتجاربنا بالاستفادة من علم الاخرين وتجاربهم وخبراتهم، ولنندع خجل السؤال والتعلم جانبا، وان لا تأخذنا العزة بـ (الجهل) فليس العيب في ان لا يعرف الانسان شيئا، انما العيب كل العيب في ان يرفض التعلم، اعتدادا بنفسه او خجلا من الاخرين، ولنتذكر دائما حديث الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله): ﴿من لم يصبر على ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل ابدا﴾ وقول امير المؤمنين (عليه السلام): ﴿وَلَا يَسْتَحْيِينَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ﴾.

ولنتذكر بهذا الصدد دائما قول أمير المؤمنين (عليه السلام) ﴿سَلِّ تَفْقُهًا وَلَا تَسْأَلْ تَعْتَنًا، فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ الْمُتَعَتِّتِ﴾.

إن اختيار (صاحب الطريق) إلى كربلاء المقدسة امر مهم جدا، يجب ان لا نغفل عنه او نستهيى به، لأن ﴿اكثر الصواب والصلاح في صحبة اولي النهى والالباب﴾ على حد قول امير المؤمنين (عليه السلام)، ولذلك قال الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): ﴿اصحب من تتزين به ولا تصحب من يتزين بك﴾ او قول الامام الحسن المجتبي (عليه السلام) يعظ فيه جنادة في مرضه الذي توفي فيه: ﴿وَإِذَا نَارَ عَتَكَ إِلَى صُحْبَةِ الرَّجَالِ حَاجَةٌ فَاصْحَبْ مَنْ إِذَا صَحِيَّتُهُ زَانِكٌ، وَإِذَا خَدَمْتُهُ صَانِكٌ، وَإِذَا أَرَدْتَ مِنْهُ مَعُونَةً أَعَانِكَ، وَإِنْ قُلْتَ صَدَقَ قَوْلُكَ، وَإِنْ صُلْتَ شَدَّ صَوْلُكَ، وَإِنْ مَدَدْتَ يَدَكَ بِفَضْلِ مَدَّهَا، وَإِنْ بَدَتْ عَنكَ ثُلْمَةٌ سَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا، وَإِنْ سَأَلْتَهُ أَعْطَاكَ، وَإِنْ سَكَتَ عَنْهُ ابْتَدَأَكَ، وَإِنْ نَزَلَتْ إِحْدَى الْمُلِمَّاتِ بِهِ سَاءَكَ، مَنْ لَا تَأْتِيكَ مِنْهُ الْبَوَائِقُ، وَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ مِنْهُ الطَّرَائِقُ، وَلَا يَخْذُلُكَ عِنْدَ الْحَقَائِقِ، وَإِنْ تَنَازَعْتُمَا مُنْقَسِمًا أَثْرَكَ﴾، او قول امير المؤمنين (عليه السلام): ﴿صاحب العقلاء، وجالس العلماء، واغلب الهوى، ترافق الملاء الاعلى﴾.

ولقد قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم بهذا الصدد: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(١).

أما رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد قال عن الصديق الذي يحق لك ان تصحبه: ﴿لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل الذي يرى لنفسه﴾، فيما حذرنا أمير المؤمنين من (صديق) وصفه بقوله (عليه السلام): ﴿اياك ومعاشرة متبعي عيوب الناس فانه لم يسلم مصاحبهم منهم﴾.

(١) سورة الكهف - ٢٨.

ثامناً: اشغل نفسك باي شئ مفيد ونافع، ولا تقض الوقت بالعبث بجهاز التلفون
مثلا او القيل والقال والحديث الفارغ والمزاح الثقيل.

احذر، وأنت تسير الى الحسين الشهيد (عليه السلام)، أن تغتاب مؤمنا أو نتم عن
صديق او تظن بأخر ظن السوء، او تنتقص من آخر او تستهزئ برباع، فلقد حذرنا
رب العزة من كل ذلك بقوله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا
كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ
أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾^(١).

الحذر الحذر من كل حديث يفرق الجماعة ويثير الضغائن ويعمق الخلافات،
فشعارنا دائما وابدا أن الحسين (عليه السلام) يوحدنا.

لا تشغل نفسك بإرسال واستلام الرسائل القصيرة التي لا ترجو منها فائدة،
وتصور، وانت تقطع المسافات الطويلة الى كربلاء المقدسة ومرقد سيد الشهداء (عليه
السلام)، انك في محراب الصلاة او في الطواف حول بيت الله العتيق او انك تسعى بين
الصفاء والمروة، فكيف كنت ستقضي الوقت اذا كنت في مثل هذه الحالات والمواقف
المشرفة؟.

اشغل نفسك بالتفكير بكل ما يخصك، شخصيتك، علاقاتك، متبنياتك، افكارك،
ثقافتك، علمك، لتشخص، وانت تمشي الى الحسين (عليه السلام)، نواقصك وعيوبك
وما يحتاج منك للإصلاح والتغيير، لتقرر، عندما تعود، وبكل حزم وجزم واصرار، ان
تغير وتبدل وتحسن وتطور، فتغير خصلة سيئة وتكتسب خصلة حميدة، ولتبدل علاقة
سيئة مع صديق مثلا او مع افراد العائلة، خاصة الوالدين، نحو الاحسن والافضل.

إن من غير المعقول ان تمر المناسبة ويعود المرء الى منزله بعد عناء وجهد مضني كبير
من دون ان يترك كل ذلك اثر في نفسه وشخصيته وروحيته ودينه والتزاماته وسلوكياته،
فذلك عين النقصان في الحظ على حد القول المأثور عن الامام المعصوم.

(١) سورة الحجرات - ١٢.

يجب ان تترك الشعيرة اعظم الاثر في شخصية العشاق، ليعودوا الى دولهم ومدنهم
ومنازلهم شخصيات أخرى متغيرة نحو الافضل ومنقلبة على كل ما هو سلبي فيما
مضى من الايام، فاذا تغير الفرد تغير المجتمع.

يجب أن نتذكر طوال الطريق، إلى أين نحن سائرون؟ ومن هو الذي نقصده بهذه
الشعيرة؟ لتتأدب بآداب الطريق والزيارة، فنستشعر وكأننا في حضرة الامام (عليه
السلام) يعاتبنا اذا اخطأنا او سهونا ويغضب اذا اسأنا.

لنتذكر الآخرة في طريقنا الى الحسين (عليه السلام)، كما نتذكر الدنيا، ونتذكر
العبرة، كما نتذكر العبرة، ونتذكر الروح كما نتذكر العقل، ونتذكر الماضي كما نفكر
بالمستقبل، ونتذكر الاموات كما نتذكر الاحياء، ونتذكر العقاب كما نتذكر الثواب،
واخيرا نتذكر النار كما نتذكر الجنة.

تاسعا: السعي لابراز الوجه الحضاري لهذه الشعيرة العظيمة، من خلال اشاعة
النظافة في كل خطوة يقطعها العاشق للحسين (عليه السلام)، فليس من المعقول ان
نترك طريق الحسين السبط (عليه السلام) غير نظيف، ولأي سبب كان.

ولقد طالعنا جميعا هذا العام اجوبة سماحة المرجع الاعلى آية الله العظمى السيد
علي الحسيني السيستاني (دامت افاضاته) بهذا الصدد ففي معرض جوابه على سؤال
نصه (هل يعد التبرع بالمال من اجل شراء حاويات واكياس النفايات لتنظيف المواكب
الحسينية وطريق الزائرين امرا مستحبا ومن مصاديق الانفاق في خدمة الشعائر
الحسينية؟) اجاب سماحته (نعم، فان كل ما ييسر اداء الزيارة للمؤمنين ويرغبهم في القيام
بها ويساهم في راحتهم امر مستحب شرعا، وصرف المال في ذلك خدمة لزوار ابي عبد
الله الحسين (عليه السلام)، من الانفاق في سبيل الله).

وأضاف سماحته في معرض جوابه على سؤال (هل بذل الجهد من قبل مجاميع من
الشباب للتفرغ لتنظيف طريق الزوار امر مستحب؟) اجاب سماحته (ان املظة الاذى عن
طريق المسلمين امر مستحب في الشرع الحنيف، واملطته عن طريق زوار الامام الحسين
(عليه السلام) اكثر اجرا وثوابا).

وفي جوابه على سؤال (ما حكم القاء بقية الطعام على جانبي الطريق؟) قال سماحته (لا ينبغي ذلك، بل إذا كان فيه اذى للمارة أو كان من مصاديق التبذير فلا مسوغ له شرعاً).

وأخير أجاب على سؤال (هل لكم من نصيحة لنا أصحاب المواكب من جهة، والزائرين من جهة ثانية، بخصوص رعاية النظافة وحسن التنظيم في خدمة زوار الحسين (عليه السلام) قال سماحة المرجع الأعلى (ينبغي للجميع رعاية النظافة فان النظافة من الايمان، كما ورد في الحديث الشريف، كما ينبغي لهم التعاون على تنظيم هذه الزيارة المباركة بأحسن صورة لتأمين راحة الزوار وسلامتهم، وما اجمل مشهد الزيارة واروعه اذا كان يتصف بالنظافة والنظم، وما ادله على ادب المجتمع الزائر وسلوكه الراقي).

نسال الله تعالى ان يوفق الجميع للزيارة بأدائها ويتقبلها منهم بقبول حسن انه ولي التوفيق).

ذات التوصيات وردت كذلك في الخطاب المرجعي في الأسبوع قبل الفائت ما نصه (الحفاظ على المنافع العامة للناس في أماكن نصب السرادق والخيام) وأضاف (عدم تضرر الأرصفة والشوارع والأماكن العامة والأشجار والحداثق والقيام بتنظيف أماكن العزاء لأنها من تمام الخدمة للحسين وزائريه).

كذلك، فان السعي لغرس نخلة مثلاً او شجرة او اية نبتة اخرى تزيد من جمال الطريق واخضرار الطبيعة، هو الاخر سيبرز الوجه الحضاري لهذه الشعيرة. عاشراً: توظيف الفرصة لبناء علاقات اجتماعية جديدة، عائلية او فردية، لا فرق، قائمة الى اسس الحب والتعاون والاحترام المتبادل وتبادل المنفعة والخبرات. ففي الطريق الى كربلاء يصادف المرء الكثير من الناس ومن مختلف المدن والمحافظات واحياناً من الدول الاخرى غير العراق، ما يعني انه امام فرصة ثمينة لتحديث وتوسيع علاقاته وصدقاته.

الحادي عشر: وأخيراً، فان المشي إلى الحسين السبط (عليه السلام) في هذا اليوم، انما هو عمل مستحب، مهما عظم استحبابه، فلنحذر ان يتقاطع مع الواجبات،

الشخصية منها والاجتماعية، كالصلاة في اوقاتها، وعدم التغيب عن الدوام الرسمي اذا كان ذلك يضر بمصالح المواطن، ولذلك، حاول ان لا تتعارض الشعيرة مع حقوق المواطنين باي شكل من الاشكال، ولنتذكر بان الحسين السبط (عليه السلام) لا يرضى ابدا بان تكون شعائره سببا للتجاوز على حقوق الانسان، أي انسان، فالحسين (عليه السلام) ضحى من اجل ان يصون هذه الحقوق لا ان يتجاوز عليها والعياذ بالله.

أما أهم القيم التي تتمظهر في مسيرة الاربعين والتي يلزم تسليط الضوء عليها وتوثيقها وتدويرها وتداولها في الاعلام بشكل مستمر، فهي:

أولاً: الايثار والذي هو عكس الاستئثار.

إن الايثار دليل الثقة المطلقة بالله تعالى والذي قال بعد ان تحدث عن المؤثرين في محكم كتابه المجيد: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)، قال عز وجل: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْفَهُونَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾^(٣).

هذه الخصلة الراقية يلزم على الاعلام تناقلها وتكريسها بشكل واسع، فبالإيثار يحيا المجتمع، وبالاستئثار يموت، ولقد كتب امير المؤمنين (عليه السلام) للأشتر في عهده لما ولاه مصر ﴿وَأِيَّاكَ وَالْأَسْتِثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أَسْوَةٌ، وَالتَّغَابِي عَمَّا تُعْتَىٰ بِهِ مِمَّا قَدْ وَصَحَ

(١) سورة الحشر - ٩.

(٢) سورة المنافقون - ٧.

(٣) سورة النساء - ١٣١.

لِلْعُيُونِ، فَإِنَّهُ مَأْخُودٌ مِنْكَ لِعَيْرِكَ، وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَعْظِيَةُ الْأُمُورِ، وَيُنْتَصِفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ، اءَمَلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ، وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الْأَخْتِيَارَ، وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ ﴿٤٣٠﴾.

لقد تجلت صور الايثار والكرم والانفاق في مسيرة الاربعين بشكل اثار اعجاب العالم، وبأرقى صور الاخلاص لله تعالى بعيدا عن كل معنى من معاني حب الظهور والرياء وغير ذلك.

وتتجلى اهمية الايثار اكثر فاكثر في المجتمع عندما يمر بتحديات كبيرة ومخاطر جممة. ومن مصاديق الإيثار التضحية من اجل اسعاد الاخرين وحميتهم وايوائهم، وهو الامر الذي لاحظناه خلال العامين المنصرمين على وجه التحديد عندما اضطر الاهالي الى النزوح من المناطق التي سيطر عليها الارهابيون ليجدوا المأوى والامن والحضن الدافئ في المناطق التي نزحوا اليها، خاصة على طول المسافة الممتدة بين النجف الاشرف وكربلاء المقدسة.

إن الايثار الذي تحلى به الناس وهم يحتضنون النازحين هو احد الدروس العظيمة التي تعلموها من مسيرة الاربعين، فعندما يسهر خدمة المواكب على الزائرين ليقدموا لهم كل انواع الخدمة وبكل محبة وسرور وتواضع حد التوسل، فان ذلك يكرس في نفوسهم قيمة الايثار بأهى صورها، ومنهم يتعلم الآخرون.

إن الالتزام كما هو معروف مظهر من مظاهر الايثار، ولذلك ينبغي تسليط الضوء عليه في مسيرة الاربعين، وبالالتزام يتحقق مفهوم الخطاب المرجعي بقوله (نحن نقتررب من أيام مسيرة الأربعين، والقرآن الكريم وسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) يوجب علينا أن يكون مسيرنا هادفا واعيا بعيدا عن السطحية). أو كما ورد في الاستفتاءات ونصوص الخطاب المرجعي أعلاه.

هنا اود ان اشير الى نقطة في غاية الالهمية، وهي؛ إن على الاعلام ان يظهر ويكرس اهمية مثل هذه الاستفتاءات المتعلقة بمسيرة الاربعين تحديدا، وكل ما يتعلق بها من قوانين

وتوجيهات وارشادات وعلى مختلف الاصعدة والتي تصدر من الجهات الرسمية والامنية او من العتبتين المقدستين الحسينية والعباسية، من اجل اشاعة روح القانون والالتزام والانضباط، سواء على صعيد النظام والتنظيم او على الصعيد الامني او على اي صعيد آخر، ليتحول هذا الاحترام والالتزام الى ثقافة عامة في المجتمع، ضد الفوضى واللاأبالية.

كما اقترح بهذا الصدد، جمع وتوثيق وطباعة كل فقرات الخطاب المرجعي المختصة بهذه المناسبة، سواء التي ترد في الاستفتاءات او في خطب الجمعة في الصحن الحسيني الشريف، طباعتها ككتاب لتكون دليلا جامعا شاملا للسائرين الى حيث مشى سيد الشهداء (عليه السلام) في كربلاء المقدسة.

إن واجب الاعلام هو التبليغ لمثل هذه التوجيهات والتوصيات والارشادات ليساهم بشكل فعال في ترشيد المناسبة وتنظيمها لتقدم صورة حضارية للمجتمع وللزائرين وللمناسبة على حد سواء، فالعالم يتأثر اكثر عندما يتابع مثل هذه الصور والقيم في مثل هذه المسيرة التاريخية النادرة.

ثانيا: التعاون

التعاون الذي هو ثمرة قيمتين مهمتين وهما: التواضع والصبر وسعة الصدر، فاذا كان الانسان متواضعا وصبورا أمكنه التعاون مع الآخرين لإنجاز المهام المشتركة، والعكس هو الصحيح فالتكبر لا يتعاون مع الآخرين لأنه لا يرى الا نفسه، والباقون دون مستواه لا يفهمون شيئا، فلماذا عليه لو يتعاون معهم، وهل انه يحتاج اليهم ليتعاون معهم؟.

كما ان صاحب الصدر الضيق الذي تثيره كلمة نقد مثلا او رأي يختلف مع رأيه، او يغضب اذا الح عليه أحد بالطلب او يثور اذا تعب، لا يفكر بل لا يقدر على ان يتعاون مع الآخرين لأنه لا يجد القواسم المشتركة معهم.

ولقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الخصلة الرسالية العظيمة التي كان يتمتع بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكل أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بقوله عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(١).

لقد اخبرنا رب العزة انه مع الصابرين بقوله عز من قائل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢) ثم بشر الصابرين بقوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٣) بعد ان شرح فلسفة البلاء في كشف معادن الصابرين بقوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ﴾^(٤) فالصبر يخلق الارضية المناسبة والمطلوبة لصناعة الحكمة في شخصية الانسان الى جانب الرأفة في سلوكه وتعامله مع الاخرين، والذي هو عكس العنف والتزمت والتصلب.

إن الاربعين تساهم في صياغة شخصية الناس بشكل عجيب، فترى الواحد منهم مصداقا ولو مصغرا لوصف امير المؤمنين (عليه السلام) للمؤمن.

فعن أبي عبد الله ((عليه السلام)) قال: قام رجل يقال له همام، وكان عابداً ناسكاً مجتهداً، إلى أمير المؤمنين ((عليه السلام)) وهو يخطب، فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا صفة المؤمن كأننا ننظر إليه.

فقال ((عليه السلام)) في خطاب طويل: ((سهل الخليقة، لين العريكة، رصين الوفا، قليل الأذى، لا متأفك ولا متهتك، إن ضحك لم يخرق، وإن غضب لم ينزق، ضحكه تبسم، واستفهامه تعلم، ومراجعته تفهم، كثير علمه، عظيم حلمه، كثير الرحمة، لا ينجل ولا يعجل، ولا يضجر ولا يبطر، ولا يحيف في حكمه، ولا يجور في علمه، نفسه

(١) آل عمران - ١٥٩.

(٢) البقرة - ١٥٣.

(٣) البقرة - ١٥٥.

(٤) محمد - ٣١.

أصلب من الصلد، ومكادحته أحلى من الشهد، لا جشع ولا هلع، ولا عنف ولا صلف، ولا متكلف ولا متممّ، جميل المنازعة، كريم المراجعة، عدل إن غضب، رفيق إن طلب، لا يتهوّر ولا يتهتّك ولا يتجبر، خالص الودّ، وثيق العهد، وفيّ شفيق، وصول حلیم همول، قليل الفضول، راض عن الله عز وجل، مخالف لهواه، لا يغلظ على من دونه)).

واشهد انني لمست هذه الصفات في زوار ابي عبد الله (عليه السلام) في الاربعين على الرغم من الجهد والعناء وشدة التعب الذي ينتاهم، والذي عادة ما يكون مدعاة لضيق الصدر وعدم التحمل والضجر والتأفف، الا زوار الحسين (عليه السلام) فسلوكلهم شيء آخر مختلف جذرياً.

وقد وصف أبو سعيد الخدري رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال (هيّن المقولة، ليّن الخلقة، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بساماً من غير ضحك، محزوناً من غير عبوس، شديداً من غير عنف).

أما أبي جعفر ((عليه السلام)) فقال: ((إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف)).

ولقد كتب الامام امير المؤمنين (عليه السلام) في عهده الى مالك الاشر ما ولاه مصر يقول: ((فَوَلِّ مَنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لَهِ وَكَرْسُولِهِ وَلا مَامِكْ، [وَأَنْقَاهُمْ] جَبِيًّا، وَأَفْضَلَهُمْ حَلِمًا مِمَّنْ يُنْطَى عَنْ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الْأَفْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ)).

ثالثاً: العمل بروح الفريق الواحد.

إنني اعتقد أن أحد أهم الأسباب فشل الجماعات هو انها لم تتعلم كيف تعمل بعقلية الفريق وروح الجماعة وليس بعقلية الفرد، والفارق كبير وواسع بين العقليتين كما نعرف.

فاذا بحثنا عن سبب نجاح المجتمعات وفي مختلف المؤسسات سواء الدينية منها او السياسية او التعليمية او الاقتصادية او البحثية او غير ذلك، لوجدناها تحمل شعار ﴿معا نحقق الافضل﴾ اما المجتمع الفاشل فشعار كل فرد فيه ﴿لوحدي سأفعل الافضل﴾ ولن يفعل ذلك ابدا، لان الانجازات التاريخية والمفصلية يحققها المجموع وليس الفرد، واذا صادف ان حققها فرد لوحده فألما لن تدوم ابدا، وستموت بموته، ولذلك فعقلية العمل الجمعي وروح الفريق الواحد في العمل والانجاز تبني الدولة على اساس المؤسسات وليس بطريقة فردية، ولهذا السبب نلاحظ ان الدول المستقرة هي تلك الدول القائمة على المؤسسات في التخطيط والقرار والتنفيذ، اما الدول الفاشلة فهي الدول الديكتاتورية التي تقوم على اساس الفرد الواحد والقائد الضرورة والزعيم التاريخي.

إن الأربعين كرسست هذه العقلية في نفوس الناس وشخصيتهم، ومن اجل ان تلازمهم في حياتهم ينبغي تسليط الضوء على هذه المفردة المهمة، لتكون مجتمعا تحكمه العقلية الجمعية وروح الفريق وليست العقلية الفردية.

ومن علامات العقلية الفردية التي ابتلينا بها:

- أ- أننا لا نحث الفاشل لينجح، وإنما نعرقل الناجح ليفشل.
- ب- لا نلوم الفاشل على فشله، وإنما نُناسب الناجح العداء ليفشل.
- ت- نبذل كلَّ جهدٍ ممكنٍ ليتساوى عندنا الفاشل والناجح، حتى لا ينتبه احد للفارق بين الاثنين.
- ث- الناجح عندنا في دائرة الهدف، ننتهمه، نُسقطه، نغتال شخصيته، نُلاحقه، اما الفاشل ففي مأمن من يدنا ولساننا.
- ج- لا نهيئ الظروف للفاشل لينجح ولا نمكّنه من اسباب النجاح، اما الناجح فنظل نضع العصي في عجلته حتى يفشل.
- ح- نحن كأفراد ناجحين نجاحا باهراً، ولكننا كمجتمع فاشلين فشلاً ذريعاً.
- خ- الفاشلُ منّا في مجتمعه، ناجحٌ في بلاد الهجرة، والفاشلُ منّا في مجتمعه كمجموعة عمل، ناجحٌ في بلاد الهجرة كجماعة.

لماذا هذه الظاهرة؟

وأقول بكلّ وضوح، اذا لم تُجبْ بصراحة وشجاعة ووضوح على هذا السؤال فسنبقى مجتمع متخلف يتراجع يوماً بعد آخر، يندُ طاقاته ويقتل كفاءاته ويهدر نجاحاته.

وبدوري سأحاول ان أتلمّس بعض الجواب متمنياً ان يسعى كلّ واحدٍ منّا للجواب على هذا السؤال، ثم يحاول ان ياخذ، ولو بسبب ليغيره في نفسه قبل ان يحاول تغيير الآخرين، لان الإصلاح والتغيير يبدأ من الذات أولاً قبل ان يبدأ من الآخرين، وصدق الله تعالى الذي قال في محكم كتابه الكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

أولاً: لأنّ العقلية الفردية طاغية على العقلية الجمعية، يعني اننا لا نمتلك من عقلية الفريق عند الإنجاز شيئاً منها، فيما نستحضر كل العقلية الفردية من دون ان نوفر منها شيئاً.

ثانياً: كل واحدٍ منّا يسعى لتسجيل الإنجاز باسمه مهما كان دوره فيه ثانوياً او هامشياً.

ثالثاً: والادهى من ذلك عندما يذهب بعضنا الى أبعد من هذا بكثير، فتراه بمجرد ان يشعر ان الإنجاز سيُسجل باسم غيره او باسم مجموعة هو ليس احدهم تراه يفعل المستحيل من اجل ان لا يتحقّق، واذا أفلتَ الجهدُ من محاولاته وأُنجز النجاح فتراه يقلّل من قيمته مهما كان عظيماً، لماذا؟ لأنّه ليس هو من صنعه، والّا لصنع من الحبة قبة.

رابعاً: كل واحدٍ منّا يعتقد بأنّ ما يقوله او يفعله هو كل الحقيقة فيه تكمن الضرورة القصوى والحاجة الاساسية للمجتمع، وان كل ما يقوله ويفعله الآخرون ليس الا مجرد اوهام لا تُغني ولا تُسمن ولا تنفع في شيء.

(١) الرعد - ١١.

خامساً: هذه الطريقة من التفكير سببها عدم إيماننا بتكاملية الحياة، فنحن لا نؤمن بان عملي او انجازي، مهما كان عظيماً، فهو يغطي جانباً من الحياة ولذلك فهو لا يكتمل الا بعمل وجهد وانجاز الآخرين في المجالات الاخرى.

سادساً: واخيراً، فإننا لا نعترف بالعجز او على الأقل بمحدودية الطاقات والقدرات لتتكامل مع الآخرين، اننا نعتقد بأنفسنا كأبطال استثنائيين لسنا بحاجة الى جهد الاخرين وطاقاتهم ونجاحاتهم.

إن بوادر الفشل في الفريق الرياضي تلوح عندما يفكر كل عضو فيه بطريقة فردية، وعندما يسعى لتسجيل الهدف باسمه، عندما يسعى ان يلعب في الساحة بمفرده رافضاً التنسيق والمناورة مع الاخرين، فتراه محاولاً أخذ الكرة من حامي هدف فريقه ليسجلها في هدف الخصم لوحده وبلا تعاون او تنسيق او تكامل.

أما في مسيرة الاربعين فانت تلمس العقلية الجمعية على طول مسير يمتد آلاف الكيلومترات، فالتعاون والانسجام والتكاملية في اروع صورها.

إنها العقلية التي تحقق النجاح والتطور، ولذلك ينبغي ان تتركس في المجتمع وعلى مختلف الاصعدة والمستويات، لتتحول الى مجتمع ناجح بعقلية الفريق.

رابعاً: تجلي روح المسؤولية، فلقد عبر القران الكريم عن المسؤولية بقوله ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(١) ثم تحدث عن الحساب الدنيوي والاخروي الذي يدور في مدار المسؤولية بقوله ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٣).

(١) سورة الأحزاب - ٧٢.

(٢) سورة الصافات - ٤٢.

(٣) سورة الإسراء - ٣٦.

ولا اجانب الحقيقة ابدأ اذا قلت بان المسؤولية تتجلى اكثر ما تتجلى في مسيرة الاربعين، ولذلك نرى هذا الترشيح السنوي الذي تشهده المسيرة وعلى مختلف الاصعدة.

إن الأربعين تركز في شخصية الانسان روح المسؤولية بأهى صورها، فلو انها لازمت شخصيته في سلوكه على مدار العام، لتمكنا من حل الكثير من مشاكلنا وعلى مختلف الاصعدة، فكما نعرف جيدا فان احد اهم واخطر اسباب ما وصلنا اليه في العراق الان هو انعدام روح المسؤولية وغياها في المجتمع وتحديدًا عند الطبقة السياسية، فمع كل المخاطر والانتكاسات التي مررنا بها لم نسمع ان احدا يتحمل مسؤوليتها وعلن عنها بشجاعة، وكما هو معروف فانه عندما تغيب روح المسؤولية في مجتمع من المجتمعات يتعامل كل الناس بلا أبالية وعدم اكتراث واهتمام مع كل شئ، حتى يضع البلد وتضيع الاهداف.

فاذا تساءلنا مثلا عن سر قول الخطاب المرجعي ﴿لقد بحت اصواتنا﴾ فسنعرف ان السبب يكمن في عدم تعامل السياسيين مع الشأن العام بمسؤولية، فضلا عن انهم لا يتعاملون بمسؤولية حتى مع الخطاب المرجعي نفسه والذي يحمل لهم في كل اسبوع مقترح مشاريع وخطط وتوجيهات وارشادات وترشيح لو اخذ السياسيون بعشرها لكانا الان بخير ولكان البلد في حال افضل بكثير على ما هو عليه اليوم وعلى مختلف الاصعدة.

هذا حال السياسيين الذين لا يتعاملون بمسؤولية مع الموقع الرسمي العام الذين يتبوأونه.

أما المجتمع فينبغي ان يركز روح المسؤولية التي تزرعها في نفوسهم الاربعين ليتعامل بروحها في كل الشؤون بدء من التربية الاسرية والتعليم في المدرسة والجامعة وحتى الشأن العام خاصة كلما يقف على عتبة صندوق الاقتراع ليبدلي بصوته في الانتخابات النيابية العامة، فاذا تعامل بروح عالية من المسؤولية الوطنية والدينية فانه سيفكر بصوت عال وقبل ذلك سيستشير ويقلب الامور ويعود الى ذاكرته قبل ان يمنح صوته وثقته لمرشح من المرشحين، وبذلك سيحسن من خياراته، وهو الامر الذي طالما

تحدث عنه الخطاب المرجعي عندما كان يؤكد على وجوب التعامل مع صوت الناخب كمسؤولية وطنية وشرعية وليس فقط كإسقاط واجب او ممارسة حق من الحقوق الدستورية المكفولة للمواطن.

يجب ان نتعامل بمسؤولية اكبر مع الخطاب المرجعي، ولو كنا كذلك لما تغاضينا عن دعوته للتغيير في الانتخابات الاخيرة، بين متجاهل ومبرر ومفسر على ما تشتتته نفسه وهو، وانا اخشى ما اخشاه هو ان نسمع نفس العبارة من الخطاب المرجعي التي سمعها منه السياسيون (لقد بح صوتنا) فالحذر الحذر.

هنا اود ان اقف قليلا عند نقطة في غاية الاهمية، الا وهي تلبية الشارع لفتوى الجهاد الكفائي التي لولاها لانهار كل شيء في العراق ولاحتل الارهابيون حتى محافظاتنا المقدسة فضلا عن العاصمة بغداد.

إن هذه التلبية الشعبية العظيمة التي حققت التعبئة العامة في الحرب على الارهاب، ان دلت على شيء فإلما تدل على تشيع العراقيين بروح المسؤولية الوطنية والشرعية، فعلى الرغم من حالة الياس التي اصابتهم جراء الفساد والفسل الذي تورط به السياسيون خلال الفترة التي سبقت الفتوى المباركة، الا انهم هبوا هبة رجل واحد لتلبية فتوى المرجع الاعلى الذي اثبت بالفتوى انه صمام الامان الحقيقي والفعلي للعراق بوجه كل المخاطر الامنية والسياسية التي تهدد البلاد مهما عظمت.

هنا كذلك يجب الانتباه للاعتراف بلا مكابرة، كما هو ديدن البعض، ان روح الاربعين وقيمها ومسيرتها هي التي انتجت روح المسؤولية هذه عند الشعب والذي دفعته لتلبية نداء الفتوى.

انظروا الى المقاتلين في ساحات الوغى والى الشهداء الابرار، خاصة العلماء الابرار منهم والفقهاء واساتذة بحث الخارج والمدرسين في الحوزة العلمية وطلبة العلوم الدينية، فستجدونهم نماذج راقية ربتهم عاشوراء وصقلت شخصيتهم الاربعين، التي انتجت جيوش من العلماء والمثقفين والمجاهدين المضحين الذين لم يدخلوا بجياقم في سبيل القيم الرسالية العالية التي ربتهم عليها كربلاء، سواء وهم يقارعون الاستبداد والديكتاتورية

زمن النظام الجائر او اليوم وهم يواجهون الارهابيين في كل شبر من ارض العراق الطاهرة، فميزوا بمواقفهم وشهادتهم الدامية بين عماتين واحدة الهية رسالية محمدية علوية تشهد لها ساحات الوغى، كربلاء المتجددة بمفاهيمها ووعيتها ورسالتها واهدافها، والثانية تقتل الحسين الشهيد (عليه السلام) كل يوم بفسادها وسياساتها المنحرفة البعيدة كل البعد عن الخطاب المرجعي الرسالي الواضح في المنطلقات والتبنيات والاهداف، او تلك التي يعشعش في عقلها الفكر التكفيري والمتزمت والمتعنت والخرافي الذي يضر ولا ينفع، ويهدم ولا يبني، ويمزق ويفرق ولا يجمع ويوحد.

خامسا: السلام والمحبة، فمسيرة الاربعة تكرر هتين القيمتين بشكل كبير جدا وواسع ينبغي تسليط الضوء عليها لإعادة تكريس روح المواطنة والاخوة، لنقلص بالتالي شيئا فشيئا الطائفية والتعصب والقومية والمناطقية والعشائرية التي منشأها التعصب الاعمى ومرض احتكار الحقيقة وبذلك يحق لنا ان نرفع شعار ﴿الحسين (عليه السلام) يجمعنا﴾ بعيدا عن كل اسباب الفرقة.

إن جذر قيمة السلام والمحبة هو الوسطية وعدم التطرف، وهو المبدأ القرآني الذي فجع اهل البيت (عليهم السلام)، كما في قوله تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)).

أما أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد كتب للأشتر لما ولاه مصر يقول: ((وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعْمُهَا فِي الْعَدْلِ)).

وبذلك يمكننا القول بان مسيرة الاربعة بمثابة الحصانة الفكرية والعملية التي تحصن مجتمعنا من التطرف والعنف والتزمت، الذي ابتليت به اليوم الكثير من المجتمعات، اما بسبب الفكر التكفيري او بسبب العنصرية، يجمعها الفهم الخاطيء للدين ونصوصه.

وكثمرة لهذه الحصانة فان الاربعة جسدت السلام بشكل عميق في نفوس الناس، فهي اليوم تعتبر اعظم مسيرة سلمية عالمية.

كما انها جسدت معاني الوثام والمحبة والرفقة والرحمة في نفوس الناس وفي سلوكهم مع بعضهم البعض.

وكل ذلك نتاج طبيعي لحب الحسين بن علي (عليه السلام)، فالحب وفوقه الولاء يعني أنك تُحبّ القيم والمبادئ التي ضحّى من أجلها السَّبَط (عليه السلام) في عاشوراء في كربلاء، من جانب، ويعني من جانبٍ آخر أنك مستعدٌّ للعمل على وبذل الجهد من أجل نصرة تلك القيم والمبادئ وتحقيقها وإقامتها وإشاعتها في كلِّ زمانٍ ومكانٍ أنت فيه، وهي:

أولاً: قيمٌ إنسانيةٌ وليست دينيةً او مذهبيةً او قوميةً.

ثانياً: أنّها للنّاس كافةٌ ولكلِّ زمان، فهي عابرة للزّمن والجغرافية، ولذلك لا تُجانب الحقيقة ابداً عندما نقول ان الحسين (عليه السلام) هو أعظم من ضحّى من أجل الإنسانية، ولهذا السّبب خلّدته البشرية، كلُّ البشرية، على مرّ التاريخ.

إنّه ضحى لحماية القيم والمبادئ التي جاء بها الأنبياء والرّسل (عليهم السلام) للإنسانية، ولذلك نُسلّم عليه بقولنا عن المعصوم ((السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاِرِثَ آدَمَ صَفْوَةَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاِرِثَ نُوحَ نَبِيِّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاِرِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاِرِثَ مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاِرِثَ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاِرِثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَاِرِثَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) وَلِيِّ اللَّهِ)).

إنّ مسيرة الاربعين تحمل رسالةً واحدةً هي محور كلِّ الرّسالات التي ضحّى من أجلها كلُّ الاحرار من الرّسل والانبياء والأئمة والمصلحين في تاريخ البشرية، تلك الرسالة هي السّلام، فالحسين (عليه السلام) سلامٌ ضدّ العنف والارهاب، إنّه سلامٌ ضدّ الكراهية والعبودية والتكفير التي تُنتج القتل.

إنّه سلامٌ للتّعارف والتّعايش والتّعاون.

إنّه سلامٌ من أجل الحرّية والكرامة والعدل.

لقد سمّى الله تعالى نفسه بالسّلام فقال عزّ من قائل: ((هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)) فكان الحسين (عليه السلام) قرباناً للسّلام من أجل السّلام.

فالحسين (عليه السلام) رمز السّلام والحرية والكرامة والمحبة، أنّه رمزُ انسانيّ في التّعاش، وهو ضدّ العنف والارهاب، ولأننا نحبّ الحسين (عليه السلام) لذلك نحن كذلك ندعو الى السّلام والى التّعاش الإنساني، أَوْ لَمْ يَقُلْ أَبُوهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) فِي عَهْدِهِ لِلأَشْتَرِ لَمَّا وَلَّاهُ مِصْرَ: ((وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الخَلْقِ)).

إننا مع السّلام لأننا مع الحسين (عليه السلام) وإننا مع الحرية لأننا مع الحسين (عليه السلام) وإننا مع التّعاش والحبّ والتعاون وكل قيم الخير لأننا مع الحسين (عليه السلام) فهو أسوتنا وقدوتنا في كلّ ذلك، فلقد علّمنا الحسين (عليه السلام) هذه القيم الانسانية التي رضعناها مع الحليب يوم وُلدنا، ولن ننفطم عنها ابداً حتى الموت، وبين الولادة والموت تعلّمنا [إنّ الحسين (عليه السلام) أبو الضيّم].

ولأننا نحبّ الحسين (عليه السلام) ونحبّ هذه القيم الانسانية، لذلك نحن ندين كلّ أشكال العنف والارهاب، خاصّة الارهاب الذي يتلبّس بالدين والدين منه برآء، أنّهم بذلك يريدون تشويه صورة الاسلام ورسوله الذي بعثه الله تعالى رحمةً للعالمين بقوله عزّ من قائل: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)) وقد وصف رسول الله نفسه بقوله (صلى الله عليه وآله): ((أنا الرحمة المهتدة))، فهل القتل وحزّ الرقاب وتفجير السيّارات المفخّخة والاحزمة الناسفة بين جموع الأبرياء وحرق جثث الضحايا والتّمثيل بها وترويع الأمنين واغتصاب النساء من علامات هذه الرحمة؟.

لقد فضحت مسيرة الاربعين الارهاب باسم الدين وادانته، ثم قدمت نموذجاً جديداً للإسلام الحمدي الاصيل، ليس بالتنظير والانشاء، وانما بالسيرة والمسيرة، ومن اراد ان يلمس هذه الحقيقة فليشترك ولو مرة واحدة في مسيرة الاربعين ليلمس كل ذلك لمس اليد بنفسه.

لقد قالت المسيرة للعالم أنّنا مع الحسين (عليه السلام) والحسين سلامٌ. انّ الاسلام دين الرحمة، أنّه دين السّلام الذي لا تتحقّق كلّ القيم الانسانية الا في ظلّه

وتحت رايته عندما يشيعُ في المجتمع فيكون القيمة الاسمى التي يستظلُّ بها الجميع ويدافع عنها.

إن رسالة الأربعين اليوم؛ هو ان يعمّ السّلام في بلداننا ليعمّ السّلام في كلّ العالم، اذ لا يُعقل ابداً ولا يمكن ان ينعمَ العالمُ بالسّلام والأمن وشعبنا في العراق، مثلاً، يُعاني الامرّين من الإرهاب!.

يجب ان تصل هذه الرسالة الى العالم ليميز الحق عن الباطل والصدق عن الكذب فيما يتعلق بالإسلام، ليتوقف عن الدفع باتجاه الاسلاموفوبيا، فذلك ليس من صالح احد في العالم ابدا.

وعلى صعيد الترشيد والتربية والتعليم، ينبغي ان نعمل لإدخال قيم الاربعين في مناهجنا التعليمية والدراسية والتربوية، ليتعلمها النشء الجديد منذ الصغر، فان ذلك يحمي المجتمع من كل انواع الانحراف الفكري والتطرف والتزمت والعصبية في السلوك.

النقطة المهمة جدا التي يجب ان يهتم بها الاعلام هي تاريخ مسيرة الاربعين وطريقة تعامل الانظمة المستبدة معها، فان واحدة من طرق معرفة قيمة الشيء هي معرفة تاريخها فمنه نعرف اهميتها ودورها وتأثيرها في الواقع، فاذا عرفنا ان الطغاة تعاملوا مع قضية من قضايا المجتمع بعنف وقسوة فسنعرف بان هذه القضية لها دور ما في الوقوف بوجه سياسات النظام الظالم، والعكس هو الصحيح فاذا تعامل معها بإيجابية او حتى انه شجعها فتأكد بانها تخدم مصالحه واهدافه ولذلك يسعى لتوظيفها من اجل تحقيقها.

وإذا عدنا إلى تاريخ مسيرة الاربعين والتي تتمحور حول زيارة قبر سيد الشهداء الامام الحسين بن علي عليهما السلام، فسرى انما تعرضت الى القمع الشديد على مر العصور تقريبا، وهذا اكبر دليل على اهمية هذه الشعيرة وهذه المسيرة، فلو لم تترك اثرا كبيرا في نفوس الناس لتركها السلطة الظالمة وشأنها، فلماذا تتحرش بمثلها لتسبب لها صداعا مزمنا؟ الا يعني ذلك ان السلطة تعتقد بان محاربتها ومنعها اسهل مؤونة عليها لو إنها تركتها وشأنها؟.

ولشد ما أحرزني عندما اجريت استطلاعا للرأي قبل سنتين خلال مشاركتي في مسيرة الاربعين في صفوف الجيل الجديد، عما يعرفونه عن انتفاضة صفر الظافرة عام ١٩٧٧؟ ليتبين لي انهم لم يعرفوا شيئا عنها بل ان بعضهم لم يسمعوها اصلا.

لماذا؟ لأننا قصرنا في توثيق الانتفاضة وتدوينها والكتابة عنها ولذلك لم نعمل على نقل أخبارها وتفصيلها وما حدث فيها الى الاجيال الجديدة، وهذه جريمة نرتكبها ليس فقط بحق الانتفاضة وشهداءها والمعتقلين وقتها، وانما كذلك بحق الذاكرة العراقية التي نسيت اقرب الاحداث لها، اذ لم يمر على انتفاضة صفر الظافرة اكثر من اربعة عقود، فما بالك اذا مرت عليها القرون؟.

لماذا لم يعرف الجيل الجديد بان انتفاضة صفر الظافرة عام ١٩٧٧ كانت اول تحد شعبي عام لسياسات النظام الجائر المعادية للشعائر الحسينية.

لماذا لم يعرف النشء الجديد ان آباءهم واجدادهم واخوانهم ضحوا بعشرات الشهداء الذين اعدمهم النظام البائد لانهم واجهوا قرار منع مسيرة الاربعين فنادوا (يا حسين) في مسيرة التحدي من النجف الاشرف الى كربلاء المقدسة؟.

لماذا لم يعرف الجيل الجديد ان النظام الديكتاتوري البائد زج في السجون والمعتقلات عشرات الالاف لانهم تحدوا قراره الغاشم بمنع مسيرة الاربعين، بينهم علماء وفضلاء ومن مختلف شرائح المجتمع؟.

إن تدوير تفاصيل مثل هذه الاحداث المهمة جيلا لجيل بمثابة الحماية الساخنة للذاكرة من جانب وللقضية التي ضحى من اجلها الناس من جانب آخر.

لا ادري ان كان طاغوت آخر حارب قضية الحسين السبط (عليه السلام) عبر التاريخ كما حاربها الطاغية الذليل صدام حسين على مدى نيف وثلاثين عاما، فلقد بذل الطاغية كل ما بوسعه من اجل اسدال الستار على ذكرى عاشوراء وبكل ما يتعلق بها من قريب او بعيد، تارة بذريعة الحضارة على اعتبار ان الشعائر الحسينية مخالفة للتقدم الحضاري، وكأن المقابر الجماعية والانفال وحبلة من معالم الحضارة الحديثة، وتارة باسم التقشف الاقتصادي على اعتبار ان الشعائر الحسينية تكلف خزينة الناس اموالا

طائفة العراق بأمس الحاجة إليها من اجل تحقيق النهضة الحضارية، وكأن تخصيص (٧٠%) من ميزانية الدولة كل عام للأغراض العسكرية ولأغراض الامن وما يتعلق بها من سجون واجهزة تعذيب وغير ذلك من صميم النهضة الاقتصادية، أو كأن الحروب العنيفة ضد شعبنا الكردي في الشمال وضد الجارتين ايران والكويت توفر على الخزينة الاموال الطائلة وتساهم في تحقيق النهضة الاقتصادية، وتارة باسم المجهود الوطني القاضي الى الارتقاء بالتعليم والثقافة عند الشعب العراقي، على اعتبار ان الشعائر الحسينية تتناقض والثقافة والمعرفة، وكأن سياسات تكميم الافواه ومنع الناس من الاطلاع على اخبار العالم وتحويل العراق الى قفص حديدي لا يخرج منه خبر ولا يدخل اليه خبر، وحمولات تزوير التاريخ، من صميم الثقافة والمعرفة.

وهكذا ظل الطاغية ونظامه العفن يحارب الشعائر الحسينية بكل طريقة ووسيلة، لدرجة انه ابتكر في اواخر ايامه ظاهرة الاعراس الجماعية في يوم عاشوراء من كل عام تطوف في شوارع مدينة كربلاء المقدسة في مظهر من الفرح والسرور مصحوبة بفرق الرقص والغناء، في مسعى منه لإسقاط هيبة عاشوراء الخزينة في قلوب ونفوس الناس، ولقد قسط النظام الشمولي حربه ضدها من اجل ان لا يواجه ثورة الراي العام ضده، ومن اجل ان يظل مسيطر على مفاصل الحياة العامة، ولذلك بدأ حربه ضد الشعائر الحسينية بالتقسيم المريح رويدا رويدا، يساعده في ذلك جوقة وعاظ السلاطين واصحاب الاقلام المأجورة ومن خلفهم عدد كبير من مخلفات اليسار الذي ظل يبتلع طعم الحزب الحاكم مدة طويلة من الزمن.

وكان من مفاصل حرب النظام ضد شعائر الحسين الشهيد (عليه السلام) انه منع مسيرة الاربعة التي اعتاد عليها العراقيون في ذكرى اربعين الإمام (عليه السلام) والتي تصادف في العشرين من صفر من كل عام.

إلا ان العراقيين كانوا اوعى من النظام والاعبيه واساليبه الخبيثة، فقرروا التصدي لقرار المنع الذي اتخذته النظام في عام ١٩٧٧، عندما اصدر اوامره الصارمة بمنع مسيرة الاربعة في ذلك العام والحيلولة بكل وسيلة ممكنة دون وصول زائر واحد الى كربلاء مشيا على الاقدام.

وتحدياً لهذا القرار الجائر تجمع اهالي مدينة النجف الاشرف النجباء ومعهم الجموع الغفيرة التي توافدت على المدينة من كل حدب وصوب وانطلقوا بمسيرة راجلة عظيمة ومهيبية صوب مدينة ابي الاحرار الامام الحسين السبط الشهيد (عليه السلام) كربلاء المقدسة.

ولان النظام اعتبر المسيرة تحدياً صارخاً لقرار المنع، فقد قرر التصدي لها بكل ما اوتي من قوة، تمثلت بالطائرات والدبابات والقوة العسكرية الضخمة التي لم يفكر في يوم من الايام ان يسير مثلها الى اي عدو للعراق ولـ (الامة العربية) كإسرائيل مثلاً.

انتهت المسيرة بين شهيد ومعتقل ومطارد فيما وصلت بعض بقايا المسيرة الى مرقد سيد الشهداء (عليه السلام) ليلقي عليها النظام القبض بالحيل والمكائد التي وضعها في طريق من وصل ليلتقطهم الواحد تلو الاخر.

لقد عرف النظام الشمولي البائد جيداً ان الظلم وعاشوراء نقيضان لا يجتمعان، ولأنه كان يخطط لأحكام قبضته الحديدية على العراق بسياسات ظالمة تبدأ بالتمييز الطائفي والعنصري ولا تنتهي بمطاردة الشرفاء وتكميم الافواه وقمع المعارضة، لذلك فكر أولاً في ان يقضي على الجذوة التي تشعل التمرد على الظلم في نفوس العراقيين، وهي ليست الا عاشوراء وذكرى الطف وتضحيات ابا الاحرار وسيد الشهداء الحسين بن علي السبط (عليه السلام) فقرر ان يقضي على كل ما يمت بالذكرى من صلة ليقضي على روح الثورة، ليصفو له الجو فيحكم كيف يشاء وبأية طريقة ووسائل يريد.

فجاءت انتفاضة صفر المظفر العظيمة في العام ١٩٧٧ لتجدد روح عاشوراء وقيم كربلاء وتضحيات الحسين السبط (عليه السلام) واهل بيته وصحبه الميامين، ولذلك يمكن اعتبار الانتفاضة على انها يومومة عاشوراء على قاعدة ﴿كل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء﴾ فلازال هناك ظلم في زمن ما وفي أرض ما، يجب ان تتجدد عاشوراء بقيمتها وتضحياتها، لتأخذ على يد الظالم وتوقفه عند حده وتجدد روح الثورة والتمرد على الظلم في نفوس المظلومين.

وفي ذكرى انتفاضة صفر الظافرة، اود هنا، كشاهد عليها شارك في مشاهدتها منذ البداية وحتى النهاية، اود ان اسجل الحقائق والمقترحات التالية:

أولاً: ان الانتفاضة هي أول تحد شعبي جماهيري عام للنظام الديكتاتوري البائد، فهي اذن حولت المواجهة مع النظام من العمل الحزبي النخبوي الى العمل الجماهيري، ولذلك فانها المفصل في عملية التحدي والتغيير.

ثانياً: انها أول دماء تراق على الارض في مواجهة شعبية في وضح النهار، وبذلك تكون الانتفاضة قد نقلت وقود الثورة وعملية التغيير من السجون المظلمة الى الشارع وأمام مرأى ومسمع الرأي العام.

ثالثاً: ولأول مرة يكتشف النظام الديكتاتوري مدى حجم الرفض الشعبي لسياساته الرعناء التي تعتمد على تكميم الافواه وعلى التضليل، فيما نبهت العراقيين كذلك الى حجم الظلم الواقع عليهم ليستعدوا لمواجهة.

رابعاً: كما ان الانتفاضة كانت سبباً لوقوع الخلاف والاختلاف في صفوف النظام البائد وقياداته وازلامه، فكلنا يتذكر الموقف الانساني الذي وقفته بعض قيادات النظام آنذا عندما رفضت التصديق على أحكام الاعدام التي اصدرتها المحكمة الصورية الخاصة التي شكلها الطاغية الذليل صدام حسين شخصياً لمحكمة من شارك في الانتفاضة، هذا الموقف الذي دفعت ثمنه تلك القيادات آجلاً بالقتل بعد ان تمت تصفيتهم من قيادة الحزب الحاكم والدولة عاجلاً.

كما اكتشف النظام بالانتفاضة ان كل اساليبه التي تعتمد الدعاية والتضليل لم تمض بالعراقيين الذين اثبتوا بأنهم على وعي كامل بما يحكيه النظام من سياسات ظالمة يراد بها اسكات الصوت الحر لهذا الشعب الابي، ولولا تلك التضحيات الجسام التي قدمها العراقيون على طريق ذكرى واقعة الطف العظيمة، لما شاهدنا اليوم كل هذا الزحف المليوني الى مرقد سيد الشهداء في كربلاء المقدسة.

إنه الثمن الذي لا بد ان يدفعه أي شعب ينشد العيش بحرية وكرامة، وصدق الشاعر عندما قال:

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

هذه بعض الحقائق، اما المقترحات، فهي كما يأتي:

أولاً: تكريم الذكري بكل وسيلة ممكنة، بالنصب التذكارية والمهرجانات الشعرية والندوات الثقافية والاعمال الدرامية والمسرحية والفنية بكل اشكالها، وغير ذلك، حتى لا ينسى العراقيون ما حصل في ذلك اليوم العظيم، ومن اجل ان يطلعوا على الثمن الذي قدمه الشهداء فيما مضى من الايام من أجل هذا اليوم الاغر، فمن يجهل الثمن يفرط بالإفجاز، ومن لا يعرف شيئاً عن الماضي لا يقدر الحاضر، ومن ينسى التاريخ يستخف بالمستقبل فلا يعيره شيئاً يذكر.

ثانياً: تكريم شهداء الانتفاضة، كذلك، بكل وسيلة ممكنة، بإطلاق اسمائهم على الشوارع والمدارس والحدائق العامة وعلى قاعات الفن والثقافة وعلى قاعات الجامعات والمنتديات الثقافية، وغير ذلك.

ثالثاً: تعويض أسر الضحايا أسوة ببقية أسر الشهداء الابرار الذين ضحوا من أجل العراق والدين والقيم، فلولا تضحياتهم لما تنعمنا نحن العراقيون اليوم بنعمة الحرية والكرامة وحرية الاختيار.

رابعاً: ادخال قصة الانتفاضة في المناهج الدراسية بطريقة او بأخرى، سواء في مادة التاريخ او في مادة التربية الوطنية او ما الى ذلك، لتبقى حية في ذاكرة الزمن، تتناقل بطولاتها الاجيال.

إن الشعوب الحية تخلد أبسط الحوادث الثورية التي تضحي فيها بقطرة دم واحدة، فتراها تقرأ عنها في مناهجها التعليمية وفي كتب التاريخ وفي المكتبات العامة، فلماذا لا نفعل نحن بذكرياتنا كما تفعل تلك الشعوب؟ أوليست انتفاضة صفر واحدة من تلك الاحداث الثورية العظيمة التي سطر العراقيون تفاصيلها بالدم والدموع، بالشهداء والسجناء والارامل واليتام والامهات الثكالى؟ فلماذا نتجاهلها ليطوبها النسيان بين صفحات التاريخ؟ لماذا لا

يدرسها ابناءنا في المدارس ولا يقرؤون عنها في الكتب ولا يستذكرونها على صفحات الجرائد وملحقاتها الاسبوعية ومن على الشاشة الصغيرة؟.

لماذا لا يبادر الاعلام الوطني الى احياء الذكرى بربورتاجات خاصة، يتحدث فيها الشهود وأسر الضحايا؟ لماذا لا يسجل اعلامنا الوطني تفاصيل الحدث على لسان من شارك فيه وصنعه؟.

كم اتمنى ان تسنح لي الفرصة يوماً ما لأدون كل ما اعرفه عن هذه الانتفاضة العظيمة التي اعددها شخصياً شعلة نور في سماء العراق وتاريخه الثوري المتألق.

خامساً: أتمنى ان تتقدم أسر الضحايا ومن حكم عليه بالسجن آنئذ، بملف القضية الى المحكمة الجنائية الخاصة لإدراجها ضمن جرائم النظام البائد، ليكتشف الرأي العام مدى حجم الجريمة التي ارتكبتها النظام بحق العراقيين آنئذ، ومحكمة النظام كمجرم حرب في حال غاب المجرمون الذين شاركوا في تنفيذ الجريمة، فان نظاماً يحشد كل هذه القوة العسكرية المدمرة ضد شعب أعزل اراد ان يعبر عن امتعاضه من قرارات جائرة تمس حرية الدين والتعبير، يستحق ان يكون عبرة للآخرين.

إن اللسان ليعجز والقلم ليجف عند الحديث عن هول المجزرة التي ارتكبتها النظام بحق المشاركين في الانتفاضة، فعلى الرغم من انها كانت حركة شعبية عفوية وسلمية لا تحمل اي نوع من السلاح لا الناري ولا الابيض، الا ان النظام البائد واجهها بكل انواع السلاح الثقيل المدعوم بالطائرات التي ظلت تحلق في السماء فوق رؤوس الناس.

لقد اتخذ الجيش العراقي وقتها حالة الحرب على طول الطريق بين العاصمة بغداد ومدينة كربلاء المقدسة، وعلى جانبي الطريق، وكذلك على طول مداخل المدينة في كل الاتجاهات، فحفر الخنادق لتستقر بها الدبابات وكل انواع الاسلحة الثقيلة، بين الخندق والآخر عشرة امتار فقط، وقد جلس

الجنود في دباباتهم بكامل زيهم الحربي وبكامل الاستعداد، فيما أعلن النظام حالة الأحكام العرفية في مدينتي كربلاء المقدسة والنجف الأشرف، بعد أن حولهما إلى ثكنات عسكرية.

ولقد تسامى في الطريق بين كربلاء والنجف عدد من الشهداء الأبرار، بعضهم سحقتهم الدبابات والمجزرات العسكرية وأزيز الطائرات الحربية التي كانت تحلق فوق رؤوس المنتفضين وبارتفاع منخفض جداً لتخويفهم وإرعابهم، كالشهيد الشاب الصغير حدث السن محمد الميالي الذي استشهد في الطريق، فرفع المنتفضون قميصه الملطخ بالدم كراية تتحدث عن المظلومية وصلوا بها إلى مرقد سيد الشهداء (عليه السلام) فيما استشهد عدد آخر بأحكام الإعدام التي أصدرها النظام البائد بحقهم في محكمة صورية غاب عنها الدفاع وكل حقوق المتهم، منهم الشهيد محمد سعيد البلاغي الذي أعدم في السجن بعد اعتقاله على الرغم من عدم بلوغه السن القانوني، أما السجن والمعقلات فقد اكتضت بالأبرياء، فيما حكم على عدد منهم بالسجن المؤبد، كان من بينهم موفد المرجع الديني الشهيد آية الله السيد محمد باقر الصدر قدس سره، آية الله الشهيد السيد محمد باقر الحكيم قدس سره، مع ثلثة من المؤمنين.

إن واحدة من أهم الرسائل التي يجب أن يبلغها الإعلام في ذكرى الأربعين هو التوثيق، فيه تنشيط الذاكرة وبه تتعلم الأجيال وبه تتناقل تجاربها من خلال تدويرها.

إن ضعف التوثيق عندنا هو السبب الرئيسي وراء تكرار مأسينا بشكل مستمر، وهو السبب المباشر لإعادة التاريخ نفسه عندنا بأسوأ صورة، لأن كل جيل يبدأ من الصفر في كل مرة، ليس لأنه يريد ذلك، وإنما لأنه لم يجد في متناوله ما يساعده على البدء من حيث انتهى الجيل الذي سبقه.

ولذلك حرص الخطاب المرجعي مثلاً هذا العام على أن تحمل مسيرة الأربعين صور شهداء الحرب على الإرهاب لماذا؟ لأن نسيان التضحيات سيفتح الباب على مصراعية للصوص لسرقة جهاد وجهود وتضحيات العراقيين وتزييف الحقائق.

فمن وصايا المرجعية الدينية العليا ما نصه (ينبغي الاهتمام برفع صور الشهداء الأبرار وذكر أسمائهم في الطرق التي يسلكها المشاة إلى كربلاء المقدسة، لتبقى صورهم وأسمائهم ماثلة في النفوس ويتذكر الجميع أن بتضحيات ودماء هؤلاء الكرام يتسنى للمؤمنين اليوم أن يشاركوا في المسيرة الأربعينية في أمن وسلام).

كذلك على بقية الأصعدة ينبغي أن يهتم الاعلام بتوثيق كل التفاصيل المتعلقة بالأربعين، كما فعلت العقيلة زينب عليها السلام وعمها الامام علي بن الحسين السجاد زين العابدين (عليه السلام)، فليس اعتباطا ان يقف الامام السجاد (عليه السلام) في مجلس الطاغية يزيد بن معاوية ليوثق اسمه ونسبه وكل ما يتعلق بأهل البيت (عليهم السلام) وتحديد الامام امير المؤمنين (عليه السلام)، فيقول: ((أيها الناس، أعطينا سنا وفضلنا بسبع، أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منا النبي المختار محمد (صلى الله عليه وآله) ومنا الصديق ومنا الطيار ومنا أسد الله وأسد الرسول ومنا سيدة نساء العالمين فاطمة البتول ومنا سبطا هذه الأمة وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين ومنا مهديها، فمن عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي؛ أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حج ولي، أنا ابن من حمل على البراق في الهواء، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا اله الا الله، أنا ابن من بايع البيعتين، وصلى القبلتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، يعسوب المسلمين وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، سمح سخى يهلول زكى، ليث الحجاز وكبش العراق، مكى مدني، أبطحي قهامي خيفى عقبى بدري أحدي، شجري مهاجري، أبو السبطين، الحسن والحسين، علي بن أبي طالب، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، أنا ابن بضعة الرسول...)).

ولم يزل يقول أنا أنا حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب وخشي يزيد أن تكون فتنة فأمر المؤذن يؤذن؛ فقطع عليه الكلام وسكت، فلما قال المؤذن؛ الله أكبر، قال الامام؛ كبرت كبيرا لا يقاس ولا يدرك بالحواس، ولا شيء أكبر من الله، فلما قال: أشهد أن لا اله إلا الله، قال الامام (عليه السلام): ((شهد بما شعري وبشري ولحمي ودمي ومخي وعظمي، فلما قال؛ أشهد أن محمدا رسول الله التفت الامام من أعلى المنبر إلى يزيد وقال؛ يا يزيد محمد هذا جدي أم جدك؟ فان زعمت أنه جدك فقد كذبت، وان قلت انه جدي فلم قتلت عترته؟)).

فلولا مثل هذه الخطابات التوثيقية لا ندرس المنهج وائتمته، فان ما كان يبذله الامويون من جهود واسعة لقلب الحقائق وتزييفها ومحو ذاكرة الامة حد تصفيرها ما كان يمكن أن يواجهها ائمة أهل البيت (عليهم السلام) الا بالتدوين والتوثيق المستمر.

لنتعلم من الامام السجاد (عليه السلام) كيف ندون الحقائق وكيف نوثق الاحداث والا فستضيع الكثير من هذه التفاصيل وبالتالي ستضعف ذاكرة الاجيال القادمة، وتاليا سيبدأ كل جيل من نقطة الصفر وكأننا لم نفعل شيئا ولم نضح ونجتهد.

يجب على الاعلام تدوين وتوثيق التاريخ الذي يتعلق بالأربعين وخاصة التاريخ القريب.

إن الشعوب تهتم بأبسط الاحداث التي تمر بها، خاصة تلك التي تمر عليها وقد دفعت لها دماء وتضحيات، فتراها تنتج عشرات الافلام والمسلسلات والافلام الوثائقية والافلام القصيرة وتكتب عنها عشرات بل المئات من الكتب والروايات والقصص والاشعار والمسرحيات ومعارض الصور وغير ذلك، اما نحن، فكم فيلما انتجنا عن انتفاضة صفر الظاهرة؟ كم مسرحية ومسلسل تلفزيوني؟ كم كتاب كتبنا وكم رواية وقصة وقصيدة؟ ثم نستغرب اذا علمنا بأن الاجيال الجديدة من العراقيين لم يعرفوا شيئا عنها؟.

للأسف الشديد فان اعلامنا مقصر جدا على هذا الصعيد، ولا بد من تلافي هذا التقصير بسرعة خاصة واننا اليوم في عصر العولمة والتكنولوجيا ووسائل التواصل

السريعة فكل ذلك سهل علينا المهمة الى درجة كبيرة، ينبغي توظيف كل هذه الادوات لتدوين وتوثيق كل ما يتعلق بالأربعين وتاريخها وما قدمه العراقيون من اجل حماية والاحتفاظ بهذه الشعيرة العظيمة.

من جانب آخر، فان مسيرة الاربعين، تحمل الكثير من المعاني السامية والدروس العظيمة والتجارب القيّمة والخبرة المتراكمة التي ان عمل المشاركون على تدوينها وتسجيلها لأصبحت احد اعظم تجارب الانسانية وخاصة تجارب منظمات المجتمع المدني في كل جوانبها.

إن للتدوين الشخصي اثرٌ كبيرٌ بل عظيمٌ في التأثير على سيرة حياة الانسان، سواء المدوّن او الذي يقرأ المدوّنة، انها تشبه الى حد كبير فكرة تدوين المذكرات الشخصية، والتي لها الأثر الكبير في التأثير على المتلقي.

وبهذا الصدد اقترح:

أ- ان يسجّل كل واحد من المشاركين تجاربه الخاصة او التي يراها ويصادفها في طريقه، فصاحب الموكب يسجل تجاربه، وموزع الطعام والشراب يسجل تجاربه والمرأة تسجل تجاربهما والرجل والكبير والصغير وكل واحد يسجّل تجاربه وما سيتعلّمه من هذه المسيرة العظيمة من دروس وعبر وخبرة وتجارب، ليسجّل كلّ واحد مشاعره وهو في وسط هذه الحشود المليونية، لتكون وثيقة لأبنائه وأحفاده، صور حية تنبض بالحياة والأحاسيس والمشاعر والعاطفة، ولا ينسى علماء الدين كذلك ان يسجّلوا تجاربهم ومشاهداتهم في هذه المسيرة، الأسئلة التي يطرحها عليهم زوار الحسين السبط (عليه السلام) والملاحظات التي يمرون عليها وغير ذلك.

ب- الاعلاميون، الأدباء، أصحاب الاقلام، الفنانون، الرسامون، عليهم كذلك ان يكتبوا مشاهداتهم ويدوّنوها ليجوّلوها فيما بعد الى مقالات ومسلسلات وكتب وافلام وقصائد ولوحات وغير ذلك، لتكن المسيرة، وليكن الموسم، فرصة تاريخية لإطلاق حملة إعلامية عالمية على يد كل واحد من المشاركين، فلو ان كل واحد منهم اطلق حرفاً للأنا الآفاق صرخة حسينية عظيمة يسمعها العالم أجمع.

ت- المصورّون، سواء الهواة منهم أو المهنيون، عليهم ان يسجّلوا المسيرة بصور متميزة تحكي درسا أو عظة أو ملحمة أو ما أشبهه، ليحوّلوها فيما بعد الى ألبومات ومعارض صور وغير ذلك. كما يمكن اطلاق مسابقة سنوية عالمية للصورة ترصد لها جوائز ثمينة.

ث- لينقل كل واحد من الزوار بثا حيّا على الهواء مباشرة للمسيرة لواحد أو أكثر من أصدقائه، خاصة المشاركين الذين يأتون من دول العالم المختلفة، فان النقل الحي الشخصي له اثرٌ فعال جداً في المتلقي أكثر حتى من البث الحي المباشر الذي تنقله الفضائيات، جزاها الله تعالى خير الجزاء.

ج- الاهتمام بتسجيل دور الأطفال في المسيرة بشكل خاص، طريقة تفاعلهم مع المسيرة، كلامهم، مشاعرهم، مشاركتهم، وغير ذلك.

ح- الاهتمام بنقل مشاهد إقامة الصلوات الواجبة جماعة على طول طرق المسيرة المليونية، لإظهار عظمة هذا التمازج والانصهار بين الهدف الاسمي الذي ضحى من اجله سيد شباب أهل الجنة (عليه السلام) وبين ما يرمي اليه أنصاره اليوم.

خ- الاهتمام بتسجيل وتوثيق الصور الانسانية العظيمة التي تزخر بها هذه المسيرة الحسينية، مثل حسن الادارة والتعاون والصبر والصفح والهدوء والوقار والسكينة وحسن الخلق والإيثار والنظافة، والخدمات النموذجية والفريدة من نوعها.

د- نقطة تربوية وتعليمية في غاية الأهمية، الا وهي: ان يهتم المعنيون في رسم السياسات التربوية والتعليمية في البلد، سواء في المؤسسات التعليمية الرسمية الحكومية او شبه الحكومية او غير الحكومية، الى اعتماد المسيرة، الدروس والصور والخبرة والمشاهدات وغير ذلك، في المناهج التعليمية، فهي مادة تعليمية وتربوية دسمة جداً وغنية وثرية.

إن التدوين علم ينبغي ان نوظّفه في حياتنا اليومية، فلنبداً من مسيرة الاربعين، فسيساعدنا ذلك على:

١. توثيق المسيرة.

٢. المساهمة في تطويرها وترشيدها عاماً بعد عام.

٣. اعتبارها مدرسة نتعلم منها الكثير من الدروس والتجارب والخبرة، خاصة على صعيد العلاقات العامة والإدارة.

٤. وبالتدوين يمكننا ان ننقل مقترحاتنا واراونا وأفكارنا للمعنيين خاصة في العتبات المقدسة في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة فضلا عن العتبات المقدسة الاخرى في الكاظمية وسامراء، فضلا عن ديوان الوقف الشيعي.

٥. فضلا عن كل ذلك، فان للتدوين دور في تطوير مهاراتنا الشخصية، في فن الكتابة والتسجيل والانتباه الى ما يمر أمامنا من ظواهر ومظاهر وصور، وفي فن التقييم والتطوير والنقد وغير ذلك، كما انه يعلمنا على البحث العلمي المعتمد على الاستبيان والمسح الميداني والاحصاء والملاحظات المباشرة بالعين المجردة.

٦. كما ان للتدوين دور فعال وخلاق في نقل الصورة الحقيقية لما يقوم به ويفعله الانسان في حياته، انه يساهم في تغيير الصور النمطية التي التقطتها آذان الآخرين عنا، خاصة ممن أخذ من اعدائنا ومبغضينا، فلقد أدى تدوين الداعية الاميركي الاسود (مالكوم إكس) مشاهداته للحج عام ١٩٦٤ ونشرها والحديث عنها في الولايات المتحدة الأمريكية ومن ثم الى تصويرها في فيلم هو واحد من اشهر الافلام الوثائقية في العالم والولايات المتحدة، الى تغيير الكثير من الصور النمطية عن الاسلام والتي كانت عالقة ليس فقط في ذهن غير المسلمين بل حتى في ذهن المسلمين أنفسهم، خاصة الزنوج، الذين تشبّعوا وقتها بالعنصرية باسم الاسلام كردّ فعلٍ على عنصرية البيض، فكتب يقول [في حياتي لم أشهد أصدق من هذا الإخاء بين أناس من جميع الألوان والأجناس، إن أمريكا في حاجة إلى فهم الإسلام لأنه الدين الوحيد الذي يملك حل مشكلة العنصرية فيها].

٧. اذا لاحظتم فان مسيرة الاربعة التاريخية خلت من مفهوم المحاصصة بكل أشكاله، فليس فيها محاصصة لا على الصعيد السياسي ولا على الصعيد الحزبي ولا على الصعيد العشائري ولا على الصعيد المنطقي، ولا على الصعيد الاثني، بل حتى ولا على الصعيد الديني والمذهبي، كما انها خلت من المحاصصة على اساس الجنس

والعمر، فهي مسيرة للناس كافة بغض النظر عن اي شيء، انها للمسلم ولغير المسلم، للرجل والمرأة، للكبير والصغير، ولكل الاثنيات.

لا أحد يمنع أحدا من المشاركة لأي سبب كان، ولا احد لا يمكنه تقديم الخدمة لأي سبب كان، فمن كل طاقته ومن كل جهده ومن كل مساهمته، ولذلك فهي مسيرة للناس كافة، وهي مجال للخدمة العامة مفتوح امام الناس كافة، ولذلك نجحت وتطورت وعظم الاهتمام بها عالميا.

حتى الضربير وصاحب الاحتياجات الخاصة والطفل الصغير والشيخ الكبير يشارك في المسيرة ويخدم في المسيرة، وهذه واحدة من اعظم اسباب نجاح الشعوب وتقدم الامم والمجتمعات، لان الخاصصة التي هي تمييز من نوع آخر، وبأي شكل من الاشكال، تحرم المجتمع من طاقاته الخلاقة.

هي فرصة تعتمد على صفاء النية والقدرة ووضوح الهدف لمن يريد ان يشترك فيها، ولذلك أبداع من شارك فيها بكل الاشكال، ولو انها كانت محكومة بالخاصصة لما أبداع احد ولما تطورت بهذا الشكل المتسارع والملفت للنظر.

بالإمكان ان تكون هذه الظاهرة الفريدة من نوعها، أمودجا يحتذى على هذا الصعيد في كل مرافق الحياة.

لقد ابتلينا بالخاصصة والتميز وظاهرة تقسيم (الكعكة) في كل صغيرة وكبيرة، وبسبب هذا المرض الخطير والفتاك خسر العراق الكثير من الطاقات الوطنية الخلاقة من اصحاب الخبرة والنزاهة والكفاءة والتخصص، لحساب الفاسدين والفاشليين الذين يتمتعون بمعيار واحد فقط لا غير الا وهو الولاء الشخصي.

لقد حققت مسيرة الاربعين مبدأ تكافؤ الفرص بأرقى أشكاله وأهمى صورته، ولذلك نجحت على مختلف الاصعدة، فعندما تكون فرصة مفتوحة أمام الجميع للمشاركة والانجاز والابداع بلا تمييز من أي شكل من الاشكال، فإنها بالتأكيد ستستوعب الطاقات الخلاقة القادرة على الانجاز وتحقيق النجاح، وهذا ما نحتاجه اليوم في حياتنا على كل المستويات التربوية والتعليمية والاعلامية والسياسية والبحثية وفي

مجال التنمية واعادة البناء وغيرها، من خلال تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص للجميع، ولا يتحقق ذلك الا باعتماد المعايير الحقيقية في تسنم مواقع المسؤولية وليس من بينها بكل تأكيد الولاء الشخصي.

ولا يجادل أحد في ان المعيار الذي حقق ذلك في مسيرة الاربعين هو حب الحسين السبط (عليه السلام)، الذي جسد في يوم عاشوراء في كربلاء عام ٦١ للهجرة أسمى معاني الرحمة الالهية فكان باب الله الواسعة التي لم يغلقها الامام بوجه أحد، ولذلك قبل ان يلتحق به الحر بن يزيد الرياحي وهو الذي فعل ما فعل بالامام قبل ان ينزل كربلاء، كما انه قبل ان يلتحق بصفه أكثر من عشرة من جنود جيش البغي في آخر لحظة سبقت بدء المعركة في يوم عاشوراء.

وأكثر من هذا فلقد حاول الامام اقناع قائد جيش البغي (عمر بن سعد) ليلتحق في صفوفه، عندما اختلى به ليلة العاشر وحدثه بحديث لو ان ابن سعد كان يحمل ذرة من حرية وكرامة لترك معسكر الباطل والتحق بمعسكر الحق، ولكن هيهات.

هذا المنهج الذي انتهجه الحسين السبط (عليه السلام) مع الجميع هو المنهج الرسالي القرآني الذي انتهجه من قبل جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبوه أمير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، فكان يبذل جهدا كبيرا جدا لإقناع الخوارج مثلا بصحة موقفه وخطأ موقفهم، لان رسالته الهداية وليس القتل، ولا يمكن ان تتحقق هذه الرسالة الا اذا تحقق قبل ذلك مبدأ تكافؤ الفرص، سواء في مرحلة تبليغ الرسالة او في مرحلة التضحية من اجل الانجاز والمساهمة في البناء والتنمية، من خلال اعتماد المعايير الحقيقية والحضارية والدينية لكل مرحلة او موقع او موقف.

وهذا ما تحدثت عنه آيات القران الكريم في اكثر من مناسبة، فالتفاضل والتمييز وتسنم المسؤوليات في النهج القرآني على أساس المعايير الصحيحة والسليمة وليس على أساس المعايير الجاهلية، فقال تعالى: ((قَالَتِ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ))^(١)، و: ((فَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ

(١) القصص، ٢٦.

عَلِيمٌ))^(١)، و: ((وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ))^(٢).

ولقد كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهده الى مالك الاشتهر لما ولاه مصر: ((ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا، وَلَا تُؤَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِّنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ))^(٣).

ينبغي تكريس هذا الدرس لنسأهم في الغاء ظاهرة الفساد الاداري الذي يعود جذره الى اعتماد معايير غير سليمة انتجت ظاهرة (الرجل غير المناسب في المكان غير المناسب) بشكل واسع ومرعب.

ولو عدنا الى الخطاب المرجعي خلال السنوات الماضية فسنجد انه أكد كثيرا على أهمية بل ووجوب اعتماد المعايير السليمة عند التعيين والاختيار للمء مواقع المسؤوليات، وعندما لم يصغ اليه المسؤولون حلت بنا الكارثة لولا لطف الله تعالى وحكمة المرجعية الدينية العليا التي وقفت بوجه الانهيار في اكثر من مرة كان آخرها عندما اصدرت فتوى الجهاد الكفائي ليهب الأربعينيون هبة رجل واحد للتصدي للإرهاب الذي كان وقتها يقف على اسوار بغداد مهددا ومتوعدا، واليوم يستعد بحمد الله تعالى ليزف لنا بشائر النصر النهائي.

إن من الضروري بمكان ان نحافظ على الخطاب الحسيني العام في مسيرة الاربعين، لنحافظ على شموليتها وعموميتها، ولنبعدها عن اي احتقان حزبي، الامر الذي يتطلب منع اللافتات الحزبية والشعارات الحزبية والعناوين الحزبية، فان ذلك يبعدها عن جوهرها الحسيني الوحدوي، خاصة وان المسيرة تأخذ طابعها وبعدها العالمي عاما بعد عام، فاذا قبلنا برفع اي عنوان حزبي فهذا يعني انها ستتحوّل الى ساحة مفتوحة

(١) يوسف، ٥٥.

(٢) البقرة، ٢٤٧.

(٣) شرح نهج البلاغة، ١٧، ٦٨.

للصراعات الحزبية ليست على المستوى المحلي فحسب وإنما على المستوى العربي والاسلامي وربما العالمي، وهذا شيء مرفوض بالمطلق ينبغي الانتباه له.

إن أية لافطة تثير الخلافات والصراعات والاحتقانات بكل اشكالها وبأي شكل من الاشكال مرفوضة، لتبقى المسيرة العالمية رمز للوحدة والانسجام بين الناس كافة بغض النظر عن خلفياتهم ومن أي نوع كان.

يجب ان تكون متبنيات الخطاب المرجعي فقط هي اللافطة الوحيدة التي ترفعها المسيرة، لأنها متبنيات أساسية واستراتيجية متفق عليها ويتبناها الشارع بلا خلاف، كالحرب على الارهاب والحرب على الفساد واشاعة روح المواطنة والحس الوطني والعدالة الاجتماعية ورفض العنصرية والطائفية والتمييز بكل أشكاله، ودعم واسناد منهجية بناء الدولة واحترام القانون بالإضافة الى المستجدات التي يتبنى الخطاب بشأنها موقفا معينا كل أسبوع.

وبذلك سنحافظ على وحدة المسيرة، منطلقا وهدفا، وسنكرس بذلك شعار ﴿الحسين (عليه السلام) يوحدنا﴾ بشكل عملي.

ثامنا: اما الامانة فالها واحدة من أعظم الاخلاقيات والمناقب التي تتجلى في مسيرة الاربعةين، والتي يجب ان يركز عليها الاعلام بشكل واسع، ففي زمن ضاعت فيه الامانة على كل الاصعدة الا ما رحم ربي، فان تجليها في مسيرة الاربعةين يعد النموذجا حقيقيا يحتذى، لنستصحبه في حياتنا وسلوكياتنا دائما.

لقد تحدث القرآن الكريم عن الامانة وعظم ثقلها، فقال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا))^(١) وقوله تعالى: ((وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ))^(٢)، فعندما يحفظ المجتمع الأمانة سواء على الصعيد الخاص او على الصعيد العام، فان ذلك يساهم في اشاعة الامن المجتمعي والثقة بين الناس، والاطمئنان بعضهم

(١) النساء، ٥٨.

(٢) المؤمنون، ٨.

بالبعض الآخر، الامر الذي يساعد على الاستقرار بشكل كبير، والعكس هو الصحيح، فعندما تنتشر الخيانة في المجتمع وتضيع الأمانة ولا يلتزم أحد بعهد او ميثاق وعلى مختلف الاصعدة، فعندها تنفسي ظاهرة انعدام الثقة التي تنتج عدم الاستقرار في المجتمع، وهو أمر خطير وخطير جدا.

وكلنا نعرف فان احد اهم اسباب فشل اغلب السياسيين هو انعدام الثقة فيما بينهم وشيوع ظاهرة الشك والتربص والتي سببها ضياع الأمانة وخيانة العهود ونبذ الوعود وراء ظهورهم، وهو امر خطير يجب ان ينتبه له الجميع فمن دون الالتزام بالعهود والمواثيق لاعادة الثقة بين كل الاطراف، فلا يمكن ان نتصور نجاحا ابدا.

لنتعلم جميعا هذه الخصلة العظيمة التي تتجلى في مسيرة الاربعين، لتكون جزء لا يتجزء من شخصية الانسان، يستحضرها في سلوكه اليومي، لنحبي بذلك مبدأ الالتزام بالعهود والمواثيق، كما في قوله تعالى: ((وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا))^(١)، وتاليا نشيع الثقة في المجتمع وعلى مختلف الاصعدة بدء بالأسرة ومحل العمل والزمالة والجيران والصدائة والمدرسة وانتهاء بالصعيد السياسي.

أمام هذا الزحف المليوني الهادر الى مرقد سيد الشهداء (عليه السلام) في كربلاء المقدسة، يسأل العالم نفسه عن النبأ العظيم والسر الخفي والسبب الحقيقي والجوهر المكنون وراء كل هذا المظهر العالمي النادر، إن كان بالعدد او بالتنظيم او بمجانبة الأطعمة والسكن والصحة والخدمات الممتدة على طول طريق الزائرين، والممتد لأكثر من (٥٠٠) كم في الاتجاهات الأربعة التي تنتهي الى المرقد الشريف.

ولقد بدأ العالم يتعرف على هذا السر المكنون في هذه الظاهرة المليونية السنوية لسبيين:

الأول: لأنه بدأ ينظر اليها بعقل انساني منفتح يقبل بالحقيقة بغض النظر عن مصدرها، الا أصحاب العقول الضيقة من الطائفين والتكفيريين والحاقدين، فلا يمكنهم

(١) الاسراء، ٣٤.

استيعاب وفهم الظاهرة أبداً، فصدورهم أضيق من ان تستوعب الحق.
الثاني: بالروح الإيجابية البعيدة عن التعصب الأعمى والحقن الدفين والنفوس المريضة.

إن الحسين (عليه السلام) رسالة إنسانية، وكربلاء عنوان عالمي، وعاشوراء عبءة
تغلي بجرارة في قلب كل منصف، لن تنطفئ أبداً.

وإن مسيرة الأربعين المليونية تجسيد لكل هذا، والمنصفون يعون هذه الحقائق
الخالدة والمتجددة مع الزمن ويستوعبوها.

ان الشعوب الغربية تحب الامام الحسين (عليه السلام) ولو انما تتعرف على حقائق
فهمته المباركة وأسباب ثورته الخالدة أكثر فأكثر لتشيع في العالم، ليس بالضرورة بالانتماء
وانما بالقيم النبيلة والاهداف الرسالية والمناقب الرفيعة.

إن الغرب لا يحارب الحسين (عليه السلام) وشعائره المقدسة، وإنما الذي يحاربا هم
المحسوبون على الاسلام من التكفيريين الارهابيين الذين تحرضهم فتاوى التكفير التي
يصدرها فقهاء البلاط من الحزب الوهابي، وكذلك بعض الذين يدعون التشيع والانتماء
لأهل بيت النبوة والرسالة (عليهم السلام).

على مر التاريخ، فان الذي حارب الحسين (عليه السلام) وشعائره هي الحكومات
(الاسلامية) الجائرة، وقبل ذلك ما يسمى بدولة الخلافة التي كان (أمير المؤمنين) فيها
أمثال الوليد بن عبد الملك الاموي والمتوكل العباسي ومن لف لفهم، وما الطاغية الذليل
صدام حسين ببعيد عن ذاكرتنا، والذي قتل انصار الحسين (عليه السلام) في داخل
الصحن الحسيني الشريف وفي الشوارع والأزقة، منذ انتفاضة صفر الظافرة عام ١٩٧٧
وحتى سقوطه في عام ٢٠٠٣ مرورا بالانتفاضة الشعبانية الخالدة عندما قصف المراقد
المقدسة بالمدفعية الثقيلة.

إن شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) رفعوا راية الحسين (عليه السلام) في نيويورك
وواشنطن ولندن وباريس وفي كل عواصم العالم الغربي، فهل تسمح لهم الأنظمة
والحكومات في جل البلاد العربية والإسلامية ان يرفعوا هذه الراية الخفاقة في
عواصمهم؟.

إن الغربيين يحترمون عقائد الناس ومشاعرهم وشعائرهم وطريقة عبادتهم لله تعالى، ولذلك انتشر التشيع وينتشر اليوم في الغرب أسرع من انتشاره في البلاد العربية والإسلامية، والتي تحارب الحسين (عليه السلام) بفتاوى التكفير وبالسيارات المفخخة والاحزمة الناسفة.

لقد تحولت عواصم ومدن كاملة في الغرب الى ما يشبه اجواء مدينة كربلاء المقدسة في عاشوراء والأربعين وعموم أيام شهري محرم الحرام وصفر المظفر، اما في العالم العربي والإسلامي فلا زال فقهاء وخطباء التكفير ينعقون صارخين محذرين الشعوب مما يسمونه بالتبشير الشيعي، فيما تتباكى قنواتهم الطائفية على الأمة التي يتهددها انتشار التشيع على حد قولهم الباطل.

إن الامر بحاجة الى اهتمام اكبر وجهد مركز أكثر ليحضر الاعلام الغربي الى كربلاء في مثل هذه الايام لتغطية هذه الظاهرة الفريدة من نوعها في العالم، منها على سبيل المثال لا الحصر تقديم التسهيلات والامتيازات الممكنة للقنوات العالمية، وتحديد القنوات الوثائقية العالمية وتلك التي تهتم بالتاريخ.

ومن اجل تحقيق العالمية لمسيرة الاربعين أكثر فاكثر أقترح ما يلي:

١. دعوة على الاقل شخصية عالمية واحد كل عام للمشاركة في المسيرة.
٢. تنظيم المعارض الدولية وبمختلف اللغات العالمية لتلف العالم على مدار السنة، خاصة في المؤسسات التشريعية ومنظمات وهيئات حقوق الانسان والجامعات والمتاحف والاماكن العامة وغيرها.
٣. المشاركة بالأفلام القصيرة والأفلام الوثائقية في كل المحافل والمهرجانات والمسابقات الفنية، شريطة ان تحمل مثل هذه الافلام رسالة عالمية تخص الآخر ويفهمها ويهتم بها مستوحاة من مسيرة الأربعين.
٤. تسهيل المشاركة في المسيرة من الخارج خاصة لغير المسلمين.
٥. نشر وتوزيع ألبومات الصور والفولدرات بمختلف اللغات العالمية والتي تعرف بالمسيرة وقيمها وفلسفتها.

٦. التواصل مع المسيرات الحسينية التي تنظمها الجاليات في مختلف دول العالم والتي تزداد كما ونوعا عاما بعد آخر، لرفدها بما يساهم في تبليغ الرسالة العالمية لمسيرة الاربعة على أكمل وجه، لقد لمسنا التأثير الكبير والمباشر الذي تتركه هذه المسيرات الحسينية على الرأي العام العالمي بما يؤثر في تغيير الصورة النمطية عن الاسلام، والتميز بين القراءات المتعددة.

٧. حث وتشجيع طلبة الجامعات، خاصة في الجامعات العلمية، على كتابة الاوراق البحثية والرسائل الجامعية للدراسات العليا بكل ما يخص مسيرة الاربعة.

نسال الله سبحانه وتعالى ان يجعلنا من ((الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ الْأُولِيَاءُ))^(١).

اللهم ارزقنا زيارة الحسين الشهيد (عليه السلام) في الدنيا وشفاعته في الأخرى بحق محمد وآله الطيبين الطاهرين.

﴿اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَفَاعَةَ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) يَوْمَ الْوُرُودِ، وَثَبِّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ بَدَلُوا مُهْجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)﴾^(٢).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) الزمر، ١٨.

(٢) مصباح المتجهد، ٧٧٦.

الزيارة الاربعية

(دراسة في فضل الزيارة وجذورها التاريخية)

الدكتور ثامر مكي علي
كلية الآداب-الجامعة المستنصرية

الدكتور قاسم شعيب عباس
كلية العلوم السياسية-جامعة النهدين

المخلص

يركز البحث على القاء صورة -ولو على نحو الاجمال- على فضل زيارة الامام الحسين(عليه السلام) وجذورها التاريخية، اذ ان استشهاد سبط رسول الله في العاشر من محرم لعام ٦١ هـ لم يكن حدثاً تاريخياً عابراً، بل تحولاً اجتماعياً وسياسياً هائلاً صرخت من خلاله الطبقات المظلومة عما يشغل خلداتها، ومنذ ذلك التاريخ الخالد أصبحت قضية كربلاء وزائرها محط انظار هؤلاء المظلومين في مختلف بقاع العالم، اذ لم تحد الحدود تلك المشاعر الصادقة تجاه الامام الحسين(عليه السلام) وثورته الخالدة.

كما ركز البحث على الجذور التاريخية للزيارة الاربعية، لبيان الخطوط التاريخية العريضة لتلك الزيارة المباركة، لاسيما ان زيارة الامام الحسين(عليه السلام) بجميع المناسبات قد تعرضت للقمع من قبل اعداء اهل البيت(عليه السلام)، بل وصل قمع السلطة الى منع الناس من زيارة الامام الحسين(عليه السلام) وأداء مراسيم الزيارة سواء كانت في ولادات الائمة المعصومين او في مناسبات استشهادهم.

لذلك كانت زيارة الامام الحسين(عليه السلام) يوم العشرين من صفر تجسيدا لتلك الأهداف السامية التي كان يتطلع اليها الامام الحسين(عليه السلام) في ظل دولة الجور والإرهاب وانتهاك الحقوق وضرب القيم الإسلامية، اذ انتفض الامام الحسين(عليه السلام) ضد مظاهر التسلط والاستبداد، فكانت ثورته(عليه السلام) ثورة فكرة وإيمانية وجهادية لا ينضب معينها وكان لها صداها المؤثر منذ استشهاده في عام ٦١ هـ حتى يومنا هذا.

راينا ان نبدأ باستعراض روايات موجزة تخص فضل زيارة الامام الحسين(عليه السلام)، لبيان جواب للسؤال الذي طالما شغل البعض نفسه به، وهو ما سر هذا

الإصرار على زيارة الامام الحسين(عليه السلام) مع كل ما يتعرض له زائروه من اذى وقتل عبر التاريخ؟.

على كل حال فان موضوع الزيارة الاربعينية فيه كثير من الجدل والنقاش، حيث ظلت كثير من الأسئلة مدار نقاش واختلاف العلماء والباحثين والمؤرخين، ومنها هل وصل الصحابي جابر بن عبد الله الانصاري في العشرين من صفر سنة ٥٦١ على وجه التحديد لزيارة قبر الامام الحسين بعد مرور أربعين يوما على استشهاده؟.

أم إن جابر بن عبد الله الانصاري، يعد اول من زار قبر الامام الحسين بعد استشهاده، ثم جاء البقية، وهل ان الامام علي بن الحسين السجاد قد طلب الذهاب الى كربلاء بعد دمشق ثم المسير الى المدينة هو وركبه الاطهار؟. وهل ان الامام السجاد والركب الحسيني قد وصل بالفعل في العشرين من صفر على وجه التحديد؟ وها ان الامام السجاد والركب الحسيني قد التقى بالصحابي جابر بن عبد الله الانصاري على وجه التحديد في العشرين من صفر، ام التقيا في يوم اخر غير هذا اليوم؟ ام انهما لم يلتقيا؟. هذه الأسئلة الكثيرة والمتعددة، هي مثار النقاش والبحث عند الباحثين.

وخلاصة القول احتلت زيارة أربعينية الإمام الحسين(عليه السلام) اهمية خاصة في نفوس المؤمنين لمكانتها العريقة، فقد تضافرت الروايات الواردة عنهم ان لزائر الحسين(عليه السلام) ولمعظم شعائره والمقيم العزاء عليه اجر لا مثيل له، لان الله تعالى شاء ان تكون قضية الامام الحسين(عليه السلام) قضية استثنائية في كل جوانبها لذلك فقد اصبح هذا التاريخ مشهودا فتتوافد مئات الالاف من الزائرين الى كربلاء لزيارة الامام الحسين(عليه السلام) واقامة الشعائر وتجديد هذه الذكرى المؤلمة.

المقدمة

تعد زيارة الأربعين (العشرين من كل صفر) التي يتم الاحتفاء بها سنوياً بمناسبة ذكرى استشهاد الامام الحسين(عليه السلام) من اضخم المظاهر الجماهيرية والشعبية للنهضة الحسينية الخالدة، اذ اتبع الامويون كل مظاهر القسوة والعنف واللامبالاة وهم ينفذون ويدم بارد قتل اهل بيت النبي محمد(صلى الله عليه وآله) ، ومن المعروف ان لكل فعل رد فعل ولكل حادث حديثاً، وان العقوبة في القضاء تأتي على مقدار حجم الجريمة، لذلك يكون القصاص للقاتل بالقتل، وهنا نتساءل هل إن ما حدث في كربلاء عام ٦١هـ هي عقوبة جماعية نفذها بنو امية بحق الامام الحسين(عليه السلام) واهل بيته الطاهرين، هل ان هذه العقوبة قامت على ذنب او على اية جريمة، وهل ان طلب الإصلاح في الناس جريمة تستحق القتل وسفك الدماء؟.

الجواب ليس كذلك على الاطلاق، انه صراع خفي ومعلن بين مدرستين مختلفتين في المبادئ والأخلاق والسلوك، وان هذا الصراع والاختلاف سيستمر الى ابد الابد حتى يحكم الله جل وعلا في أمور هذه الدنيا، انه ذلك الصراع بين الحق والباطل، بين الايمان والشرك، بين العدل والظلم، بين النور والظلام.

وعليه فان الزحف المليوني نحو كربلاء يحمل بين طياته ذلك الرابط الروحي بين الجماهير والامام الحسين(عليه السلام) ، الذي كان على علم مسبق وهو يستشرف المستقبل بان نهضته المباركة تتبنى مشروعاً اهياً ورسالياً، وهو اهم المشاريع الاستراتيجية بعيدة المدى، مشروع التغيير والإصلاح.

أولاً: فضل زيارة الإمام الحسين(عليه السلام) :

تواردت كثير من الروايات التاريخية عن النبي محمد(صلى الله عليه وآله) وال بيته في الحث على زيارة الامام الحسين(عليه السلام) ، وبينت هذه الروايات اثر هذه الزيارة على اكمال مسيرة الامام الحسين(عليه السلام) التي ابتدأت فصولها غرة محرم سنة ٦١هـ في واقعة الطف، كما اكد نصوص هذه الروايات على عدم حصرها بتاريخ او زمن محدد، بل جعلها مسيرة متجددة عبر الازمان، ومن اهم تلك الروايات ما جاءنا عن نبي الرحمة محمد(صلى الله عليه وآله) في التأكيد على هذه الزيارة المباركة، ومنها ماورد عنه(صلى الله عليه وآله) انه كان ذات يوم جالساً، وحواله ال بيته الاطهار الامام علي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين(عليه السلام) ، فقال لهم: "كيف بكم اذا كنتم صرعى، وقبوركم شتى؟"، فقال له الامام الحسين(عليه السلام) : "أموت موتاً او نقتل؟" فقال (صلى الله عليه وآله) : "بل تقتل يا بني ظلماً، ويقتل اخوك ظلماً، وتشرد ذراريكم في الأرض". فقال له الامام الحسين: ومن يقتلنا يا رسول الله؟، قال: "شرار الناس: فقال الامام الحسين: "فهل يزورنا بعد قتلنا احد"، قال (صلى الله عليه وآله) : " نعم، طائفة من امتي يريدون بزيارتكم بري وصلتي، فاذا كان يوم القيامة، جئتهم الى الموقف حتى اخذ بأعضادهم فاخلصهم من احواله وشدائده" (١) .

كما ورد عن الامام ابي عبد الله الصادق(عليه السلام) : "من اتى قبر الحسين (عليه السلام) عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" (٢) ' وقوله "من احب الاعمال

(١) ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ) ، الارشاد، ج١ ، النجف الاشرف، المكتبة الحيدرية، ص١٣١ .

(٢) ابو القاسم جعفر بن محمد القمي (بن قولويه) (ت٥٣٦٨هـ) ، كامل الزيارات، تحقيق: نشر الفقاهة، ص٢٦٣-٢٦٤ .

الى الله تعالى زيارة قبر الحسين، وافضل الاعمال عند الله ادخال السرور على المؤمن، واقرب ما يكون العبد الى الله تعالى وهو ساجد"^(١).

كما ورد عن محمد بن مسلم قوله: قال لي ابي جعفر بن علي الباقر(عليه السلام) "هل تأتي قبر الحسين(عليه السلام) " قلت: نعم، على خوف ووجل، فقال(عليه السلام): "ما كان من هذا اشد فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف في اتيانه، امن الله تعالى روعته يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين، وانصرف بالمغفرة، وسلمت عليه الملائكة، وزاره النبي(صلى الله عليه وآله) ودعاه له وانقلب بنعمة من الله وفضل..."^(٢).

كما ورد عن الامام ابي جعفر محمد الباقر(عليه السلام): "مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين(عليه السلام) فان اتيانه يزيد في الرزق، ويمد في العمر، ويدفع مدافع السوء، واتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين بالإمامة من الله"^(٣).

يتضح لنا مما تقدم بل وتتجلى لنا المنزلة الرفيعة التي ينالها زائر الامام الحسين، كما ان ورود مثل هذه الاقوال عن النبي الاكرم(صلى الله عليه وآله) واهل بيته يعطي إشارات واضحة للمواليين لهم بالاستمرار في أداء زيارة الامام الحسين(عليه السلام) وعدم الاستسلام لإجراءات المنع المتبعة من قبل السلطات الحاكمة، كما يتضح من النصوص الواردة في أعلاه الاجر الذي يستحصله الزائر لقبر الامام الحسين(عليه السلام) في حياته الاخرية والديوية.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

ثانياً: الجذور التاريخية لزيارة الامام الحسين:

يذكر كل من الطبري وابن الاثير في تاريخهما ان عبيد الله بن زياد بعد انتهاء معركة الطف في كربلاء، وذهابه الى الكوفة التي تفقد اتباعه فيها فلم ير عبيد الله بن الحر، وبعد أيام عدة التقى به، وخاضوا في حديث اظهر فيه ابن الحر ندمه على عدم نصرته الامام الحسين (عليه السلام) ، واستطاع بعد ذلك الهروب من رجال ابن زياد وتوجه الى كربلاء، وزار الامام الحسين واهل بيته واصحابه (عليه السلام) وقال عنده قصيدة طويلة جاء في مطلعها:

يقول امير غادر حق غادر الا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة
فيا ندمي الا أكون نصرته الا كل نفس لا تسدد نادمة^(١)

يمكن اعتبار هذه الحادثة بداية الاعتراف بالخطأ الجسيم المرتكب من بعض الكوفيين الذين شعروا بجسامة فعلهم المتمثل بخذلان الامام الحسين (عليه السلام)، بغض النظر عن دور ابن الحر بعد هذه الحادثة.

كل موضوع وعنوان فيه خلفية تاريخية تبين لنا مراحل تكوين وتطور ذلك الموضوع، وهنا لا بد لنا من ان نعرف تلك الجذور التاريخية لزيارة الأربعين الخالدة اذا ما عرفنا ان مراسيم الأربعين للموتى ماهي الا مظهر من مظاهر الشعائر الاجتماعية وهي ليست فرضاً دينياً في الشريعة الإسلامية، الا ان اربعينية الامام الحسين (عليه السلام) التي اخذت حيزاً اخر عبر الزمن، بل أصبحت رمزاً وصرخة إنسانية في وجه الظلم والطغيان، انها المسيرة المليونية لعشاق الحسين ولهذه المناسبة جذورها التاريخية التي وردت في كتب التاريخ، وفحوى هذه المناسبة تاريخياً، انها متلازمة مع عودة السبايا، تلك القافلة

(١) محمد بن جرير الطبري (ت ٥٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢، القاهرة، دار التعارف، ج٥، ص٤٦٩-٤٧٠؛ ابو الحسن علي بن ابي الكرم الجزري ابن الاثير (ت ٥٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٤٨٦.

التي تتكون من اهل بيت النبوة من النساء والاطفال، والامام علي بن الحسين(عليه السلام)، وانها تزامنت مع مرور أربعين يوماً على استشهاد الامام الحسين(عليه السلام) في واقعة الطف(١٠ محرم ٦١هـ) والبعض يقول ان الركب الحسيني بقيادة الامام زين العابدين(عليه السلام) قد التقى بالصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري^(١) (رضوان الله عليه)^(٢).

وبخصوص الرواية التاريخية لواقعة الأربعين، فهناك اراء متعددة في هذا الصدد، فهناك مجموعة من المؤرخين الذين كتبوا عن ثورة الامام الحسين(عليه السلام) واغلب هؤلاء استفادوا من روايات ابي مخنف عن واقعة الطف، وتلك الكتابات كانت من الرعييل الأول من المؤرخين ومنهم الطبري والشيخ المفيد وجاء بعد ذلك الرعييل الثاني من المؤرخين والذين كانوا اكثر بعداً زمنياً عن الحادثة التاريخية والذين نقلوا رواياتهم من الرعييل الأول من أمثال الطبرسي في اعلام السورى والخوازمي في كتابه مقتل الامام الحسين، وابن الاثير في كامله، هؤلاء المؤرخون من الرعييلين الأول والثاني قد تحدثوا عن الثورة الحسينية ومنهم من اسهب في ذلك او كتب كتاباً خاصاً في ذلك لكنهم لم يذكروا

(١) جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي المعروف (٦٠٧-٦٩٧)، وُلد جابر في المدينة المنورة قبل الهجرة بخمس عشرة سنة في عائلة فقيرة تنتمي لبني الخزرج، أمه نسيبة بنت عقبة بن عدي، وكان أبوه عبد الله من أول من بايع النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأنصار وأسلم بين يديه، جدّه عمرو بن حرام بن كعب بن غنم وكان أبوه من سابقى الأنصار ومن اعتنق الإسلام قبل هجرة النبي إلى يثرب ومن المبايعين له في بيعة العقبة الثانية، وأول واقعة سجلها لنا التاريخ الإسلامي عن حياة جابر هي حضوره مع أبيه في بيعة العقبة الثانية والتي وقعت في السنة الثالثة عشرة للبعثة، وكان أصغر من شهد البيعة من الأوس والخزرج، ومن الحفاظ ومكثري الحديث، ومن رواياته حديث اللوح الذي ذكر فيه النبي أسماء أئمة الشيعة لم يستطع جابر أن يقاتل مع الإمام الحسين في كربلاء في يوم عاشوراء بسبب كبر سنه. ولكنه كان حسب الروايات أول من زار الإمام الحسين في يوم أربعينه في أرض المعركة وعنه تروى أول زيارة أربعين للإمام الحسين فمات رضوان الله عليه مسموماً عام ٥٧٨هـ. ينظر: محسن الأمين، اعيان الشيعة، دمشق، مطبعة الانقن، ١٩٤٧ ج٣، ص٤٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، القاهرة، دار الشعب، د، ج١، ص٣٧٧؛ محمد بن الحسن الطوسي، مصباح المتهجد، بيروت، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٨، ص٧٨٧؛ شمس الدين الذهبي، سير اعلام النبلاء، القاهرة، دار المعارف، د، ج٣، ص١٩٢.

(٢) عبد الكرم عز الدين الاعرجي، كتابات تاريخية في النهضة الحسينية، بغداد، ٢٠١٥، ص١٤٦-١٤٧.

حادثة الأربعين ولقاء جابر بن عبد الله الانصاري (عليه السلام) بالامام علي بن الحسين زين العابدين(عليه السلام) ^(١) .

والاساس في رواية الأربعين، هي تلك الرواية المنقولة عن الامام الحسن العسكري(عليه السلام) التي ذكرها الاحسائي(ت٥٨٨٠هـ) نقلاً عن الامام جعفر الصادق(عليه السلام) ومن خلال لقاء الامام زين العابدين(عليه السلام) مع جابر بن عبد الله الانصاري(رض) ^(٢) .

وذكر اكثر من مؤرخ من المتأخرين هذا اللقاء ولكن بصور وطرق متعددة، فابن نما الحلبي(٥٦٤٥هـ) يقول (ولما مر عيال الحسين بكربلاء وجدوا جابر بن عبدالله الانصاري رحمة الله عليه وجماعة من بني هاشم قدموا لزيارته في وقت واحد تلاقوا بالحزن والاكتئاب والنوح على المصاب المقرح للاكباد) ^(٣) .

وهذه الرواية تبين لنا هذا اللقاء الذي حصل بين الامام زين العابدين(عليه السلام) وجابر بن عبدالله الانصاري(عليه السلام) لكن الملفت للنظر في هذا الموضوع بان الرواية لم تبين لنا اسم اليوم وتاريخ اللقاء من حيث اليوم والشهر .

والامر نفسه، يرد في رواية ابن طاووس(ت٥٦٤هـ) وهو من احد اعلام الشيعة في القرن السابع الهجري قائلاً في ذلك(ولما رجع نساء الحسين(عليه السلام) وعياله من الشام وبلغوا العراق قالوا للدليل والحوا عليه على ضرورة المرور بكربلاء بقولهم: مر بنا على طريق كربلاء فوصلوا الى موضع المصرع وزاروا قبر الامام الحسين(عليه السلام) ، فوجدوا جابر بن عبد الله الانصاري (رض) ، وجماعة من بني هاشم ورجالاً من ال الرسول محمد(عليه السلام) قد وردوا لزيارة قبر الامام الحسين(عليه السلام) فوافوا في

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٨ .

(٢) ابو جمهور الاحسائي(ت٥٨٨٠هـ) ، عوالي اللالئ، ج٤ ، بيروت، ص٣٣ .

(٣) ابن نما الحلبي، مثير الاحزان، ص١٠٧ .

وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم واقاموا المآتم المقرحة للأكباد واجتمع اليهم نساء ذلك السواد فأقاموا على ذلك اياماً^(١) .

ويظهر لنا من خلال هاتين الروايتين التطابق الكبير في صياغتهما، لكن من دون إشارة الى اليوم والشهر لهذا اللقاء.

وهنالك البعض من المؤرخين قد سلك في روايته مسلكاً اخر، فقد ذكروا ورود جابر الانصاري(رضوان الله عليه) في العشرين من صفر لزيارة قبر الامام الحسين(عليه السلام) ولقائه بالامام علي بن الحسين السجاد واهل بيته(عليه السلام) في يوم العشرين من صفر، فقد ذكر الشيخ المفيد ذلك قائلاً(وفي اليوم العشرين منه كان رجوع حرم سيدنا ومولانا ابي عبد الله من الشام الى مدينة رسول الله وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله الانصاري صاحب رسول الله من المدينة الى كربلاء لزيارة سيدنا ابي عبد الله الحسين فكان اول من زاره من الناس)^(٢) .

والامر نفسه يذكره الشيخ الطوسي(ت ٤٦٠هـ) قائلاً: (وفي العشرين منه كان رجوع حرم سيدنا ابي عبد الله الحسين بن علي(عليه السلام) من الشام الى مدينة رسول الله وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله الانصاري صاحب رسول الله من المدينة الى كربلاء لزيارة قبر ابي عبد الله فكان اول من زاره من الناس ويستحب زيارته فيه وهي زيارة الأربعين، فروي عن ابي محمد العسكري(عليه السلام) انه قال: علامات المؤمنين خمس: صلاة الاحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم)^(٣) ، وهذه اقدم إشارة وردت في زيارة الأربعين والتي جعلها الامام الحسن العسكري(عليه السلام) من سيماء المؤمنين.

(١) علي بن موسى بن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، بيروت، دار المرتضى، دت، ص ١١٤.

(٢) الشيخ المفيد، مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، ص ٤٦.

(٣) الشيخ الطوسي، مصباح المجتهد، ص ٤٦٢.

ويؤيد ذلك البيروني (ت ٤٤٠هـ) في تاريخه، الذي يعد من المؤرخين الذين يحسبون على اهل السنة والجماعة على الرغم من تحفظ البعض على ذلك، وعدوه من المؤرخين الذين يميلون الى التشيع، قائلاً (وفي العشرين رد رأس الحسين الى جثته حتى دفن مع جثته، وفيه زيارة الأربعين وهم حرمه، بعد انصرافهم من الشام) ^(١).

الحقيقة فان ابرز ما في رواية البيروني في مضمونها، انها تورد لنا مكان مدفن رأس الحسين، وان روايته تتماشى مع اغلب علماء ومؤرخي الشيعة الامامية. كما يؤيد ذلك الشيخ البهائي (ت ١٠٣٠هـ) قائلاً في ذلك (وفيه زيارة الأربعين لابي عبد الله الحسين، وفي هذا اليوم قدوم جابر بن عبد الله الانصاري لزيارته واتفق ذلك اليوم ورود حرمه من الشام الى كربلاء، قاصدين المدينة على ساكنيها السلام والتحية) ^(٢).

وهناك فريق اخر من المؤرخين من ينكر وصول جابر بن عبد الله الانصاري (رضوان الله عليه) في العشرين من صفر، او من ينكر لقاء جابر بن عبد الله الانصاري مع الامام زين العابدين (عليه السلام) ويعزون ذلك إلى أنه لا يمكن للركب الحسيني والسبايا من الوصول الى كربلاء في العشرين من صفر، كما انه ليس من الممكن ان يصل جابر بن عبد الله الانصاري (رض) الى كربلاء في التاريخ المذكور، لان مجيء جابر يتطلب علمه بالأمر وما جرى لأهل البيت الاطهار، والسبب في ذلك مجيء جابر من المدينة ووصول الخبر اليه وتجهيز نفسه للوصول سيحتاج الى اكثر من أربعين يوماً، علماً بان هنالك من يرى ان جابراً قد وصل الى كربلاء من غير الحجاز، وقد يكون من الكوفة او غيرها من المدن ^(٣)، والتي هي الأقرب الى كربلاء من المدينة المنورة.

(١) ابو الريحان البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص ٣٣١.

(٢) الشيخ البهائي، توضيح المقاصد، ص ٦.

(٣) ابن طاووس، الاقبال، ج ٣، ص ١٠٠-١٠١.

وعلى الأرجح فإن الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه) قد قدم من المدينة المنورة الى كربلاء، وهذا قد يعرض الرواية التاريخية لوصوله في أربعين يوماً بعد استشهاد الامام الحسين الى النجد، ناهيك عن وصول الامام السجاد (عليه السلام) والسبايا أيضاً في أربعين يوماً بعد واقعة الطف الى كربلاء اذا ما علمنا ان مسافة الطريق الطويلة بين كربلاء ودمشق عبر طريق الكوفة، ثم شمالاً من العراق الى الموصل، والوصول الى شمال بلاد الشام، والانحدار جنوباً نحو دمشق.

وهناك اراء أخرى لبعض علماء الشيعة الامامية في المراحل المتأخرة، ومنهم الشيخ المجلسي (١١١١هـ) صاحب كتاب البحار المشهور، والذي لا يعتقد برجوع الامام زين العابدين والسبايا في العشرين من صفر، قائلاً في ذلك: (اعلم انه ليس في الاخبار ما العلة في استحباب زيارته صلوات الله عليه في هذا اليوم، والمشهور بين الاصحاب ان العلة في ذلك رجوع حرم الامام الحسين في مثل ذلك اليوم الى كربلاء عند رجوعهم من الشام والحاقهم علي بن الحسين ع الرؤوس بالأجساد، وقيل في مثل ذلك اليوم رجعوا الى المدينة، وكلاهما مستبعدون جدا لان الزمان لا يسع ذلك كما يظهر من الاخبار والاثار، وكون ذلك في السنة الاخرى مستبعد) ^(١).

اما العلامة الميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ) وهو مؤلف كتاب مستدرك الوسائل، فينقل لنا نصاً من كتابه (اللؤلؤ والمرجان) عن السيد ابن طاووس في اللهوف والذي يؤيد فيه وصول الركب الحسيني الى كربلاء، فيتطرق الميرزا النوري الى نقد تلك الرواية التاريخية ونكرانها ^(٢).

(١) الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج ٩٨، ١٩٨٣، ص ٣٣٢.

(٢) الشيخ النوري، اللؤلؤ والمرجان، ص ١١٤.

والجدير بالذكر ان عباس القمي صاحب كتاب الكنى واللقاب وهو تلميذ النوري، فانه الاخر لا يعتقد حضور الركب الحسيني في يوم الأربعين الى كربلاء^(١)، ومن العلماء المتأخرين الذين تحدثوا عن الزيارة الاربعينية الشيخ أبو الحسن بن الشيخ محمد غلام حسين الشعراي(ت١٣٩٣هـ) حيث أوضح في ترجمته لكتاب نفس المهموم نفيه لرواية حادثة الأربعين في كربلاء^(٢).

أما الشيخ مرتضى مطهري فانه يتحدث عن خبر لقاء جابر بن عبد الله الانصاري(رض) باهل البيت(عليه السلام) قائلاً في ذلك (ان الشخص الوحيد الذي نقل هذا الامر هو السيد ابن طاووس في اللهوف، ولم ينقله احد غيره، بل ان السيد نفسه ايضاً لم يتعرض لهذا الموضوع في كتبه الأخرى، ثم ان الدليل العقلي ايضاً لا يتوافق مع هذا الرأي)^(٣). ويبدو ان الشيخ مطهري قد علق على كتاب اللهوف لابن طاووس، وهو في الأساس لم يشر الى لقاء الأربعين بين الركب الحسيني والصحابي جابر بن عبد الله الانصاري^(٤).

(١) عباس القمي، منتهى الامال، ج٢، ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) الشيخ ابو الحسن بن الشيخ محمد غلام حسين الشعراي(ت١٣٩٣هـ)، نفس المهموم، ص٢٩٦.

(٣) الشيخ مرتضى المطهري، الملحمة الحسينية، ج١، ص٣٠.

(٤) عبد الكرم عز الدين الاعرجي، المصدر السابق، ص١٥٥.

الخلاصة

يجد القارئ بعد استعراض هذه الروايات التاريخية ان هناك تعارضاً بينها حيث يتعرض البعض لذكر لقاء الصحابي الجليل جابر الانصاري(رض) باهل البيت (عليه السلام) بينما لم تشر الاخرى من الروايات لهذا اللقاء.

يمكن الإجابة على مثل هذا الاشكال او السؤال بان نفترض ان زيارة جابر الانصاري لقبر الامام الحسين(عليه السلام) لم تكن واحدة، بل كانت متعددة، فلربما وصل قبل يوم الأربعاء وزار الامام الحسين(عليه السلام) وبقي هناك اياماً كما هم مفترض، وبالتالي حصلت له عند قبر الامام الحسين (عليه السلام) اكثر من زيارة، فزيارة كانت مع عطية العوفي وحدثهما، وزيارة كانت لهما مع جماعة من بني هاشم ورجالات من آل الرسول جاءوا معهم لزيارة الحسين(عليه السلام) ، وأخرى توافقت مع رجوع اهل البيت عليهم السلام الى كربلاء وزيارة الامام الحسين(عليه السلام) ومن ثم لقائه بالإمام زين العابدين(عليه السلام) وهذا يمكن الجمع بين هذه الروايات.

لذلك فمسألة رجوع اهل البيت عليهم السلام الى كربلاء يوم العشرين من صفر او عدم رجوعهم في نفس هذا اليوم لا يؤثر على أهمية هذه الزيارة واثارها العظيمة التي اخذت تتسع كلما اتسعت اعداد الملايين الزاحفة نحو الحسين(عليه السلام) حتى تحولت الى ذكرى سنوية يهتم بها العالم بأسره.

ونجد مما تقدم ان هذه الحادثة مؤثر تاريخي الى بداية انطلاق طقوس الحداد يوم الأربعاء على الامام الحسين(عليه السلام) ، ويظهر ان البكاء واللطم ومظاهر الحزن كانت العلامة المميزة لممارسة طقوس الحداد على الامام الحسين(عليه السلام) بعد استشهاده مباشرة.

عالمية زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)

- المسرح الغربي الحديث إنموذجا -

باللغة العربية، والإنكليزية

أ.م. د حسن عبد الهادي الدجيلي / كلية الآداب

الجامعة المستنصرية - قسم اللغة العربية

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كثيرة هي الشواهد، والدلالات التي جعلت من زيارة سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) عالمية بكل ما يعنيه هذا المصطلح من مفاهيم، ولعل في مقدمة تلكم الشواهد والدلالات ما يأتي: -

١. الإطمئنان النفسي الذي يراود الزائر حينما يقبل على ضريحه.
 ٢. إشتراك الإنسانية بأجمعها - ماعدا أشباه الإنسانية - بحب الحسين (عليه السلام).
 ٣. إستجابة طلب كل من يطلب منه شيئاً مهما يكن صعباً، أو مستعصياً.
 ٤. تلاقح الفكر الحسيني مع الفكر الإنساني أياً كان.
 ٥. إرتباط كثير من شعوب العالم بـ الحسين (عليه السلام) روحياً.
- ومن يريد التحقق من تلك الأمور عليه الرجوع إلى مصاديقها - الدراسات، والبحوث التي أجريت حولها - ^(١) للتأكد من ذلك.

ومن الأمور التي كانت نتاج عالمية الزيارة الحسينية هو رد فعل الفكر الحسيني الذي دخل إلى كثير من الخطاب المسرحي الغربي الحديث، فلقد التقت كثير من القضايا

(١) ينظر مثلاً :

Phelosophy in the human , Baulogy of all al live , Mathemantex & ١٠٠٠٠ years , The eye,s hared in the culture , The litrture in God,s culture .

والتداوليات الطبية في الفكر الهندسي، و برامج الحضارة في الخطاب التأويلي ، والنص المتناقف .

الحسينية المتعلقة بالزيارة في كثير من النصوص المسرحية الغربية الحديثة عن طريق دخول الدلالات العميقة لتلكم القضايا في الخطاب المسرحي الغربي الحديث، وحينما رصدنا تلكم النصوص خلال عشرين سنة مرت أي من عام (١٩٩٦ - ٢٠١٦)، لاحظنا فيها ما يأتي: -

١ - إنحصر الخطاب المسرحي بدول معينة، وبالشكل التنازلي الآتي:

- أ- الخطاب المسرحي الألماني [٢٠] مسرحية^(١).
- ب- الخطاب المسرحي الإسباني [١٥] مسرحية^(١).
- ت- الخطاب المسرحي الفرنسي [١٣] مسرحية^(٢).
- ث- الخطاب المسرحي الإنكليزي [١١] مسرحية^(٣).

(١) تنظر: (أجنحة الخلود) [The eternity wings] ، و (صومعة السماء) [Sky cell] ،
 و (ترويض المحبة) [Loving exercises] ، و (شباب الشيخوخة) [The senility youth] ،
 و (رؤى سوزانا) [Sozana Sees] ، و (قيادات الموت) [Death readeres] ،
 و (تيار الدعوات) [Apealles trend] ، و (جداريات الشموخ) [The rising worthes] ،
 و (فضاءات الفردوس) [Heaven homes] ، و (بطل الأمم) [The nation Super man]

، و (برقيات السيادة) [Masterring masges] ، و (موقع الأعرزة) [Deares home] ،
 و (فتايل الطريق) [The setreat lightes] ، و (جماليات الإله) [The God arttes] ،
 و (فن الإيمان) [Faith art] ، و (أبواب الله) [God doores] ، و (ملاحم المياه)
 [Woteres odas] ، و (منافذ الاستقامة) [The lines wendowes] ، و (بيوت الله)
 [The God houses] ، و (أعمامي) [My ancules] .

(٢) تنظر: (عبق روحي) [Sourly full of] ، و (في سبيل الآخرين) [In the by people] ، و
 (قراءات إنسانية) [Humanly readings] ، و (صوت متدفق) [Nice voice] ، و (ظلام
 العلم) [The black scince] ، و (جدران متهرئة) [Derty welles] ، و (نظرات
 فوق الرحيمة) [Up good sees] ، و (شفرة الحكمة) [The phelosphe of shefere] ،
 و (قداسة الأمل) [To hope sacredness] ، و (مغامرات ظلامه) [Wrong risks] ،
 و (ديمومة الحق) [The true duration] ، (الرجل المنقذ) [Superman] ، و
 (مثاقفة) [Culuration] ، و (المستقبل) [Future] ، و (سعادات) [Happies] .

(٣) تنظر: (كيتار متوجع) [Painer geetar] ، و (ترانيم العم مايكل) [The Maikel,s] ،
 و (التتقيب عن حظ) [The pure to uncle hymnes] ، و
 (ما وراء الذهب) [That behind the gold] ، و (ياس مقنن) [Stau,s] ،
 و (أرواح قذرة) [Foul,s soules] ، و (نوايا مؤنقة) [Stayle,s] ،
 و (جذور الفتنة) [The charm rootes] ، و (الكمال) [The designes]

ج- الخطاب المسرحي الروسي [٨] مسرحيات^(١).
وبذلك فقد بلغ عدد المسرحيات [٦٧] مسرحية.

٢ - من الملاحظ أن درجة تأثير الزيارة الحسينية على عقيدة منتجي تلك الخطابات المسرحية كانت بالشكل التالي الآتي :-

- أ- خمسون شخصا ظلوا على عقيدتهم الأصلية^(٢).
ب- عشرون شخصا اعتنقوا التشيع^(٣).

وقد وسمنا هذا البحث المتواضع ب : (عالمية زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في
الفكر الإنساني - المسرح الغربي الحديث إنموذجا -)

وقد قسمنا البحث على المحورين الآتيين :

المحور الأول: جذور الخطاب المسرحي في الخطاب الثقافي العربي التراثي.

[The loving gardenes] ، و [Wmen] ، و (جنائن الحب) ، و [The very good] (مصانع الجودة) ، و [To die writings] (كتابات تحتضر) ، و [making

١) تنظر : (مقاعد القيادة) [The leading chieres] ، و (ورود لانتطفىء) [lighten,d] ، و (غرب الإحساس) [The feeling east] ، و (شيطان زاهد) [Abandon floweres] ، و (أنهار النظر) [The seeing raines] ، و (سهول الحليب) [The milk Devil] ، و (صحارى تعشق الجفاف) [Drayness,s love wilddes] ، و (أفلاك تترنح) [Totter,s orbittes] ، و (أخطار) [Dangerousness] ، و (أقدام) [Foottes] ، و (صبيان) [Boise's] .

٢) تنظر : (عيون سليمة) [Good eyes] ، و (رسائل فنان) [Arter letteres] ، و (بيانو الكيتار) [The gearat peaanou] ، و (أرض من ذهب) [Gold from earth] ، و (الرجل المتزه) [The good man] ، و (هواء الحب) [The loving air] ، و (نار النهاية) [The end,s faier] ، و (أموال) [Monies] .

٣) ينظر : العقيدة والفكر / ١٢٢ - ١٣٣ .

المحور الثاني: عالمية زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في الفكر الإنساني - المسرح
الغربي الحديث إنموذجا.

المحور الأول

جذور الخطاب المسرحي في الخطاب الثقافي العربي التراثي

الظاهرة المسرحية ظاهرة غربية بامتياز بيد أن هذه الظاهرة كان لها جذور في الثقافة العربية التراثية، من خلال ما يأتي: -

١ - العصر الجاهلي:

في العصر الجاهلي ظهرت كثير من قضايا المسرح من خلال: أن الشاعر كثيرا ما كان يرتدي هنادما معينا حينما ينشد القصيدة^(١)، فضلا عن دخول النص في كثير من الدلالات التأويلية^(٢)، وكان الشاعر كثيرا ما يصعد مرتفعا أثناء الإنشاد^(٣)، وتتألف القصيدة الجاهلية من لوحات متنوعة تصب جميعها في هدف واحد هو الغرض^(٤)، فضلا عن وجود الحوار في كثير من النصوص الجاهلية، والحوار هو قمة الوجود المسرحي^(٥) وامتداد موضوعات النص الجاهلي امتداد سعة الحياة الجاهلية^(٦)، فضلا عن أحاطة النص بكثير من الحسنات اللفظية والإيقاعية^(٧).

(١) ينظر: نفسه / ٢٥٥ - ٣٣٣ .

(٢) ينظر مثلا: تاريخ المسرح الشرقي / ١٢١ .

(٣) ينظر مثلا: أبعاد النظرية المسرحية / ١١١ .

(٤) ينظر مثلا: نفسه / ٢١١ .

(٥) ينظر مثلا: الحوار في الشعر الجاهلي / ١٦ .

(٦) ينظر مثلا: نفسه / ٣٣ .

(٧) ينظر مثلا: نفسه / ٤٥ .

٢ - العصر الإسلامي:

بعد أن ولد الإسلام توسعت قاعدة الفكر المسرحي من خلال ما يأتي: -

- أ- أصول النظرية المسرحية الأولى قامت على النظرية الدينية.
- ب- في القرآن الكريم ظهرت كثير من الأمور التي تتفق مع الإتجاه المسرحي، وهي:
 - وحدة الزمان القرآني^(١).
 - وحدة المكان القرآني^(٢).
 - وحدة الحدث القرآني^(٣).
 - الخطاب الفلسفي في الفكر الوعظي والإرشادي^(٤).
 - تناغم المستوى اللوني^(٥).
 - تصاعد المستوى الإيقاعي^(٦).
 - تفاعم المستوى النفسي^(٧).
- ح- في كثير من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله)، وأحاديث أمير المؤمنين (عليه السلام)^(٨) تمثيل للدلالات مسرحية.

(١) ينظر مثلاً: تأسيس المسرح / ٨٨، والمسرح الفلسفي / ١٢٣ .

(٢) ينظر مثلاً: الخطاب الفلسفي في القرآن الكريم / ٦٧ - ٧٣ .

(٣) ينظر مثلاً: اللون في القرآن الكريم / ٣٣ .

(٤) ينظر مثلاً: الفن السمعي في الخطاب القرآني / ١٣٣ .

(٥) ينظر مثلاً: البعد النفسي في كتاب الله / ٧٧ .

(٦) ينظر مثلاً: الآداب الحديثة في الأحاديث الشريفة / ٣٤٤ .

(٧) ينظر مثلاً: الفنون الإبداعية الحديثة في خطاب نهج البلاغة / ٢٢٢ .

(٨) ينظر مثلاً: الفنون العربية القديمة / ١١٦ .

٣ - العصر الأموي:

في العصر الأموي تطور الإتجاه المسرحي بحيث بدأ الفكر المسرحي ينمو في فضاءين، وهما: -

- أ- الدمى المتحركة التي تمثل الأساطير العربية القديمة^(١).
- ب- قيام بعض الأشخاص بتمثيل بعض الأدوار التاريخية في قصور الخلفاء^(٢).

٤ - العصر العباسي:

في العصر العباسي توسعت تطبيقات الظاهرة المسرحية عن طريق ما يأتي: -

- أ- ألف ليلة وليلة^(٣).
 - ب- أخبار جحا^(٤).
 - ت- كليلة ودمنة^(٥).
 - ث- وجود بعض الآثار المسرحية^(٦).
- تمثيل الظاهرة الحسينية بكل أبعادها المساوية، والتي ظلت خالدة إلى يومنا هذا^(٧).

(١) ينظر مثلا: نفسه / ٢٣٣ .

(٢) ينظر مثلا: النظرية المسرحية في ألف ليلة وليلة / ٨ - ١٢ .

(٣) ينظر مثلا: التيار المسرحي في أخبار جحا / ٤٤ .

(٤) ينظر مثلا: الإبداع المسرحي في كليلة ودمنة / ٣٢ .

(٥) ينظر: نص مسرحي لرجل من واسط في القرن الثالث الهجري / ١١ .

(٦) ينظر مثلا: تاريخ المسرح الحسيني / ٦٦ .

(٧) ينظر مثلا: تاريخ المسرح الحسيني / ٦٦ .

المحور الثاني

عالمية زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في الفكر الإنساني

المسرح الغربي الحديث إنموذجا

من الأمور التي صارت في عداد الثوابت التي لا تقبل أي شك مهما صغر هي زيارة الحسين (عليه السلام) التي تجاوزت الضيق إلى الواسع، والصغير إلى الكبير، والخاص إلى العام، والقطري والقومي إلى العالمي بكل ماتعنيه هذه المفردة من معان ودلالات، فقد كانت آثار الزيارة المؤثرة، والواقعية متحققة لكل إنسان قصدها بإخلاص، ونحن في الواقع نحار في التمسك في جهة معينة تمثلت هذا الجانب، فالجهات كثيرة، والوقائع غير محددة.

ومن جملة الأشياء التي عثرنا عليها، وكانت من نتائج عالمية الزيارة الحسينية هو التناسل الذي حدث بين الزيارة، والخطاب المسرحي الغربي الحديث، وحينما جردنا تلك المسرحيات ثم سلسلناها تنازليا كانت بالشكل الآتي:

١. الخطاب المسرحي الألماني.
٢. الخطاب المسرحي الإسباني.
٣. الخطاب المسرحي الفرنسي.
٤. الخطاب المسرحي الإنكليزي.
٥. الخطاب المسرحي الروسي.

وسنقوم باستعراض كل خطاب من هذه الخطابات من خلال أهم الموضوعات التي عولجت في الخطاب المسرحي، وأهم هذه المسرحيات: -

١ - الخطاب المسرحي الألماني:

يعد المسرح الألماني من أهم المسارح التي تأثرت بفكر الحسين (عليه السلام) ولاسيما زيارته العالمية ومن أهم الموضوعات التي تناولها الخطاب المسرحي الألماني، هي:

أ- تحقيق الطلب المستحيل:

نوقش هذا الموضوع كثيراً في الخطاب المسرحي الألماني، سواء على المستوى العام، أم الخاص، فكان المصلح رديف المنقذ تماماً وقد عكس كثير من المشتركات الدلالية بينه، وبين عالمية الزيارة الحسينية، ومن أشهر المسرحيات التي حملت هذا المعنى هي: -

• (أجنحة الخلود) [The eternity wings] للفيلسوف الألماني الكبير (مايكل لينسن) [Maikel lensen]: ١٩٩١، وقد ظهر الغرض بصورة واضحة حينما كان بطل المسرحية (لورد جوروي) قد حقق كثيراً من الأمور العريقة التي تستحق الخلود والعظمة لكنه لم يشعر بهذا الخلود الفعلي إلا بعد زيارته لسيد الشهداء (عليه السلام) بعد أن قادت ثقافته اليه (عليه السلام): ((... نظرت إليه خارج مرقده فوجدته شاخاً، ثم دخلت إلى الداخل فانتابني رجفة لم أبرأ منها إلا بعد إيماني إليه حينها فقط شعرت باي املك كل مافي الدنيا والآخرة...))^(١).

• (صومعة السماء) [Sky cell] للكاتب الكبير (لوكانس شوتي) [Lokance Shotty/]: ١٩٩٢، ف (ماريا) التي عجزت من شفائها من المرض

(١) أجنحة الخلود / ٣٣ .

الغريب الذي انتابها إلا بعد أن قالت كلمة واحدة هشمت دولة المرض، وأقامت بدلها دولة العافية، وهذه الكلمة، هي: ((... واحسيناه...))^(١).

• (شباب الشيخوخة) [The senility youth] للمبدع (مارك كوبس) [Mark Kowice]: ١٩٩٤، ف (مارك) بطل المسرحية لم يفده أحد بعد رحيل شبابه إلا بعد أن أرجع الحسين (عليه السلام) دلالاته^(٢).

• (تيار الدعوات) [Apealles trend] للمسرحي (مونالي جون) [Mownaly Jone]: ١٩٩٦، فأبطال المسرحية لم يحسوا بطعم الحرية إلا بعد أن آعتنقوا عقيدة سيد الشهداء^(٣).

ب- تحرير الإنسان من ضيق نظره:

تطرقت بعض الخطابات المسرحية الألمانية لهذه الفكرة منطلقة من بعض ظلال عالمية الزيارة الحسينية، وأهم المسرحيات التي تضمنت هذا الموضوع هي: -

• (ترويض المحبة) [Loving exercises] لـ (نكونسي روبرت) [Thekoncy roperet]: ١٩٩٣، فبطلة المسرحية (سوزي كارسي) حاولت جعل أعدائها محبيها من خلال استترفاذ هذه القضية من زيارة الحسين (عليه السلام): ((...)) حينما يئست من جعلهم يعضغون الحب كما يعضغون حلوى لذينة رحلت معهم

(١) صومعة السماء / ٢١١ .

(٢) تنظر: شباب الشيخوخة / ٣٨ .

(٣) تنظر: تيار الدعوات / ١١١ .

حيث مركز الحب الإلهي، والإطمئنان العالمي فأوقفتمهم أمام شباكه الذي جعلهم يحضنونها بشدة، وهم يقولون اغفري لنا بحق هذا الإمام العظيم، في الوقت الذي شاركوا بمجموع الزائرين وهم يهتفون: لبيك يا حسين...))^(١).

• (رؤى سوزانا) [Sozana Sees] لـ (كوبل جاني) [Copele Ganey]:
١٩٩٥، ففكرة المسرحية قامت على أن بطلة الرواية لم تستطع تحقيق وجودها إلا من خلال الرؤى التي رآها وفسرت لها بأنها زيارة كربلاء فذهبت من بلدها مشيا حتى كربلاء، وما أن وصلت حتى استقبلها سيد الشهداء (عليه السلام) كأحد شخصيات الطف بعد تشتيت جسدها بأحد المفخخات^(٢).

• (فضاءات الفردوس) [Heaven homes] لـ (دون لوك) [Done look]:
١٩٩٧، فالراوي في المسرحية كان يحاول أن يربط كل قبول يناله (كارت رول) بعلاقته العقيدية بأبي عبد الله (عليه السلام)، وكثافة زيارته له (عليه السلام)^(٣).

• (برقيات السيادة) [Masterring masges] لـ (لوزيار شيكاكو) [Lowziar Shegagoo]:
١٩٩٩، لقد كان (دون رايت) بطل المسرحية يحاول تطبيق الحب الذي ناله والده من قبل الناس على حياته من خلال حبه للحسين (عليه السلام) من خلال توسيع علاقته به بكثرة الزيارة: ((... حبي لك، وإيماني بك هو الذي جعلني أو من بعقيدتك ياسيدي، ومولاي...))^(٤).

(١) ترويض المحبة / ٩٦ - ٩٧ .

(٢) تنظر: رؤى سوزانا / ٤٥ - ٦٤ .

(٣) تنظر: فضاءات الفردوس / ٧٧ - ٨٨ .

(٤) برقيات السيادة / ٢٢ - ٢٣ .

ج- قتل اليأس:

استرهدت الكثير من المسرحيات الألمانية الحديثة هذا الموضوع من عالمة الزيارة الحسينية، وكانت أهم المسرحيات التي تضمنت ذلك هي:

• (قيادات الموت) [Death readeres] لـ (هورتي بيكو) [Hourty Peakow]: ٢٠٠٢، حاول بطل المسرحية تحقيق السعادة لشعبه بمختلف الطرق لكنه أخفق في ذلك لكن حينما حاول تطبيق منهج الحسين (عليه السلام) - حيث كان كثير الزيارة له (عليه السلام) - نجح نجاحا كبيرا^(١).

• (بطل الأمم) [The nation Super man] لـ (هورتي بيكو) [Hourty Pekow]: ٢٠٠٥، استوحى المنتج هنا عن طريق الصراع بين قوى الشر والخير شخصية الحسين (عليه السلام) وكيف انتصر على أعدائه بمظلوميته، والتي استوحاها من كثرة زيارته لسيد الشهداء^(٢).

• (قناديل الطريق) [The setreat lightes] لـ (جونسان مينمان) [Gonsan Menman]: ٢٠٠٦، السرد في هذه المسرحية يتجه إلى زيارة الأربعين، وكيف يمكن لهذه الزيارة من صنع المعجزات في حل مشاكل المجتمع الحديثة^(٣).

(١) تنظر: قيادات الموت / ٢٢٢ - ٢٨٩ .

(٢) تنظر: بطل الأمم / ٥٦ - ٦٨ .

(٣) تنظر: قناديل الطريق / ١٢١ - ١٣٦ .

• (أبواب الله) [God doores] لـ (لورا بوب) [Lora Boob]: ٢٠٠٧، استرقدت الكاتبة في هذه المسرحية النظرية الإسلامية الكبيرة: (باب الله الذي يؤتى منه) التي هي تشمل كل الأئمة المعصومين (عليه السلام) فجعلتها خاصة بالدرجة الأولى لسيد الشهداء (عليه السلام)، فضلا عن كونه (عليه السلام) بابا لكل المعصومين (عليه السلام) إلى الله تعالى: ((... اسمع يا باور عليك الإقتداء به لا بوالديك، وعليك التمثل به لا بمجتمعك المسرطن بالبرائن، وعليك أن تجعله نورك للعالم لاهؤلاء الذين تجدهم مقدسين، الإقتراب من الله معناه احتضان الحسين فقط ولاسيما عند زيارته وأنت بنية خالصة.....))^(١).

٢ - الخطاب المسرحي الأسباني:

يشكل الخطاب الأدبي الأسباني - عموما - أهمية كبيرة في فضاء التراث الثقافي العربي كون هذا الخطاب هو الوريث الشرعي للحضارة العربية الأندلسية، ولهذا صارت إسبانيا هي حلقة الوصل الثقافي بين الفكر العربي والفكر الغربي، ومن هنا جاء التأثير والتأثير بين الثقافة العربية، والثقافة الأسبانية، ومن ضمن الفكر القدحديث (القديم + الحديث) الذي توارد بين العرب، والإسبان الفكر الثقافي الحسيني، ولاسيما موضوع الزيارة، وعالميتها الذي إنعكس على الأدب الإسباني ولاسيما الأدب المسرحي، أما أهم الموضوعات التي استوحاها الخطاب المسرحي الأسباني الحديث من عالمية الزيارة الحسينية، وأهم المسرحيات المتعلقة بها، هي: -

أ- التعود على الحب وتفجير طاقاته:

(١) أبواب الله / ٨٨ - ٨٩ .

وردت الكثير من المسرحيات الأسبانية التي تضمنت الموضوع السابق، وأشهر هذه المسرحيات هي: -

• (عبق روحي) [Sourly full of] لـ (لورد جوينتس) [Lord Jointes]:
١٩٨٦، يؤكد منتج المسرحية على أن الحب ليس حاسة معينة تمتلكها تجاه الآخر بل هو مقياس على روحانية الجسد، وطهارته، ف (جوزيف) الذي أحب (زينب) كان عليه أن يحب كل شيء فيها، ويطبقة كي ينال قلبها بالريادة، ولما كانت زينب هذه تعشق الحسين (عليه السلام)، وتداوم باستمرار على زيارته، كان على جوزيف أن يشاركها هذا العشق، وبالمقدار نفسه، ولكي ويثبت لها ذلك قال لها: ((... لكي أكون صادقاً معك، ومن البداية خذيني إليه كي أقسم له أمامك بأن حيي لك سوف لن يكون مقدمة للاقتران بك، لكن قبل ذلك للاقتران بعقيدتك الحسينية الخالصة لله وحده.... ولما دخل الضريح الشريف: ارتجف بشدة، ونزف الروح بكاء، وبدأ ترتيل صوته الموسيقي الحزين العذب وهو يقول - دون العلم أن ما سيقوله هو ما يقوله كل زائر مؤمن بالحسين - : السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين..... ثم أضاف على ذلك السلام على الدوحة الطاهرة، السلام على السماء القاهرة، السلام على الشمس النائرة. السلام عليك يا بن فاطمة، السلام على صبرك العظيم، السلام على كرمك الأليم، السلام على فكرك الحلیم... إشهدوا لي بهذه الشهادة: أشهدُ الأله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أنكم، أنكم، فقط أولياء الله.....))^(١).

• (صوت متدفق) [Nice voice] لـ (سوزانا تونييه) [Souzana]
[Tooneehe]: ١٩٨٩، في الخطاب الدلالي لهذه المسرحية صوتان الأول صوت (شيدو كاسيو) الحب حبا خالصا لحبيته (آرقي تونزييه) بيد أن الشك كان دائما يراود حبيته

(١) عبق روحي / ١٣٤ - ١٣٥ .

تجاهه، وحينما حاول تطبييها من هذا المرض فشل إلى حد اليأس، وبينما هو - في يوم من الأيام - يدعو في الكنيسة جاءه رجل على هيئة المسيح (عليه السلام)، وفي الوقت الذي حاول شيديو النطق قال له السيد المسيح: ((... ليس عندي شفاؤه، لكن شفاؤه عند الشافي الأول الذي يلوذ به حتى الملائكة، والأنبياء... إذهب إلى العراق ففيه ولاية تدعى كربلاء في وسطها مقر هذا الشافي ألا وهو الحسين (عليه السلام)..... فعندما وصل شيديو مع زوجته اضطربت زوجته، ثم برئت، وهي تقول: هو الحسين، هو الحسين، ولا شيء بعده))^(١).

• (شفرة الحكمة) [The phelosphe of shefere] لـ (كارت تونيب) [Kart Toneep]: ١٩٩٣، وفيها استحضار لجو القلق العالمي الذي لا يستقر إلا على يدي من أخذوا الحكمة أثناء زيارتهم للحسين (عليه السلام)^(٢).

• (مغامرات ظلامه) [Wrong riskes] لـ (كوفي تيساك) [Coffee Teasac]: ١٩٩٨، وهي مسرحية جسدت كربلاء بكل براعة بعد أن أشار كاتبها في مقدمتها أنه أبدع هذا العمل بعد زيارته ضريح الحسين (عليه السلام)، واعتناقه عقيدته^(٣).

ب- الإتحاد في أوقات الشدة:

ظهر مضمون هذا الموضوع في هالة من المسرحيات الإسبانية الحديثة، وأهمها:

(١) صوت متدفق / ١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) تنظر: شفرة الحكمة / ١٠٤ - ١١١ .

(٣) تنظر: مغامرات ظلامه .

• (في سبيل الآخرين) [In the by people] لـ (كارترز جيرار)
[Karteres Gearare]: ٢٠٠٠، يتحد السرد في هذه المسرحية بين الماضي
ومشكلاته، والحاضر ومشكلاته جاعلا من قناع الحسين (عليه السلام) السبيل إلى
الحل، والراحة الأبدية، وقد أشار إلى أن حضور الحسين (عليه السلام) عن طريق زيارته
بنية صافية هو السبيل إلى ذلك^(١).

• (قراءات إنسانية) [Humanly readings] لـ (جونى كيبس) [Jony
Keese]: ٢٠٠٣، أشار كاتب هذه المسرحية أنه استوحته من كثرة زيارته لأبي عبد الله
(عليه السلام)، والتعمق في دراسة زيارته بحيث أنه قسم فصول مسرحياته على أهم
مقاطع الزيارة، وهي كالآتي:
الفصل الأول: السلام عليك^(٢).

الفصل الثاني: أبو عبد الله^(٣).

الفصل الثالث: ابن رسول الله^(٤).

الفصل الرابع: ابن علي المرتضى^(٥).

الفصل الخامس: ابن فاطمة الزهراء^(٦).

فيجعل من تأمل القراءة لهذه الزيارة السبيل للفوز في الدنيا، والآخرة^(٧).

(١) تنظر: في سبيل الآخرين .

(٢) تنظر: قراءات إنسانية / ٧٥ .

(٣) تنظر: نفسها / ١٢٣ .

(٤) تنظر: نفسها / ١٣٤ .

(٥) تنظر: نفسها / ١٤٤ .

(٦) تنظر: نفسها / ١٧٦ .

(٧) تنظر: نفسها / ١٨٢ - ٢٤٤ .

• (جدران متهزئة) [Derty welles] لـ (بولز بان) [Bolz ban]: ٢٠٠٥،
البطل في هذه المسرحية (شيوعي). من الدرجة الأولى، لم يصل إلى مكان الرفعة إلا بعد
زيارته للحسين (عليه السلام)، واسترفاده العقيدة الفذة التي لا يأتيها البطل من بين يديها
ومن خلفها: ((... هكذا سأكون، هكذا سأستمر في طريق الحسين وإلى ابد
الأبد...))^(١).

• (قداسة الأمل) [To hope sacredness] لـ (فورت خورختاس):
٢٠٠٧، في المسرحية إبراز لصوت الأمل الذي كل ما يأتي ينتهي، ولامن فائدة منه إلى أن
زار البطل (كوبريه كوسترايه) قبر الحسين (عليه السلام) فتعرف لأول مرة على الأمل
الخالد الذي لا يزول أبدا^(٢).

٣ - الخطاب المسرحي الفرنسي:

في الخطاب المسرحي الفرنسي الحديث كثير من التأثير بعالمية الزيارة الحسينية، أما
أهم مضامين هذه المسرحيات مع أهم المسرحيات، فهي:

أ- التراحم مع الاصدقاء كما في الصديق:

إن أهم المسرحيات التي تناولت هذا الموضوع هي:

(١) جدران متهزئة / ٧١ - ٧٢ .

(٢) تنظر: قداسة الأمل / ٩٠ - ١٧٧ .

• (كيتار متوجع) [Painer geetar] لـ (لاوتي كراكس) [Laoty Cracse]: ١٩٩٩، تنطلق المسرحية من تكوين العلاقات مع الأقارب، ومن ثم الصعود إلى الأبعد إلى أن يبدأ الإنسان بتقوية الصلات مع الخالق، وحينما كان (لورد توزييه) يحاول أن يجد هذه الصلات من خلال بحثه، وتنقيبه يتعرف بالصدفة على رجل إسباني حسيني، وبينما تتطور العلاقة بينهما يوصله: إلى السر ((.. بعد أن رأيت رؤيا صادقة قررت أن أقودك إلى ماتصبو إليه إنه صديقي الحميم الذي لامنافس له بعد أن رأيت صديقي هذا، وهو يدعوك لهذه الزيارة، وينهي هذا المقطع بمعزوفة كيتارية:
أنت المعين أنت المعين

أنت الروح تتعاقب مع العين

انت الرجاء للراجلين

انت العزاء لليائسين

انت الصديق لكل المحبين

يا سيدي يا حسين...))^(١).

• (التنقيب عن حظ) [The pure to chance] لـ (موليش كيتونييه) [Muleash Keatoneehe]: ٢٠٠٥، الكاتب شخص شيعي ينطلق من القيم الحسينية العظيمة - كما أشار هو في مقدمة مسرحيته هذه -^(٢)، ولهذا عكس هذه العقيدة في مسرحيته هذه، حينما حاول الربط بين الحظ العظيم، والحسين (عليه السلام)، والعكس مع أي شخص غيره^(٣).

(١) كيتار متوجع / ٤٤ - ٤٥ .

(٢) تنظر : التنقيب عن حظ / ٧ - ١٢ .

(٣) تنظر : نفسها / ١٥٥ - ٢١٠ .

• (أرواح قذرة) [Foul,s soules] لـ (نانا توباكال) [Nana Topakal]:
٢٠٠٨، يحاول المؤلف من خلال أبطاله - الذين كانوا من عقائد مختلفة - القول أن
العقيدة الحسينية، والتقرب من الحسين (عليه السلام) عن طريق زيارته تقريب للروح
المقدسة، وإهلاك للروح الشريرة^(١).

• (جذور الفتنة) [The charm roots] لـ (خاليس شتوري)
[Khaluese Shtoori]: ٢٠١٠، الكاتب ومن خلال زيارته المتتالية، ووجه لسيد
الشهداء (عليه السلام)^(٢) حاول عكس التجربة الحسينية وجعلها الفاعل الأول لحل
كل مشكلات هذا الخطاب المسرحي^(٣).

ب- التعمق في الصبر:

إن أهم المسرحيات التي تناولت هذا الموضوع هي:

• (ترانيم العم مايكل) [The Maikel,s uncle hymnes] لـ (جونيه
سبارتييه) [Joneahe Cearteehe]: ١٩٩٨، كاتب المسرحية كاهن معروف ومحب
كبير للحسين (عليه السلام)، وزيارته^(٤)، ولهذا جمع بين إيجابيات عقيدته النصرانية،
والفكر العظيم للحسين (عليه السلام) فعكس كل ذلك بشكل تقني إبداعي على
مسرحيته المذكورة^(٥).

(١) تنظر: أرواح قذرة / ٣٨ - ٦٦ .

(٢) تنظر: جذور الفتنة / ٥ - ٩ .

(٣) تنظر: نفسها / ٦٦ - ٢٦٦ .

(٤) ينظر مثلا: حسينيون معاصرون ٢ / ١٦٦ - ١٧٥ .

(٥) تنظر: ترانيم العم مايكل / ٥٦ - ١٢١ .

• (نساء) [Wmen] لـ (جورج كارلوس) [Jorge Carlouse]: ٢٠١٢،
لقد تبصر هذا الكاتب بالعقيدة الحسينية عام (٢٠٠٥) أثناء حاجة استعصى عليه
التحصيل عليها فحصل عليها من الحسين (عليه السلام)^(١)، فاتخذ شخصية العقيلة
مركزا مهما في مسرحيته لتثبيت القيم العظيمة للنساء في الظروف الحالكة^(٢).

٤ - الخطاب المسرحي الإنكليزي:

ظهرت العديد من المسرحيات الإنكليزية الحديثة التي تناصت مع عالمية الزيارة،
لعل أهم موضوعاتها هي:

أ- البقاء لأقوى فكرا:

طرقت مضامين كثير من الخطابات المسرحية الإنكليزية الحديثة هذا الموضوع،
وكان أشهرها هو:

• (شيطان زاهد) [Abandon Devil] لـ (زونا زويزي) [Zona zoizea]:
١٩٩١، الكاتبة علمانية من الدرجة الأولى، وهي لاتسمح لأي رأي مضاد لها إلى أن
جاءها الحسين (عليه السلام) في عالم الرؤيا فغربل كل برائن الشيطان في نفسها، وحينما
زارت مرقده لأول مرة أعلنت إسلامها ونذرت نفسها، وأعمالها المسرحية لخدمة القيم
الحسينية العظيمة^(٣)، وفي مسرحيتها التي بين يدينا حاولت القضاء على الشيطان

(١) تنظر: نساء / ٤ - ١١ .

(٢) تنظر: نفسها / ٦٣ - ٢٧٧ .

(٣) ينظر مثلا: حسينيون معاصرون / ٣ - ١١١ - ١٢٢ .

اللاحسيني في نفوس كثير من الناس وتحويله إلى الملاك الحسيني العظيم في الأرض، وفي السماء^(١).

• (صحارى تعشق الجفاف) [Drayness, s love wilddes] لـ (مورتن ألن) [Murten Alen]: ١٩٩٥، وفيها يطرح الكاتب أن الحياة بدون سيد الشهداء - خاصة بزيارته - هلاك لا حياة معه، والعكس بالعكس^(٢).

ب- الإفادة من حكم الحكماء:

وردت مجموعة من المسرحيات الإنكليزية الحديثة متضمنة هذا المعنى، وأهمها:

• (أفلاك تترنج) [Totter, s orbittes] لـ (جاني لوك) [Jany Look]: ١٩٩٦، كتب هذا الكاتب مسرحيته بعد أن زار العراق، وتشرف بزيارة الحسين (عليه السلام)^(٣)، والمسرحية تعكس كيف أن القلق العالمي هو لاسبب الحروب، ولا الخلافات، لكن بسبب العزوف عن اتباع المنهج الحسيني في الحياة^(٤).

• (صبيان) [Boise's] لـ (جوكو ميركو) [Jokoo Mercoo]: ١٩٩٩، يطرح الكاتب تناصاً مع الزيارة الحسينية، ويدلل على قيمة هذه الزيارة في إقامة القيم العظيمة^(٥).

(١) تنظر: شيطان زاهد / ٣٣ - ٣٤٤ .

(٢) تنظر: صحارى تعشق الجفاف / ٢٢ - ١٥٥ .

(٣) تنظر: أفلاك تترنج / ٤ - ٢٢ .

(٤) تنظر: نفسها / ٢٤ - ١٩٩ .

(٥) تنظر: صبيان / ٣٣ - ٢٧٩ .

٥ - الخطاب المسرحي الروسي:

تضمنت كثير من المسرحيات الروسية الحديثة عالمية الزيارة الحسينية، أمّا أهم موضوعات هذه المسرحيات و هي:

أ- القوة الإيمانية:

ومن أهم المسرحيات الروسية الحديثة التي طرحت هذا الموضوع، هي:

• (عيون سليمة) [Good eyes] لـ (زينوبيا يلياسيه) [Zenowbya Pelyacehe]: ١٩٩٥، الكاتب من المستبصرين بالعقيدة الحسينية من عام ١٩٩٠ حينما زار الحسين (عليه السلام) فأبرأه من مرض عضال كان يأكل حياته شيئاً فشيئاً^(١)، وبعد عزلة خمسة أعوام في بيته كتب لنا هذه المسرحية التي جعل فيها مقام الحسين (عليه السلام) بعد الله تعالى في القضاء على العضلات العويصة^(٢).

• (الرجل المنزه) [The good man] لـ (شونازا شوتي) [Shownaza Showty]: ١٩٩٧، كانت المسرحية هي سيرة للحسين (عليه السلام) مع أهل بيته (عليه السلام)، وأصحابه (رضوان الله تعالى عليه)، ومن ثم عكس هذه السيرة على الوضع الحديث عن طريق زيارة الحسين (عليه السلام)^(٣).

(١) ينظر مثلاً: حسينيون معاصرون ٢ / ٦٧ - ٨٧ .

(٢) تنتظر: عيون سليمة / ٨ - ١٧٧ .

(٣) تنظر: الرجل المنزه / ٩ - ٢٦٥ .

ب- الفكر الفلسفي المتقدم:

من أهم المسرحيات التي تضمنت هذا الموضوع هي:

• (نار النهاية) [The end, s faier] لـ (أنطونيو لاك) [Antonouow Lak]: ١٩٩٩، يعد الكاتب من المستبصرين بالعقيدة الحسينية بعد أن زار الحسين (عليه السلام) وتحقيق طلبه^(١)، فقرر كتابة هذه المسرحية التي سرد فيها فلسفة الفكر الحسيني الذي يحقق المعجزات لمن يتبعه: ((... الحسين أنقذني، الحسين جعلني مفكراً، الحسين جعلني إنساناً، كذلك الحسين أخرجني من الظلمات إلى النور...))^(٢).

• (أموال) [Monies] لـ (نوناسا سيركش) [Nonasa Searkesh]: ٢٠١٢، كانت الكاتبة في سالف حياتها تؤمن بالفكر المصلحي فلاشيء يكون إلا بالمصلحة، ولا تأخذ شيئاً إلا بمقابل، وكذلك الآخر فلا شيء بلا مصلحة إلى أن رأت الحسين (عليه السلام)، من خلال زيارته فاعتنقت فكره^(٣)، داحضة فكرها السابق، وكانت المسرحية هذه هي من أول أعمالها التي طبقت فيها النظرية الحسينية^(٤).

(١) ينظر مثلاً: حسينيون معاصرون ١ / ١٧٧ - ١٨٣ .

(٢) نار النهاية / ٥٥ - ٢٨٨ .

(٣) تنظر: أموال / ٢ - ١٠ .

(٤) تنظر: نفسها / ١٥ - ٢٦٨ .

النتائج

وفي نهاية هذا البحث المتواضع نصل إلى أهم نتائجه، وهي:

١. تعد المسرحيات الغربية الحديثة بما تضمنته من فكر حسيني أهم أثر للزيارة الحسينية على الفكر العالمي.
٢. شكلت كل من المسرحيات الألمانية، والإسبانية، والفرنسية، والإنكليزية، والروسية حصة الأسد في التأثير العالمي مع الزيارة الحسينية.

ملخص البحث باللغة الإنكليزية :

١. The very effect (The Husaeny tour) are cover to the new east,s dramas to Husaen,s themes.
٢. The Jerman,s drama , The Spainy , The Francy , The Englishy & Rusian are much to dramas are covving The Husaeny tour worledy.

(قائمة المصادر والمراجع)

١. المصادر والمراجع العربية :

- الآداب الحديثة في الأحاديث الشريفة / د . كامل محمود / دار الغرب الإسلامي - بيروت / ط١ / ٢٠٠٢ .
- الإبداع المسرحي في كليلة ودمنة / د . علاء نافع / دار الفكر - بيروت / ط١ / ٢٠٠٨ .
- أبعاد النص / د . سحر رستم / دار الفكر - بيروت / ط١ / ٢٠٠٠ .
- أبعاد النظرية المسرحية / د . محمد ولد محمد / دار الثقافة - بيروت / ط١ / ٢٠٠٠ .
- أبواب الله - مسرحية - / لورا بوب / ترجمة : سعدون رفيع / دار الغرب الإسلامي - بيروت / ط١ / ٢٠١٢ .
- الأبواب - مسرحية - / جولجانييف فيروتوف / ترجمة : د . إلياس حمص / دار الفكر - بيروت / ط١ / ٢٠١٦ .
- أجنحة الخلود - مسرحية - / مايكل لينسن / ترجمة : د . وحيد رافع / دار الحدائة - بيروت / ط١ / ١٩٨٨ .
- أخطار - مسرحية - / كوكي كارك / تونس / ط١ / ٢٠١١ .
- أرض من ذهب - مسرحية - / مانسي مونر / تونس / ط١ / ٢٠١١ .
- أرواح قذرة - مسرحية - / نانا توباكال / دار الآداب - بيروت / ط١ / ١٩٩٧ .
- أفلاك تترنح - مسرحية - / جاني لوك / دار الفكر - بيروت / ط١ / ٢٠١٠ .
- أموال - مسرحية - / نوناسا سيركش / تونس / ط١ / ٢٠١٥ .

- برامج الحضارة في الخطاب التأويلي / د. كارلس لوبي / ترجمة: د. يحيى حسني / دار الثقافة - بيروت / ط ١ / ١٩٩٧ .
- برقيات السيادة - مسرحية - / لوزيار شيكاكو / ترجمة: د. عفاف رمضان / دار ابن سينا - بيروت / ط ١ / ٢٠١٠ .
- بطل الأمم - مسرحية - / أورانسو شيوتيه / ترجمة: د. عماد أحمد / دار الغرب الإسلامي - بيروت / ط ١ / ٢٠٠٩ .
- البعد النفسي في كتاب الله / د. عائدة عبد الرحمن / دار ابن سينا - بيروت / ط ١ / ٢٠١٢ .
- تاريخ المسرح الحسيني / د. علي أبو قاسم / دار المفيد - بيروت / ط ١ / ١٩٨٦ .
- تاريخ المسرح الشرقي / د. كارل مولر / ترجمة: د. علي قصب / دار الآداب - بيروت / ط ١ / ١٩٩٤ .
- تأسيس المسرح / د. حامد جليل / دار الحدائث - بيروت / ط ١ / ١٩٨٩ .
- ترانيم العم مايكل - مسرحية - / جونييه سبارتييه / دار الثقافة - بيروت / ط ١ / ١٩٩٠ .
- ترويض الحجة - مسرحية - / ثكونسي روبرت / ترجمة: سوزان عادل / دار الكتب العلمية - بيروت / ط ١ / ١٩٩٣ .
- التداوليات الطيبة في الفكر الهندسي / د. سوربال جونتي / ترجمة: د. ليلي عساف / دار المنتدى - بيروت / ط ١ / ١٩٩٣ .
- التنقيب عن حظ - مسرحية - / موليش كيتونييه / الجزائر / ط ١ / ١٩٩٢ .
- تيار الدعوات - مسرحية - / مونالي جون / ترجمة: عبد الواحد أحمد / دار الفكر - بيروت / ط ١ / ٢٠٠٠ .
- التيار المسرحي في أخبار جحا / د. أحمد جميل / دار الفكر - بيروت / ط ١ / ٢٠٠٠ .
- جدران متهرئة - مسرحية - / بولزيان / دار الفكر - بيروت / ط ١ / ٢٠٠٣ .
- جذور الفتنة - مسرحية - / خاليوس شتوري / عمان / ط ١ / ٢٠٠٢ .

- حسينيون معاصرون / د . محمود علي قاسم / دار المرتضى - قم المقدسة / ط ١ / ٢٠١٤ .
- الحوار في الشعر الجاهلي / د . علي أبو عادل (مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - ع ١ - ١٩٨٧) .
- الخطاب الفلسفي في القرآن الكريم / د . ليلي عماد (مجلة الفصول الأربعة اللبية - ع ١ - ١٩٩٦) .
- الرجل المنزه - مسرحية - / شونازا شوقي / الجزائر / ط ١ / ٢٠١٣ .
- رؤى سوزانا - مسرحية - / كوبل جاني / ترجمة : مجدي سالم / دار الغد - بيروت / ط ١ / ١٩٩٧ .
- الزمان والمكان والحدث في القرآن الكريم / د . هادي محمود / دار التراث - بيروت / ط ١ / ١٩٧٨ .
- شباب الشيخوخة - مسرحية - / مارك كويس / ترجمة : كنعان رحيم / دار التربية - بيروت / ط ١ / ١٩٩٥ .
- شفرة الحكمة - مسرحية - / كارت تونيب / دار النهار - بيروت / ط ١ / ٢٠٠٧ .
- شيطان زاهد - مسرحية - / زونا زويزي / ترجمة : كمال حبيب / دار الفكر الإسلامي - بيروت / ط ١ / ١٩٩٨ .
- صبيان - مسرحية - / جوكو ميركو / تونس / ط ١ / ٢٠١٢ .
- صحارى تعشق الجفاف - مسرحية - / مورتن ألن / ترجمة : سهى جميل / دار عمار - عمان / ط ١ / ٢٠٠٨ .
- صوت متدفق - مسرحية - / سوزانا تونيبه / ترجمة : د . علاء كمال الدين / دار الفكر الإسلامي - بيروت / ط ١ / ١٩٩٨ .
- صومعة السماء - مسرحية - / لوكانس شوقي / ترجمة : سلامة عبد المعطي / دار الشروق - بيروت / ط ١ / ١٩٩١ .
- عقب روجي - مسرحية - / لورد جوينتس / ترجمة : د . أحمد سعيد / دار الحدائثة - بيروت / ط ١ / ١٩٩٢ .

- العقيدة والفكر / د. أولمار روني / ترجمة: د. عز الدين محمد ، و د. صلاح علاء الدين / دار المفيد - بيروت / ط ١ / ٢٠١١ .
- عيون سليمة - مسرحية - / زينوبيا يلياسيه / ترجمة: سالم سرحان / دار الحدائث - بيروت / ط ١ / ١٩٩٠ .
- فضاءات الفردوس - مسرحية - / دون لوك / ترجمة: طاهر محيي الدين / دار الحدائث - بيروت / ط ١ / ٢٠٠٨ .
- فلسفة النص / د. إيمان طه / دار الثقافة - بيروت / ط ١ / ٢٠٠٣ .
- الفن السمعي في الخطاب القرآني / د. جلال محسن / دار الآداب - بيروت / ط ١ / ٢٠١٠ .
- الفنون الإبداعية الحديثة في خطاب نهج البلاغة / د. جمال الدين يوسف / دار توبقال - المغرب / ط ١ / ٢٠١٤ .
- الفنون العربية القديمة / د. عادل سرحان / دار الحدائث - بيروت / ط ١ / ٢٠٠٦ .
- في سبيل الآخرين - مسرحية - / كارترز جيرار / ترجمة: د. صلاح ناصف / دار النهار - بيروت / ط ١ / ١٩٩٤ .
- قداسة الأمل - مسرحية - / فورت خورختاس / ترجمة: د. نادية عارف / دار الفكر - بيروت / ط ١ / ٢٠٠٩ .
- قراءات إنسانية - مسرحية - / جوني كيبس / ترجمة: هالة نور / دار الفجر - بيروت / ط ١ / ١٩٩٦ .
- قناديل الطريق - مسرحية - / جونسان مينمان / ترجمة: د. عبد الله فاهم / دار النضال - بيروت / ط ١ / ٢٠١٠ .
- قيادات الموت - مسرحية - / هورتي بيكو / ترجمة: د. عوني حكمت / دار بيروت - بيروت / ط ١ / ١٩٩٩ .
- كيتار متوجع - مسرحية - / لاوتي كراكس / دار الفكر - بيروت / ط ١ / ١٩٨٨ .
- اللون في القرآن الكريم / د. غالب حسين / دار الفكر - بيروت / ط ١ / ١٩٩١ .
- المسرح الفلسفي / د. علاء سامي / دار الفكر - بيروت / ط ١ / ٢٠٠٠ .

- المسرح في الشعر القديم / د . كمال سعيد / دار الحدائثة - بيروت / ط ١ / ١٩٩٢ .
- مغامرات ظلامه - مسرحية - / كوفي تيساك / ترجمة : د . محمود فهمي / دار الآداب - بيروت / ط ١ / ٢٠١٠ .
- نار النهاية - مسرحية - / أنطونيولاك / الجزائر / ط ١ / ٢٠١٦ .
- نساء - مسرحية - / جورج كارلوس / دار الفارابي - بيروت / ط ١ / ٢٠٠٦ .
- نص مسرحي لرجل من واسط في القرن الثالث الهجري / د . عبد الأمير الورد / دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد / ط ٢ / ١٩٩٩ .
- النص المتشاقف / د . ثورتاز شونسي / ترجمة : حافظ كمال / دار الفكر - بيروت / ط ١ / ٢٠١٠ .
- النظرية المسرحية في ألف ليلة وليلة / د . عادل فهمي (مجلة كلية الآداب - جامعة الجزائر - ١٤ - ١٩٩٨) .

٢ . المصادر والمراجع الأجنبية :

- Baulogy of all al live: Toory Hoocee : Roma: ١٩٩٩.
- The eye,s hared in the culture: Rowed Liony: London : ٢٠١١.
- The litrture in God,s culture: Your kpeet : U . S . A: ٢٠١٣.
- Mathemantex&١٠٠٠٠yeares: Gohoun Seer: London: ٢٠٠٥.
- Phelosophy in the human: Dfuy Awq : Muska: ١٩٨٨.

الزيارة الاربعية

من المنظور الفقهي والحداثي

اعداد

الأستاذ احمد محمد علي أ. م. د: خميس غربي حسين

جامعة تكريت - كلية التربية

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَلَّمَ الْأَلْسُنَ عَنْ غَايَةِ صِفَتِهِ، وَالْعُقُولَ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، وَتَوَاضَعَتِ الْجَبَابِرَةُ لِهَيْبَتِهِ، وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِخَشْيَتِهِ، وَانْقَادَ كُلُّ عَظِيمٍ لِعَظَمَتِهِ، فَلَهُ الْحَمْدُ مُتَوَاتِرًا مُتَّسِقًا، وَمُتَوَالِيًا مُسْتَوْسِقًا، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى رَسُولِهِ أَبَدًا، وَسَلَامُهُ

دَائِمًا سَرْمَدًا، عَلَى آلِ بَيْتِهِ أئمة الهدى، وأصحابه النجباء، ومن يهداهم اهتدى.

وبعد:

فقد أطبقت الجهالة على الأرض، وخيمت الظلمات على البلاد، وانتشر الشرك والضلال والابتداع في الدين، وخفي منار الحق والهدى، وذهب الصالحون من أهل العلم فلم يبق سوى قلة قليلة لا يملكون من الأمر شيئاً، واختفت السنة وظهرت البدعة، وترأس أهل الضلال والأهواء، وأضحى الدين غريباً والباطل قريباً، حتى الناظر إلى تلك الحقبة السوداء المدهمة ليقطع الأمل في الإصلاح، ولكن الله عز وجل قضى بحفظ دينه وكتابه وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله)، وكان من رحمته تبارك وتعالى بهذه الأمة كما أخبر بذلك الصادق المصدوق (صلوات الله وسلامه عليه).. أن يكون للإمام الحسين (عليه السلام) شأناً في هذه الأمة ومنازلاً للحق. فهذا بحث جمعنا أصوله من مصادر الشريعة والأدب يتعلق بالزيارة الأربعينية والبعد الفقهي والحضاري لها، لنبين ونوضح حقائق هذه الزيارة ودلالاتها، وأن نهج الإمام الحسين (عليه السلام) منبثق من هدي التنزيل العزيز، وهدي الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) ولنكشف عن أسرار وصفات الإمام وسجاياه وأثرها على أتباعه، والحمد لله الذي جعل صحيفة الإمام الحسين (عليه السلام) مرآة لمشاهدة الآثار الملوكوتية في الفكر والتربية، لأنه تربي واستضاء على أكمل بشر البرية، وأفضل النفوس القدسية أبي القاسم محمد قاسم موائد المواهب الربانية عليه الصلاة والسلام، ومنبع رحيق الفيوض السبحانية، وآله الوارثين المقامات العلية المكرمين بكراماته الخفية والجلية، فالشكر لله سبحانه الذي أنعم على الإمام الحسين (عليه السلام) بهذا الموروث من بيت النبوة. وهذا البحث موجز في صفحاته، مسهب في عطاءه، وذلك للتدبر في صورة واضحة جليلة عن البعد الحدائثي

والحضاري للزيارة الاربعينية والمناقب الهاشمية للإمام المقدم صاحب النسب الرفيع الحسين (عليه السلام)، وهو الذي اجتمعت فيه من الصفات الحميدة ما تفرقت في غيره من الأقران والآل والأصحاب من حيث السيرة والشخصية والنسب والعلم والمنزلة والشجاعة والجود والكرم والفصاحة والبلاغة والمكانة الرفيعة التي كان يمتاز بها، ولهذا أفردنا المبحث الاول للحديث عن هذه الشخصية الفذة.. والوقوف على روافد علومه الشرعية والتربوية المستمدة من ملامح بيئته التي عاش فيها وهي مكان مهبط الوحي (عليه السلام) واسميناه: الامام الحسين.. نسبه ومناقبه من أسرار الوجود.

أما المبحث الثاني: فتناول الزيارة الاربعينية من المنظور الفقهي واللغوي، وفيه مطلبان:

المطلب الاول: الزيارة الاربعينية.

المطلب الثاني: حكم زيارة الاربعين ونصّ الزيارة.

أما المبحث الثالث: فتناول الزيارة الاربعينية من منظور حدائي، وفيه مطلبان:

المطلب الاول: لمسات حضارية منبثقة من الزيارة الاربعينية.

المطلب الثاني: خواطر من الزيارة الاربعينية، ثم الخاتمة وأهم النتائج التي توصلنا إليها. والحمد لله في البدء والختام.

الباحثان

المبحث الأول

الامام الحسين.. نسبه ومناقبه من أسرار الوجود

نسبه وكنيته: هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وقد تكرر هذا النسب في عدة مواضع من كتب السيرة والتراجم واسم أبي طالب عبد مناف واسم عبد المطلب شيبة واسم هاشم عمرو وأم علي بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وكانت أول هاشمية تزوجها هاشمي وهي أم سائر ولد أبي طالب وأم الحسين بن علي بن أبي طالب فاطمة بنت رسول الله وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وكانت خديجة تكنى أم هند وكانت فاطمة تكنى أم أبيها ذكر ذلك قنبر بن محرز قال حدثنا أبو نعيم عن حسين بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه وكان علي بن أبي طالب سمي الحسن حربا فسماه رسول الله الحسن ثم ولد له الحسين فسماه حربا فسماه رسول الله الحسين^(١) وعن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي بن أبي طالب كنت رجلا أحب الحرب فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حربا فسماه رسول الله الحسن فلما ولد الحسين هممت أن أسميه حربا فسماه رسول الله الحسين ثم قال سميتها ما باسمي ابني هارون شبر وشبير^(٢) والحسين من رسول الله كالضوء من الضوء، والذراع من العضد. وورد في علي(عليه السلام) من أنه أخو النبي ونفسه، وأنه خير الناس من بعده، وزوجته خير النساء، ونسلهما خير نسل، و (الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة) فيعم كل نبي مات في شبابه (وكل أهل الجنة شباب) و (علي مني وأنا من علي) و (حسين مني وأنا من حسين) وما يدريك أن لو كانت النبوة باقية مستمرة لكانت النبوة في هؤلاء متسلسلة فما قصروا عنها إلا لما منع في الحكمة الإلهية العامة لا لقصور في استعداد هؤلاء خاصة، والله أعلم بحقائق الأمور. ولأمه فاطمة الزهراء البتول (عليها وعلى أبيها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الفضل الكبير على نساء العالمين وهذه أبيات رقيقة وعذبة قالها

(١) ينظر: الإصابة: ٣٣٣/١.

(٢) ينظر: أوائل المقالات (مجلد واحد) (١/ ٢٣٨) ألف حديث في المؤمن (١/ ٢٧) الاستيعاب: ٣٧٨/١، وأسد الغابة: ١٩/٢، والبداية والنهاية: ١٥٢/٨، والإصابة: ٣٣٢/١.

محمد إقبال في قصيدته العصماء في السيدة فاطمة (عليها السلام): ولقد أجاد وأفاد في بيان سر وجوده:

نسب المسيح بنى لمريم سيرة
والمجد يشرف في ثلاث مطالع
هي بنت من هي زوج من هي أم من
هي ومضة من نور عين المصطفى
من أيقظ الفطر النيام بروحه
وأعاد تاريخ الحياة جديدة
هي أسوة للأمهات وقدوة
جعلت من الصبر الجميل غذاءها
بقيت على طول المدى ذكراها
في مهد فاطمة فما أعلاها
من ذا يداي في الفخار أباهما
هادي الشعوب إذا تروم هداها
وكأنه بعد البلى أحياءها
مثل العرائس في جديد حلاها
يترسم القمر المنير خطاها
ورأت رضى الزوج الكريم رضاها^(١)

وقال الشاعر: هي بنت مَنْ هي أم مَنْ من ذا يساوي في الأنام علاها
أما أبوها فهو أشرف مرسلٍ جبريل بالتوحيد قد ربّاهما
وعليُّ زوجٌ لا تسلُّ عنه سوى سيفٌ غدا بيمينه تيّاهما

ويكنى الحسين أبا عبد الله السبط ربحانة النبي (صلى الله عليه وآله) وهو سيد شباب أهل الجنة لقوله (صلى الله عليه وآله): ﴿الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ﴾^(٢).

(١) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - (١ / ١٩٠) موسوعة الشعر الإسلامي - (٢١٨ / ١).
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣هـ) طبع دار إحياء التراث - بيروت - الطبعة الأولى سنة (١٣٢٨هـ)، ج ١، ص ٣٧٨، أسد الغابة في معرفة الصحابة: لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ) طبع مطبوعات الشعب - مصر - تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب، بدون تاريخ، ج ٢، ص ١٨، و البداية والنهاية: للحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) طبع دار الكتب العلمية - بيروت - حققه مجموعة من العلماء، بدون تاريخ، ج ٢، ص ١٨؛ الإصابة في تمييز الصحابة: شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى سنة (١٣٢٨هـ)، ج ١، ص ٣٣٢.

ولادته ونشأته ومناقبه:

ولد الحسين (عليه السلام) بالمدينة المنورة طيبة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، بعد أخيه الحسن (عليه السلام) في ليال خلون من شهر شعبان المبارك، وقد اختلف أهل التأريخ والسيرة والتراجم في تحديد العام الذي ولد فيه (عليه السلام) فقيل: ولد سنة ثلاث للهجرة، وقيل: أربع، وقيل: خمس، وقيل: ست، وقيل: سبع، وقد كانت ولادته بعد الحسن بسنة وعشرة أشهر^(١) تزوج سيدنا الحسين (عليه السلام) ثلاث مرات وتسرى ببعض السراري، وهن كالأتي: أولاً: الرباب بنت امرئ القيس الكلبية^(٢) وهي أم ابنته سكينه، وحملت إلى الشام فيمن حمل من أهله، ثم عادت إلى المدينة، فخطبها الأشراف من قريش، فقالت: ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبقيت بعده سنة لم يظلمها سقف بيت حتى بليت وماتت كمدماً، وقيل: إنها أقامت على قبره سنة وعادت إلى المدينة فماتت أسفاً عليه. ثانياً: مرة بنت عروة بن مسعود الثقفي، وقيل: ليلى ابنة أبي مرة بن عروة الثقفي^(٣) ثالثاً: أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله (المصدر نفسه) رابعاً: أم ولد واسمها سلافة بنت يزيد جرد بن شهريار بن كسرى أنو شروان بن قباد^(٤) وهي من السبايا التي غنمها المسلمون في القادسية فهي إحدى بنات كسرى. خامساً: قضاة^(٥) وأما أولاد الحسين (عليه السلام) فكانوا ستة وهم كالأتي الذكور: أولاً: عبد الله (عليه السلام) أمه الرباب بنت امرئ القيس الكلبية

(١) ينظر: الاستيعاب: ٣٧٨/١، وأسد الغابة: ١٩/٢، والبدية والنهاية: ١٥٢/٨، والإصابة: ٠/٣٣٢/١. وكانت إقامة الحسين بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم إلى أن خرج مع أبيه عليهما السلام إلى الكوفة (ينظر: الكامل في التأريخ: ٣/٣٠٠، و الكامل في التأريخ: لابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠هـ) طبع دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثالثة سنة (١٩٨٠م) تحقيق نجيب من العلماء، وسير أعلام النبلاء: ٣/٣٠٣، الطبعة الثانية سنة (١٤١٤هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط، والجوهرة: ٢/٢١٩ و سير أعلام النبلاء: حمد بن أحمد أبو.

(٢) ينظر: الكامل في التأريخ: ٣/٣٠٢، والجوهرة: ٢/٢٢٣.

(٣) ينظر: الجوهرة: ٢/٢٢٣.

(٤) ينظر: نور الأبصار: ١٣٨، و نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار (صلى الله عليه وآله): مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي (ت ١٣٢٢هـ)، طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون تأريخ.

(٥) ينظر: الكامل في التأريخ: ٣/٣٠٢، وسير أعلام النبلاء: ٣/٣٢١

ولم يعقب، قتل مع أبيه في وقعة كربلاء^(١) ثانياً: علي الأكبر (عليه السلام) أمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة الثقفي قتل مع أبيه ولم يعقب^(٢) ثالثاً: جعفر (عليه السلام) أمه قضاة مات في حياة أبيه ولم يعقب^(٣) رابعاً: علي الأصغر، وهو زين العابدين وأمّه أم ولد سلافة الفارسية معروفة النسب كانت من خيرات النساء، زوجها ابنها علي بن الحسين (عليه السلام) بعد استشهاد الحسين (عليه السلام) من زيد مولاها، ولزين العابدين ذرية كثيرة فليس للحسين (عليه السلام) عقب إلا منه^(٤) أما بنات سيدنا الحسين (عليه السلام) فكانت ثنتين فقط: الأولى: سكينه، وأمها الرباب بنت امرئ القيس الكلبي^(٥)، وفي سنة سبع عشرة ومائة توفيت السيدة سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، وقيل اسمها أمينة وقيل أميمة وهو الراجح، وسكينه لقب لها الثانية: فاطمة، وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله. لقد كانت صفات سيد العابدين وإمام الموحدين وقبله أهل الحق على اليقين في زمانه، مولانا وإمامنا الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) نبراس للمحبين^(٦). وروى سعيد بن راشد، عن يعلى بن مرة قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط). ومر الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) يقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارة الطريق وقد نثروا كسراً على الأرض في الرمل وهم يأكلون فقالوا هلم الغدا يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: نعم إن الله لا يحب المتكبرين فنزل وقعد معهم وأكل ثم سلم عليهم وركب فقال قد أحببتكم فأجيئوني فقالوا نعم فوعدهم وقتنا معلوما فحضروا فقدم إليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم رضي الله عنه^(٧). وعن الحسين بن علي بن أبي طالب قال قال علي بن أبي

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣/٣٢١.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣/٣٢١، ونور الأبصار: ١٣٨.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣/٣٢١، والجوهرة: ٢/٢٢٣ وما بعدها. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان - (١ / ١١٦).

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ: ٣/٣٠٠، وسير أعلام النبلاء: ٣/٣٠٣، والإصابة: ١/٣٢٢.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٣/٣٠٣، والإصابة: ١/٣٣٢، والجوهرة: ٢/٢٢٣.

(٦) إعلام الوری بأعلام الهدى، ٢/١٢.

(٧) جلاء الأفهام - (١ / ٩٠).

طالب (عليه السلام) قال رسول الله إن البخيل الذي إذا ذكرت عنده لم يصل علي^(١) وعن أبي روح الأنصاري، قال: كان من دعاء الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام): ((اللهم ارزقني الرغبة في الآخرة حتى أعرف صدق ذلك في قلبي بالزهادة مني في دنياي. اللهم ارزقني بصرا في أمر الآخرة حتى أطلب الحسنات شوقا، وأفر من السيئات خوفا))^(٢)، أدب الحسين (رضي الله عنه) في مناجاة الله بذنوبي طالبتك بعفوك، ولو حبستني مع الخطائين لأخبرتهم بجودك وكرمك، سيدي إن الحسنات لتسرك، والسيئات لا تضرك، فهبني ما يسرك، واعف عني ما لا يضرك، يا أرحم الراحمين... فنظرت فإذا هو الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما^(٣)، وهنا لنا مع هذه المناجاة وقفات: روى ابن لهيعة، عن أبي عوانة رفعه إلى النبي (صلى الله عليه وآله) قال: قال رسول الله: (إن الحسن والحسين شنفا العرش، وإن الجنة قالت: يا رب أسكتني الضعفاء والمساكين؟ فقال الله لها: ألا ترضين أي زينت أركانك بالحسن والحسين، قال: فمأست كما تميمس العروس^(٤) وعن يعلى بن مزة العامري قال: خرجنا مع النبي (صلى الله عليه وآله) إلى طعام دعوا له، فإذا الحسين مع الصبيان يلعب، فمشى أمام القوم ثم بسط يده، فطفق الصبي يفر هاهنا مرة وهاهنا مرة والنبي (صلى الله عليه وآله) يضحك حتى أخذه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت قفاه، ثم قنع رأسه^(٥) فوضع فاه على فيه (فقبله) وقال: حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الاسباط^(٦). (أخرجه أبو حاتم وسعيد بن منصور). وأخرج الحري، عن البراء بن عازب مرفوعاً: هذا -أشار لي إلى الحسين مني وأنا منه، وهذا يجرم عليه ما يجرم علي. وعنه (صلى الله عليه وآله): (حسين مني وأنا من حسين) و(الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة). وقد قضى الحسين مجاهداً عندما رأى أن الرذيلة استولت على الفضيلة والمادية على الروحية والعدالة ذبيحة والحق صريع وقد

(١) الزهد - (١ / ٤٨١).

(٢) والبداية والنهاية: ١٥٢/٨، والإصابة: ٣٣٢/١.

(٣) الارشاد للمفيد (٣ / ٢١٤).

(٤) ينابيع المودة لذوي القربى (٣ / ٣٨٣).

(٥) قنع رأسه: أي رفعه.

(٦) سبط من الاسباط: أي أمة من الأمم من حيث البركات في النسل والذرية.

طغى على العالم الإسلامي استبداد فنهض هو وأهل بيته وصحبه الغر الميامين لتصحيح المسار والعودة بالإسلام إلى منابعه الأصيلة وفضله أكثر من أن يذكر، فهو ربحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (حسين مني وأنا من حسين)^(١)، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه وفي أخيه الحسن (عليه السلام): (هما ربحانتي من الدنيا)^(٢)، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الحسن والحسين سيदा شباب أهل الجنة)^(٣)، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)^(٤)، وكان (عليه السلام) أعلم الناس، وأعبدتهم، فقد كان يصلي كل ليلة ألف ركعة كأبيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان يحمل في كثير من الليالي جراباً من الطعام إلى الفقراء، حتى شوهد أثره بعد قتله، وكان كريماً، عظيماً، حلماً، وإذا عصي الله تعالى شديداً. ومن كرمه (عليه السلام): أن أعرابياً قصده مستعطياً، وأنشد فيه: حرّك من دون بابك الحلقة. وأول هذه الوقفات: حب سيدنا الحسين للمكث في المسجد النبوي فلم يؤسس له محراباً خاصاً بل جلس بالمسجد شأنه شأن أي مسلم. ثانيها: تواضع سيدنا الحسين فلم يحط نفسه بحرس أو جند أو أتباع وهو يناجي ربه بالمسجد. ثالثها: توحيد سيدنا الحسين وأدبه مع الله، فلم يتوسل إلى الله بقرابته من الرسول أو بأمه الزهراء أو بأعماله رضي الله عنه، إنما يتوسل إلى الله بعفوه وكرمه وأسمائه وصفاته. كان الحسين (عليه السلام) رجلاً فاضلاً كثير الصوم والصلاة والحج، فقد ورد أنه حج ماشياً خمساً وعشرين حجة، وكان كثير الصدقة، ويقوم بأفعال الخير كلها^(٥). وكان الحسين (عليه السلام) كريماً عند الله تعالى، فقد أخرج الطبراني عن أبي رجاء العطاردي^(٦)، قال: "لا تسبوا علياً ولا أحد من أهل البيت، فإن جاراً من بلهجين، قال: ألم تروا هذا الفاسق الحسين بن علي قتله الله؟ فرماه بكوكبين في عينه،

(١) بحار الأنوار، ٤٣ / ٢٦١.

(٢) الارشاد، الشيخ المفيد، ٢ / ٢٨.

(٣) الخصال، الصدوق، ٣٢٠.

(٤) الارشاد، الشيخ المفيد، ٢ / ٣٠.

(٥) ينظر: الاستيعاب: ٣٨٢/١، وأسد الغابة: ٢/٢١، وسير أعلام النبلاء: ٣/٢٨٧، والبداية والنهية: ٨/٢٠٩.

(٦) أبو الرجاء العطاردي، قيل: اسمه عمران بن ملحان، وقيل: بن تميم، وقيل: بن عبد الله، ويقال: اسمه عطاردي، ولد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة، وعاش إلى خلافة هشام بن عبد الملك وهو ثقة

(ت ١٠٧هـ). ينظر: الاستيعاب: ٤/٧٥، والإصابة: ٤/٧٤.

فطمس الله بصره"^(٧)، وكان (عليه السلام) مستجاب الدعوة، فقد جاء فيه "لما خرج الحسين (عليه السلام) من المدينة يريد مكة، مر بأبي مطيع وهو يحفر بئر، فذكر الحديث، وفيه، فقال له أبو مطيع: إن بئري هذه قد رشحتها هذا اليوم، وما خرج إلينا في الدلو شيء من ماء، فلو دعوت الله فيها بالبركة، قال: هات من مائها، فأتى من مائها في الدلو، فشرب منه، ثم مضمض، ثم رده بالبئر، فأعذب وأمهى"^(٨)، أمهى: أي كثر ماؤها^(٩) وكان الإمام كثيراً ما يتناول آداب العلم وطالب العلم وكانت له، توجيهات ووصايا مسددة موفقة تطرب لها الأسماع، أدركت أهمية ما يرمي إليه من توجيهات ومعالم وآداب يتربى عليها طلاب العلم، لتهذب أخلاقهم، وتنفي زغل العلم عن طباعهم. وحبذا أن لو جمعت هذه التوجيهات والمعالم المتناثرة من ثانيا المؤلفات والمصنفات ويخصص لها بحث منفرد، لانتظمت منها قطعة أدبية بليغة، وموعظة روحانية رقيقة أما في صلته كان الحسين بن علي بن أبي طالب يدعو في وتره: ((اللهم إنك ترى ولا ترى، وأنت في المنظر الأعلى وإن لك الآخرة والأولى، وإن إليك الرجعى، وإننا نعوذ بك أن نذل ونخزى))، وكان أيوب السخيتاني يصلي بهم التطوع في رمضان، وكان من دعائه: اللهم أسألك الإيمان وحقائقه ووثائقه، وكريم ما امتننت به من الأخلاق والأعمال التي نالوا بها منك حسن الثواب، اللهم اجعلني ممن يتقيك، ويخافك ويستحيي منك ويرجوك، اللهم استرنا بالعافية وهذا لب دعاء الحسين (عليه السلام) وعن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام). يقول يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض وكذلك نراه متبعا لهدي

(٧) ينظر: حياة الصحابة: ٣/٥٥٤، و حياة الصحابة: للعلامة محمد يوسف الكاندهلوي، طبع دار القلم - دمشق - الطبعة الثالثة سنة (١٩٨٣م) تحقيق نايف العباس ومحمد على دوعه، والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١٣/١١٢ برقم (٢٨٣٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/٢٩٦ ورجاله رجال الصحيح، و جمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) طبع دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي - القاهرة - بيروت - سنة (١٤٠٧هـ).

(٨) ينظر: حياة الصحابة: ٣/٦٢٣، والحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى: ٥/١٤٥، و الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ) طبع دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى سنة (١٩٦٨ م) تحقيق إحسان عباس. والذهبي في سير أعلام النبلاء: ٣/٢٩٥.

(٩) ينظر: المصباح المنير: ٤٨٠، و المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ) طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - بدون تاريخ.

جده الرسول الكريم بحركاته وسكناته. وللفيلسوف الألماني (ماريين) كتاب سماه (السياسة الاسلامية) أفاض فيه بوصف استشهاد الحسين، وعد مسيره إلى الكوفة بنسائه وأطفاله سيرا إلى الموت، وقال: لم يذكر لنا التاريخ رجلا ألقى بنفسه وأبنائه وأحب الناس إليه في مهاوي الهلاك إحياءا لدولة سلبت منه، إلا الحسين، ذلك الرجل الكبير الذي عرف كيف يزلزل ملك الأمويين الواسع ويقلقل أركان سلطاهم^(١). وكان للحسين (عليه السلام) مناقب كثيرة وذلك لفعله الكريم والعمل الحر الذي لم يفتخر به ومن أجل مناقبه أنه أشبه الخلق بالنبي (صلى الله عليه وآله) من سرته إلى كعبه وروى أن الرسول الكريم: تَرَقَّ عَيْنَ بَقِهِ. فرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ففتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) فمه وأدخل فاه في فيه ثم قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): افتح فاك، ثم قبله، ثم قال: اللهم، إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه^(٢). ومن مناقبه (عليه السلام) عن عبد الله بن نجى عن أبيه: "أنه سافر مع علي بن أبي طالب وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى عليُّ: اصبر أبا عبد الله اصبر أبا عبد الله بشط الفرات. فقلت: ماذا يا أبا عبد الله؟ فقال: دخلت على النبي - (صلى الله عليه وآله) - وعيناه تفيضان فقلت: يا نبي الله ما لعينيك تفيضان أغضبك أحد؟ قال: بلى قام من عندي جبريل قبل قليل فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات. قال: فهل لك أن أشمك من تربته؟ فقلت: نعم فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عينايا أن فاضتا "وعن محمد بن الضحاك بن عثمان الحزامي قال: كان جسد الحسين شبه جسد رسول الله (صلى الله عليه وآله)^(٣).

(١) الأعلام للزركلي - (٢ / ٢٤٣) ومما كتب في سيرته (أبو الشهداء: الحسين بن علي - ط) لعباس محمود العقاد، و (الحسين بن علي - ط) لعمر أبي النصر، و (الحسين عليه السلام - ط) جزآن، لعلي جلال الحسيني (١) (١) تهذيب ابن عساكر ٤: ٣١١ وابن الأثير ٤: ١٩ والطبري ٦: ٢١٥ وتاريخ الخميس ٢: ٢٩٧ واليعقوبي ٢: ٢١٦ وصفة الصفوة ١: ٣٢١ وذيل المنيل ١٩ الإحاطة ١: ٣٠٠ - ٣٠٤. العبر في خبر من غير - (١ / ٦٥)

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. محقق - (٩ / ١١٦).

(٣) وصفة الصفوة ١: ٤٥٥.

المبحث الثاني

الزيارة الاربعينية من المنظور الفقهي واللغوي

المطلب الاول: الزيارة الاربعينية.

١- الزيارة: جاء في لسان العرب: "رجل زائر من قوم زور وزوار وزور الأخيرة اسم للجمع، وقيل: هو جمع زائر. والزور الذي يزورك ورجل زور وقوم زور وامرأة زور ونساء زور، يكون للواحد والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد، لأنه مصدر، قال: حب بالزور الذي لا يرى منه إلا صفحة عن لمام وقال في نسوة زور:

ومشيهن بالكثيب مور كما تهادي الفتيات الزور

وامرأة زائرة من نسوة زور؛ عن سيبويه وكذلك في المذكر كعائذ وعود. الجواهري: نسوة زور وزور مثل نوح ونوح وزائرات، ورجل زوار وزؤور؛ قال: إذا غاب عنها بعلها لم أكن لها زؤورا ولم تأنس إلى كلاهما

وقد تزاوراوا: زار بعضهم بعضا. والتزوير كرامة الزائر وإكرام المزور للزائر. أبو زيد: زوروا فلانا أي اذبحوا له وأكرموه. والتزوير: أن يكرم المزور زائره ويعرف له حق زيارته، وقال بعضهم: زار فلان فلانا أي مال إليه ومنه تزاور عنه أي مال عنه^(١).

٢- الأربعين: هو اليوم العشرون من شهر صفر والذي يوافق مرور اربعين يوما على العاشر من محرم حيث مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) في معركة كربلاء على يد جيش عبید الله بن زياد، وبحسب بعض الروايات فقد قامت السيدة زينب بنت علي وعلي بن الحسين السجاد (عليهم السلام) ورفقة الأيتام وأطفال الامام الحسين بزيارة إلى أرض كربلاء لزيارة قبر الامام الحسين في الأربعين. وتعد من أهم المناسبات عند أتباع آل البيت حيث تخرج مواكب العزاء في مثل هذا اليوم ويتوافد مئات الآلاف من

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت / ٣٠٠٢، (٧/٧٨).

الشيعة من كافة أنحاء العالم إلى أرض كربلاء لزيارة قبر الامام الحسين. ويقوم الملايين من الزوار بالحضور إلى كربلاء مشياً على الأقدام بأطفالهم وشيوخهم من مدن العراق البعيدة حاملين الرايات تعبيراً عن النُصرة^(١). إذ يقطع بعضهم ما يزيد على خمس كيلومتر مشياً، فضلاً عن القادمين من البلاد العربية والاسلامية، ويقوم أهالي المدن والقرى المحاذية لطريق الزائرين بنصب سرادقات (خيام كبيرة) أو يفتحون بيوتهم لاستراحة الزوّار وإطعامهم معتبرين ذلك تقرباً إلى الله وتبركاً^(٢).

٣- الروايات الواردة عن اهل البيت (عليهم السلام) في الزيارة الاربعينية.

تقول الروايات أن أول من زار الامام الحسين (عليه السلام) في يوم الأربعاء الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري رضوان الله عليه^(٣) إذ صادف وصوله من المدينة المنورة إلى كربلاء في ذلك اليوم وهو يوم وصول ركب حرم الامام الحسين (عليه السلام) (نسائه وأيتامه) برفقة الإمام علي بن الحسين زين العابدين (السجاد) وعمته زينب (عليها السلام)، فالتقوا هناك وأصبحت إحياء ذكراها من السنن المستحبة المؤكدة عند أتباع أهل البيت، وتسمى هذه الذكرى محلياً في العراق بزيارة مردّ الرؤوس (أي رجوع أو عودة الرؤوس) لأن رؤوس الامام الحسين (عليه السلام) وبعض من قُتل معه من اصحابه وأهل بيته أُعيدت لدفنها مع الأجساد بعد أن

(١) <http://www.alshirazi.net/news/news/safar1427/18.htm>

(٢) وقد تناولت وسائل الاعلام تغطية هذه الزيارة بشكل واسع توضح مقدار عدد الزائرين وحجم الخدمات التي تقدم للزائرين مايفي عن الحديث.

(٣) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الانصاري قتل والده في غزوة احد، وامه نسيبة وقيل انيسة بنت عقبة بن عدي، وهو آخر من مات بالمدينة المنورة ممن شهد بيعة العقبة وقد أخذ الحسن المثني بعمودي سريره في جنازته. ينظر: الاصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ - ١٤١٥هـ، (١/٥٤٦). عرف عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه أول زائر للحسين، فقد وصل كربلاء في الأربعاء الأولى لشهادة الحسين في سنة ٦١ هـ ومعه عطية العوفي وزار قبر الإمام الحسين. وبه قال: الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والعلامة الحلّي والشيخ رضي الدين علي بن يوسف بن المطهر الحلّي، والكفعمي، والمجلسي، والحدّث النوري وغيرهم. ينظر: القمي، ج ٨، ص ٣٨٣، مسار الشيعة: ٤٦، مصباح المنتهجد: ٧٣٠، منهاج الصلاح على ما في لؤلؤ ومرجان: ١٤٧، العدد القويّة: ٢١٩ رقم ١١، عنه بحار الأنوار ٩٨/١٩٥، مصباح الكفعمي: ٤٨٩، بحار الأنوار/ ١٠١/ ٣٣٤، مستدرک الوسائل ٣/ ٥٨٠.

أخذها جيش بني أمية إلى يزيد وطافوا بها تباهاً بالنصر^(١). وليس من السهولة الحكم على الرأي القائل بأن أسارى أهل البيت (عليهم السلام) قد مروا في طريق رجوعهم إلى المدينة بكربلاء أولاً، ويرى المحقق والمحدث النوري رحمه الله تعالى^(٢)، وكذا تلميذه الشيخ عباس القمي رحمه الله تعالى^(٣)، بأن هذه الزيارة لم تكن في السنة الأولى، لأنه لم يكن بالإمكان حصولها في السنة الأولى. وقد شكك في وقوعها السيد ابن طاووس في إقبال الأعمال قبل المحدث النوري^(٤). وفي الجهة المقابلة هناك من يقول بأن القافلة التي ضمت أسارى آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) كانت قد وصلت كربلاء بعد تركها الشام وكان وصولها في يوم الأربعاء، وبعد زيارتها مرقد الامام الحسين اتجهت صوب المدينة. وأن أهل البيت (عليهم السلام) التقوا أثناء هذه الزيارة الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري

وبعض بني هاشم^(٥). وقد كتب السيد محمد علي القاضي الطباطبائي كتاباً مفصلاً في رد رأي الشيخ النوري والقمي باسم التحقيق حول أول أربعين سيد الشهداء^(٦). قال السيد ابن طاووس: (قال الراوي: ولما رجع نساء الحسين (عليه السلام) وعياله من الشام وبلغوا إلى العراق، قالوا للدليل: (مُرّبنا على طريق كربلاء) فوصلوا إلى موضع المصراع^(٧). وقال السيد محمد بن أبي طالب: (فسألوا أن يُسار بهم على العراق؛ ليُجددوا عهداً بزيارة أبي عبد الله - عليه السلام -)^(٨). وقال القندوزي: (ثم أمرهم - يزيد - بالرجوع إلى المدينة المنورة، فسار القائد بهم، وقال الإمام والنساء للقائد: بحقّ معبودك أن تدلّنا على طريق كربلاء، ففعل ذلك حتّى وصلوا كربلاء)^(٩). ولا غرابة في

(١) ينظر: التحقيق حول أول أربعين سيد الشهداء: السيد محمد علي الطباطبائي، ص ٢.

(٢) اللؤلؤ والمرجان: النوري، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٣) منتهى الآمال، الشيخ عباس القمي، ص ٥٢٤ - ٥٢٥.

(٤) إقبال الأعمال: ابن طاووس، ج ٢، ص ٥٨٩.

(٥) الملهوف: ابن طاووس.

(٦) ينظر: التحقيق حول أول أربعين سيد الشهداء: السيد محمد علي الطباطبائي، ص ٢ وما بعدها.

(٧) الملهوف: ٢٢٥.

(٨) تسلية المجالس: ٤٥٨ / ٢.

(٩) ينابيع المودة: ٩٢ / ٣.

الأمر، فإنَّ يزيد - كما روى ابن سعد في طبقاته - أمر الرُّسل الذين وجَّههم معهم أن يزلوا بهم حيث شاءوا ومتى شاءوا^(١). روى الشيخ أبو جعفر محمد بن أبي القاسم محمد بن علي الطبري بإسناده عن الأعمش عن عطية العوفي قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائرين قبر الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات، فاغتسل، ثم ائتزر بإزار، وارتدى بآخر، ثم فتح صرة فيها سِعْدٌ، فشرها على بدنه، ثم لم يخطُ خطوة إلا ذكر الله تعالى، حتَّى إذا دنا من القبر قال: المسنيه^(٢)؛ فألمسته، فخرَّ على القبر مغشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق قال: (يا حسين) ثلاثاً، ثم قال: حبيب لا يُجيب حبيبه؟! ثم قال: وأنتى لك بالجواب؟! وقد شُحطت أوداجك على أثباجك، وفرَّق بين بدنك ورأسك، فأشهد أنك ابن خاتم النبيين، وابن سيّد المؤمنين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيّد النقباء، وابن فاطمة سيّدة النساء، وما لك لا تكون هكذا؟! وقد غذّتك كف سيّد المرسلين، وربيت في حجر المتّقين، ورضعت من ثدي الإيمان، وفُطمت بالإسلام، فطبت حياً، وطبت ميّتاً، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك، ولا شاكّة في الخيرة لك.

فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا، ثم جال بصره حول القبر وقال: السلام عليكم أيّها الأرواح التي حلّت بفناء الحسين، وأناخت برحله، وأشهد أنكم أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتّى أناكم اليقين، والذي بعث محمداً بالحقّ نبياً، لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه. قال عطية: فقلت له: يا جابر، كيف! ولم نهبط وادياً، ولم نعلُ جبلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فرّق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأوتمت أولادهم، وأرملت أزواجهم؟! فقال: يا عطية، سمعت حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: (من أحبّ قوماً حُشر معهم، ومن أحبّ عمل قوم أشرك في عملهم).

(١) الطبقات (ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من القسم غير المطبوع): ٨٤، مثير الأحزان: ١١٠، عنه بحار الأنوار ٢٩ / ٤٥.

(٢) إشارة إلى أنّه كان مكفوف البصر حينذاك، ويؤيد ذلك ما رواه ابن قتيبة في (٢) في قضية وقعة الحرّة بقوله: (وكان جابر بن عبد الله يومئذٍ قد ذهب بصره...)، ومن المعلوم أنّ الفاصل الزمني بين وقعة الطف ووقعة الحرّة ما يُقارب سنة.

والذي بعث محمدًا بالحقّ نبياً، إنّ نبيّتي ونيّة أصحابي على ما مضى عليه الحسين (عليه السلام) وأصحابه، خُذني نحو أبيات كوفان. فلما صرنا في بعض الطريق قال: يا عطية، هل أوصيك وما أظنّ أنّي بعد هذه السفرة مُلاقيك، أحبّ مُحبّ آل محمد ما أحبّهم، وابغض مُبغض آل محمد ما أبغضهم وإنّ كان صوّاماً قوّاماً، وأرْفِق بمُحبّ محمد وآل محمد، فإنّه إن تزلّ له قدم بكثرة ذنوبه ثبتت له أخرى بمحبّتهم، فإنّ مُحبّهم يعود إلى الجنّة، ومُبغضهم يعود إلى النار^(١).

(١) بشارة المصطفى: ٧٤. وروى نحوه مقتل الخوارزمي (١٦٧/٢) مُسنّداً بتفاوت يسير.

المطلب الثاني: حكم زيارة الاربعين ونص الزيارة.

أولاً: حكم زيارة الاربعين.

ورد التأكيد على استحباب زيارة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) في يوم الاربعين في جملة من الأحاديث الشريفة الماثورة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ذكراً فضيلة ذلك، ومبينة مزيتها، فقد روي عن الامام أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام)^(١) أنه قال: "علامات المؤمن خمس: صلوة الخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم"^(٢).

ثانياً: نص الزيارة.

روى الشيخ الطوسي^(٣) (قدس الله نفسه الزكية) عن جماعة، عن صفوان بن مهران الجمال، أنه قال: قال لي مولاي الصادق^(٤)، صلوات الله عليه في زيارة الأربعين: ((تَرُورُ عِنْدَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ وَتَقُولُ: "السَّلَامُ عَلَيَّ وَلِيِّ اللَّهِ وَحَبِيبِهِ، السَّلَامُ عَلَيَّ خَلِيلِ اللَّهِ وَنَجِيبِهِ، السَّلَامُ عَلَيَّ صَفِيِّ اللَّهِ وَابْنِ صَفِيهِ، السَّلَامُ عَلَيَّ الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ، السَّلَامُ عَلَيَّ أَسِيرِ الْكُرْبَاتِ وَفَتِيلِ الْعَبْرَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْنُ وَلِيِّكَ، وَصَفِيُّكَ وَابْنُ صَفِيِّكَ، الْفَائِزُ بِكَرَامَتِكَ أَكْرَمَتُهُ بِالشَّهَادَةِ، وَحَبِوتُهُ بِالسَّعَادَةِ، وَاجْتِنِبَتُهُ بِطَيْبِ الْوَلَادَةِ، وَجَعَلْتَهُ سَيِّدًا مِنَ السَّادَةِ، وَقَائِدًا مِنَ الْقَادَةِ، وَذَائِدًا مِنَ الذَّادَةِ، وَأَعْطَيْتَهُ مَوَارِيثَ الْأَنْبِيَاءِ، وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلَيَّ خَلْقِكَ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ، فَأَعْذَرَ فِي الدُّعَاءِ، وَمَنَحَ التُّسْحُحَ، وَبَدَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ، لَيْسْتَ تَنْقُذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ، وَقَدْ تَوَازَرَ عَلَيْهِ مِنْ غَرَّتِهِ الدُّنْيَا، وَبَاعَ حَظَّهُ بِالْأَرْدَلِ الْأَدْنَى، وَشَرَى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الْأَوْكَسِ، وَتَغَطَّرَسَ وَتَرَدَّى فِي هَوَاهُ، وَأَسْخَطَ نَبِيَّكَ، وَأَطَاعَ مِنْ عِبَادِكَ أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ، وَحَمَلَةَ الْأَوْزَارِ الْمُسْتَوْجِبِينَ النَّارَ، فَجَاهَدُهُمْ فِيكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، حَتَّى سَفِكَ فِي

(١) هو الإمام الحسن العسكري بن الامام علي الهادي (عليهما السلام)، الامام الحادي عشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

(٢) التهذيب: ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ج ٢ ص ١٧ - باب فضل زيارة الحسين (عليه السلام).

(٣) الشيخ الطوسي، المولود بخراسان سنة: ٣٨٥ هجرية، والمتوفى بالنجف الأشرف سنة: ٤٦ هـ، التهذيب: للطوسي، طبعة دار الكتب الإسلامية، سنة ١٣٦٥ هـ، طهران، (٥٢/٦).

(٤) الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، سادس أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

طَاعَتِكَ دَمُهُ، وَ اسْتَبِيحَ حَرَمُهُ، اللَّهُمَّ فَالْعَنُهُمْ لَعْنًا وَبِيلاً، وَ عَذَّبْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ أَمِينُ اللَّهِ وَ ابْنُ أَمِينِهِ، عَشْتُ سَعِيدًا وَ مَضَيْتُ حَمِيدًا، وَ مِتُّ فَقِيدًا مَظْلُومًا شَهِيدًا، وَ أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ مُنْجِرُ مَا وَعَدَكَ، وَ مُهْلِكُ مَنْ خَذَلَكَ، وَ مُعَذِّبُ مَنْ قَتَلَكَ، وَ أَشْهَدُ أَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ اللَّهِ، وَ جَاهَدْتَ فِي سَبِيلِهِ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ، فَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَكَ، وَ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ظَلَمَكَ، وَ لَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَوَضَّيْتُ بِهِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي وَلِيٌّ لِمَنْ وَآلَاهُ، وَ عَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُ، بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُورًا فِي الْأَصْلَابِ الشَّامِخَةِ، وَ الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ، لَمْ تُنْجَسْكَ الْجَاهِلِيَّةُ بِأَنْجَاسِهَا، وَ لَمْ تُلْبَسْكَ الْمُدْلَهَمَاتُ مِنْ ثِيَابِهَا، وَ أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعَائِمِ الدِّينِ، وَ أَرْكَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَ مَعْقِلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَ أَشْهَدُ أَنَّكَ الْإِمَامُ الْبَرُّ التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الْهَادِي الْمَهْدِيُّ، وَ أَشْهَدُ أَنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ وُلْدِكَ، كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَ أَعْلَامُ الْهُدَى، وَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَ الْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، وَ أَشْهَدُ أَنِّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ، وَ بِإِيَابِكُمْ مُوقِنٌ، بِشَرَائِعِ دِينِي، وَ حَوَاتِيمِ عَمَلِي، وَ قَلْبِي لِقَلْبِكُمْ سَلِمٌ، وَ أَمْرِي لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ، وَ نُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ لَكُمْ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ، لَأَمَعَ عَدُوُّكُمْ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَ عَلَى أَرْوَاحِكُمْ وَ أَجْسَادِكُمْ، وَ شَاهِدِكُمْ وَ غَائِبِكُمْ، وَ ظَاهِرِكُمْ وَ بَاطِنِكُمْ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. وَ تُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ وَ تَدْعُو بِمَا أَحْبَبْتَ وَ تَنْصَرِفُ) (١).

(١) التهذيب: الطوسي، (١١٣/٦). مفاتيح الجنان: عباس القمي، الباب الثالث بعد زيارة عاشوراء، مصباح

المتهجذ، الشيخ الطوسي (ت ٤٦ هـ).

المبحث الثالث

الزيارة الأربعينية من منظور حدائي

المطلب الأول: لمسات حضارية منبثقة من الزيارة الاربعينية

تعد زيارة أربعينية الامام الحسين (عليه السلام) ظاهرة انسانية فريدة لم يشهد التاريخ الانساني لها مثيلا، لا في الأديان السابقة والأمم السالفة، ولا في المذاهب الحاضرة والامم اللاحقة. فهي ظاهرة اجتماعية أذهلت العلماء والسلطين والحكام على مر القرون، وارصدوا مجسّاتهم للوقوف على حقيقتها، وادراك غوائرها، وايقنوا أنّها حدث فريد يخرج عن نطاق مقاييس الظواهر الاجتماعية المتعارف عليها. وسنستعرض جانبا من اللمسات الفكرية والحداثيّة لهذه الظاهرة الاجتماعية:

أولا: عندما نمنع النظر وبتجرد انساني كامل إلى ظاهرة الزيارة الاربعينية للامام الحسين (عليه السلام)، وما لقيه اهل بيته (عليهم السلام) من تنكيل وابادة، لثني عزائمهم عن موقف الحق، وأحقية الموقف، فهم أحد الثقلين الذي ذكرهما النبي (صلى الله عليه وآله)، بقوله: ((تركت فيكم الثقلين لن تضلوا بعدي ان تمسكتم بهما، كتاب الله وعترتي أهل بيتي))^(١) فهم أهل المنهج الحق ورعاه، وتستلزم رعايته أن يظهر منهم ذلك الموقف البطولي في التضحية، فهم أحق الناس بهذا الموقف، وفعلا انبروا لموقف الحق، ليعكسوا لنا وبوضوح الشمس عندما تهاجم الظلام، أن الحق له أهله وهم أولى الناس بحمله والدفاع عنه هذا، فلما كانوا حملة الرسالة وأول المؤمنين بها، لزم أن يكونوا أول المضحين لأجلها، وعلى قدر اهل العزم تأتي العزائم.

ثانيا: جرت عادة الغالب والمغلوب، والقاهر والمقهور، والمنتصر والمهزوم، أن ارادة الغالب والمنتصر ماضية، وسننهم في الكون جارية، ورغباتهم حقيقة ساطعة، وأن سيوفهم أبلغ في الحق من كلمات صدرت من أفواه طاهرة، وعليه كان لا بد لهذه

(١) المستدرک، الحاكم النيسابوري، ٣/ ١٠٩.

الظاهرة ان تتلاشى وتندثر بين طبقات سجلات التاريخ، لتتحول الي مادة للدراسات التاريخية شأنها شأن العديد من الظواهر الاجتماعية والمواقف السالفة، التي اضمحلت واندثرت على مر التاريخ، لكن هذه الظاهرة الحسينية، والحقيقة الحمديّة، كانت خلاف ما يتوقعون، وعكس ما يتصورون، فكانت الفاجعة الاليمة نقطة تحول في المفاهيم الانسانية، ومحطة انطلاق لبناء ركائز القيم الانسانية، فكانت كطائر يحمل بين جناحيه قيم البطولة والحق من جهة، ويحمل في الجهة الاخرى رسالة عن الطغيان والظلم، وبينهما ترانيم الموروث الحمدي في القيم النبيلة والمواقف الفذة.

ثالثا: كان لندائه الخالد والمدوي: هل من ناصر ينصرني؟؟ الذي حملته الموجات في الاوساط المادية، وفي مختلف الاتجاهات، ليعانق الجوزاء، وليسمع به آذان السماء، وليدور حول الارض، رصدته آذان الزمان، ولبت نداء نصرته رغم بعد الايام، فطغائك جثوا في قبورهم، وزئير صوتك يشدو لحنا لنصرة كل مظلوم، وأن الحق لا يهزم أهله، وإن تباعدت الايام، وغبرت الازمان. فيا ترى من الذي يدفع هؤلاء الناس؟ ان يتركوا اعمالهم وبلدانهم ومدنهم ومنازلهم وأسرههم، ويسيروا مئات الكيلومترات على الاقدام في الصيف والشتاء في الليل والنهار، ليلتقوا عند ضريح ابي الاحرار وشم ثراه؟ من الذي يدفع الالاف من الناس ان ينفقوا وبكرم حاتمي منقطع النظير من مالهم الخاص ويقدموا الخدمات من الماء والطعام والمسكن وكل ما تحتاجه هذه الملايين من البشر الزاحفة نحو كربلاء دون ان ينتظروا مئة من أحد؟ من الذي يدفع الالاف من الناس، وهم من عوائل ثرية وحتى من اصحاب المناصب، ان يكونوا خدما لهؤلاء الزوار، ويسهروا على راحتهم ويخدموهم بشتى الطرق، مثل غسل اقدام الزوار وتدليكها، ويعتبرون ما يفعلونه فخرا لا يدانيه فخر؟.

قد قيل الكثير عن سر خلود وديمومة ظاهرة الاربعة، وألُفت الكتب في ذلك وسودت الصفحات، ولكننا، ورغم ان جلّ ما قيل في هذا الامر صحيح، نرى ان هذه الظاهرة هي ظاهرة الهية، اريد لها ان تبقى وتستمر، لأنها تستمد طاقتها من أظهر دم اريق ظلما على ثرى كربلاء، وفي هذا السياق ندرك كلمات بطلة كربلاء صنو الحسين الشهيد السيدة زينب الكبرى عقيلة بني هاشم وهي تخاطب يزيد في بلاطه وهو نشوان بانتصاره على الحسين (عليه السلام): ((فو الله لا تمحو ذكرنا، ولا تميمت وحيننا، ولا

تدرك أمدنا)) يقول المفكر والكاتب المسيحي المعروف أنطون بارا: "إن زيارة الأربعين يعجز الانسان عن وصفها، إن لهذه الزيارة سحر إلهي خاص، يعجز العقل عن استيعاب فكرة ملايين من الناس يتركون منازلهم ويقطعون آلاف الكيلومترات قاصدين زيارة الحسين (عليه السلام)، والناس متحايين فيما بينهم لا ترى سوى الإحسان والخدمة الجميلة التي تزداد سنة بعد أخرى".

رابعا: شكلت الشعائر الحسينية وثورة الإمام الحسين (عليه السلام) مادة للبحث العلمي لدى الكثير من الدارسين والباحثين منذ القدم، فقد وجدوا فيها مادة تستحق البحث و التنقيب، فعمدوا إلى البحث عن المعنى والدلالة و الأسباب، فانطلقوا من توصيف المظاهر إلى الغور في عمق المعاني المتجلية من هذه الشعائر، وكثيراً ما رأينا كتباً ودراسات لمفكرين وباحثين بعيدين عن الإسلام وعن التشيع، ولكنهم تكلموا بلسان من يفهم هذه القضية ويعيش تجلياتها، ويعاين عمق معانيها.

وليس ذلك بالأمر الغريب فثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ليست حكرًا على فئة أو طائفة، و إنما هي ثورة عالمية انطلقت من مدينة كربلاء وامتدت على طول خط الزمان و المكان، ولعبت دوراً كبيراً ومؤثراً في الكثير من منعطفات التاريخ و مستجداته، وكان الحكام الظلمة يحسبون لها حسابات عديدة. ففي نصف يوم فقط، اختزل الإمام الحسين (عليه السلام) و من معه كل قيم التحدي والإباء والصمود، وكتب بخط عريض: "موت في عز خير من حياة في ذل". فمع عظيم شرف سيرة حياة الامام الحسين، إلا أن ساعات الطف و ما دار فيها كانت الأجلى والأكثر تأثيراً في نفوس المجتمعات الإسلامية و الانسانية جمعاء، و كأن لحظة الشهادة ذاتها هي لحظة الولادة! فثمة حرارة في قلوب المؤمنين تجاه قضية الامام الحسين (عليه السلام) أخبر بها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، في الحديث المشهور: "إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد ابداً"^(١)، كانت وراء امتداد المراسيم بشكل فعلي و رسمي منذ اليوم الأول لشهر محرم الحرام حتى الـ (العشرين) من صفر الخير، و تحديداً بعد اداء زيارة الأربعين المعروفة والتي يتوافد

(١) مستدرك الوسائل ١ / ٣١٨.

خلاها الملايين من المواليين والمحبين لأبي عبد الله الحسين (عليه السلام) قاصدين مرقده الشريف.

خامسا: إن قضية عاشوراء والزيارة الأربعينية كانت ومازالت تدافع عن كل مظلوم و تدحر كل ظالم و هي القضية الوحيدة التي برزت رغماً عن الذين حاربوها و حاولوا دفنها في طيات التاريخ و هي القضية التي هزت مشاعر و ضمير الإنسانية لتفريقهم من سباتهم و هي القضية التي حافظت على استقامة و بقاء روح الرسالة الإسلامية، و هي التي دعت الى إصلاح المجتمع، كما قال الامام الحسين (عليه السلام): ((ما خرجتُ أشراً ولا بطراً ولا مُفسداً ولا ظالماً وإتّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمة جديّ لأمر بالمعروف وأُهي عن المنكر)). هذا ما تعلمناه من مسيرة النهضة الحسينية التي رسمت لنا أسمى الأهداف لنجعلها منطلقاً لحياتنا فكيف لا تكون المسيرة الحسينية خالدة مع الايام، وراسخة في الاذهان.

سادسا: تأتي خصوصية اقامة الشعائر الحسينية في يوم أربعين الإمام الحسين (عليه السلام) كونها تشكل احياء لنهضة الامام الحسين الاصلاحية وتعاليمه الاخلاقية ومبادئه النبوية فان قضية سيد الشهداء هي التي ميزت بين دعوة الحق والباطل وأن نهضة الامام الحسين (عليه السلام) الاصلاحية ووقوفه بوجه الظلم والطغيان، كان امتدادا لدعوة الرسول (صلى الله عليه وآله) لنشر الاسلام، فكان (عليه السلام) الامتداد الطبيعي للنبي (صلى الله عليه وآله) بنص حديث الرسول (صلى الله عليه وآله): حسين مني وانا من حسين.

سابعا: فإن الأمم العظيمة والشعوب العريقة.. تعرف بعقيدتها ورجالها.. وتحيا بذاكرتها.. والذاكرة.. هي الروح التي تسري في جسد الأمة فيطول بقاؤها.. وهي الدماء التي تندفق في عروقها فتشدد عافيتها.. وبالذاكرة.. للأولياء.. تتذكر الشعوب أحداث ماضيها.. وتتفهمها وتتدبر معانيها.. وتستخلص العبر منها.. والدروس التي فيها.. وبالذاكرة.. تتذكر الأمم عناصر قوتها وأسباب رفعتها فيما مضى من تاريخها فتبني حاضرها ومستقبلها على نهجها.. والحمد لله الذي جعل صحيفة الإمام الحسين (عليه السلام) مكان ومرآة لمشاهدة الآثار الملكوتية لأنه تربي على أكمل نوع البرية وأفضل

النفوس القدسية أبي القاسم محمد قاسم موائد المواهب الربانية، ومنبع رحيق الفيوض
السبحانية وآله الوارثين لمقامات العلية المكرمين بكراماته الخفية والجلية.

المطلب الثاني: خواطر من الزيارة الاربعية

ثمّة تساؤل يطرح نفسه: "اذا كان مصرع الامام الحسين عليه السلام وراء زيارة مرقدته في العاشر من محرم الحرام ؛ فما هو منشأ ما يعرف بزيارة الأربعين في العشرين من صفر كل عام؟" وللإجابة على هذا التساؤل بجملة من الحوادث التاريخية التي تزامنت مع هذا التوقيت وهو الـ(العشرين) من صفر، ليكون الجامع المشترك فيها هو قضية الامام الحسين عليه السلام ومقتله، وسنشير إلى تلك الحوادث بعد أن نذكر جملة من الروايات الواردة في يوم الأربعين تحديداً، وكذلك زيارة الحسين عليه السلام في ذلك اليوم، ومنها ما روي عن الإمام الحسن العسكري، عليه السلام، إنه قال: (علامات المؤمن خمس:...) (١)، وعدّها منها زيارة الأربعين ولعلها الرواية الصريحة الأكثر شهرة التي يُستدل بها على استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام بعد مرور أربعين يوماً من مقتله وجعلت هذا العمل المندوب علامة من علامات المؤمن. أما الرواية الأخرى التي وردت عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، والذي شهد عاشوراء وهو في مقتبل عمره الشريف، حيث يقول (عليه السلام): "إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً تطلع حمراء وتغرب حمراء...." (٢)، وفي رواية أخرى ينقل عن زرارة بن اعين عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إنّ السماء بكت على الحسين (عليه السلام) أربعين صباحاً بالدم، والأرض بكت عليه أربعين صباحاً بالسواد، والشمس بكت عليه أربعين صباحاً بالكسوف والحرمة، والملائكة بكت عليه أربعين صباحاً، وما اختضبت امرأة منا ولا اكتحلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد وما زلنا في عبرة من بعده) (٣). ولا عجب في ذلك فإن الأرض تبكي على المؤمن أربعين صباحاً كما صرح بذلك النبي الأكرم، فكيف بقتيل مثل الحسين؟! ومصدق ذلك في قوله تعالى: ((فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين)) (٤).

(١) تقدّم تخرجه سابقاً.

(٢) هو الامام محمد الباقر بن الامام زين العابدين بن الامام الحسين (عليهم السلام) الامام الخامس من أئمة اهل البيت عليهم السلام.

(٣) كامل الزيارات: ص ٩ - باب ٢٨.

(٤) مستدرک الوسائل: للنوري، ص ٢١٥ - باب ٩٤.

(٥) سورة الدخان / الآية .

فتحدث هذه الروايات وغيرها عن تفاعل واقعي للكون والطبيعة مع مقتل الإمام الحسين عليه السلام وقد سجلها التاريخ لكي تحيب الذين يتساءلون عن سر تفاعل المؤمنين مع يوم الأربعاء وإحيائه سنوياً والمواظبة على زيارته (عليه السلام) في هذا الوقت تحديداً. كما أن يوم الأربعاء هو اليوم الذي زار فيه جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) الإمام الحسين (عليه السلام) برفقة عطية العوفي حيث ينقل الأخير أن جابراً دنا من شاطئ الفرات فاعتسل ثم ائتزر بإزار وارتدى بأخر، ثم فتح صرةً فيها سعد فنترها على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله، حتى إذا دنا من القبر قال ألمسني، فآلمسته فخر على القبر معشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء فأفاق، ثم قال: يا حسين - ثلاثاً - ثم قال: حبيب لنا يجيب حبيبه وأنى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك.. إلى آخر هذه الكلمات المشهورة^(١). ويشتهر أيضاً أن يوم الأربعاء هو يوم عودة السبايا وراس الحسين (عليه السلام) من الشام إلى كربلاء، ووصولها إلى محل مصرعه ومن ثم زيارته (عليه السلام).

(١) تقدم تخرجها.

الخاتمة والنتائج:

بعد هذه الجولة في رحاب الزيارة الاربعينية وأسرار الإمام الحسين عليه السلام نستطيع أن نخلص بأهم النتائج:

١- ظهر لنا من دراسة حياة وآثار ومناقب الأمام الشهيد أنه يتمتع بشجاعة القلب والجسد والجود والكرم والحلم والصبر فهو مدرسة الشرع والأدب واللغة لقد كان من العلماء البارزين في الرواية والدراية وعلوم اللغة وله ملكة لغوية تأثر في المتلقي، إن نشأته الأولى في بيت النبوة عاملاً أساسياً ورافداً مهماً لبناء شخصيته، ليظهر بعلمه وخلقه وسمته النبوي.

٢- تُعدُّ شخصية الإمام الحسين عليه السلام إحدى الشخصيات المهمة والفريدة والفاعلة على المستوى البشري، ولها من الأهمية ما يدعو إلى الاعتناء بكافة الجوانب المتعلقة بها على الدوام. من جانب الدراسات الشرعية المتعلقة بشخصيته أو تسخيرها للدراسات التربوية، والعلمية والنفسية واللغوية والاجتماعية. إن الآثار الدينية العظيمة التي تأخذ من صفاته ومحاسنه عليه السلام لها الدور الرائد في تنمية الشخصية المتميزة للفرد والمجتمع والحشد المؤمن الذي يدافع عن الوطن ويقاوم الإرهاب، إن الاستقرار الأسري والتعايش السلمي في المجتمع يقوم على السلوكيات والأخلاق النبيلة ولها الدافع الكبير للبدل والعطاء والتفاني في خدمة وتنفيذ أهداف وقيم الإمام عليه السلام.

٣- إن زيارة الأمام الحسين عليه السلام لها من الفضل العظيم ما لا يمكن أن يعد أو يحصى، ولا يمكن اختزالها في يوم دون آخر.

٤- أخذت الزيارة الأربعينية صداها الإعلامي الواسع و على مستوى العالم أجمع وذلك لتوافد الحشود الغفيرة من أغلب بقاع العالم لإحياء هذه الشعيرة المقدسة ولكي يتوحدوا تحت راية أبي الأحرار أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) الذي جسّد لهم الحرية والإباء والثورة على الظلام والجائرين وجسّد لهم معاني الخلق العظيم الذي ورثه من جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبيه أمير المؤمنين (عليه

السلام) تأتي هذه الجموع الغفيرة لتخلد ذكرى لم يحصل مثلها في التاريخ وهي ذكرى عودة سبايا أهل البيت (عليهم السلام) و معهم الرؤوس الطاهرة التي دفنوها مع الأجساد المقطعة التي قطعت في سبيل الحفاظ على الدين و الحرية و حقوق الإنسان والتي أصبحت ملاذاً للتأثرين ضد الظلم و الجور.

٥- الزيارة الاربعينية ليست مختصة بمذهب من المذاهب أو دين من الأديان أو فئة محددة بل هي تضم جميع الأديان و المذاهب و الفئات على مختلف أنواعها؛ لأن الإمام الحسين (عليه السلام) خرج من أجل الإنسانية و إحقاق الحق و نبد الباطل عن جميع العالم و ضحى بالغالي و النفيس من أجل أن تكون كلمة الحق هي العليا.

المصادر والمراجع

١. "الكامل في التاريخ": ابن الأثير، الطبعة السادسة، نشر دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
٢. اضواء على ثورة الامام الحسين عليه السلام: سماحة اية الله العظمى السيد الشهيد محمد الصدر- تحقيق وتعليق: الشيخ كاظم العبادي الناصري - الناشر: مركز الدراسات التخصصية في فكر السيد الشهيد محمد الصدر الطبعة: الأولى.
٣. أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين، ١. مجلدات كبار، وهي الطبعة المشهورة المتداولة الآن. طبعة دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م تحقيق السيد حسن الأمين قدس سره - ابن المصنّف.
٤. الامامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء: ابن قتيبة الدينوري ابي محمد عبدالله بن مسلم، تحقيق: الاستاذ علي شيري الناشر: دار الاضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الاولى ١٩٩٠م. محققة ومفهرسة.
٥. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٦. تاريخ الخلفاء، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمود رياض الحلبي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ.
٧. تاريخ الطبري. ابن جرير أبو جعفر الطبري. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. طبعة دار المعارف.
٨. تاريخ العرب، السيد مير علي، ترجمة رياض رأفت، طبع مصر، سنة ١٩٣٨م.
٩. ثورة الحسين (النظرية، الموقف، النتائج) للسيد محمد باقر الحكيم.
١٠. حياة الإمام الحسين عليه السلام، للعلامة الشيخ باقر شريف القرشي النجفي دام مؤيداً في عدة موارد، الطبعة الأولى.

١١. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
١٢. الفتوح: ابو محمد احمد بن اعثم الكوفي، التصنيف: طبعه حيدر اباد سنه ١٩٧٠. جغرافيا. بيوجرافي=سيره ذاتيه. تاريخ النوعيه: scanned، المصدر: الهند.
١٣. مثير الاحزان - للشيخ نجم الدين محمد بن جعفر (ابن نما) الحلبي المتوفي سنة ٦٤٥ هـ منشورات المطبعة الحيدرية في النجف - ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م.
١٤. مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، ت: ٣٤٦هـ، طبع دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط. أولى، ١٤٠٢هـ.
١٥. مقاتل الطالبين: أبو الفرج الاصبهاني علي بن الحسين بن محمد المرواني الأموي القرشي (ت: ٣٥٦هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر، طبعة: منشورات الشريف الرضي - قم! الطبعة: الثانية، سنة: ١٤١٦هـ.
١٦. مقتل الإمام الحسين عليه السلام المسمى مقتل الخوارزمي تأليف محمد بن أحمد المؤيد الخوارزمي.
١٧. مقتل الحسين عليه السلام، هذا الكتاب نشر الكترونياً وأخرج فنياً برعاية وإشراف شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) وتولّى العمل عليه ضبطاً وتصحيحاً وترقيماً قسم اللجنة العلمية في الشبكة، مؤلف: السيد عبد الرزاق الموسوي المقوم، الناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية.
١٨. الملحمة الحسينية: الشهيد الشيخ مرتضى مطهري تعريب: السيد محمد صادق الحسيني الناشر: الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٩٩٢ الجزء الاول - الجزء الثاني - الجزء الثالث، الناشر: المركز العالمي للدراسات الاسلامية.

١٩. نهج البلاغة: اختاره الشريف الرضي من كلام الإمام علي شرح الشيخ محمد عبده - دار ومطابع الشعب - طبعة أخرى تحقيق وتوثيق د. صبرى إبراهيم السيد سنة ١٤٠٦هـ.
٢٠. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت / ٣٠٠٢.
٢١. مسار الشيعة ٤.
٢٢. مصباح المتهجّد.
٢٣. منهاج الصلاح على ما في لؤلؤ ومرجان .
٢٤. العدد القويّة.
٢٥. بحار الأنوار .
٢٦. مصباح الكفعمي.
٢٧. مستدرك الوسائل.
٢٨. التحقيق حول أول أربعين سيد الشهداء: السيد محمد علي الطباطبائي.
٢٩. اللؤلؤ والمرجان: النوري.
٣٠. منتهى الآمال، الشيخ عباس القمي.
٣١. تسليّة المجالس.
٣٢. ينابيع المودة: ابن طاووس.
٣٣. بشارة المصطفى.
٣٤. مقتل الخوارزمي.
٣٥. التهذيب: للطوسي، طبعة دار الكتب الإسلامية، سنة ١٣٦٥ هـ طهران، (٥٢/٦).
٣٦. مفاتيح الجنان: عباس القمي.
٣٧. مصباح المتهجّد، الشيخ الطوسي (ت ٤٦ هـ).

الضمأ الحسيني وأنطولوجيا الأربعين

قراءة فلسفة زيارة الاربعين

أسامة العتّابي

الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

الاهداء

الى كعبة العاشقين... سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين (عليه السلام)
الى زوار وعشاق ابي عبد الله الحسين...
الى المشاة المنجذبة قلوبهم وروحهم الى روح سيد الشهداء
الى خدمة زوار سيد شباب أهل الجنة...
الى كل من تعلق قلبه بسبط رسول الله...
الى الدماء التي سالت من اجل الوصول الى كربلاء الحسين شهداء العراق الجريح
من الحشد الشعبي وقواتنا الامنية الباسلة...

المقدمة

الدين والضمأ الأنطولوجي، العنوان الذي تميز به الكاتب العراقي الدكتور عبد الجبار الرفاعي في سلسلة مشاريعه التجديدية للتفكير الديني، وهو اعادة قراءة للدين من وجهة نظر انسانية عقلانية، ويرتوي فيها الانسان لسلم الكمال بعد أن مر بضمأ روحي ومعنوي خلال حقب التاريخ الظلامي.

في السياق نفسه كان عنوان بحثي هذا (الضمأ الحسيني وأنطولوجيا الأربعين) هو اعادة قراءة في فلسفة زيارة الاربعين ومدى انعكاسها على الروح والنفس البشرية وما تلهمه هذه الشعيرة المقدسة من الانجذاب الروحي لسيد الشهداء (عليه السلام) خصوصا، ولشهداء الطف عموما، حتى يعيش الفرد المؤمن من خلالها حالة الصفاء الروحي مع المحيط الذي يعيشه ويتعامل معه بكل حب ووداد إلهي، حتى انعكست هذه المناسبة العظيمة بصورة إيجابية على الساحة الدولية العالمية، حتى اخذت بعض الدول الكبرى تراقب هذه الملحمة الحسينية - بوصف مطهري- وهذا الحدث الكبير عبر الاقمار الاصطناعية لأهميتها وخطورتها على الوضع العام في منطقة الشرق الاوسط والمناطق الاخرى، وباعتراف من بعض الساسة الدوليين كما سنبينه من خلال هذا البحث.

وبما أن الضمأ الأنطولوجي هو الضمأ للمقدس، او الحنين للوجود - بتعبير الرفاعي- فإن الكائن البشري المؤمن الحسيني دوما يعيش حالة من الضمأ والمتعطف الى معرفة أسرار تلك الزيارة، ومدى تكاملها الروحي له، فهو يسعى دوما الى معرفة ما يرتوي به ويعيش تلك الذكرى الأليمة التي حلت بهذا الوجود.

لأن زيارة الأربعين تعتبر مهرجان إلهي تعبوي يتم فيه نوع من دخول البشر في النور وبالتالي يدربون على التضحية في سبيل القيم والمبادئ ومن ثم على رفعة معدن الذات والطينة الإنسانية فبدل ان تكون خسيصة، دنيئة، دنية، اسيرة للشهوات او

للغرائز او للدنيا او لحب البقاء، وبدل ان تكون ذليلة ورهينة السفاسف سوف تتصاعد وتخلق الى المعالي، وتبني شخصية الانسان في هذا المعسكر وتتشبع فيها القيم والمعالي والفضائل والعزة.

ولذلك نرى كل المراقبين الدوليين المترصدين ومن مصادر عديدة يقرون بأن هذه الزيارة المليونية هي أكبر معهد ومعسكر تدريب للنفس البشرية بشكل عظيم، حيث يدرّبها على التضحية والفداء والعطاء. بحيث اي دولة كبرى لو ارادت ان تعبى شعبها ولو لشرائح قليلة منه استعدادا لحرب مثلا او حرب طوارئ التي تطرأ على البلد فلا تستطيع ان تجند الا القلة القليلة وبالترغيب والترهيب، بينما في زيارة الحسين (عليه السلام) نجد الملايين من البشر، بل زحف بشري ملاييني وطوعي من نفس البلد ومن خارجه فما هذه القدرة في التعبئة؟! خارجة

فمعسكر الأربعين هو عبارة عن تجسيد المجتمع والمدينة الفاضلة امام مرأى البشر، وهذا التجسيد يتجدد في كل عام من قبل المؤمنين، وأحد تفسيرات المدينة الفاضلة التي فسرت من قبل الحكماء وأصحاب العلوم الاجتماعية هي التي لا تحتاج الى رئيس وموجه، فكأنما البشر فيها قد وصلوا الى مرحلة البلوغ العقلي والروحي والاداري والعلمي، فإن نسيجهم الطبيعي هو الذي يدبر نفسه بنفسه، وهذا في الحقيقة هو غلبة العقل والنور على الغرائز لأن الغرائز الهابطة الأرضية كما يصفها القران الكريم (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) منشأها هو الحرص والطمع وهذا ما بينه الكتاب الكريم (قالوا أ نجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال ابي اعلم ما لا تعلمون) فإذا كان العقل والنور والقلب يطغى فسوف تكون هناك جنة وأمان، ولهذا السبب نرى اكثر الحكام الجبابرة والأنظمة الحاكمة على مذهب ال البيت (عليهم السلام) يتخوفون من هذه الظاهرة الحسينية وهذا ما اشارت اليه التقارير الدولية التي تراقب هذا

الحدث بحفية وغير حفية. فلا يمكن ان ننظر الى زيارة الاربعين كطقوس عبادية محضة ويقدر ما هو عبادة بناء مجتمع وبناء رؤية ثقابة ومرآة ناصعة للبشرية.

فلو نلاحظ مفهوم التكامل ومفهوم التضامن وكل المفاهيم الأخلاقية وليس على الصعيد الفردي والأسري بل على الصعيد المجتمعي تتجسد في زيارة الأربعين كحل الازمة الاقتصادية وحل الازمة الامنية وحل الازمة العنصرية والتميز العنصري وغير ذلك من الامراض الكثيرة التي تعاني وتقض من مضجع البشرية كل هذه الازمات حلولها في مدرسة ومنهاج الحسين (عليه السلام) فلنذهب ونشهد هذا المجتمع الفاضل والمجتمع النوري والذين يعيشون ايام مسيرة الاربعين يعيشون في الواقع حالة الصفاء الروحي والنوري ويتمنى كل فرد منهم ان يعيش هذه الحالة طول عمره.

ولهذا نرى المؤمن اذا دخل في معسكر هذه الاجواء للشعائر الحسينية يعيش حياة هذا المجتمع النوري الفاضل ولكن اذا رجع الى مدينته او بيته وتناسى الحسين (عليه السلام) فبقدر ما نبتعد عن الحسين (عليه السلام) نبتعد عن هذا النور وعن هذه الجنة والجنان المثالية، وبقدر ما نعيش ونقبل على الحسين (عليه السلام) نعيش هذه الجنان الحسينية كما روى عنهم (عليهم السلام): من أقبل علينا أقبلنا عليه ومن أدبر عنا أدبرنا عنه.

فبقدر ما يقبل المؤمنون على مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) يعيشون الصفاء والنور والثمار وفي نفس الوقت يجسدون حاضرة متمدنة ولم تشهدا الى الان البشرية، فهناك تحدي بين قيادة سيد الشهداء وتأثير سيد الشهداء وتربية سيد الشهداء للبشرية وبين كل الحضارات والأنظمة والمدارس البشرية وكل المصلحين البشريين بما فيهم المسلمين والمؤمنين فلا يوجد اي مصلح غير الحسين (عليه

السلام) يمكنه ان يربي ويصهر النفوس على مسار مذهبي او مسار انساني ولو كان عالماً مؤمناً.

ولهذا كان بحثنا هذا هو تسليط الضوء على أهم المحاور التربوية التي تحملها زيارة الأربعين للتكامل الإنساني وفي هذا الوجود، كي يرتوي المؤمن الحسيني ضمأه من انطولوجيا الأربعين لما تحمله من جاذبية روحية ذات مشاهد محسوسة عيانية للجميع تكون بمثابة برهان معنوي وفكري وروحي بحسب منطق العلوم البشرية الانسانية وبحسب منطق العقل وبحسب منطق الدين والوحي وكان على اربعة محاور:

المحور الاول: الأربعين، قراءة في المصطلح.

المحور الثاني: زيارة الأربعين بين البدعة والاستحباب، قراءة في المشروعية.

المحور الثالث: انطولوجيا الأربعين قراءة روحية في حقيقة الزيارة الأربعينية.

المحور الرابع: زيارة الأربعين إرواء للضمأ الحسيني، قراءة في الفوائد.

وجاءت هذه المحاور لتشارك في مؤتمر الطف العلمي الدولي الثامن الذ اقيم في الجامعة المستنصرية في كلية الاداب والذي يحمل عنوان " الزيارة الأربعينية مسيرة للتكامل الانساني " وقد بذلت جهدي في أن اسلط الضوء على المفاصل المهمة في زيارة الأربعين من الناحية الروحية والاخلاقية ومن الناحية الفكرية والعقائدية ومن الناحية الدينية والسياسية ليكون جزء من الوفاء لهذه المسيرة العظيمة.

اسامة العتايي

١٠ / صفر الخير / ١٤٣٨ هـ

التمهيد

المراد بالضمأ الأنطولوجي، هو الضمأ للمقدس، أو الحنين للوجود، انه ضمأ الكينونة البشرية، بوصف وجود الانسان وجودا محتاجا الى ما يثريه، وهو كائن متعطش على الدوام الى ما يرتوي به.

فالضمأ الأنطولوجي للمقدس: هو افتقار الشخص البشري الى ما يثري وجوده، ويكرس كينونته، ويمنحه وقودا لحياته، حيث تفتقر حياته لوقود حركتها، ويشبع حاجته لمعرفة معنى الحياة، ويكشف له عن سر الحياة، ويعزز قدراته بالمستوى الذي يجعله قادرا على التغلب على مشكلة الوجود البشري في هذا العالم، ويجعل حياته ممكنة في هذا العالم الغارق بالآلام والوجاع، وتكون له القدرة على العيش بأقل ما يمكن من المرات والاحزان، ويخرج من حالة القلق الى السكينة، ومن اللامعنى الى المعنى، ومن السوداوية الى النور

وعلى هذا الاساس تعتبر التجربة الحسينية بمختلف مستوياتها وانماطها هي منهل ارتواء الضمأ المقدس للفرد الحسيني، وما زيارة الاربعة الا كإحدى الابعاد الأنطولوجية في الدين تحاول ان تروي ذلك الضمأ الحسيني.

فعندما تشرب دقائق الوقت من كأس يتعتق فيه بكاء الوجود، ملحمة من الضوء البشري الغزير تفند عتمة الفلسفات والأدبجات الواهية التي لا تريد بغرورها المزمين ان تعترف بنجوانها أمام الايمان والولاء المطلقين فالأربعين هي ملحمة لاغتسال الأرواح بالخطى المتجهة صوب الجمال المحض وهو يرتكز على شعائر من يقين لإرواء ضمأ العاشقين.

إن احياء ذكرى أربعينية استشهاد الامام الحسين (عليه السلام) اصبحت ايقونة عشق تنتعش سنويا ب(Refreseh) ولائي سماوي يحدثها بأهمى صور التعبير عن هذا الالتصاق الاسطوري بما انتجه الحسين الشهيد (عليه السلام) في كربلاء تحديث تطلقه صرخة (لبيك يا حسين) تمنع فايروسات المسميات القائمة على لاشيئها ذي الابعاد الناصبية الإلحادية. صرخة تخرج من حناجر أبت إلا ان تقشر المعنى الإسلامي من كل ما علق به من غموض منذ الانحراف الذي كشر عن انيابه مع مقولة الاجتهاد مقابل النص ومع جملة (حسبنا كتاب الله) تلك الجملة التي اريد منها الا الباطل الذي يخط مصير اسلام يقوده منافقون ليفرغوه من محتواه الأصيل في اوضح صورة من صور الحقد والضعينة على هذا المنهج القسوم. اذن هي (لبيك يا حسين) مرة أخرى ومرات ومرات الى ان يشاء الله تعالى، صرخة تنبع من ارتباطها الوجودي والتكويني بالحسين صلوات الله عليه لتصب في المعنى الحمدي النقي والخالى من كل الشوائب التي ارادت الشر بهذا المعنى لان إيمانهم إيمان ظاهري قشيري: (ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون).

لقد اثبتت التجارب ان الافكار لا يمكن لها ان تدوم ما لم تكن محاطة بعناية السماء الأمر الذي تجسد بشكل لا لبس فيه بالفكر الحسيني الذي ابقى شعلة الاسلام المضاء بزيت محمد واله متوهجة في وقت نشهد فيه انطفاء الكثير من المفاهيم والمسميات كاليسار والليبرالية وغيرها. لقد وفرت زيارة الاربعين الارضية الخصبه لبقاء ثمار النهج الحسيني متدلّية بطبيعتها وألقها المتواصل التأثير، ليرتوي بذلك الضمأ الحسيني بأنطولوجيا الأربعين.

المحور الأول

الأربعين قراءة في المصطلح

- مصطلح الأربعين في الثقافة الإسلامية العامة.

لعدد الأربعين مكانة خاصة في الثقافة الإسلامية وفي موارد متعددة، سواء في المسائل والأحكام الفقهية، أم في المباحث الأخلاقية والمطالب العرفانية أم في المباني الاعتقادية وقد ابرزها الشارع المقدس بصورة سلسلة من الاحكام والقوانين التكليفية او السلوكية والتربوية النفسانية. مما يؤكد ان لهذا المصطلح خصوصية بل خصوصيات، ولا ندعي ان لها علاقة مباشرة ببحثنا الا من حيث الاشتراك في عدد الاربعين، وكقراءة عامة لهذا المصطلح في الثقافة الاسلامية.

ولا شك ولا ريب ان هناك مجموعة من الاعداد ورد ذكرها في النصوص الاسلامية اكثر من مرة كالعدد (١٠٠) و(٧٠) و(٤٠) و(٣٣) و(٣٤) ومما لا ريب ولا شك فيه انه لم يقل احد من المسلمين أيا كان مذهبه ومشربه ان هذه الاعداد وردت على وجه الصدفة واللاقصد وبالتالي لا بد ان تكون هذه الاعداد تحمل في نفسها اسراراً وخفايا وحكما قد تبين لنا منها شيء وتخفى علينا منها اشياء.

ومن هذه الاعداد التي تم التأكيد عليها في النصوص الاسلامية قرانا وسنة هو العدد (٤٠) حيث تحدث عنه القرآن الكريم في اربعة مواضع وهي:

- ١- في قوله تعالى: (واذ واعدنا موسى أربعين ليلة).
- ٢- في قوله تعالى: (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واطمأنناها بعشر).
- ٣- في قوله تعالى: (حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي).

٤- في قوله تعالى: (قال فإنها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين).

اما الروايات فقد حفلت كتب السنة والشيعة بعشرات الروايات وهي تتحدث عن هذا العدد في مختلف المجالات العبادية وغيرها وسأكتفي بذكر بعض هذه الروايات مثالا لا حصرا منها:

١- ما ورد في حفظ اربعين حديثا: حيث ور عن رسول الله (ص) قوله: " من حفظ من امتي اربعين حديثا ينتفعون به بعثه الله يوما القيامة فقهيها علما " .

٢- ما ورد في توب العبد عند الاربعين: حيث ورد عن رسول الله (ص) قوله: " اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده ووجهه وقال: بأبي وجه لا يفلح " .
٣- ما ورد في استجابة الدعاء || كان الداعي اربعين رجلا: حيث ورد عن ابو عبد الله الصادق (عليه السلام) قوله: " ما من رهط اربعين رجلا اجتمعوا فدعوا الله عز وجل في امر الا استجاب لهم، فإن لم يكونوا اربعين فأربعة يدعون الله عز وجل عشر مرات الا استجاب

الله لهم، فإن لم يكونوا أربعة فواحد يدعوا الله أربعين مرة فيستجيب الله العزيز الجبار له " (١).

مصطلح الأربعين في الشأن الحسيني الخاص.

بعد عرض تلك الوقفة حول مصطلح الأربعين في الثقافة الإسلامية العامة، نعرض بشكل موجز، خصوصية هذا المصطلح في الشأن الحسيني، فقد وردت كلمة (الأربعين)

(١) العاملي: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفى سنة ١١٠٤هـ، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث: ج٧، ص ١٠٣-١٠٤، ٢.

في مجموعة من الروايات عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ربطت فيها بين العدد أربعين وبين مُصاب وحن هذا الوجود بما السماء والأرض على مقتل سيد الشهداء ابو عبدالله الحسين (عليه السلام)، منها:

١- ما ورد في بكاء السماء والأرض وغيرها أربعين صباحاً على الحسين (عليه السلام)، كما في صحيحة أبي جميلة عن أبي جعفر (عليه السلام) حيث قال: " ما بكت السماء على احد بعد يحيى بن زكريا إلا على الحسين بن علي (صلوات الله عليهما) فإنها بكت عليه أربعين يوماً"^(١). وعن زارة ورد أن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: " يازرارة إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً، وأن الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وأن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وان الجبال تقطعت وانتشرت، وأن الجبال تفجرت، وأن الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين عليه السلام وما أختضبت منا امرأة ولا أدهنت ولا أكتحلت ولا رجلت حتى اتانا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عبرة بعده، وكان جدي إذا ذكره بكى حتى تملأ دموعه لحيته وحتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه، وأن الملائكة عند قبره ليبكون فيبكي لبكائهم كل من في الهواء والسماء من الملائكة"^(٢).

٢- ما ورد من أن علامات المؤمن خمسة احدها زيارة الأربعين، كما في حديث الإمام الحسن العسكري من ان " علامات المؤمن خمس، صلاة احدى وخمسين، وزيارة الاربعين، والتختّم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر بيسم الله رب العالمين"^(٣).

(١) القمي: جعفر بن محمد بن قولويه القمي، كامل الزيارات، تحقيق جواد القمي، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ، قم المقدسة، باب ٢٦، ح ٦، ص ٨١.
(٢) المصدر نفسه.

(٣) الطوسي: محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق السيد حسن الموسوي الخراساني، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران. ج ٢، ص ١٧، في باب فضل زيارة الحسين (عليه السلام). وورد في بحار الأنوار للمجلسي، مدصر سابق: ج ٩٨، ٣٢٩.

٣- المدة الفاصلة بين اول أيام الحج الذي تركه الإمام الحسين (عليه السلام) وتوجه إلى كربلاء وبين اليوم العاشر من محرم وهو شهادته (عليه السلام) أربعون يوماً.

٤- المدة الفاصلة بين يوم شهادة الحسين (عليه السلام) في العاشر من محرم وبين يوم عودة السبايا من الشام إلى كربلاء على المشهور هو أربعون يوماً.

وهناك موارد كثيرة حول العدد أربعون، نعرض عنها لطلوها ونحن في صدد البيان.

المحور الثاني

زيارة الاربعين بين البدعة والاستحباب قراءة في المشروعية

في سبيل إقامة الدليل على استحباب زيارة الأربعين على فرض عدم ثبوت النص بخصوصها، نذكر عدة من المقدمات الهامة والتي هي بمثابة قواعد كلية والمورد المبحوث عنه أحد موارد تطبيقها.

ومن الأدلة المهمة في استنباط الأحكام الشرعية، والتي لا يمكن للفقهاء الاستغناء عنها هي: التمسك بعمومها وإطلاقات الأدلة، فالتمسك بعموم الدليل حجة، وكذلك أيضاً التمسك بإطلاق الدليل حجة شريعة، وأكثر المسائل الشرعية الموجودة في الرسائل العملية ماهو إلا التمسك بالعمومات والإطلاقات المستفادة من الأدلة.

ومجسب علم الأصول: إن الدليل اللفظي - قرآناً أو سنة - الدال على الحكم الشرعي، يكون على أنماط ثلاثة:

النمط الأول: أن يكون العنوان المأخوذ في لسان الدليل خاصاً لا يصدق إلا على مصداق وفرد واحد. من قبيل قوله تعالى: ((إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما))^(١)، فالصفا والمروة عنوانان خاصان لا يصدقان إلا على مصداق واحد، وهما الجبلان الموجودان بجذء المسجد الحرام، وليس لهما مصداق آخر كما واضح، فلا يكون هناك فرد آخر للسعي إلا غيرهما.

النمط الثاني: أن يكون العنوان المأخوذ في لسان الدليل خاصاً لكن يتحقق بمصداق كثيرة وليس منحصرأ في فرد ومصداق واحد. كقوله تعالى: ((وأحل الله البيع وحرم

(١) البقرة: ١٥٨.

الربا^(١)، فالبيع والربا عنوانان خاصان، لكن يندرج تحتهما مصاديق كثيرة من عمليات البيع والربا.

النمط الثالث: أن يكون العنوان المأخوذ في لسان الدليل عاماً تندرج تحته عناوين كثيرة، وتحت هذه العناوين أفراد ومصاديق متعددة. كقوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود))^(٢)، فعنوان العقد تحته عناوين كثيرة: كعقد البيع، عقد المضاربة، عقد الوكالة، عقد الإجازة، عقد النكاح ويندرج تحت هذه العقود مصاديق وأفراد كثيرة.

وكقول الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله): "كل مسكر حرام"، فعنوان المسكر تحته عناوين كثيرة: الخمر مسكر، البيرة مسكرة، الحشيشة مسكرة، فهذا الحكم – أي الحرمة – يشمل كل ما هو مصداق من مصاديق الخمر، سواء كان عنواناً خاصاً تحت مصاديق مختلفة، أم ليس له إلا مصداق واحد.

وإن ما يقوم به المؤمنون بتجديد العزاء على الإمام الحسين (عليه السلام) - بمظاهرة المعروفة - في يوم أو ليلة الأربعاء مستحب وراجح شرعاً (حتى على فرض عدم ثبوت النص بخصوصها) لكونه:

١- مشمولاً لإطلاقات وعمومات الأدلة الشرعية، وهذا كافٍ في الحكم برجحانته واستحبابه شرعاً، وليس بالضرورة أن نحكم على الشيء بكونه واجباً أو مستحباً لدلالة الدليل الخاص عليه بعنوانه الخاص، بل يكفي العنوان العام للحكم بالوجوب أو الاستحباب أو الحرمة الكراهة.

(١) البقرة: ٢٧٥.

(٢) المائدة: ١.

فمن قال: إن زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم الأربعاء بقصد الاستحباب والخصوصية تشريع وبدعه، فهو واهم ومجانب للصواب، من ان استحباب الشيء او وجوبه بعنوانه الخاص ليس بالضرورة أن يكون هذا العنوان الخاص مأخوذاً في لسان الأدلة، بل يكفي بالحكم باستحبابه او وجوبه او حرمة بخصوصه ان يدل الدليل العام عليه، كما عرضنا ذلك في المقدمات السابقة

٢- ربما يقال إن إقامة الأربعينية لم يفعلها احد من أهل البيت (عليهم السلام) ولا من أصحابهم المعاصرين لهم من السلف الصالح.

وفيه: إن عدم فعل الأئمة لبعض الممارسات لا يقتضي كونها بدعة او مكروهة إذا شملتها إطلاقات وعمومات الأدلة، وفوض الشارع المقدس للمكلف اختيار وخلق المصاديق والافراد، فليس عدم فعل الأئمة والسلف الصالح ملازماً للبدعة والكرهية، فما أكثر الممارسات المستحبة والتي لم تثبت بفعل الأئمة (عليهم السلام) مع أن لا أحد يشك في استحبابها وكونها مرغوبة لدى الشارع المقدس، والتي تدخل تحت قاعدة "اتخاذ السنة الحسنة" وأصبحت من شعار اهل الايمان.

ومن هنا جاءت العشرات بل المئات من الروايات في كتب الفريقين في فضل زيارته والتوجه الى ترتيبه الشريف المقدسة، حتى وصل الأمر إلى درجة أوجب بعض الفقهاء استناداً لروايات متعددة بأن يحكم بوجوب زيارة الحسين (عليه السلام) بل وأفراد الحر العاملي في وسائله باباً بعنوان "وجوب زيارة الحسين (عليه السلام) والأئمة على شيعتهم كفاية" وورد فيه جملة من الروايات تدل على ذلك، منها: ما ورد عن أبي جعفر (عليه السلام) حيث قال: "مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام فإن آتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين بالإمامة من الله عز وجل" (١).

(١) وسائل الشيعة: مصدر سابق، ج ١٤، ص ٤٤٥.

وفي رواية اخرى عن ابي جعفر قال: " مروا شيعتنا بزيارة الحسين عليه السلام، فإن زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع وزيارته مفترضة على كل من آمن وأقر للحسين بالإمامة كم الله عز وجل" (١).

وعن ابي عبدالله الصادق (عليه السلام)، قال للحلي بعد ان سأله: ما تقول فيمن ترك زيارته وهو يقدر ذلك؟ قال: عتق رسول الله وعقنا واستخف بأمر هو له" (٢).

ومن اجل ذلك قال جملة من علمائنا: " أن اكثر اخبار هذا الباب وكثير من أخبار الأبواب الاخرى ظاهرها يدل على وجوب زيارة الحسين (عليه السلام) بل كونها من أعظم الفرائض وأكدها.. ولا يبعد القول بوجوبها في العمر مرة مع القدرة" (٣).

والملفت للنظر ايضاً أن زيارة الحسين (عليه السلام) كما في بعض الروايات، لا تسقط حتى مع الخوف على النفس والمال والأهل، وهذا الامر يمثل حالة واضحة في زيارة الحسين (عليه السلام) حيث لم تقيد بعدم الخوف أو بعدم الضرر كما هو جاري في الفرائض والواجبات الإسلامية فضلاً عن السنن والمستحبات، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) وهو يقول لمعاوية بن وهب: "يا معاوية لاتدع زيارة قبر الحسين (عليه السلام) لخوف من تركه رأى من الحسرة ما يتمنى ان قبره كان عنده، أما تحب أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعوا له رسول الله وعلي وفاطمة والائمة.." (٤).

وفي رواية ابن بكير عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: "قلت له: إني لأنزل الأرجان وقلبي ينازعني الى زيارة قبر أبيك إذا خرجت فقلبي وجل مشفق حتى أرجع

(١) المصدر نفسه: ج ١٤، ص ٦٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أنظر: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ١٠١، ص ١٠.

(٤) كامل الزيارات، لأبن قولوية، مصدر سابق، باب ٤٥، ص ١٣٦.

خوفاً من السلطان والسعاة واصحاب المصالح، فقال: يابن بكير أما تحب أن يراك الله فينا خائفاً؟ أما تعلم انه من خاف لحوفنا اظله الله في ظل عرشه وكان يحدثه الحسين عليه السلام تحت العرش وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزع فأن فزع وقرته الملائكة وسكنت قلبه بالبشارة"^(١).

قد ذكروا في هذا المجال مجموعة من الروايات، نذكر فيها هنا من اهمها وهي: رواية علامات المؤمن، حيث روي عن أبي محمد الحسين بن علي العسكري عليهما السلام أنه قال: "علامات المؤمن خمس، صلاة إحدى وخمسين وزيارة الاربعين والتختم في اليمين وتعفير الجبين والجهر بسم الله الرحمن الرحيم"^(٢).

استدل العلماء على استحباب الزيارة من خلال كلمة (زيارة الاربعين) وذكروا في ذلك عدة وجوه:

الوجه الاول: ما فهمه العلماء في زمن الصدور وما بعده والى يومنا هذا، ان المراد من الأربعين خصوص زيارة الحسين (عليه السلام) في يوم أربعينه، بل وما سار على هذا الفهم عموم شيعة أهل البيت عليهم السلام، باعتبار أن ورود كلمة (الأربعين) محلاة بالألف واللام، ولا شك أن المراد من هذه الألف واللام خصوص العهد ولا غيرها، ومن المعلوم ان الألف واللام العهدية إذا

دخلت على نكرة حولتها معرفة مشخصة معروفة عند المخاطب فلا يصح مثلاً أن تطلب من شخص أن يكرم الرجل ويتعاهد زيارته في الليل والنهار وهو لا يعرفه ولا

(١) وسائل الشيعة: مصدر سابق، ج ١٤، ص ٤٥٧، ولمراجعة هذا الامر تفصيلاً، انظر:

زيارة الحسين، بحث استدلال في روايات الوجوب، الشيخ رافد التميمي، اصدارات مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية. سلسلة كتاب مجلة الاصلاح الحسيني.

(٢) الطوسي: محمد بن الحسن الطوسي، مصباح المتجهد نشر مؤسسة فقه الشيعة،

الطبعة الأولى ١٤١١هـ، بيروت: ٧٨٨.

يشخصه في الخارج بل لا بد من افتراضه شخصاً معهوداً عند الأمر والمخاطب معاً، فكلمة (أربعين) الموجود في الرواية عندما جاءت محلاة بالألف واللام العهدية الذهنية، لا شك أنها تريد أن تشير إلى أربعين معينة ومشخصه عند المتحدث والمخاطب وهي أربعينية سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام، والتي أصبحت بدرجة من الشهرة والتشخيص في الواقع الإسلامي فضلاً عن الشيعي الموالي وبالتالي لا يجد المتلقي لهذا الحديث صعوبة في تطبيقها عليه وهو ما حصل عند كل من سمع بهذا الحديث قديماً وحديثاً.

الوجه الثاني: إضافة إلى ذلك، أن المراد من (المؤمن) التي تشير الرواية إليه في أن يتصف بالعلامات المذكورة هو خصوص الشيعي الموالي لأهل البيت عليهم السلام كما هو المشهور ضمن الثقافة الشيعية والفقهية، في الفرق بين المسلم والمؤمن، فإطلاق لفظ المؤمن هو على خصوص الفرد الشيعي كما صرحت به الرسائل العلمية لكافة علمائنا الأبرار، وهذا يدل وفق هذا الفهم بأن زيارة الحسين في يوم الأربعين هي من علامات المؤمن الأثني عشر.

الوجه الثالث: هو ملاحظة فترة صدور الحديث عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) الظروف التي كان يعيشها في زمن أعتى وأقسى ملك من ملوك أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم حيث ملئت السجون في وقته بمحبي أهل البيت وعلمائهم. وقد ذكر في التاريخ أنه أمر بحفر قبر الحسين (عليه السلام) وبشكل ملفت للنظر، امر بحرثه وبنذر البذور عليه وتحويله الى ارض زراعية عادية من أجل قطع الطريق لمعرفة هذا القبر الشريف على زائريه ليلاً ونهاراً^(١).

(١) انظر: الطبري، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان، ج ٩، ص ١٨٥.

وعلى هذا الأساس فقد كان ظرف الموالين طرفاً خاصاً يحتاج الى عمل خاص من قبل الأئمة في إبقاء هذه الشعلة وهاجته في قلوب المؤمنين وعدم اخادها من قبل الظالمين، فكان للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) حث على زيارة الحسين من خلال طريقين، طريق الأحاديث التي تحث على الزيارة كونها تحدي للإرهاب العباسي المتوكلي تجاه زائري قبل الحسين (عليه السلام)، والطريق

الثاني هو مباشرته في احياء الزيارة او ان يستأجر له رجل ثقة في ان يزور له عند قبر الحسين (عليه السلام)

الوجه الرابع: هو انه قد اورد بعضهم اشكالا على حمل كلمة (الأربعين) في رواية الامام العسكري (عليه السلام) على خصوص زيارة الاربعين مؤمنا وقد نقل هذا الاشكال السيد المكرم في كتابه مقتل الحسين (عليه السلام) حيث قال نقلا عن آخرين: "والتصرف في هذه الجملة (زيارة الاربعين) بالحمل على زيارة أربعين مؤمنا التواء في فهم الحديث وتمحل في الاستنتاج بأباه الذوق السليم" وهذا الفهم لا ينسجم مع الذوق العام للرواية وسيواجه عدة اسئلة فيما اذا رجح فيا ترى من هم الاربعون مؤمنا الذين امرنا بزيارتهم؟ ما هي صفاتهم؟ وهل تتم زيارتهم في اليوم أو في الشهر أو السنة أو حتى في العمر؟ وهل المراد من زيارة هؤلاء الاربعين خصوص الموالين لأهل البيت ام عامة المسلمين؟ ثم لماذا يكون العدد اربعين هو العلامة؟ فاذا كان المقصود به هو زيارة المؤمنين فزيادة العدد تكون اهم وافضل؟ ثم لماذا لم يصدر ذلك من الائمة المعصومين قبل الامام الحسن عليهم صلوات الله ولامه وتحياهم بل لم يصدر مثل هذا الامر في عصر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! ولهذا حمل كلمة الأربعين على كونها أربعين مؤمنا فيه تكلف ومؤونة زائدة تحتاج الى عناية خاصة، اضافة الى انها خلاف الظاهر المتبادر الى اذهان العلماء سابقا وحاضرا بل وحتى العامة من الناس والتبادر علامة الحقيقة.

المحور الثالث

انطولوجيا الاربعين قراءة روحية في حقيقة الزيارة الأربعينية

يستمد كل شخص فهمه من ذاته ووجوده الخاص وافق انتظاره واحكامه المسبقة، يتلون الفهم على الدوام بفضاء الذات وخبرتها لذلك لا يفهم الايمان الا في فضاء الايمان ولا تفهم التجربة الدينية الا في فضاء التجربة الدينية فما لم نتحقق بهذه التجربة ليس بوسعنا تقديم فهم واضح لها مثلما لا يفهم طبيعة الحب الا من يتذوق الحب ولا يفهم البهجة الا من تشرق نفسه ابتهاجا ولا يفهم القلق الا من يغرق بالقلق فتفشل الكلمة في الاخبار عن ذاتها فكيف تخبر عن اشواق الروح يستمد العشاق اشواق الروح من الحق تضيء قلوبهم انوار الحق تمتلئ ارواحهم بوجود الحق يغيثون في حضرته، يحضرون في غيبته تصير غيبتهم عن رؤيته رؤية، ورؤيتهم غيبته غيبة كل محبوب سواه هو، وكل ما تحسبه العين ليس هو، ببصيرة انواره يراه القلب هو، وان تمثل بوجود سواه. هكذا يرتوي ضمناً العشاق الانطولوجي فيفيضون على سواهم، حيث يخط الحق على قلوبهم الاسرار، فيعيشون في حالات النور البهيج.

هكذا في انطولوجيا الاربعين، هدف تنشده الملايين، وتبعث وتجدد في نفوسهم وحياتهم من اجل الحسين، تفاعلا وانفتاحا للعقل والقلب والروح، فيكون الايمان الانطولوجي بأربعينية الحسين هو ايمان مبني على علاقة الحب والحرية.

وعبر الحب الالهي يرتوي المرء ضمناً الحسيني بأنطولوجيا الاربعين ليصبح قلبه منبعاً للحب اي يكون الحب هو وهو الحب ويصير الحب في حياته مرة لكل مرة وصورة لكل صورة.

زيارة الاربعين منهج تربوي روحي

لم يجعل الله عز وجل الذرية الطاهرة من صلبيه (عليه السلام) فحسب بل جعل استجابة الدعاء تحت قبته، وليس المراد من هذه القبلة الطينية بل قبلة السماء من عند قبلة حتى شعاع منتهى البصر في الافق وتلاقي اسماء والارض، بل بمعنى انه عند الاقتراب من سيد الشهداء لا يكون هناك حاجب من الجبوت والطاغوت او من جبابرة الخلق بل هناك شفافية خاصة عنده بالاتصال بالساحة الربوبية، فطريق الحسين هو طريق حصد الطغاة والجبابرة فان الجبوت كما في اللغة هو نوع من الجدران الكثيفة وهذه الجدران او السدود التي تكون عقبة وحاجب عن الوفود على الله تعالى كلها تحصد في طريق الحسين (عليه السلام) من خلال استجابة الدعاء تحت قبته (عليه السلام) ومن ثم فان تلك البركات السماوية سوف تنزل بعد كسر هذه الموانع الفرعونية وموانع الشرك بالله.

وهذا ليس فقط في استجابة الدعاء بل حتى الشفاء في تربته، ولا نقصد بهذه التربة الجغرافية فحسب بل حتى التربية المعنوية والروحية والتي هي بمعنى الاقتراب من سيد الشهداء (عليه السلام) فاستجابة الدعاء تحت قبته (عليه السلام) يعني قبول مطلق العبادات، والشفاء في تربته (عليه السلام) يعني نزول البركات وكل ذلك جاء عن طريق سيد الشهداء: ومن كل ما تقدم يتضح ان العقائد وقبول الاعمال مشروطة بامامته وولايته حيث ان من اصول العقيدة هي الامامة والذرية من صلبة وكذلك قبول الاعمال، واما الدعاء الذي تحت قبته فهذا ينبىء عن ان اعمالنا مشروطة بولايته (عليه السلام) وبالتالي فسوف تكون زيارة الاربعين كالمدينة الفاضلة وان معسكر الاربعين هو عبارة عن تجسيد المجتمع والمدينة الفاضلة امام مرأى البشر، وهذا التجسيد يتجدد في كل عام من قبل المؤمنين، واحد تفسيرات المدينة الفاضلة التي فسرت من قبل الحكماء واصحاب العلوم الاجتماعية هي التي لا تحتاج الى رئيس وموجه، فكأنما البشر فيها قد وصلوا الى مرحلة البلوغ العقلي والروحي والاداري والعلمي، فان نسيجهم الطبيعي

هو الذي يدبر نفسه بنفسه، وهذا في الحقيقة هو غلبة العقل والنور على الغرائز، لان الغرائز الهابطة الارضية كما يصفها القران الكريم (و قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر و متاع الى حين) منشأها هو الحرص والطمع وهذا ما بينه الكتاب الكريم: ((قالو أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون)).

وهذا ما يجعل زيارة الاربعين عبارة عن مهرجان الهي تعبوي يتم فيه نوع من دخول البشر في النور، وبالتالي يدربون على التضحية في سبيل القيم والمبادئ ومن ثم على رفعة معدن الذات والطينة الانسانية، فبدل ان تكون ذليلة ورهينة السفاسف سوف تتصاعد وتخلق الى المعالي، وتبني شخصية الانسان في هذا المعسكر، وتتشبع فيها القيم والمعالي والفضائل والعزة.

وذلك نرى كل المراقبين الدوليين المترصدين ومن مصادر عديدة يقرون بان هذه الزيارة المليونية هي اكبر معهد ومعسكر تدريب للنفس البشرية بشكل عظيم، حيث يدرها على التضحية والفداء والعطاء. بحيث اي دولة كبرى لو ارادت ان تعبي شعبها ولو لشرائح قليلة مئة استعداداً لحرب مثلاً او حرب طوارئ التي تطرا على البلد فلا تستطيع ان تجند الا القلة القليلة وبالترغيب والترهيب، بينما في زيارة الحسين (عليه السلام) نجد الملايين، بل زحف بشري ملاييني وطوعي من نفس البلد ومن خارجة فما هذه القدرة في التعبة؟

هذا ما تؤكدته القراءة الروحية لهذه الزيارة، فهي منهج تربوي روحي عميق جداً وهذا ما اكدته روايات فضل زيارة الحسين (عليه السلام) التي بلغت مع عملية الغرابة والتمحيص ٤٨٠ نص روائي، وعلى الاقل ان كل رواية فيها قانون تربوي يختلف عن نص الرواية الثانية، وهذا يعني ان الزائر يخرج من اول قدم من بيته حتى يصل الحرم

الشريف ويزور ويرجع الى اخر قدم في بيته فهو يعيش في (٤٨٠) حال من احوال المساء والاض. لان زيارة الاربعين شان من شؤون الله تعالى، والله كل يوم هو في شان.

وعن نصر بن مزاحم، عن عمرة بن سعيد، عن علي بن حماد، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: قال علي للحسين: يا ابا عبد الله اسوة انت قدما؟

فقال: جعلت فداك ما حالي؟ قال: علمت ما جهلوا وسينتفع عالم بما علم، يا بني اسمع وابصر من قبل ان يأتيك فو الذي نفسي بيده ليسفكن بنو امية دمك ثم لا يريدونك عن دينك، ولا ينسونك ذكر ربك، فقال الحسين (عليه السلام): والذي نفسي بيده حسبي، وأقررت بما انزل الله واصدق نبي الله ولا اكذب ثول ابي.

هذه الرواية تؤكد انه (عليه السلام) منذ القدم هو اسوة وقدوة الى البشرية كافة حتى الانبياء والرسول، وهو برنامج تربوي جعله الله تعالى كي تتكامل به البشرية منذ القدم والى المستقبل بما فيهم الانبياء والرسول والائمة عليهم السلام. وهذه منقبة ومعجزة لسيد الشهداء (عليه السلام) وما نشاهده الان في المجتمعات البشرية المضمرة فيها التكاليف والتطاحن والحرب والعداوات والتي تان من الظلم الاقتصادي بسبب الازمة المالية الراهنة الان، ومن الظلم والتمييز المهمجي، وكل الانظمة التي حكمت وجاءت بالاشتراكية والرأسمالية والشيوعية والديمقراطية الى الان لم تقدم اي حلول لهذه الازمات، وفي ظل هذا نرى هناك بيعة وانقياد بشري طوعي سلمي لس وسنوي لسيد الشهداء (عليه السلام) والقريب والبعيد والعالم وغير العالم تأثر في هذه الدولة التي رقعته النفوس والبشر وليس الجغرافية، هذه الدولة قائمة ومبنية على يد سيد الشهداء (عليه السلام) فكم هي قدرة قيادة الامام الحسين (عليه السلام) للمجتمعات.

وقول امير المؤمنين (عليه السلام) يا ابا عبد الله اسوة انت قدما يعني انا الحسين (عليه السلام) تأثره ليس فيما بعد واقعة عاشوراء بل قبل، حيث علم به الانبياء

والاوصياء، فماذا صنع بهم الحسين لكي يكون لهم اسوة؟ حيث ان الله عز وجل كان يوحى ويقصص على الانبياء ما يجري على سيد الشهداء (عليه السلام) في واقعة عاشوراء لكي يعرضهم ويربيهم على الصبر وعندما يستعرض لهم واقعة عاشوراء كان يأخذهم بالبكاء، وهذا نوع من الالية والبرنامج التربوي من الله عز وجل لأتبيائه كي يكامل بهم الى المعالي، ومن هنا كانت مواقف سيد الشهداء في الطف التي هي بالقياس للأتبياء مستقبل. ولهذا تجد ذلك الانجذاب الروحي الكبير لقضية سيد الشهداء، فهناك مشاهدة محسوسة عيانية للجميع وهي بمثابة برهان معنوي وفكري وروحي بحسب منطق العلوم البشرية الانسانية، وبحسب منطق الدين والحى، وهي انه يلاحظ في فضاء الجو الروحي لشعائر سيد الشهداء (عليه السلام) والتعلق به هناك جاذبية روحية خاصة الى الحسين واهل بيته وأصحابه المستشهدين معه.

وهذه الجاذبية الروحية ليس لدة المؤمنين فقط بل لعامة البشر فضلا عن المسلمين. الالهة منبع روحي كلما تجدد في الخاطر البشري ولكل شرائح المجتمع فسوف يستمد من حرارة ووهج وتوجيه واثارة وجاذبية روحية لا تنفذ.

(عليه السلام) للوهج الروحي والمعنوي عند المؤمنين بل حتى المسلمين الذين يلتزمون - على اقل تقدير عدم البغض والنصب والعداء لأهل البيت (عليهم السلام) وينظرون الى الحسين (عليه السلام) بموضوعية وحيادية فان انجذابهم لا يقاس بانجذاب المسيحيين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فان ما يقومون به من البكاء على النبي عيسى ابن مريم (عليه السلام) يوم قتلة حتى يسيلون الدماء عليه (عليه السلام) لا نجد عندهم هذا الارتباط والانشداد الروحي بين محبي الحسين (عليه السلام) ومن كل فئات البشر بالحسين (عليه السلام) لان هذا الانشداد الشديد لو قايسناه مع انجذاب اي ملة بقدوهم قلم نجد ولا نجد هذا العنفوان الروحي وهذا الجيشان الروحي الشفاف القوي المؤثر حتى في خلق المنجذب لسيد الشهداء (عليه السلام) بحيث يبده ويغيره ويصهره

من حيث يشعر او لا يشعر. واللطيف ان كل طبقات المجتمع وشرائحه يجدون لونه
خاص لهم في مدرسة سيد الشهداء (عليه السلام) تجعلهم ينجذبون اليه (عليه السلام)
وهذا ليس صدفة عقلا، فما هذه الدرجة الجمالية او الكم الفضائلي او الكم والمخزون
الروحي الهائل الموجود في روح ونور سيد الشهداء بحيث لا ينضب هذا المعين.

زيارة الاربعين طريق التكامل الانساني والروحي

(قراءة تأويلية)

من الحكم المنسوبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) قولة: من اشتاق خدم ومن خدم اتصل ومن اتصل وصل ومن وصل عرف. وهذه الحكمة ترسم لنا خارطة الزيارة بالمعنى الاخص. فالزيارة لها مراتب ومقامات وحالات، نشير الى بعضها:

١- زيارة الحسين اشتياق، والاشتياق يأتي بالطموح، وصدق النية، والرغبة، وحضور القلب، وقد ورد من زاره شوقاً اليه، اذن لا بد ان يكون الدافع الى المسير هو الشوق.

٢- بعد تحقيق الاشتياق، تكون زيارة الحسين خدمة.

٣- بعد تحقق الخدمة، تكون زيارة الحسين اتصال، لأنه من أهل بيت الطهارة وهم خير الأرحام، من وصلهم فقد وصل الله، ومن قطعهم فقد قطعه الله.

٤- بعد تحقق الاتصال، يتحقق الوصل، فتكون زيارة الحسين وصلاً.

٥- بعد تحقق الوصال، تتحقق المعرفة الحسينية.

الخدمة الحسينية.

تعلمنا فقرات دعاء كميل لأمير المؤمنين (عليه السلام)، في كيفية تحقيق الخدمة:

- ١ - القوة مع الجوارح تعطي لنا السعي الى الخدمة الحقيقية (قَوِّ عَلَى خِدْمَتِكَ جَوَارِحِي).
- ٢ - الشدة مع الجوانح تعطي لنا العزيمة الحقيقية في السعي الى الخدمة (وَأَشَدُّ عَلَى الْعَزِيمَةِ جَوَانِحِي).
- ٣ - الهبة مع الخشية تعطي لنا الجد في ممارسة الخدمة (وَهَبْ لِي الْجِدَّ فِي خَشْيَتِكَ) واذا حضر الجد في العمل غاب اللعب، بينما اذا حضر اللعب غاب الجد واذا غاب الجد محق الدين.
- ٤ - الدوام مع الاتصال لنا الخدمة الحقيقية (وَالدَّوَامَ فِي الْاِتِّصَالِ بِخِدْمَتِكَ) وديمومة الاتصال هو بمحمد وال محمد.

المحور الرابع

زيارة الاربعين وارواء للضمأ الحسيني قراءة في الفوائد

ربما واحدة من الامور التي يتميز بها الاسلام عن سواه من النظم والدساتير، انه دين شامل للدنيا من خلال آرائه وسُننه وقوانينه، وللآخرة من خلال ما اعده الله عز وجل للصالحين من ثوابٍ وعقابٍ واجرٍ عظيمين

وعلى اساس هذا الامر يمكن لنا ان نأخذ مثلاً لذلك قبل ان نصل الى ما نريد ان نتحدث عنه، فان الصلاة ستكون مثلاً واضحاً وبارزاً في هذا الاتجاه، فإنها تحمل في طياتها جنبتان اساسيتان، واحدة تتعلق في علاقة الانسان بربه وطريقة هذه العلاقة وكيفيةها، واخرى تتعلق في ترتب اثار هذه العلاقة على الانسان في تعاملاته وارتباطه مع الناس، بمقدار طاعته والتزامه بأوامر الله ونواهيه تكون هذه العبادة مقبولة. ولذلك فان روح الدين، باطن الدين، جوهر الدين، يتمحور في ارواء ضمأ الشخص البشري للمقدس الذي يؤمن به، وذلك ما يمنح حياته ووجوده معنى "

وعلى هذا الاساس جاءت زيارة الاربعين لسيد الشهداء، احدى الإرواءات الدينية للضمأ الحسيني الذي يعيشه الفرد المؤمن تجاه ما قدمه الامام الحسين (عليه السلام) للبشرية جمعاء، ولذا نحن نشاهد في يوم الأربعاء يتقاطر المسلمون من كل حذب وصبوب من داخل العراق وخارجه وعلى

اختلاف ألسنتهم والواهم حبا وشوقاً بالحسين (عليه السلام) ويخط الحسين (عليه السلام) وحركته الشريفة المباركة، وقد حصلت من جراء هذه الزيارة جملة من النعم المتنوعة، وعلى مختلف الأصعدة، عاشها المسلمون سابقا ويعيشونها في هذا الوقت بالذات، بعد ان تحولت هذه الشعيرة الى ركن مهم من اركان الولاء والتفاعل مع الحسين (عليه السلام) وحركته.

لهذا نعرض في هذا المحور اهم الفوائد التي يرتوي فيها الضمماً الحسيني من خلال زيارة الاربعين:

الفوائد الاجتماعية.

- ١- الشعور بالاحوة اليمانية الموالية
- ٢- الشعور بالإعزاز بالانتماء إلى الحسين (عليه السلام)
- ٣- التكافل الاجتماعي في زيارة الاربعين
- ٤- الشعور بالمساواة عند السائرين للحسين (عليه السلام)
- ٥- الظهور صفا واحداً امام اعداء الحسين (عليه السلام)
- ٦- تعارف الناس ولقائهم

الفوائد الاقتصادية.

- ١- توفير فرص العمل، من خلال زيادة العمل في الجانب السياحي وتوفير الخدمات.
- ٢- زيادة رؤوس الاموال الاجنبية، من خلال تأشيرات الدخول للسياح داخل البلد، كذلك الاستثمارات الخاصة بالسياحة الدينية، والاتفاق اليومي للسائحين، وايرادات الفنادق والمطاعم والقطاعات السياحية الاخرى، ولاشك ان كل ذلك سوف يشكل عاملاً مهماً في نمو وازدهار هذا القطاع بشكل خاص والبلد بشكل عام.
- ٣- تنوع السلع التجارية وتطويرها، من خلال تطور السوق التجارية في ظل اجواء الزيارة الاربعينية، وجعل السوق التجارية متحركة لأهمية، ومتطورة لا متوقعة وراجعة لا خاسرة .

الفوائد الشخصية:

تلك الفوائد التي لها علاقه مباشرة على تغيير نفسية الانسان الزائر وسلوكه الشخصي وخصائصه التي كان عليها الى حاله ايجابية اكثر وبالتالي ترشح مثل هذه الحالة الايجابية الجديدة على مجمل اوضاع الزائرين في زمان مسيرهم وزيارتهم وأهمها:

١- تعلم الزائر على الانضباط والسير بشكل منتظم مع اخوته المؤمنين، فنتلمس في زيارة الاربعين كل المعاني التنظيمية على حركة الزائرين

٢- قدرة الزائر على التحمل والصبر، وهو من علامات الايمان، فالصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد كما في بعض الروايات، ولعل سير السائرين إلى الحسين وتحملهم لكل الكيلومترات الطويلة مشيا على الأقدام مع صعوبة المناخية بل وحتى الامنية ليعطينا قدرة على مدى الصبر والتحمل الذي تخلقه مثل هذه الشعيرة المقدسة في نفوس العاملين والمتمسكين.

٣- تفريغ الهموم والغموم، فلا شك ان المشي الى زيارة الحسين (عليه السلام) ولاسيما يوم الاربعين مع الملايين الذين يمشون، هي واحده من اثار السفر التي يسعا اليها الانسان لتفريغ هممه وكربه فيه، كما ورد ان من اثار السفر هو تفريغ الهموم والاحزان

٤- العلاج برياضة المشي سوء على مستوى الصحة البدنية او على مستوى الصحة النفسية والفكرية، وقد درس العلماء حياة العباد والفلاسفة والرحالة والمؤرخين والناشطين السياسيين والقصييين وربطوا بين المشي في حياتهم وبين ما انتجوه للحضارة من نظريات وافكار كبيره ومهمه كسقراط وارسطو وغيرهم حتى ورد عنهم لو كان التأمل في الطبيعة ديناً، لكان المشي من أهم طقوسه.

الفوائد الدينية والعقائدية.

ويمكن لنا ان نلتمس بعض هذه الفوائد من خلال ما يلي:

١- تجسيد مبدئ الولاية والبراءة في الاربعةين، فالملايين التي تذهب الى الزيارة الاربعةين انما تريد ان تجسد معنى الولاء والبراءة في اعلى صورته واشكاله، فالزائر يمشي ولسانه يلهج في ذكر (اني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم)، فهو يريد القول سأسلم لمن سلم له الحسين (عليه السلام) وساقف ضد من وقف ضد الحسين (عليه السلام)، هذا هو معنى الولاية

٢- التسليم والطاعة لأهل البيت (عليه السلام)، هذا موقف ديني وعقائدي اخر يمكن لنا ان نلتمسه في حركة الزائر نحو الحسين (عليه السلام) حيث يقرون لهم بالطاعة والتسليم كما سلم لهم واطاعهم المؤمنون عبر التاريخ مستجيبي بين بذلك الى الله عز وجل حينما يقول (يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله واولي الامر منكم). وهذا التسليم هو تسليم حقيقي نابع من القلب كما في زيارة الامام الصادق (عليه السلام) حينما يقول:

وقلبي لقلبيكم سلم وامري امركم متبع، ونصرتي لكم معه حتى يأذن الله: ولا شك ان السائرون الى الحسين (عليه السلام) يعيشون كل هذه المفاهيم العقائدية والدينية المهمة نحتاجها في حياتنا لاسيما في هذا الوقت العصيب الذي تدور فيها دوائر الشر والعدوان المتعددة خارجيا وداخليا.

٣- الشهادة للحسين بالعصمة. فكل هذه الملايين الزاحفة نحو الحسين (عليه السلام) لاشك انها ستنتهي وتقف امام قبره وتقرأ في زيارتها: اشهد انك كنت نورا في الاصلاب الشاخنة والارحام المطهرة ولم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك في

مدلهمات ثيابها واشهد انك من دعائم الدين واركان المؤمنين واشهد انك الامام البر التقي
الرضي الزكي الهادي المهدي وهذه شهاده هي تؤكد مبدى العصمة التي تحدث عنها
القران حول اهل البيت (عليه السلام). والاقرار بعصمة الحسين (عليه السلام) يعني
الاقرار بشريعة حركته وقيامه الشريف

٤ - تأكيد الهوية الاسلامية الشيعية، فالحضور الى كربلاء مشيا على الاقدام بهذه
الاعداد الكبيرة اشار الى ان كل واحد هؤلاء سيشعر بهويته الاسلامية الموالية لأهل البيت
(عليه السلام) اكثر من غيره وسيفتخر بهذا الشعور والانتماء، وتأكيد الهوية يعتبر امر
ضروري في وقتنا الحالي بعد ان شوّهة صورة الاسلام الحمدي الجميل بأعمال القتل
والارهاب والتفجير والاتجار باسم الدين ونصرة سيد المرسلين. فيأتي هذا التأكيد من
هذه الملايين بانهم منتمين الى الحسين (عليه السلام) ذلك الذي وقفنا مناصرا للمظلوم
ومدافعا عن حقوق الانسان.

الفوائد السياسية

ويمكن ان تتجلى هذه الفوائد بعض النقاط:

١ - زيارة الاربعة ومبايعه للحسين (عليه السلام)، حيث تمثل هذه الزيارة بعدا
من ابعادها المهمة وهي مبايعة الحسين (عليه السلام) لحركته وموقفه الراض ليزيد،
حيث ان كل هذه الملايين السائرين مشيا على الاقدام جاءت لتبارك الحسين بجهد،
ولتبايعه على موقفه الصالح هذا، ولتعلن انها تباع كل من انتهج منهجا الحسين (عليه
السلام)، ويرفض منجه يزيد كل من تمثل لهذا النهج من حكام الجور والظلم على مر
التاريخ. فتريد هذه الملايين ان تبعث برسالة مهمه ترفعها حناجرهم المؤمنة بالحسين الى

كل حاكم جائر وظالم بأن البيعة للحسين (عليه السلام) ولنهج الحسين (عليه السلام) لا غيره

٢- مهرجان سنوي ترعاه السماء، فأن كل المراقبين الدوليين على وجل وخوف من هذا المهرجان العبادي الروحاني العملاق، لأن هذه القود والقدرة في التعبئة المليونية والسنوية لا يمتلكها أكبر نظام على وجه الأرض ولا أي دولة عظمى ولا وسطى ولا دول أخرى، بل حتى الدول الإسلامية بل وبصراحة حتى النظم الشيعة لا تمتلك هذه القدرة وبشكل لا ملل ولا كلل وإنما الذي يمتلك هذه القدرة والوميض والحرك هو الإمام الحسين (عليه السلام) وبشكل طوعي ليس فيه أي ترغيب أو تهيب بل فيه المخاطر والتضحية بالنفس والمال للزائرين المشاركين بسبب الإرهاب الحاقداً الأعمى البغيض.

وقد ذكر عدة من الأخوة من ذوي الرصد والمتابعة أن بعض الدوائر الغربية تجرى دراسة خاصة سنة عبر إذاعتها ومواقعها والانترنت وما يفعله الخطباء والروايد ما يفعله في نفوس الشباب

فهناك مراقبون دوليون يراقبون الظاهر المسيرية المليونية التي يخرج لها شعب بأكمله ومن جميع المحافظات بحيث تفرض أغلب المحافظات تفرغ عن بكرة أبيها فلو نلاحظ أي تجمع بشري الآن في أي مدينة حتى من البلدان المتحضرة صناعياً وتقنياً كالغرب وغيره أنهم كم يحتاجون لأجل تجمه بشري ما من ناحية البعد الأمني إلى مؤونه وحراسه هذا التجمع، وكيف يتم تدبير الرعاية الصحية والرعاية المرورية، رعاية التموين الغذائي، الرعاية الأمني من الداخل التجمع ومن خارجه، الرعاية في جدولة البرامج، الرعاية الإدارية في تنسيق هذه البرامج بعضها لبعض، الرعاية البلدية وغير ذلك وبعبارة أخرى مرافق الدولة بوزارها الخدمية وغير الخدمية وحتى السيادية لا تستطيع أن تنظم هذه الظاهرة المليونية إذا كانت في بقعه أو منطقته واحده فكيف إذا كانت منتشرة على جميع

الطرق من المدن المختلفة التي تؤدي الى كربلاء الحسين (عليه السلام) ولعدة ايام أو اسابيع.

فنظم هذه الامور في علم الادارة، العلوم الاستراتيجية، العلوم البلدية، علوم ادارة المدن لو تمت هذه العلوم في نظم هذه المجموع ورعايته فلا تستطيع السيطرة عليه بل هو خارج عن قطرة الدولة تماما فمثلا الحج قد يصل عدد الحجيج الى ثلاث ملايين ولأيام معدودة وفي داخل بقعه محده هي مكة المكرمة والمشاعر، وفي كل هذا التطور الحاصل فيه من الابنية والمرافق والمرور تقع فيه الضحايا والشكاوى وغير ذلك فكيف بالانتشار البشري الذي يمر بين المدن والصحراء وبمسافات تقدر بمئات الكيلومترات، فكيف للدولة ان تنظمه فالحال انه ليست الدولة التي تنظمه وانما هو ينظم تلقائيا من المؤمنين.

كما احد الرموز ذكر ان مسؤولا للقوات المسلحة للشرق الاوسط للإدارة الامريكية راقب هذه الادارة عن طريق الاقمار الصناعية ولمدة اسبوعين او اكثر وبث مباشر فأنبهر وقال: انا اعترف انتم الشيعة اكثر تحضرا بالمقايسة مع الاحداث التي تقع في نيويورك او باريس. وهذا واقع وليس فيه اي تعجب لأنه راقب الحدث مباشر فلم يرى اي فتنه او قتال او عراق او اصطدام او ارباك حسب ما يقول، في حين سمعنا وربما البعض منا شاهد ذلك ان الكهرباء انطفئت قليلا في الدول المتحضرة في الاليات التقنية المعدنية والصناعية كالغرب فختل الوضع الامني حيث حصل صطو وسرقات، بين ما هنا في زياره الاربعين لم يحدث اي شيء من هذا القبيل، وهذا ليس بصدفه بل اعجاز ولكن لا الاعجاز بمعنى ان نرى يد من الملكوت وانما نفس برامج وقيم اهل البيت (عليهم السلام) لحقائق القران هي اعجاز، فان نور تربية اهل البيت (عليهم السلام) اعجاز معارف وآداب اهل البيت (عليهم السلام) اعجاز.

القران الكريم

نهج البلاغه

المصادر

- ١- الرفاعي: عبد الجبار، الدين والضمأ الانطولوجي، منشورات مركز دراسات فلسفه الدين _ بغداد، الطبعة الاولى ٢٠١٦، دار التنوير، لبنان، بيروت.
- ٢- بحر العلوم، رسالة السير والسلوك المنسوبة للسيد بحر العلوم، شرح السيد محمد حسين الطهراني، نشر مؤسسة ترجمة ونشر دورة العلوم والمعارف الاسلامية مشهد، الطبعة الاولى
- ٣- القمي: جعفر بن محمد بن قولويه القمي، كامل الزيارات، تحقيق الشيخ جواد القيومي، نشر مؤسسة النشر الاسلامي، الطبعة، ١٤١٧ هـ، قم المقدسة.
- ٤- الطوسي: محمد بن الحسن، تهذيب الاحكام، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، نشر دار الكتاب الاسلامية، طهران
- ٥- الامين: السيد محسن، اعيان الشيعة، حققه واخرجه حسن الامين، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٣ م.
- ٦- الطهراني، السيد محمد محسن الحسيني، الاربعين في التراث الشيعي
- ٧- المحلاقي: الشيخ ذبيح الله بن محمد علي (١٤٠٣ هـ - ١٣١٠ م) رياحين الشيعة.
- ٨- زيارة الامام الحسين، بحث استدلالي في روايات الوجوب، الشيخ رافد التميمي اصدارات مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية. سلسلة كتاب مجلة الاصلاح الحسيني.
- ٩- الطوسي: محمد بن الحسن الطوسي، مصباح المتجهد، نشر مؤسسة فقه المصطفى، الطبعة الاولى

- ١٠- الطبري، محمد بن جرير الطبري تاريخ الطبري، تاريخ الامم والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار سويدان، بيروت، لبنان
- ١١- المقدم: السيد عبد الرزاق، مقتل الامام الحسين، نشر دار الثقافة، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ قم.
- ١٢- القمي، عباس، مفاتيح الجنان، تعريب السيد محمد رضا النوري، دار المرتضى، لبنان بيروت، ١٤٣١هـ،
- ١٣- السند، محمد، اسرار زيارة الاربعين، تقارير الشيخ ابراهيم البغدادي، دار الاميرة.
- ١٤- الاسدي، رحيم، الحقيقة في الزيارة الاربعينية، من محاضرات الحاج رحيم الاسدي، اعداد: محمد العتاي، بلاط،
- ١٥- المعتزلي: بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ.
- ١٦- البدوي: حسن الخطيب، الخبر اليقين في رجوع السبايا لزيارة الاربعين، تاريخها وفقها، دار الولا، بيروت - لبنان، الطبعة الاولى: ١٤٣٤هـ
- ١٧- الصمباني: الشيخ حيدر، الاربعين وفلسفة المشي الى الحسين (عليه السلام)، اصدارات وحدة الدراسات التخصصية في الامام الحسين، قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الاولى، ١٤٣٦
- ١٨- الكليني: محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ -)، الكفائي، الاصول، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ

- ١٩- السبكي: عبد الوهاب بن علي السبكي (ت: ٧٧١ هـ) طبقات الشافعية الكبرى: تحقيق محمود محمد الطناحي - عبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية، فيصل عيسى الباي الحلبي.
- ٢٠- العاملي: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفي سنة ١١٠٤ هـ، تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة: تحقيق مؤسسة ال البيت (عليه السلام) لاحياء التراث
- ٢٢- الصدوق: ابو جعفر محمد بن علي، علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٨٥ هـ - دار الحجة، ١٤١٦ هـ
- ٢٣ المجلسي: محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، نشر مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ، بيروت
- ٢٤- الغزالي: ابي حامد محمد بن محمد المتوفي سنة ٥٠٥ هـ، احياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الفهرست

- ٧.....مقدمة ديوان الوقف الشيعي
- ٩.....التفاعل الاجتماعي بين زائري أربعينية الحسين (عليه السلام)
- ٤١.....الزيارة الاربعينية منهج تطبيقي لفكر الإمام الحسين
- ٦١.....الانتفاضة الأربعينية عام ١٩٧٧ دراسة تاريخية في الأسباب والنتائج
- زيارة الأربعين وأثرها في استلهام البعد الجهادي والاصلاحي لثورة الامام الحسين (عليه السلام) ٨٥
- ١١٣.....الدروس التربوية من زيارة أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام)
- ١٥١.....مفهوم الأممية في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)
- ١٧٥.....الزيارة الأربعينية وأثرها في إرساء السلم الاجتماعي بين الشعوب
- ٢٠٣.....الدروس التربوية في الزيارة الأربعينية موعظة تغيير وإصلاح
- ٢٢٥.....البنى الاسلوية في شعر زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)
- ٢٥٥.....المضامين التربوية في مواقف الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء.....
- ٢٦٧....."رؤية سوسيوولوجية للتجمعات الدينية" الزيارة الأربعينية للإمام الحسين أنموذجاً
- ٢٨١....."مدرسة الأربعين"
- المقاصد السامية للزيارة الاربعينية في عيون وقلوب انصار ومحبي الامام الحسين
- ٢٨٩.....الشهيد(عليه السلام).....
- ٣٣٢.....زيارة الأربعين وأثرها في التكامل الإنساني.....
- ٣٥٧.....المسيرة الاربعينية ودلالاتها التاريخية.....
- ٤٠٥.....كيف ينظر الغرب الى أربعينية الحسين (عليه الصلاة و السلم)
- ٤١١.....الزيارة الأربعينية حماية الذات ورسالة الانسان.....
- ٤٦٣.....الزيارة الاربعينية (دراسة في فضل الزيارة وجذورها التاريخية)

عالمية زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) - المسرح الغربي الحديث إنموذجا - باللغة العربية، والإنكليزية	٤٧٩
الزيارة الاربعينية من المنظور الفقهي والحدائي	٥١٠
الضمأ الحسيني وأنطولوجيا الأربعين قراءة فلسفة زيارة الاربعين	٥٤١
الفهرست	٥٧٩